

مشغوي

مولانا جلال الدين الرومي

ترجمه و شرحه و قدم له : د. ابراهيم الدسوقي شتا



مولا سلطان العلماءك زيارته وارشيدي زيارتي تمام
كلوركن اوكون همان مولاناي كورنجه خدمته وارب يوزني پرستو

Bibliotheca Alexandrina
0217124

مثنوى

مولانا جلال الدين الرومي

الكتاب الخامس

ترجمه وشرحہ وقدم لہ

دکتور

إبراهيم الدسوقي شتيا

١٤١٨ هـ.

١٩٩٧ م.

الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

مقدمة المترجم

الإرادة الإلهية والحرية الإنسانية

لن أخوض في تاريخ هذه المشكلة وفي أصولها من القرآن والسنة عامدا ، إذ يكفي للقارئ الذي يريد أن يلم بهذه التفاصيل أن يفتح كتابا من كتب علم الكلام الإسلامي ليجد فيه بغيته من التفاصيل حول المشكلة التي قتلت بحثا في علم الكلام : مشكلة الجبر والإختيار .

ولا يوجد مفكر عرفاني دق على مشكلة الحرية الإنسانية في مقابل الإرادة الإلهية مثل مولانا جلال الدين ، فمبحث الحرية عند مولانا جلال الدين الرومي من المباحث الجديرة بأن تجلى وحدها وتفرد لها الأبحاث . وتتميز آراؤه في هذا المجال بالشمول والعرض الحيوي الذي يتقصى جوانب الموضوع ويقدم التعبير عن الفكرة في أكثر من مستوى ، كما كان يحرص على تقديم أمثال هذه القضايا في صورة حوار بين معتقي وجهات نظر مختلفة حول نفس الموضوع أو نفس الفكرة ، وكان هذا التناول في حد ذاته ينقل القضية من مجرد قضية كلامية جافة وجامدة إلى قضية حية ، فلا شك أن القضايا تظل حية ما دامت تشغل أذهان الناس وتثير الحوار بينهم ، فإذا كفت أذهان الناس عن الإنشغال بها، وكفت أسنتهم عن التماور حولها ، إنقلبت إلى قضايا كتب يناقشها الصفاة في مجالسهم الخاصة . فضلا عن أن مولانا عندما كان يختار الشخصيات التي تناقش قضية ما، كان يختار معارض وجهة النظر التي يتبناها هو نفسه من نفس درجة مؤيدها ومستواه وذلك من ناحية الثقافة والقدرة على الجدل . وربما لم تأخذ قضية كلامية أخرى من مولانا جلال الدين كل هذا الإهتمام الذي أخذته منه قضية

الجبر والإختيار أو قضية الحرية الإنسانية ، وكأن مولانا كان يستشرف بنظرته المستقبلية النفاذة أن هذه القضية سوف تكون من قضايا المواجهة بين الشرق والغرب ، وأن الغربي عندما سيتسلط على المسلم سوف يقدمه كشخصية مستكينة إلى الجبر ، قشّة في مهب الريح ، معدوم الحركة والإرادة في مواجهة قوة عاتية عمياء ، كما أن وقتا سوف يأتي يتهم فيه الفكر الإسلامي بأن قضية الحرية لم تطرح فيه أساسا . ولا يكاد كتاب واحد من كتب المثوي الستة يخلو من حديث عن مشكلة الجبر والإختيار ، حديثا لا يتصل بأبعادها الكلامية فحسب ، بل يتناولها كعادة مولانا عند تناوله لكل مشكلاته أبعادها الحياتية المعاشية ، فكان مولانا في طرحه لقضية الجبر والإختيار يطرح في الأصل قضية الحرية على النحو التالي :

١- ينطلق مولانا جلال الدين في تناوله لقضية الجبر والإختيار من أن الله سبحانه وتعالى عندما خلق الكائنات كلها ، منح الإنسان وحده من بينها منحة الحرية ، فالحرية بالنسبة له عطية إلهية . ولم يكن جلال الدين الرومي أول من وضع هذه الفكرة ، إذ وردت من قبله عند كل الصوفية ، فالفكرة تكاد تكون موجودة بنصها عند سنائي الغزنوي الذي قال :

- إن الإنسان مختار بين العقل والهوى ، وهذا هو تفسير آية " كرمنا " .
- فلا تذلل الإنسان ، ولا تشعره بالهوان ، فهو في الغيب ، صار جوهرًا من بين الناشئين في العيب .
- ومن بين العباد الذين وراء الحجاب ، إختارك أنت الإختيار . -إلا أنك عن طريق الغضب والاحتئال ، تصبح وحشا ، أو تصبح دابة . (١)

(١) سنائي الغزنوي : حديقة الحقيقة وشريعة الطريقة - الترجمة العربية لكاتب هذه السطور

- الأبيات ٥٤٦١-٥٤٦٤ وشروحها - القاهرة - دار الأمين للطباعة والنشر - ١٩٩٥

فكان الصوفية كانوا يجمعون بين الاختيار والكرامة التي منحها الله للإنسان ، وأن مما يترتب على هذا التكريم الإلهي ألا يتعرض الإنسان للمهانة والإذلال من إنسان ، أو تسلب منه هذه الحرية التي منحها له الله تعالى . لخص سنائي وجهة نظره في عدة أبيات . لكن جلال الدين كعادته في الاستفاضة وكشف نقاط جديدة في القضايا التي تناولها الصوفية من قبله ، ينطلق إلى آفاق أبعد وأوسع ، فالاختيار عنده هو ملح العباداة ، فما فائدة عباداة يكون الإنسان مجبرا عليها وتكون قدرا عليه :

- والاختيار هو ملح العباداة ، وإلا فالفلك وحده يدور بالرغم منه .
- فإن دورانه لا طمعا في ثواب ولا خوفا من عقاب ، والاختيار فضل عند الحساب.(١)

بل بقدر جهد الإنسان تكون رحمة الله به :

- إن هذا الجهد والدعاء بقدر الهمة ، وليس للإنسان إلا ما سعى .(٢)
ويطيب لمولانا جلال الدين أن يبين دائما أن أول من قال بالجبر هو إبليس اللعين ، وأن أول من قال بالاختيار هو آدم عليه السلام :
- وتعلم من أبيك يا وضاء الجبين ، إذ قال قبل الآن " ربنا ظلمنا أنفسنا " .

- فلا هو تعلل ، ولا هو احتال ، كما أنه لم يرفع لواء المكر والحيلة .
- ثم إن إبليس هو الذي بدأ الجدل قائلا : لقد كنت أحمر الوجه " عزة " وجعلتني أصفره " ذلا " .

(١) مشوى : ٣/٣٢٨٧-٣٢٨٨

(٢) مشوى : ٤/٢٩١٢

- فاللون منك وأنت الذي قمت بصباغتي ، وأنت إذن أس جرمي وأفتي وجرحي .

- فانتبه ، وأقرأ " رب بما أغويتني " ، حتى لا تتحول إلى جبري ، وحتى تقلل من طوافك بالإلتواء .

- فحتام تقفز على شجرة الجبر ، وحتام تلقي باختيارك جانباً .

- مثل إبليس وذرياته ، فهو مع الله - جل وعلا - في حرب وجدال ؟

- وكيف يكون إكراه وجبر وأنت بسعادة بالغة ، لا زلت تشمر ردائك في العصيان ؟

- فهل يمكن أن يمضي أحد سعيداً هكذا فيما هو مجبر عليه؟! وهل يمكن أن ينغمس أحدٌ راقصاً في الضلال ؟

- وكنت تقاتل بقوة عشرين رجلاً في ذلك الأمر ، بينما كان الآخرون يقومون بنصحك .

- وكنت تجادل قائلاً : هذا هو الصواب ، وهذا هو الطريق الحق فحسب ، فمن الذي يعيب علي ، إلا ذلك الذي لا يساوي شيئاً .

- ومتى يقول الشخص الذي يكون مكرهاً مثل هذا ؟ وكيف يقاتل هكذا الذي لا يملك طريقه ؟

- إن لك الاختيار في كل ما طلبته نفسك ، وكل ما أرادته عقلك ، فأنت مضطر فيه!! (١)

٢- ويرى مولانا جلال الدين أن الإنسان نفسه يحس في داخله بأنه مختار ، والدليل على هذا تردده بين أمرين ، وهذا الإحساس يسميه مولانا الإدراك الوجداني:

(١) مثبوتى : ٤/١٣٨٩-١٤٠١

- يكون هناك إدراك وجداني بدلا من الحس ، وكلاهما يجريان في جدول واحد ياعملاه .

- وبهذا يلطف الأمر والنهي والتكليف ، وما يجري ، وما يقال .

- وقول: ترى ماذا أفعل غدا ؟ أفعل هذا الأمر أو ذاك الأمر ، هو دليل على الاختيار أيها الوسيم الحسن .

- وذلك الندم الذي يعتريك أنك أكلت من ذلك " الطعام" السيء ، قد صرت مهتديا إليه من جراء إختيارك أيضا .

- وكل القرآن أمر ونهي ووعد ، فمن ذا الذي رأى حجرا من المرمر قد وجه إليه أمر ؟

- ولا يوجد عاقل أو عامل " قط يغضب على حجر أو مدر ، أو يحقد عليه .

- قائلا لهما : لقد قلت لكم : إفعلوا هذا أو إفعلوا ذاك ، فكيف لم تقوموا بفعله أيها الأموات العجزة ؟!

- ومتى يحكم العقل على الحجر أو على الخشب ، ومتى ينشب الإنسان مخالبه في صورة مقلب ؟!

- أو أن يقول : أيها الغلام مقيد اليد والقدم ، هيا خذ الرمح وتعال صوب الوغى !!

- والخالق الذي يخلق الكواكب والأفلاك ، كيف يقوم بأمر أو نهى يدل على جهل ؟!

- لقد محوت إحتمال العجز عن الحق ، ثم اعتبرته - جل وعلا - جاهلا ذاهلا سفيها . !!- والعجز لا يكون من القادر وإن نسبته إليه ، فإن الجهل

يكون أقبح من العجز .(١)

(١) مثبوى : ٣٠٢٢/٥-٣٠٣٣

أثمة عجز وجهل ، ثم يكون أمر ونهي ؟ كيف يمكن أن يكون ذلك متأتيا من العدالة الإلهية ؟ وكيف تجيز على الخالق تعالى ما تستكف نسبته إلى بشر ممن خلق ؟!

- والعدل قسام وجدير بالقسمة وقابل لها ، وهذا هو العجب ، فلا جبر ولا ظلم .

- فإن كان ثم جبر ، متى كنت نادما ؟ ، وإن كان ظلم ، متى كان حافظا ؟ (١)

ويعود مولانا إلى هذه النقطة كثيرا يتناولها من جوانب متعددة ، فقد كان يرى أن شعور الندم والحياء من الحق والتضرع إليه والتوبة والإنابة هي الدليل الأكبر على أن الإنسان مختار في فعله ، ويقدم تفصيلا واقيا لها في الأبيات التالية :

- وأعد من القرآن تفسير البيت ، في قوله تعالى ﴿ وما رميت إذ رميت ﴾ .
- فإن أطلقنا السهم فليس هذا منا ، فنحن القوس والرامي هو الله .
- وهذا ليس جبرا ، لكنه معنى الجبرية ، والجبرية تعن عند ذكر العجز والمسكنة .

- وصراخنا ونواحنا دليل على الإضطرار ، وخجلنا صار دليلا على الاختيار .
- وإذا لم يكن اختيار ، فما هذا الخجل وما هذا الأسف وهذا الندم ؟
- ولماذا يعاقب الأساتذة تلاميذهم ؟ ، ولماذا يكون تحويل الخواطر عن تدابيرها ؟

(١) مثنوى : ١٦٤٣/٤ - ١٦٤٤

- وإذا قلت أنه آنذاك يكون غافلا عن جبره ، وأن قمر الحقيقة يكون مختفيا خلف سحابه ؛
- فإن لي على هذا الاعتراض جوابا حسنا ، إن استمعت إليه ، تترك الكفر وتدخل في الدين .
- فالحسرة والضراعة تكون عند المرض ، وأوان المرض كله يقظة .
- وأنت عندما تسقط مريضا ، تقوم بالاستغفار عن جرمك .
- ويبدو في داخلك قبح الذنب ، وتتوي قائلا : سوف أرجع إلى الطريق القويم .
- وتأخذ على نفسك العهود والمواثيق وتقول : لا يكون لي اختيار في الأمور من بعد إلا الطاعة .
- ومن ثم صار من المؤكد أن مرضك يهيك الوعي واليقظة .
- فاعلم هذا الأصل إذن يا باحثا عن الأصول ، إن كل من أحس بالألم ، ظفر برائحة " تقوده إليه " .
- وكل من هو أكثر يقظة ، يكون أكثر ألما ، وكل من هو أكثر وعيا ، يكون أكثر شحوبا .
- فإذا كنت منتبها إلى جبره ، فما ضراعتك ؟ ، وأين رؤيتك لغل الجبارية الحديدي ؟
- وكيف يفرح المقيد بالغل الحديدي ؟ وكيف يزاول نزيل السجن الحريية ؟
- وإن كنت ترى أن قدمك قد قيدت ، وأن عسكر الملك قد وقفوا على رأسك ؛
- لا تزاول إذن مع العاجزين ما يفعله العسكر ، فليس هذا من طبع العاجز أو من شيمه .

- فإذا كنت لا ترى جبره ، لا تتحدث عنه ، وإن كنت تراه ، فأين دليل الرؤية ؟

- وفي كل أمر تكون ميالا إليه ، لا تفتأ ترى قدرتك عيانا ؛
- وما لاميل لك فيه أو رغبة ، تجعل نفسك جبريا ، وتقول أنه من الله .
- فالأنبياء جبريون في أمور الدنـيـا ، والكفار جبريون في أمور العقـبـى .
- وللأنبياء اختيـار في أمور العقـبـى ، وللجهال اختيـار في أمور الدنـيـا . (١)

ويكرر مولانا نفس هذا المثال في الكتاب الذى بين أيدينا :

- لقد قمت بحرفة ما طوعا واختيارا قائلا : إن لي اختيـارـى وفكرى ؛
- وإلا كيف اخترت هذه الحرفة من بين الحرف يا عينا من الأعيان ؟!
- وعندما تأتي نوبة النفس والهوى ، يكون عندك اختيـار بقدر ما يكون من عشرين رجـل .

- وعندما يبـخسك رفيقك مقدار حبة ، فإن اختيـار العراك قد تفتـح في روحك .
 - وعندما تأتي نوبة شكر النعم ، فلا اختيـار لك ، وتكون أقل من حجر .
 - وبقينا إن الجحيم سوف يعتذر لك قائلا : أعذرنى في حرقى إياك هكذا . (٢)
- ويفسر مولانا هذا الندم تفسيرا منطقيا آخر ، إن هذا الندم هو الآخر قضاء مثل العمل الأول الذى كان قضاء بدوره ، وأن هناك أمورا تتدخل في اختيـارك ، وأمورا أخرى تتدخل في ندمك على هذا الاختيـار ، والأمر هنا يشبه موقفا آخر اتخذه مولانا جلال الدين قد يكون قدريـا فيه ، وإن كانت

(١) مثـبـوى : ٦١٩/١ - ٦٤٢

(٢) مثـبـوى : ٣٠٦٩/٥ - ٣٠٧٤

النظرة النفاذة في هذه الآيات توحى بأن " الاختيار اختيار الله والقضاء قضاء الله " :

- والأمر الذى تقدم عليه في نهايته لو كان هذا حاله من البداية ، متى كنت تسرع في أثره ؟

- ومن ثم فقد أخفاه في البداية عن أرواحنا ، حتى نقوم بهذا الأمر كما قضى علينا " أن نقوم به " .

- وعندما نفذ حكم القضاء ، فتحت العين لكي يحدث الندم .

- وهذا الندم قضاء آخر ، فاترك الندم إذن ، وكن عابدا للحق .

- وإن تتعود على الندم ، تصير من هذا الندم أكثر ندما .

- فيمضي نصف عمرك في التشتت والاضطراب ، ويمضي نصفه الآخر في الندم .

- فاترك هذا النمط من الفكر والندم ، وابحث عن حال أفضل ورفيق أفضل وعمل أفضل .

- وإن لم يكن في يدك عمل أفضل ، لفوت أى شيء إذن يكون ندمك ؟

- وإن عرفت طريقا طيبا فاسلكه واعبد الله ، وإن كنت لا تعرف ، فكيف تعرف أن هذا " الذى أنت فيه " سيء ؟

- إنك لا تعرف الشر ما لم تعرف الخير ، إن الشيء يمكن رؤيته بضده أيها الفتى .

- وما دمت عاجزا عن التفكير في ترك هذا الندم ، فأنت آنذاك عاجز عن ترك ارتكاب المعصية.

- وإذا كنت عاجزا ، فمم يكون الندم ؟ ابحث ثانية جذب من كان ذلك العجز . (١)

هكذا تطور مولانا جلال الدين بيانه المقنع ليصل إلى النقطة التي يدق عليها :
هب أن الأمور قضاءً ، فلماذا الندم ؟ وإذا كنت عاجزا وكانت المعصية مفروضة عليك ، فلماذا إذن الندم عليها ؟ وهل يندم المرتعش الذي تهتز يداه من مرض مثلما يندم الذي يهز يديه عمدا وقصدا ؟ (٢)

٣- وفي هذا المجال من الممكن أن تقسم كل مظاهر الخليقة إلى قسمين : ما هو قابل للتغير ، وما ليس قابلا للتغير ، والإنسان في تعامله مع ما ليس قابلا للتغير مجبور ، لكنه مختار في الأمور التي تقبل التغير ، بل ومطالب بتغييرها إلى الأفضل . وعندما يسوق مولانا حوارا بين الأنبياء الذين يقولون أن الإنسان مختار والكفار الذين يقولون أن كفرهم قدر مقدور ، ويضربون الأمثال بأن الحجر يظل حجرا والقديم يظل قديما والماء على صفاته منذ الأزل والطين أيضا على صفاته ، وكل شيء قد خلق هكذا كقدر مقدور لا يقبل التحول :

- قال الأنبياء : أجل ، لقد خلق الله صفات لا يمكن تحويلها أو تبديلها .
- كما خلق - جل شأنه - صفات عارضة ، بحيث يصير المبعوض محبوبا
- فإن قلت للحجر كن ذهباً فهذا عبث ، أما أن تقول للنحاس كن ذهباً ،
فهناك سبيل .

(١) مثبوى : ١٣٣٦/٤ - ١٣٤٧

(٢) مثبوى : ١٥٠٦/١ - ١٥٠٩

- وإن قلت للرمل كن زهرا فهو عاجز ، أما أن تقول للتراب : كن زهرا ،
فهذا جائز . (١)

فالأنبياء وإن اعترفوا بأن كل شيء ليس قابلا للتغيير والتبديل ، إلا أنهم قالوا بأن
الأمراض الموجودة في النفس البشرية قابلة للعلاج ، والواقع أن الصوفية
جميعا كانوا من أنصار الاختيار ، لأنه لو كان ثم جبر ، لما كان هناك طريق أو
سلوك أصلا ، وهذا ما يسميه همائي بالفرق بين جبر العوام وجبر الخواص ،
ففي الطريق ، وأثناء السير والسلوك إلى الله سبحانه وتعالى يظل السالك مشغولا
بالجبر أو الاختيار ، لكنه عندما يصل إلى المعية والفناء ، حيث تفنى تعيناته
ويستهلك في المطلق ، لا يبقى له اختيار ، بل يكون وجوده هو عين وجود
الحق ، كقطرة لحقت ببحرهما ، وهذا هو جبر الخواص (٢) :

- وكل من كان حائرا مستغرقا في تردده ، همس الحق في أذنه بلغز من
الألغاز .

- وذلك حتى يجعله سجيناً بين ظنين ، قائلاً : ترى أفعل ما همس لي به أو أقوم
بعكسه ؟

- ومن الحق أيضاً يرجح أحد الظنين ، ومن كنف لطفه ، يختار واحداً من
الإثنين . - وإذا لم تكن تريد أن يظل لب الروح في هذا التردد ، فقلل من
ضغطك على هذه القطننة في أذن الروح .

- حتى تفهم كل ألغازه ، وحتى تدرك المعميات والواضحات .

(١) مثبوتى : ٢٩١١/٣ - ٢٩١٤

(٢) جلال الدين همائي : مولوى نامه ٩٨/١ - ٩٩

- فتصبح الأذن موضعا لوحى الحق ، وما هو الوحي ؟ إنه الجدير بالقول عن طريق الحس الخفى .

- فعين الروح وأذنها غير هذه الحواس الظاهرة ، وعين العقل وأذن الظن يفتقران إليه .

- ولفظ الجبر جعل العشق منى نافذ الصبر ، ومن ليس بعاشق سجين فى نطاق الجبر .

- إنها معية مع الحق وليست جبرا ، إنها تجل للقمر ، وليست سحابا .

- وإن كان هذا جبرا فليس جبر العامة ، وليس جبر تلك الأماراة تابعة هواها

- وهم يعرفون حقيقة الجبر يا بنى ، فقد فتح الله أبصار قلوبهم .

- ولقد صار الغيب والآتى ظاهرين لهم ، وصار ذكر الماضى هباءً عندهم .

- واختيارهم وجبرهم من نوع آخر ، فالقطرات فى الأصداق تتحول إلى درر .

- وهى خارج الصدف مجرد قطرات صغيرة أو كبيرة ، لكنها فى الصدف درر صغيرة وكبيرة .

- وهؤلاء القوم يتصفون بطبع نافجة الغزال ، ظاهرهم دم ، والمسك فى بواطنهم .

- ولا تتساءل : إنه من الواضح أن هذه المادة دم ، فكيف تصبح مسكا عندما تصل إلى النافجة ؟

- ولا تقل : لقد كان نحاسا ، وإن إختفى ظاهره ، وإلا فكيف يتحول فى قلب الأكسير إلى جوهر ؟

- فالاختيار والجبر كانا فيك مجرد خيال ، وعندما إنتقلا إليهم ، تحولا إلى نور لذي الجلال .(١)

والإنسان الذي لا يدرك الاختيار يكون في عدم إدراكه لهذا الاختيار أقل من حيوان :

- ولو أن جمالا قام بضرب جمل ، فإن ذلك الجمل يهاجم الجمال الضارب
- ولا ينصب غضب الجمل على العصا التي ضربته ، إذن فقد فهم البعير شيئا عن الاختيار .

- وهذا الكلب إن رميته بحجر ، فإنه ينثني عليك أنت بالهجوم .
- وإن أبدى بعض الغضب على الحجر ، فلأنك بعيد ، ولا تتالك يداه .
- وإذا كان عقل الحيوان قد فهم الاختيار ، فلا تقل هذا القول يا عقل الإنسان ، واخجل .

- إن هذا شديد الوضوح ، لكن طمعا في السحور ، يغمض ذلك الآكل عينيه عن النور .

- ولما كان كل ميله منصبا على تناول الطعام ، فإنه يتجه إلى الظلام قائلا :
لم يطلع النهار .

- وإذا كان الحرص يخفي الشمس ، فأى عجب أن يعطي ظهره للبرهان ؟!(٢)
٤- ويجد الجبر مصداقيته ما دام متوافقا مع القوانين الإلهية ، وهناك اختصار
فردى وليس الأمر قدرا مقدورا ، وصورة الشريعة أى كلياتها لا تتغير لكن
محتواها حر وقابل للتغيير ، وفي هذه المصالحة بين الشريعة والاختيار نلتقي

(١) مشـوى : ١/١٤٦٦-١٤٨٤

(٢) مشـوى : ٥/٣٠٥٠-٣٠٥٧

بأكثر التصورات في فلسفة إقناعا ومنطقية . فالدين وهو الجوهر الأصلي لتصور الشرع أبدي ولا يتغير ، وطبيعته دائما ما هي على نسق واحد ، ومن هنا فهي بلغة العرفان " خارجة عن حدود الزمان والمكان " وبلغة علم الأديان "مقدرة وجبرية " ، ومن هنا فإن البنية التحررية للشخصية تكون في حاجة إلى نسقية معنوية وعلمية وعالية معنوية ، ولقد كتب قلم التقدير مرة واحدة وإلى الأبد أن لكل عمل جزاء خاصا به ، فإن إخترت طريقا معوجا ، فإن القانون الأزلي الذي لا يرحم للقضاء سوف يأخذك إلى طريق الخطأ ، والحق والباطل كلاهما مطيع لهذا القانون ، فإن قلم التقدير لا تحركه إرادة مستبدة ، فمن المقدر أن يكون للخير والشر نتائجهما التي لا بد منها ، الميزان الإلهي يزن الذرة ، والكتاب لا يغادر كبيرة ولا صغيرة إلا أحصاها .^(١)

ويتجلى هذا المعنى في تفسير مولانا جلال الدين للحديث النبوي [جف القلم بما هو كائن إلى يوم القيامة ، رفعت الأقلام وطويت الصحف] ويضيف مولانا : جف القلم ألا تستوى الطاعة والمعصية ، لا تستوى الأمانة والسرقة ، جف القلم ألا يستوى الشكر والكفران ، جف القلم أن الله لا يضيع أجر المحسنين : - وهكذا أيضا تأويل قد جف القلم ، إنها من أجل التحريض على الشغل الأهم .

- إذن فقد كتب القلم إن لكل فعل ما يليق به من تأثير وجزاء .
- تسير معوجا ، يأتيك الإعوجاج ، جف " بهذا " القلم ، وإن أتيت بالصدق والاستقامة ، تتولد لك السعادة.

(١) خليفة عبد الحكم : عرفان مولوى - ترجمة أحمد محمدى وأحمد مير علائي -

تهران ١٣٥٢ ص ١٠١ و ص ١٠٢

- وإن ارتكبت الظلم فأنت مدبرٌ سيء الحظ ، جف القلم بهذا ، وإن عدلت ، فأنت ذو نصيب من هذا "العدل" ، جف القلم .

- وعندما يسرق أحد ، فقد ضاعت يده ، جف القلم ، ومن يشرب الخمر فقد ثمل ، جف القلم . (١)

ثم يعود مولانا إلى الفكرة في موضع آخر :

- إن هذه الأحزان هي فعلك لحظة بلحظة ، هذا هو معنى جف القلم .

- فلن تجد لسنتنا تبديلاً من الرشد ، فالخير يجازى بالخير ، والشر بالشر .

- بل الشر للشر ، جف القلم ، والوفاء للوفاء ، جف القلم . (٢)

الحق والباطل إذن كلاهما مطيع لقانون ، وحكم التقدير لا يجري كيفما أُنْفَق ، والاختيار موجود وكامن وفي حاجة إلى من يحركه ، داعي الخير أو داعي الشر :

- وهناك اختيار كامن في باطنك ، ما لم ير مثيلاً ليوسف ، لا يقوم بجرح اليد .

- كان الاختيار وكان الداعي موجوداً في النفس ، ورأى وجهه ففتح الجناح والقوادم .

- والكلب قد نام وضاع منه اختياره ، وعندما رأى السقط ، بصبص بذنبه .

- والحصان يصهل عندما يرى الشعير ، والقطة تموء عندما يتحرك اللحم

- فإن الرؤية تحريك لهذا الاختيار ، كالنفخ يثير من النار الشرار .

- ومن هنا فقد تحرك اختيارك ، عندما صار إبليس رسول غرام ، وأتاك برسالة من محبوبك .

(١) مثــــوى : ٣١٣١/٥ - ٣١٣٥

(٢) مثــــوى : ٣١٨٢/٥ - ٣١٨٣

- وعندما يُعرض الشيء المشتهى على امرئ ما ، فإن الاختيار النائم يتمطى ،
وتتفتح أعطافه .

- ثم إن ملائكة الخير برغم أنف الشيطان ، تعرض هي الأخرى " ما لديها "
وتقيم ضجة في القلب .

- حتى يتحرك اختيار الحق لديك ، فقبل العرض تكون هاتان الخصلتان نائمتين
داخلك .

- إذن فالملك والشيطان كلاهما عارض " عليك " ، وذلك من أجل أن
تتحرك عروق الاختيار فيك.(١)

الإنسان إذن ليس مترددا بين مستحيلين ، بل إن كل واحد منهما ممكن ،
ومعروض ، بل ومعروف العاقبة ، تأمل الإنسان بينهما ، تلك اللحظة الفاصلة
قبل الاختيار ، قدرته على شيء وعدم قدرته على شيء ، وهو في هذه الفجوة ،
هذا هو خير دليل على الإختيار ، إن خيرا فخير ، وإن شرا فشر ، وإن قلت أن
اختيارك للشر قضاء ، فإن هذا لن يعفيك من المسؤولية والعقاب ، فالله تعالى أمر
بأن يعاقب الشرير :

- قال لص للشرطي : أيها العظيم ، إن ما ارتكبتَه ، كان من حكم
الإله .

- قال الشرطي : وما أفعله أنا من عقاب ، هو حكم الله أيضا يا نور
عيني .(٢)

(١) مثــــوى : ٢٩٧٥/٥-٢٩٨٤

(٢) مثــــوى : ٣٠٥٨/٥-٣٠٥٩

وهكذا ، فإن أكل أحدهم ثمرة من شجرة على أساس أن " عبد الله يأكل من حديقة الله " ، فإن حبل الله أيضا موجود ليوثق به ، وعصا الله موجودة ليضرب بها ، جبرك في الشر من الممكن أن يُقابل بجبر في العقاب (١) هذا هو منطق العدالة الإلهية .

٥- ولكن : هل يعني الاختيار هنا أنه اختيار على إرادة الله ؟ وهذا يعني أن الله يريد وأن الإنسان يريد ، وما دام الإنسان مختارا فإن له بالفعل إرادة مستقلة ؟ بالتأكيد لا يستطيع مسلم فضلا عن صوفي وعارف أن يجيب على هذا السؤال بالإيجاب . وخروجا من هذا التناقض يجيب مولانا بأن اختيار البشر جزءٌ من اختيار الخالق ، وهو اختيار أصغر أمام الاختيار الأكبر ، ويفسر هذا ببيانه العظيم قائلا:

- إن اختياره هو الذي اختار كل أنواع الاختيار ، واختياره كالفارس " مخفي " في الغبار .

- وإن اختياره هو الذي يقوم باختيارنا ، ومن ثم صار الأمر مستندا على الاختيار .

- والتسلط على صورة بلا اختيار ، موجود عند كل مخلوق عند قدرته عليها .

- حتى ليُجر الصيد دون اختيار من هذا الصيد ، وحتى يسحب أحدهم زيدا جارا إياه من أذنيه .

- لكن صنع الصمد " يستطيع " بدون آلة قط ، أن يجعل اختياره وهقا له .

- فإن اختياره يقيد زيدا ، ويصيده الحق دون كلب أو فخ .

(١) مشـوى : ٣٠٧٧/٥-٣٠٨٤

- والنجار يكون مسلطا على الخشب ، وذلك المصور يكون حاكما على الجمال الذي صور ه .

- كما أم الحداد قيم على الحديد ، والبناء مسيطر على آلة عمله .

- والعجيب أن كل هذه الاختيارات ، تسجد أمام اختياره هو كالعبيد .

- وقدرتك على الجمادات في صراعك " مع الحياة " ، متى نفت الجمادية عن أى منها .

- ومن ثم قدرته على المخلوقات المميزة ، لا تقوم بنفي الاختيار عنها .

- فداوم على القول بأنها مشيئة الله على وجه الكمال ، فليس فيها نسبة الجبر والضلال .(١)

لكن إياك - إستنادا على هذا القول - أن تقول إن كفري مشيئته ، إنه من مشيئته ، وهو أيضا من مشيئتك ، فلا كفر بلا مشيئة :

- وما دمت قد قلت : إن كفري مشيئته ، أعلم أن مشيئتك أيضا موجودة

- ذلك أن كفرك لا يكون دون مشيئة منك ، إن الكفر بلا مشيئة منك قول متناقض .

- فالأمر للعاجز قبيحٌ وذميم ، والغضب " عليه " أقبح ، وبخاصة عندما يكون من الرب الرحيم .

- إن الثور الذى لايقبل النير يتعرض للضرب ، لكن ثورا قط لم يُحقر ، لأنه لم يطر .

- وإن لم يكن الثور معذورا في فضول الفعل والقول ، فمن أى شيء يكون صاحب الثور الوقح معذورا .(٢)

(١) مثــــوى : ٣٠٨٧/٥ - ٣٠٩٩

(٢) مثــــوى : ٣١٠٠ - ٣١٠٣

نعم : قد يتدخل اختيار الله سبحانه وتعالى ، فينقض ما اختار العبد ، وهو المعروف " بفسخ العزائم ونقضها من أجل إعلام الإنسان أنه هو المالك والظاهر " يقول مولانا تحت هذا العنوان :

- إن العزائم والمقاصد في الحوادث ، تصح لك بين الحين والآخر .
- حتى يلوى قلبك طمعا ، ثم يحطم قلبك مرة أخرى .
- ذلك أنه إذا جعلك بلا مراد كلية ، لصرت قانط القلب ، فمتى غرست غرس الأمل ؟

- فهو وإن كان ينقش الأمل في قلب كل إنسان ، فمتى كان قهره يبدو عليه من إنتفاء هذا الأمل ؟

- لقد صار العشاق من صدهم عن مرادهم عارفين بمولاهم .
- وصارت الخيبة دليلا إلى الجنة ، فاستمع إلى "حفت الجنة" يا حسن الجبل .
- وكل مراداتك كسيرة القدم ، ومن ثم يلزمك شخص " موفق الخطى " .
- ومن ثم صار هؤلاء الصادقون كسيرين ، لكن أين هو انكسار عاشقين .
- وإن العقلاء كسيرون له اضطرارا ، لكن العشاق كسيرون له بمائة اختيار . (١)

وهكذا عندما يصل مولانا جلال الدين إلى نقطة الصعوبة في القضية ، يقدم حله المعهود : العشق ، عندما تكون عاشقا ، لن تقول إرادتي وإرادته ، بل سوف تذوب الإرادات كلها ، إن صار لك ثم إقتران بالنور الإلهي ، فلا جبر ولا اختيار ، بل ذوبان تام في كل ما اختاره الله :

- وجاهد حتى تجد جرعة من كأس الحق ، فتكون آنذاك متجردا عن ذاتك بلا اختيار .

(١) مثنوى : ٤٤٦٥/٣ - ٤٤٧٣

-وعندما تصبح تلك الخمر هي اختيارك الكلي ، تكون معذورا على الإطلاق ، كالثمل .

- وكل ما تدقه يكون مدقوقا بتلك الخمر ، وكل ما تكنسه ، يكون مكنوسا بها .

- ومتى يفعل ذلك الثمل إلا العدل والصواب ، لقد شرب من كأس الحق الشراب .(١)

اختيار البشر في هذه الحالة موجود ، لكن كظل لما اختاره الله [ومن أشرف على حسن اختيار الله ، لم يتمن إلا ما اختار الله له] في قول منسوب إلى الحسين بن علي رضي الله عنهما .(٢) وهذا يتفق مع نظرية جلال الدين الرومي الشاملة التي تعتبر كل الموجودات ظلا لشمس الحقيقة الكبرى ، والمقصود بالطبع أن الإرادة الإلهية عندما تغلب ، لا يكون هناك اختيار لمخلوق ، ومن ثم تتكرر عند مولانا دائما عبارة " إن جاء القضاء ، ضاق الفضا " :

- وعندما يحم القضاء ، تضيق هذه الدنيا ، ومن القضاء تصير الحلوى ألما للفم .

-لقد قيل : إذا جاء القضاء ضاق الفضا، تحجب الأبصار إذ يأتي القضاء .
- وعندما يحم القضاء ، تعمى الأبصار ، بحيث لا ترى العين كل العين .

(١) مثنوى : ٣١٠٥/٥-٣١٠٨

(٢) الهجویری : كشف المحجوب - الترجمة العربية بمشاركة كاتب هذه السطور -

-إن مكر ذلك الفارس أنه أثار الغبار ، وذلك الغبار هو الذى أبعدك عن الاستغاثة .

-فامض نحو الفارس ، ولا تمض نحو الغبار ، وإلا أطبق عليك مكر هذا الفارس . (١)

يريد مولانا أن يقول : حذار أن تتبجح وتترك الضراعة ، وأن تظن أنك مسلط على مصيرك ، وأن يرديك هذا الظن فتتصرف عن العبودية والتضرع والعبادة :

- وأمام النور المستقر ، ماذا يكون في حد ذاته ، كر اختيار أبي البشر وفره ؟
- وموضع السمع فيه قطعتان من العظام ، وموضع إدراكه قطرتان من الدم ، أى القلب .

- وقطعة من اللحم أداة للحديث عنده ، وقطعة من الشحم هي موضع بصره .

- إنه مجرد دودة صغيرة مليئة بالأقذار ، لكنه ملأ الدنيا بالضجيج والصخب . (٢)

والمقصود بالطبع أن تكريم الإنسان بالاختيار ، لا ينبغي أن يكون سببا في تجبره وادعائه ، وأن يدعي أنه " خلف شغاف القلب محبوب معتز برأيه " (٣)
هذا الاختيار اختيار غير كامل ، يعبر عنه مولانا بأنه اختيار ذو شقين ، أى بين طريقين من الشك والخوف والهول والتردد الذي يعذب البشر في أعمالهم

(١) مثبوى : ٣/٣٨٠-٣٨٤

(٢) مثبوى : ٥/١٨٥٢-١٨٥٥

(٣) جلال الدين همائي : مولوى نامه - ٩٠/١

وأفعالهم ، ومن ثم يجد المرء نفسه - بالرغم من الكرامة التي أعطيت له - متضرعا إلى الخالق أن ينجيه من شر هذا الاختيار ، هي مسئولية الحرية التي لا تزال تعذب الحر ، لكن المناجي هنا يطلب من الله سبحانه وتعالى أن يصطفى روحه ويجعلها له ، ويسقيها من دن الغيب شرابا ينقلها إلى قدريّة الجنون والسكر الإلهي(١) :

- ومن أكون أنا ؟ إن هذا الفلك ذا المئات من أنواع الحشمة والجلال ، قد صرخ أكثر من هذا الحقير من جراء الاختيار .

- قائلا : أيها الإله الكريم الحليم ، ارحمني من هذا الاختيار ذي الشقين .

- إن الجذب إلى طريق واحد هو الطريق المستقيم ، أفضل من طريقي التردد أيها الكريم .

- ومهما كنت أنت المقصود من هذين الطريقين ، لكن انتزاع الروح جاء من الإثنيّة .

- وليكن لي أي هذين الطريقين بعزمك أنت ، لكن القتال فيك لم يكن قط كاللهو .

- واستمع إلى بيانها من القرآن الكريم ، في الآية الكريمة « أشفقن منها » .

- وهذا التردد في القلب كأنه جمر الوغى ، أي الأمرين بالنسبة لي أفضل ، يا ترى .(٢)

(١) المصدر السابق : ص ٩١

(٢) مثبوى : ٢٠٢/٦ - ٢٠٨

وحتى في هذه الحالة ، تظل العظمة الإلهية منوطـة بكون الإنسان مختاراً ليس مجبراً هذا كما تقاس العظمة الحقيقية لأى حاكم بأنه يحكم شعباً من الأحرار لا شعباً من العبيد ، فأية مزية حقيقية للحكم والسلطة على مخلوقات كقطع الشطرنج . وهذا أمر شديد الوضوح ، . والاختيار على مراحل ، وهو ظاهرة ليس لها وجود عيني كالأجسام في الخارج ، ظاهرة - والرأى لمحمد تقي جعفرى صاحب التفسير الكبير لمتنوى جلال الدين - (١) ذات حالتين : الحالة الأولى وهي القوة الموجودة قبل اختيار العمل والقيام به ، وفي هذه الحالة لا يتنافى الاختيار ولا يصطدم بأى اختيار آخر ، ما دام لم يدخل في حيز العمل بعد ، وهناك تتنافس مئات الأنواع من الاختيارات مادامت كلها لم تنتقل إلى حيز العمل أو تنتقل من القوة إلى الفعل أو من الفكرة إلى التنفيذ هذه الحالة تشغل حيزاً من الوجود لا يمكن لفكرة أخرى أن تشغله ، ومن البديهي أن النقيضين لا يجتمعان ، ومن ثم فإن كون الله سبحانه وتعالى مختاراً مطلقاً فوق اختيارات الإنسان ، لا يتنافى مع اختيار الإنسان ، لأن الاختيار الإلهي ليس حقيقة عينية تتصادم مع حقائق عينية أخرى ، وهذا يشبه تماماً قولنا أن وجود الله وإحاطته بكل الوجود لا يتنافى مع كون الإنسان موجوداً ، بل إن اختيار الله سبحانه وتعالى يستلزم وجود اختيار آخر لكي يجرى مشيئته عليه ، وهو ما عبر عنه مولانا بأن قدرة الإنسان على الجماد لا تنفي جمادية الجماد (٢) وهو ما سبق أن ذكرناه ، ليس هذا

(١) محمد تقي جعفرى : تفسير ونقد وتحليل متنوى جلال الدين محمد مولوى - ج ١٢ -

ص ٤٠٧-٤٠٩ - تهران - اسلامي - ١٣٦٣ هـ . ش .

(٢) المصدر السابق : ص ٤٠٨

فحسب ، بل إن منتهى الاختيار أن يمحي هذا الاختيار الجزئي الإنساني في الاختيار الكلي الإلهي :

- قال داود عليه السلام : لقد كنت مغلوباً لك ، ثملاً بك ، كانت يداي مقيدتين بيدك .
- أليس كل مغلوب للمليك مرحوماً ؟ وأليس المغلوب كالمعدوم ؟
- قال سبحانه وتعالى : أين ذلك المعدوم المغلوب ؟ أيقنوا أنه ليس معدوماً إلا بشكل نسبي .
- إن مثل هذا المعدوم الذي غاب عن وعيه ، هو أفضل الموجودات وأعظمها .
- إنه فإن في صفات الحق ، وفي الحقيقة فإن البقاء له في هذا الفناء .
- وكل الأرواح في تدييره ، وكل الأشباح في مرمى سهمه .
- إن من هو مغلوب في لطفنا ، ليس مضطراً " مجبوراً " ، بل هو مختار بالولاء والمحبة .
- ومنتهى الإختيار يصبح لمن يكون اختياره مفتقداً هنا .

- وليست هناك لذة عند المختار ، إن لم يصر له محو الأنية في نهاية الأمر . (١)

وكما أن " جف القلم " لا تعني استسلاماً ، بل تعني أن هناك ثوابت في الحساب الإلهي ، فإن القول الآخر [ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن] لا يعني أن يترك الإنسان نفسه مثل قشة في مهب الريح ، فالمشيئة مشيئته تعني أن الرضا رضاه سبحانه وتعالى والغضب غضبه ، فالزم طاعته ، ولا تطلب رضا الآخرين ، واطلب رضاه :

(١) مثبوت : ٤/٣٩٥-٤٠٤

- إن قول العبد " ماشاء الله كان " ، ليس من أجل أن تتكاسل على أساسه .
- لكنه تحريض على الإخلاص والجد ، أى زد في العبادة ، وكن مستعدا .
- فإن قيل لك أن الأمر أمرك أيها العظيم ، والفعل فعلك ، فقم به حسب هواك .
- يجوز حينذاك أن تكاسل ، فإن كل ماتريده أو تقوله هو الذى يصير .
- وعندما يقال : ماشاء الله كان ، يعنى أن الحكم حكمه تعالى وإلى الأبد .
- وإلا فلماذا أنت في ورده وذكره كمائة رجل ، وكيف لا تطوف بعبودية حول بابيه ؟

- لقد قلت هذا الكلام وصرت كسولا ، وصرت معكوس الخاطر والإدراك .
- فالأمر أمر السيد فلان ، ماذا تعني ؟ تعني قلل الجلوس مع غيره .
- وطف حول السيد مادام الأمر له ، إنه يقتل العدو ، وينجي الصديق . (١)
- ولا يعنى الجد أو السعي الذى يدق عليه مولانا جلال الدين كثيرا أن على الإنسان أن يقاوم ما لا سبيل إلى مقاومته ، أو أن يحاول الخروج عن نطاق القضاء ، أو بتعبير خليفة عبد الحكم " أن يدق رأسه في جدار القضاء " فالجد والسعي والكدح في حد ذاته جزء من قدر الإنسان (٢) :
- والجهاد ليس من قبيل مغالبة القضاء ، فهو أيضا ما كتبه علينا القضاء . (٣)

كما يرى خليفة عبد الحكم أن التصور الأصلي للوحدانية الذى يعزى إلى فلسفة فيخته ، جاء به مولانا جلال الدين من قبله ، وفحواه أن ما يبدو

(١) مثبوتى : ٣١١١/٥ - ٣١١٦ و ٣١٢٠ - ٣١٢١

(٢) خليفة عبد الحكم : عرفان مولوى - ص ١٠٤

(٣) مثبوتى : ٩٨٠/١

لأنظارنا مما نسميه مقاومة خارج حدود النفس هو في الواقع ينبع من النفس ،
والنفس تبسط في هذه المقاومة عن طريق المغالبة الدائمة ، وما ورد في القرآن
الكريم عن ابتلاء الله البشر وتمحيصه إياهم عن طريق المصائب ، انعكس في
نظرية مولانا بشأن الشر ومقاومته كوسيلة لتحقيق إمكانات الذهن البشري وما
يمكن أن يقوم به من معجزات ، والمقاومة فحسب والصبر هما اللذان يهبان
الوجود الإنساني استعدادات جديدة ، وهذا هو مصير الإنسان ، لكنه في
الوقت نفسه لا يناقض الاختيار . من هنا لا يكون الاختيار هدفا في حد ذاته ،
بل يكون وسيلة لاتخاذ قرارات حرة جديرة بالنفس الإنسانية وعلوها
وتساميها . الهدف من الاختيار سمو الإنسان وعيشه حرا ، وكون الإنسان
مجبورا هوفي حد ذاته عبودية ، إنه يتربى ويتسامى ويسلك الطريق حتى يصل
إلى أن يصبح جديرا بالاختيار ، وكرامة الاختيار أنه يجد حريته
باختياره^(١) ومن هنا فالاختيار يبين نوعية البشر ، وهو المحك :
- فالحق يسلط الحار والبارد والتعب والألم على أجسادنا أيها الرجل الشجاع
- فالخوف والجوع ونقص الأموال والبدن ، كلها من أجل ظهور نقد الروح .
- ولقد وجه كل هذا الوعد والوعيد ، من أجل هذا الخير والشر اللذين مزجهما
معا .
- وما داموا قد مزجوا الحق بالباطل ، فقد صبوا في الهيئان الصحيح
والزائف .
- ومن ثم ينبغي له محك منتقى في الحقائق ، اجتاز كثيرا من الامتحانات .

(١) خليفة عبد الحكم : عرفان مولوى - ص ١٠٥

- حتى يصبح فارقاً بين هذه الأمور المزورة ، وحتى يصبح دستوراً لتلك التدابير .

- فلترضعي موسى يا أم موسى وألقي به في اليم ، ولا تخشين من البلاء .(١)

الاختيار إذن هو قدر الإنسان الحقيقي ، والإنسان بقدر اختياره ، وهو السبيل إلى بيان الزائف من الصحيح والتبن من القمح ، ويكون الإنسان إنساناً بقدر اختياره ، ويعطى رحمة الله بحسب هذا الاختيار ، وتظل العطايا بقدر القابليات ، والقابليات بقدر الجهد ، فكرة تتردد كثيراً عند مولانا جلال الدين وهو يلاحظ الإنسان ميدان عمله الأول بين ضعفه وقوته وتساميه وتدنيه - إن هناك بين الخلائق أرواحاً طاهرة ، كما أن من بينها أرواحاً كدرة علاها الطين .

- وهذه الأصداف ليست كلها في مرتبة واحدة ، فبعضها يحتوي على الدر ، وبعضها الآخر ليس فيه إلا سببه .

- ومن الواجب أن تفصل بين الصالح والطالح ، مثلما تقوم أنت بفصل القمح عن التبن .

- لقد خلق هذا العالم من أجل إظهار " هذه الحكمة " ، وذلك حتى لا تبقى كنوزها مدفونة مخفية .(٢)

(١) مثبوتى : ٢٩٧٤/١ - ٢٩٨٠

(٢) مثبوتى : ٣٠٢٥/٤ - ٣٠٢٨

الإنسان الحر كنز ، والامتحان الإلهي كنز ، والمسئولية هي الوجه الآخر للحرية ، فليس هناك عبد مسئول ، والامتحان يكون لبيان صدق اختيار المرء :

- وإذا لم يكن هناك امتحان لكل شرير ، لكان كل مخنث بطلا في الوعى كرسنم .

- فافترض أن المخنث مدرع في الحديد ، لكنه عندما يرى الطعان يسقط كالأسير .

- وكيف يصير ثمل الحق مفيقا من ربح الدبور ، إن ثمل الحق لا يفيق ولو بنفخ الصور . (١)

وصور هذه الامتحانات كثيرة التردد في المثنوى ، حيث يصور مولانا آفة الإدعاء ، واقتضاح المدعين في بيان قل أن يوجد مثله عند شاعر صوفي آخر .

٧- ويعالج مولانا التناقض الظاهر في بعض الأحاديث النبوية بشكل أدبي لكنه شديد العمق ، فهناك حديث [الرضا بالكفر كفر] وهناك حديث آخر [من لم يرض بقضائي فليبحث عن رب سواي] - بالأمس سألتني سائل كان مغرما بالجدل .

- قال : هناك حديث يقول : الرضا بالكفر كفر ، وقد قاله المعصوم ، وكلامه ختم " لكلام الأنبياء " .

- لكنه قال في موضع آخر : على المسلم أن يكون راضيا بقضاء الله - أليس الكفر والنفاق من قضاء الله ؟ وإن رضيت بهما ، فهذا شقاق

(١) مثنوى : ٦٨٦/٣ - ٦٨٨

- وإن لم أرض بهما فهذا هو الخسران ، فما حيلتي إذن بين هذين الحديثين ؟

- فأجبت : إن الكفر مقضيٌ وليس قضاءً ، فهذا الكفر حقيقة من آثار القضاء .

- ولتعلم إذن القضاء من المقضي أيها السيد ، حتى يرفع الإشكال لديك في التو واللحظة .

- فأنا أرضى بالكفر من حيث أنه قضاء ، لا من حيث يكون نتيجة جدالنا وخبثنا .

- والكفر من حيث إنه قضاء ليس كفرا ، فلا تسم الحق كافرا ، فهذا أمر جل

- فالكفر جهل ، والقضاء بالكفر علم ، ومتى كانا سواءً الحلم والجهل ؟

- وقبح الخط لايعني قبح الخطا ، لكنه أبدى القبح من ناحيته .

- والقوة في النقاش أنه يستطيع أن يصور القبح كما يستطيع أن يصور الجمال .(١)

ومولانا يعني بالمقضي نفاذ قضاء الله تعالى في العبد بما يتناسب مع أعمال العبد وأفكاره واتجاهاته ، أي أن القضاء هو مافي علم الله ، فإذا نفذ سهمه أصبح مقضيا ، ومن هنا قد يتغير مصير العبد بالدعاء أو بالعمل الصالح أو بالتوبة أو ما إلى ذلك من أعمال العبد التي تجعل منه شريكا في قدره محددا لمصيره ، وهذا ما جعل مولانا جلال الدين يرفض تلك الفكرة الجبرية الممعة في الجبر التي تجعل من الإنسان مجرد بعير أعمى مرخي الزمام

(١) مثنوى : ١٣٦٣/٣ - ١٣٧٤

وهي في رأيه تسد الطريق إلى الخالق جل شأنه تماما ، وتقطع العلاقة بين الخالق والمخلوق وتضيع قيمة العمل ويضيع الأمل :

- فهل تجيز وهل يكو في الأصل جائزا أ يكو الحق معزولا عن حكمه الذي سبق ؟

- أو أن يقول لك : لقد خرج الأمر من يدي ، فلا تلجأ إلي كثيرًا وكفاك تضرعا إلي .

- لكن معنى جف القلم أنهما ليسا عندى سيان ، العدل والظلم .
- ولقد فرقت ما بين الخير والشر ، لكني أيضا فرقت ما بين السيء والأسوأ منه .

- فلو أن عندك ذرة من الأدب أكثر مما لدى رفيقك ، فإنما يعلمها فضل الرب .

- فيعطيك الزيادة بقدر هذه الذرة ، وتظهر هذه الذرة وكأنها الجبل .
- والملك الذى لا يكون هناك فرق أمام عرشه بين الأمين وبين الظلوم " الخئون "
- ولا يكون هناك فرق بين من يرتعد خوفا من أن يرد لديه ، وبين ذلك الذى يسخر حتى من جده " وإقباله " .

- وكلاهما يكونان عنده سواء ، لا يكون ملكا ، بل، أحتُ التراب الكدر على رأسه .

- فلو أن مثقال ذرة تزيـد من جهدك ، فإنها تكون موزونة في ميزان الله .(١)

(١) مثــــوى : ٣١٣٦/٥-٣١٤٥

ومن ثم فالمسئولية عمل يقابلها في الطرف الآخر عدالة مطلقة ،
ينالها العبد مهما تأخرت فليس عند الله زمان .

٨- وهناك قضية أخرى ذات ارتباط بقضية الجبر والإختيار هي قضية " الكسب
والتوكل " . والقضية ذات أصول من القرآن والسنة والموروث الصوفي ،
ويصل فيها التناقض في المواقف حدا جعل الإمام الغزالي يقول " التوكل وهو
في نفسه غامض من حيث العلم ثم هو شاق من حيث العمل ، ووجه غموضه
من حيث الفهم أن ملاحظة الأسباب والاعتماد عليها شرك في التوحيد ، والتثاقل
نہا بالكلية طعن في السنة وقدح في الشرع " ويقول التسستري " من أنكر الكسب
فقد أنكر السنة ، ومن أنكر التوكل فقد أنكر الإيمان " أو كما يقول السري
السقطي ما معناه أن المرء يستطيع أن يكون في السوق دون أن يشغل لحظة
واحدة عن الله تعالى . (١) وهكذا فبالرغم من أنه " لا رهبانية في الإسلام " إلا
أن نظرات الصوفية تختلف في هذا المجال اختلافا يصل إلى حد التناقض ،
فالدنيا خلقت بالحق وعلى وجه الحكمة ، وتسير وفقا لنظام منطقي مرسوم ،
وليست عبثا أو لهوا أو لعبا ، ومع ذلك توجد آيات أخرى تتحدث عن الدنيا كلهو
ولعب ومتاع غرور . وفي الواقع أن التناقض هنا تناقض صوري ، فلفظ الدنيا
يوحى بتصورات مختلفة ، إذ يمكن اعتبار الدنيا مكانا جديرا بالعيش برغم
كراهة أهل الدنيا المتمسكين بها المتكالبين عليها ، وهناك دنيا للبشر ودنيا لله ،
وما هو مرفوض حقيقة هو الدنيا التي في سبيلها يداس على كل شيء حتى

(١) عن خليفة عبد الحكم : عرفان مولوى ص ١٠٨-١٠٩

على أوامر الله ونواهيهِ ، الدنيا الخالية من الله ، والحياة " بدون الله " (١)
أو ما عبر عنه مولانا بالماء تحت السفينة وليس الماء في السفينة . (٢)
وهناك ملمح جدير بالإهتمام في فكر مولانا جلال الدين وهو أن نفس هذه
الروح الصوفية التي يعتبرها الجميع تحت على ترك الدنيا وهجر كل نشاط
فيها ، هي عند مولانا جلال الدين من أعظم عوامل حث الفرد على النشاط
والبناء ، وأنواع الذنوب تحط بأدرانها على النفس وعلى حرية الإنسان في
نفس الوقت ، فهي عامل تدمير بالنسبة لتربية الشخصية الإنسانية . والمتنوى في
هذا المجال وثيقة صوفية ضد ترك الدنيا وضد الجبر ، وسجل حافل بعوامل
تربية الشخصية وتربية الإرادة الإنسانية الحرة (٣) .

(١) المصدر السابق : ص ١١٣

(٢) متنوى : ١ / ٩٩٠ . والتعبير مأخوذ من سنائي : حديقة الحقيقة الأبيات ٥٩٩٩ -
٦٠٠١

(٣) في ندوة أقامتها مجلة كيهان فرهندي " كيهان الثقافية " شارك فيها عدد من أساتذة
الجامعات الإيرانية المهتمين بالتصوف وكاتب هذه السطور ، وجه لي أحدهم سؤالاً هو : من
دراستك لجلال الدين هل تراه من القائلين بوحدة الوجود أو القائلين بوحدة الشهود ؟ وأجبت :
عندما بدأت قراءة جلال الدين لم أهتم بوحدة الوجود أو وحدة الشهود ، وإنما كان أول ما لفت
نظري ذلك السعي الدؤوب في تربية الشخصية الإسلامية المثالية ، وتتبع أمراض النفس
الإنسانية ، والإهتمام بمصير الإنسان على الأرض كمرحلة أولى وأساسية من مراحل
عروجه إلى السماء . وتأكد لي أن الغرب قدم لنا جلال الدين قدم لنا جلال الدين الرومي
الغائب التائه المغرب في الحديث عن وحدة الوجود ووحدة الشهود لكي يصرفنا عن الاستفادة
منه ، ليس الاستفادة منه وحده بل من التراث العرفاني كله ، وإلا هل يستطيع أحد أن يقول
أن سنائي والطار ومولانا جلال الدين كانوا غائبين في ملكوت الله ؟ . وكان الأستاذ جعفر

ويقف مولانا جلال الدين كثيرا عند الأحاديث التي تحض على العمل ، والحرص على قوام الشخصية في المجتمع ، والدنيا لازمة تماما ، فبدونها لا عروج ولا تصفية ولا تنقية ، وسخر مولانا من أولئك الصوفية والزهاد الذين يتطعمون في التوكل ، ويتظاهرون ، ويبالغون في محاولة الخروج عن الطبيعة البشرية وما تقتضيه الحياة (١) والاهتمام بالدنيا في رأى مولانا مهم من أجل عمار سوق هذه الدنيا:

- إن شهوة الدنيا على مثال المستوقد ، يكون حمام التقيوى مشتعلا منه .

- لكن نصيب المتقي من هذا المستوقد هو الصفاء ، فهو موجود في الحمام وفي النقاء .

- والأغنياء مثل حملة البعر والقمامة ، من أجل إشعال النار عند الحمامي .
- لقد وضع الله الحرص في نفوسهم ، حتى يبقى الحمام رائجا معمورا (٢).

طبيعة الحياة نفسها في حاجة إلى كل هذه المتناقضات ، ولولاها ما قامت :
- وإذا لم يوجد جاه فرعون وكبرياؤه ، فمن أين تجد جهنم ما يغذيها ؟

= شهيدى من حضور الندوة ، فقال : أوافقك تماما ، نحن في حاجة إلى قراءة جديدة لتراثنا نابعة منا نحن ، ولم يوجهنا فيها أحد .

(١) حكاية الدرويش الذى نذر ألا يأكل إلا من الثمار التي تسقطها الريح في الكتاب الثالث ، وحكاية الدرويش الذى نام متوكلا في حضان جبل ناء عن الناس الواردة في الكتاب الخامس البيت ٢٤٠١ وما بعده .

(٢) مثوى : ٢٣٨/٤ - ٢٤١

- فسمّنه ثم أقتله أيها القصاب ، وذلك أن الكلاب في جهنم بقيت بلا زاد .

- وإذا لم يكن هناك خصم وعدو في الدنيا ، لمات الغضب إذن بين الناس .
- وذلك الغضب هو جهنم ، ويلزمه خصم حتى يعيش ، وإلا قتلتـه الرحمة .

- ولبقي إذن لطفٌ بلا قهر أو شر ، ومتى كان كمال الملك يتـم آنذاك ؟! (١)
ويستمر مولانا في هذه الفكرة : العالم قائم على الأضداد ، على الصراع ، ومن الطبيعي أن يحتوى على عدة ألوان ، ومن المحال أن يكون لونا واحدا ، والغفلة مكروهة ، ولولاها ما قام هذا العالم :

- وأنت جمل أعمى مشدود الزمام ، فداوم النظر إلى الجذب ولا تنظر إلى الزمام .

- ولو صار الجذب محسوسا والزمام ، لما ظلت الدنيا توصف بأنها دار الغرور .

- ولرأى المجوسي أنه يسير في أثر كلب ، لكي يصبح مسخرا للشيطان الأكبر .

- ومتى كان يمضي في أثره إذن كالمخنث ؟ بل لكان المجوسي قد إرتد عن متابعته سريعا .

- وإذا كانت البقرة تفهم ما يريد منها القصابون ، فمتى كانت تتبعهم حتى الحانوت ؟

- وتأكل النخالة من أيديهم ، وتدر لهم اللبن عندما يتحسسون ضرعها ملقا

(١) مثبـوى : ١٠٧٥/٤ - ١٠٧٩

- ومتى كانت تهضم علفها إن أكلت ؟ إذا فهمت ما هو المقصود من هذا العلف
- ومن هنا فإن عماد هذه الدنيا هو الغفلة ، وما هي الدولة المسماة بالفارسية " دُولت " ، إنها من "دو" بمعنى السعي ثم " لت " بمعنى الضرب . (١)
- وهل يمكن أن تثبت حرية اختيار إن لم يكن ثم ما يمكن الاختيار من بينه ؟
- فما قيمة الجهاد إذن إذا اختفى الشر من الدنيا ؟
- وعندما لا يكون عدو فالجهاد محال ، وإن لم تكن شهوة ، لا يكون هناك امتثال .
- ولا يكون صبر عندما لا يكون لديك ميل ، وعندما لا يوجد خصم ، ما الحاجة إلى قيامك بالإحتيال
- فانتبه ، ولا تجعل من نفسك خصيما ، ولا تصر راهبا ، ذلك أن العفة رهينة بوجود الشهوة .
- ولا يمكن النهي عن الهوى إن لم يوجد هوى ، ولا يمكن القيام بالغزو ضد الموتى .
- لقد قال " أنفقوا " إذن " فاكسبوا " أولا ، ذلك أنه لا نفقة دون أن يسبقها دخل .
- فإذا كان قد قال " أنفقوا " على الإطلاق ، فاقراها أنت اكسبوا ثم انفقوا .
- وكذلك عندما قال إصبروا ، ينبغي أن تكون هناك رغبة ، حتى تشيح عنها بالوجه .
- إذن فإن " كلوا " من أجل شراك الشهوة ، وبعدها " لا تسرفوا " وهذه هي العفة . (٢)

(١) مثــــوى : ١٣٢٣/٤ - ١٣٣٠

(٢) مثــــوى : ٥٨٢ - ٥٧٥/٥

مولانا جلال الدين إزن - في رأى الخليفة عبد الحكم - هو الوحيد من بين الصوفية الذى جاهد في إدراك طبيعة الشر من نواحيه الأخلاقية والمادية والاجتماعية ، فالشر مهما كان نسبيا ، له وجود حقيقي ، والأمور في حد ذاتها ليست خيرا محضاً وليست شراً محضاً ، فلا قيمة للأشياء في حد ذاتها ، لكنها تقيم من ناحية تلقي البشر لها ، والأمر الواحد ربما يكون لأحدهم خيراً وللآخر شراً (١) ويكون شراً في ظروف معينة وخيراً في ظروف أخرى :

- ومن هنا فليس هناك شر مطلق في هذه الدنيا ، أعلم إزن أن الشر نسبي .
- ولا يكون أبداً سم وسكر في وقت واحد ، لا يكونان قوة لأحد وقيدا لآخر .

- فما يكون قوة لأحد يكون قيدا لآخر ، يكون سما بالنسبة لأحد ولآخر كأنه السكر .

- وسم الحية يكون حياة لتلك الحية ، لكنه بالنسبة للإنسان موت .
- والبحر بالنسبة لأحياء البحر كالحديقة ، لكنه لمخلوقات الأرض موت ومصيبة . (٢)

حتى المعرفة ليست خيراً في حد ذاتها ، بل تكون خيراً إن وضعت في خدمة الروح ، وشراً إن أخذت وسيلة لكسب الجاه والتسلط على الخلق :

(١) الفكرة وردت أيضاً عند سنائي في الحديقة لبيت ٤٦١ :

الموت لهذا هلاك ولذاك مئونة ، والسم لذاك غذاء ولهذا موت .

(٢) مثبوى : ٦٥/٤ - ٦٩

- إن علوم أهل الدين حاملة لهم ، وعلوم أهل الحس أحمال على كواهلهم .

- والعلم حين يطرق القلب يكون معيناً ، والعلم حين يحط على الجسد يكون وقراً . (١)

كل ما في الكون ضروري ، ولا يهم أن تكون بعض السلع معيبة ، فهذا العيب ضروري من أجل أن تتبين جودة السلع الأخرى ، بل إن الله - بتعبير سنائي - عندما خلق الكون لم يخلق شراً على الإطلاق (٢) ويقول مولانا :

- وإذا لم تكن البضائع المعيبة موجودة في الدنيا ، لكان كل التجار بلهاء .

- ولكانت معرفة البضائع إذن أمراً شديداً سهولة ، فإن لم يكن ثم عيسى ، فسواء العزيز والخسيس .

- وإن كانت كلها ذات عيوب ، فلافائدة للمعرفة ، فما دام كله خشب ، فليس ثم عود هنا .

- وذلك الذي يقول كلهم على الحق أحق ، وذلك الذي يقول كلهم على باطل شقي . (٣)

فالحیوان وهو أدنى من البشر لامفهوم عنده للخير والشر ، والملاك لا يعرف ما هو الشر ، الإنسان فحسب هو الحر في الاختيار بين أن يكون ملاكاً أو

(١) مثنوى : ٣٤٦٠/١ - ٣٤٦١

(٢) حديقة الحقيقة : الأبيات ٤٥٤ - ٤٦٠

(٣) مثنوى : ٢٩٥٠/٢ - ٢٩٥٣

يكون شيطاننا ، وهذه هي الجدلية الرئيسية في العرفان ، وكل ما يتعرض له الإنسان محك له وضبط لعياره وبيان لحقيقته واختبار لأصله ومدى قابليته :

- وكل إنسان يدعي الحسن والملاحة ، فإن حجر الموت بالنسبة له محك ملاحة . (١)

- وعندما اختفى المحك بين الرجال والنساء ، أدخل في الصف أيها الزيف ، وتتفج الآن بالادعاء .

- وما دام المحك غائبا أثناء تفجك وادعائك ، فافهم أنهم يحملونك معززا يدا بيد - ويقول الزيف بعنجهية : متى كنت أقل منك أيها الذهب في أية لحظة ؟

- فيقول الذهب : بلى أيها الرفيق ، لكن استعد فالمحك قادم في الطريق . (٢)

ولعل سائلا يتساءل : أين مفهوم الحرية عند جلال الدين ؟ لقد كان كل ما عرض هنا قضية كلامية ليس أكثر ، أين الحريات المكفولة في المجتمعات الحديثة ؟ حرية الاعتراض على الحاكم وحرية الرأي والتعبير ؟ أين الحريات المنصوص عليها في الإعلان العالمي لحقوق الإنسان ؟ والرد : يمكن أن يوجد فكر يعترف بحرية الإنسان وحقه في الاختيار تجاه خالقه ، ثم يحاول أن يثبت قضية بدئية هي حرية الإنسان في مواجهة مخلوق مثله ؟

(١) مشـوى : ١٦٧٤/٤

(٢) مشـوى : ١٤٧٧/٤ - ١٤٨٠

كان مولانا جلال الدين يرى أن حرية الإنسان لا يتم لها التحقق إلا إذا كان حراً من الداخل مسيطراً على نفسه التي بين جنبيه وعلى شهواته ومطامعه التي تحد من انطلاقه الروحي ، فعبد الشهوة أسوأ من العبد الرقيق :

- وعبد الشهوة أسوأ عند الحق ، من الغلمان والعبيد المسترقين .

- فإن هؤلاء يصيرون أحراراً بلفظ واحد من السادة ، وذلك يعيش عيشاً حلواً ، ويموت ميتة شديدة المرارة .

- وعبد الشهوة لا يجد خلاصاً في حد ذاته ، إلا بفضل الله وبإِنعام خاص . (١)

حرية الإنسان الحقيقية إذن تتبع من داخله، وحلم الإنسان المستمر هو الحرية ، ولا يستطيع أى طاغية أن يسلب من الإنسان حريته إن كان حراً من الداخل .

أما أولئك الذين يريدون رأى مولانا في طغيان السلطة فليتمسوه من مقدمة الترجمة العربية للكتاب السادس .

(١) مثلاً : ٣٨٣٠/١ - ٣٨٣٢

النص

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين ، وعليه نتوكل ، وعنده مفاتيح القلوب ، وصلى الله على خير خلقه محمد وآله وصحبه أجمعين .

هذا هو المجلد الخامس من دفاتر المثوي والتبيان المعنوي في بيان أن الشريعة كالشمع تبدي الطريق ، ودون أن تحصل على الشمع لا تصبح سالكا للطريق ، وعندما تسير في الطريق، فسيرك هذا هو الطريقة، وعندما تصل إلى المقصود ، تكون الحقيقة . ومن هنا قيل : لو ظهرت الحقائق بطلت الشرائع ، فلو كان النحاس قد تحول إلى ذهب ، أو كان المعدن ذهباً في الأصل ، لما كانت به حاجة إلى علم الكيمياء الذي هو بمثابة الشريعة ، أو أن يعرض على هذا العلم ، وعرضه هذا هو الطريقة ، كما قيل : [طلب الدليل بعد الوصول إلى المدلول قبيح ، وترك الدليل قبل الوصول إلى المدلول مذموم] .. . الخلاصة أن الشريعة بمثابة تعلم علم الكيمياء من أستاذ أو من كتاب ، والطريقة هي استخدام الأدوية وتعريض النحاس للكيمياء ، أما الحقيقة فهي تحول النحاس إلى ذهب . وعلماء الكيمياء فرحون قائلون : نحن نعلمها ، والعاملون في علم الكيمياء فرحون قائلون : ونحن نمارسها ، ومن وجدوا الحقيقة سعداء بالحقيقة قائلون : لقد صرنا ذهباً وتحررنا من علم الكيمياء أو العمل به ، فنحن عتقاء الله ﴿ كل حزب بما لديهم فرحون ﴾ أو أن مثل الشريعة كمثال تعلم الطب ، ومثل الطريقة كمثال التطب والتوقي على مقتضى الطب ، والحقيقة هي إدراك الصحة الأبدية والفراغ من التعلم والممارسة ، . وعندما يمضي المرء عن هذه الحياة ، تنقطع عنه الشريعة والطريقة وتبقى الحقيقة ، فإذا كانت لديه الحقيقة فهو لا يفتأ يصيح ﴿ يا ليت قومي يعلمون بما غفر لي ربي ﴾ ، وإن

لم يدركها صاح (يا ليتني لم أوتَ كتابيه ، ولم أدر ما حساييه ، يا ليتها كانت
القاضية ، ما أغنى عني ماليه ، هلك عني سلطانيه) فالشريعة علم ،
والطريقة عمل ، والحقيقة هي الوصول إلى الله ، (فمن كان يرجو لقاء ربه ،
فليعمل عملا صالحا ، ولا يشرك بعبادة ربه أحدا) . صلى الله على خير
خلقه محمد وآله وعترته وسلم تسليما.

- إن الملك حسام الدين وهو نور الأنجم ، طالبٌ لبدء السفـر الخامس .
- يا ضياء الحق ، ويا حسام الدين العظيم ، يا أستاذًا لأساتذة الصفاء .
- لو لم يكن الخلق محجوبين مدنسين ، ولو لم تكن الحلوـق ضيقة ضعيفة؛
- لأعطيت الكلام حقـه في مدحك ، ولتفوهت بغير هذا المنطق .
- ٥- لكن طعام البازي لا يكون لتلك الصعوة ، وما من حل الآن سوى أن يمزج الماء بالزيت .
- وإن شرح أحوالك مع أهل الدنيا يكون من قبيل الغبن ، فلأكتمه في داخلي كأنه سر العشق .
- فالقيام بمدحك مع السجناء إهدارٌ له ، فعليّ أن أنطلق في هذا المديح في محفل أهل الروح .
- وما المدح إلا تعريف وكشف للحجاب ، والشمس في غنى عن التوضيح والتعريف .
- ومادح الشمس هو في الحقيقة مادح لنفسه ... كأنه يقول: إن عيني مبصرتان وليستا بالرمداوين .
- ١٠- وتوجيه الذم إلى شمس الكون هو ذم للنفس، كأنك تقول : عيناى عمياوان مظلمتان كليتان .
- ولتلتمس العذر لإنسان يكون في هذا الكون حاسدا للشمس المضيئة .
- فهل استطاعت عين قط أن تخفيها بأن تغمض " أمامها " ، أو هل قدرت على منعها من منح النظرة للأشياء المهترئة .
- أو أن تقلل من نورها الذى لاحدود له ، أو أن تنهض منكرة سطوتها وجاهها ؟

- إن من يكون حاسدا للكون ، يكون هذا الحسد له بمثابة الموت الأبدى .
- ١٥- لقد جاوز قدرك إدراك العقول ، وكل ما يبيده العقل في تفسير أحوالك ، مجرد فضول .
- فإذا كان العقل عاجزا عن البيان ، وجبت الحركة بعجز في هذا المجال .
- " إن شيئا كله لا يدرك ، إعلموا أن كله لا يتـرك " (١).
- فإذا كان لا يمكن شرب طوفان السحاب ، فكيف يمكن ترك شرب الماء؟ (٢)
- وإذا كنت لا تستطيع أن تعبر عن السر في بيان ، فهيا جدد المدارك من مجرد قشوره .
- ٢٠- إن أنواع المنطق بالنسبة لك كلها قشور ، لكنها بالنسبة للآخرين لباب طيب
- والسماء بالنسبة للعرش شديدة الدنو ، لكنها بالنسبة لأكداس للتراب شديدة العلو
- وأنا أتحدث واصفا إياك ليسلكوا الطريق ، قبل أن تأخذنهم الحسرة من فواته .
- فأنت نور الحق ، وأنت حقيقة جاذب الروح ، والخلق "تائهون" في ظلمات الوهم والظن .
- ولكي يصير هذا النور الطيب مكحلة للعميان ، عليهم في البداية أن يقوموا بتعظيمه .
- ٢٥- وإنما يجد النور ذلك المستعد حاد السمع ، ذلك الذي لا يكون عاشقا للظلام وكأنه الفأر .

(١) بالعربية في المتن الفارسي .

(٢) ج ١١/١٢٠- محمد تقي جعفرى - تفسير ونقد وتحليل مثوي جلال الدين محمد مولوى - مجلد ١١ - ط ١١ - تهران ١٣٦٣ هـ ش. : وإذا لم يكن في الإمكان شرب ماء البحر ، يمكن لك أن تشرب منه بقدر ما يسد ظمأك .

- وضعاف البصر الذين يتجولون ليلا ، متى يمكن لهم الطواف حول مشعلة الإيمان .
- والنكات المشكلة دقت على فهم رهين الطبع ، ذلك الذى عمي " بصره " عن الدين .
- والعين لا تستطيع أن تحملق في ضوء الشمس ، ما لم يزين الفضل سداها ولحمتها .
- وذلك الذى حفر الأرض جحورا كأنه الفأر ، لا يستطيع أن يتسامق بفروعه كأنه النخل .
- ٣٠- وهناك أربعة أوصاف ضاغطة على قلوب البشر ، والعقل قد صار مصلوبا على هذه الأربعة .

تفسير (فخذ أربعة من الطير فصرهن إليك)

- إنك خليلُ زمانك يا ساطع الذكاء ، فاقتل هذه الطيور الأربعة قاطعة الطريق .
- ذلك أن كل طائر منها وكأنه الغراب ، يقوم بسلب العقل ، واختطافه من العقلاء .
- وإن ذبح هذه الأوصاف الأربعة في الجسد كطيور الخليل ، يعطي الروح " نحو الارتقاء " السبيل .
- فيا أيها الخليل ، من أجل الخلاص من خيرها وشرها ، قم بذبحها حتى تزال السدود من أمام قدمك .

- ٣٥- إنك كل ، وكلها أجزاء منك ، أطلقها ، فإن قدمك مشدودة إلى أقدامها .
- وعالم الروح في عذاب منك ، وفارس واحد يكون ظهيرا لمائة جندي .
- ذلك أن هذا الجسد قد أصبح موطننا للخصال الأربعة ، وصارت أسماؤها لطيور الأربعة الباحثة عن الفتنة
- وإذا كنت تريد الحياة الأبدية للخلق ، فاقطع رؤوس هذه الطيور الأربعة المشنومة السيئة .
- ثم أحيها بعد ذلك ، نشأة جديدة ، نشأة لا يكون منها بعدها ضرر .
- ٤٠- وهذه الطيور الأربعة المعنوية قاطعة الطريق ، قد اتخذت لها في قلوب الخلق موطننا .
- وما دمت أميرا على كل القلوب السوية ، فأنت خليفة الحق في هذا العصر؛
- فاقطع إذن رؤوس هذه الطيور الأربعة ، واجعل العمر العابر سرمديا - إنها البط والطاووس والغراب والديك ، إنها مثال على هذه الخصال الأربعة في النفوس .
- فالبط هو الحرص ، والديك هو الشهوة ، والجاه كالطاووس ، والغراب هو الأمانة .
- ٤٥- إن منيته أن يكون راجيا صانعا للرجاء ، طامعا في التأييد أو العمر الطويل - والبط هو الحرص لأن منقاره " دائما" في الأرض ، لا ينفك يبحث عن الدفين في الأخضر واليابس .
- ولا يتوقف حلقه هذا لحظة واحدة ، إنه لا يسمع من حكم الإله إلا أمره «كلوا» .
- إنه مثل لص يقتحم منزلا ، ويأخذ في ملأ خرجه بكل ما أوتى من سرعة .

- ويكدس في كيسه الغث والسمين ، حبات الدر وحببات الحمص معا .
- ٥٠- حتى لا يفاجأ بمجيء لص آخر ، يأخذ في تكديس الأخضر واليابس في كيسه .
- إن وقته ضيق ، ومهله قصيرة ، والخوف " طاغ " عليه ، فهو يضع تحت إبطه كل شيء دون توقف .
- وليست لديه ثقة في سلطانه ، وأن لصا آخر لن يجرؤ على الهجوم عليه والتصدى له .
- لكن المؤمن - اعتمادا على الحياة الأخرى - يهجم حين يهجم بتمهل وأناة .
- فهو آمن من أن يفوته شيء ، ومن مغير آخر ، فهو يعلم قهر مليكه لعدوه .
- ٥٥- وهو أيضا آمن من الأتباع الآخرين ، ومن أن يأتوا منافسين له ومنتفعين .
- لقد رأى عدل المليك في ضبط الحشم حيث لا يجرؤ أحد على ظلم أحد .
- فلا جرم أنه لا يتعجل ، ويكون ساكنا ، وهو آمن تماما من أن يفوته حظه .
- ومن هنا فهو يتأنى ، ويصبر ويصابر ، فهو شبع العين ، يؤثر على نفسه ، وظاهر الجيب .
- فهذا التأنى نور" من الرحمن ، وتلك العجلة من هزة الشيطان .
- ٦٠- ذلك أن الشيطان يخوفه من الفقر ، فيقوم بعقر مطية الصبر .
- واستمع من القرآن أن الشيطان في وعيده ، يقوم بتخويفك من الفقر الشديد .
- حتى تختطف كل قبيح وتأكله من عجلتك ، فلا مروءة ولا تأن ولا ثواب .
- فلا جرم أن الكافر يأكل في سبعة بطون ، فإن قلبه ودينه واهيان ضعيفان ، والبطن ضخمة .

في سبب ورود هذا الحديث للمصطفى صلوات الله عليه

وهو { الكافر يأكل في سبعة أمعاء ، والمؤمن يأكل

في معنى واحد }

- نزل بعض الكفار ضيوفا على الرسول ﷺ ، وجاءوا إلى المسجد وقت العشاء
٦٥- وقالوا : لقد نزلنا أيها المليك ضيوفا عليك ، يا من أنت المضيف لكل سكان
الأفق .

- فنحن بلا زاد وجئنا من طريق بعيد ، فهيا أنثر على رؤوسنا الفضل
والنور . (١)

- فقال : القسمة يا صحابتي ، فأنتم ممثلون بي ، ومن ديدني ، وعلى نفس
خصالي .

- إن أجساد الجنود تكون ممثلة من الملك ، ومن هنا فهم يضربون بسيوفه
أعداء جاهه .

- إنك تضرب بهذا السيف بغضب الملك ، وإلا فأى غضب عندك على إخوانك ؟
٧٠- وتضرب أخا بريئا بدبوس الحرب ذي الأمان العشرة ، إنعكاسا لغضب
الملك .

- فالملك روح واحدة ، والجيش مليء به ، والروح كالماء وهذه الأجساد
كالجدول .

- وإذا كانت روح الملك حلوة عذبة ، فإن كل الجداول تمتليء بالماء العذب .
- فالرعية على دين ملوكها فحسب ، هكذا قال السلطان الذي نزلت عليه " عبس "

(١) ج : ١٣١/١١ واستعلامي : ١٢/٥ بيت زائد : - التفت إلى صحابته ذلك السلطان العظيم ، الأخذ بأيدي كل
الملوك والعباد .

- واختار كل صحابي ضيفا من الضيوف ، وكان من بينهم رجل ضخم لا نظير له "في جرمه" .

٧٥- كان ضخم الجسد ، فلم يستضفه أحد ، وبقي في المسجد كما تبقى الثمالة في قاع الكأس .

-فاصطحبه المصطفى ﷺ عندما تخلف عن الجميع ، وكان في قطيعه ﷺ سبع من الماعز الحلوب .

- وكانت الماعز موجودة في الدار ، وذلك من أجل الحلب عند الطعام .

- وأكل ذلك الجدير بأن يسمى " أبو قحط عوج بن غز " كل ما نتج عن هذه الماعز السبعة من حساء ولبن وخبز .

- فغضب كل أهل البيت ، فقد كانوا في حاجة إلى بعض لبن الماعز .

٨٠- لقد جعل معدته الشرهة الأكل كأنها الطبل ، وأكل وحده نصيب ثماني عشرة شخصا .

- وعند النوم مضى وجلس في الحجرة ، فأغلقت الجارية الباب عليه من الغضب .

- لقد أغلقت الباب بالسلسلة من الخارج ، فقد كانت غاضبة عليه متألمة منه .

- وفي منتصف الليل أو قبيل الفجر ، عندما عنت لذلك المجوسي حاجة ، وتحرك ألم بطنه ؛

- أسرع من فراشه نحو الباب ، وعندما حاول فتح ، وجده مغلقا .

٨٥- وجرب كل أنواع الحيل ذلك المحتال لكي يفتح الباب ، لكن الباب لم يفتح

- واشتدت حاجته ، وكثرت مطالبه ، والمنزل ضيق ، فبقي حائرا مسكينا ، قد أسقط في يده .

- فلجأ إلى النوم كحل أخير ، ورأى نفسه في المنام كأنه في خرابسة .
- ذلك أن الخرابسة كانت في خاطره ، فعن له نفس منظرها عندما راح في النوم .
- وعندما رأى نفسه في خرابسة خالية ، وكان في شدة الحصر ، غاط في التو واللحظة .
- ٩٠- واستيقظ من النوم ، ورأى ملابسه وفراشه مليئين بالغائط ، وجن من الإضطراب .
- وخرجت من بطنه مائة صيحة ، من مثل هذه الفضيحة ، التي لا يغطيها التراب .
- وقال : إن نومي أسوأ من يقظتي ، فأنا آكل من هذه الناحية ، وأغوط من الأخرى .
- وأخذ يصرخ : وا ثوراه ، وا ثوراه ، كأنه الكافر في قاع القبر .(١)
- وظل منتظرا متسائلا : متى تنتضي هذه الليلة ؟ حتى يتصاعد صوت فتح الباب .
- ٩٥- وحتى ينطلق هو كما ينطلق السهم من القوس ، وحتى لا يراه أحد وهو على هذه الحال .
- إن القصة طويلة ، لكني أختصر فيها ، ولقد انفتح الباب ، وخلص هو من الألم والكرب .

(١) عند جعفرى : ١٣٢/١١ : كما يفعل الكفار يوم النشور وهو أصح .

**فتح المصطفى عليه السلام باب الحجرة للضيف ، واخفائه صلى الله عليه وسلم
نفسه ، حتى لا يرى الضيف خيال من فتح الباب ، ولا يخجل
ويخرج بجرأة**

- لقد جاء المصطفى ﷺ في الصباح وفتح الباب ، وعندما أسفر الصبح ، أعطى الطريق لذلك الضال .

- فتح المصطفى الباب واختبأ ، حتى لا يخجل من رؤيته ذلك المبتلى .

- وحتى يخرج ، ويمضي بجرأة ودون تردد ، ولا يرى وجه من فتح الباب أو ظهره .

١٠٠- فإما أن المصطفى ﷺ قد اختبأ خلف شيء ما ، أو أن ستر الله قد أخفاه عنه .

- إن صبغة الله تقوم أحيانا بالستر ، وتضع حجابا لا كيفية له أمام ذلك الناظر .

- بحيث لا يرى الخصم إلى جواره ، وقدرة الله سبحانه وتعالى أكثر من ذلك بكثير .

- كان المصطفى ﷺ يرى أحواله بالليل ، لكن أمر ربه كان يمنعه ؛

- من أن يفتح الباب قبل اكتمال الفضيحة ، وقبل أن يسقط ذلك الضيف من الفضيحة في البئر .

١٠٥- كانت الحكمة وأمر السماء ، وحتى يرى الضيف نفسه على ذلك الحال .

- وما أكثر العداوات التي تكون عوناً ، ورب هدم يكون تعميراً .

- وجاء أحد الفضوليين إلى الرسول ﷺ ، بفراش النوم المليء بالحدث .
- قائلا : أنظر ، ماذا فعل ضيفك ، فضحك " الذي أرسله الله " رحمة للعالمين .
- وقال : آتتا بهذه المطهرة ، حتى أغسل هذا الفراش كله بيدي .
- ١١٠- فأخذ كل من في المكان يهب واقفا صائحا : بالله ، لتكن أرواحنا وأجسادنا فداءً لك ؛
- لنقم نحن بغسل هذا الحدث فاتركه لنا ، فهذا العمل من أعمال الأيدي ، لا من أعمال القلوب .
- ولعمرك ، أليس الله قد أقسم بعمرِكَ ، ثم جعلك خليفة ، وأجلسك على كرسي " النبوة " ؟
- إننا نعيش من أجل خدمتك ، وعندما تخدم أنت ، فماذا نكون نحن ؟
- قال : إنني أعلم ذلك ، لكن قيامي بنفسي بالغسل هذه اللحظة فيه حكمة .
- ١١٥- فانتظروا ، لأن القول قول نبي ، حتى تتكشف هذه الأسرار ، وماذا تكون .
- وأخذ يغسل بجد ذلك الغائط ، بأمر من الله ، لا تقليدا ، ولا رياء .
- فقد كان قلبه يقول له : قم أنت بغسله ، فهنا تكمن حكمة مضاعفة .

سبب رجوع ذلك الضيف إلى منزل المصطفى ﷺ في تلك اللحظة التي

كان فيها المصطفى ﷺ يغسل فيها فراشه الملوث بيده ، وخجله ،

وقيامه بتمزيق ثوبه ، ونواحه على نفسه ، وعلى أحواله

- كان للكويفر تعويذة على سبيل التذكار ، افتقدتها فاشتد اضطرابه .
- وقال : لقد تركت التعويذة من غفلتي في تلك الحجرة التي قضيت فيها الليل .

١٢٠- وبالرغم من أنه كان خجلاً ، فإن الحرص قد قضى على خجله ،
والحرص أفعى ، وليس بالشيء الهين

- ومن أجل التعويذة أخذ في العدو مسرعاً ، وعاد إلى منزل المصطفى ﷺ ،
ورأى ما جرى .

- رأى أن يد الله يغسل الغائط بيده ، وهو سعيد راض ، ألا فلتبتعد عنه عين
السوء .

- ففسي تعويذته ، وأصابه هياجٌ شديد ، وشق جيبه .

- وأخذ يلطم وجهه ورأسه بيديه ، ويدق رأسه بالجدار والباب .

١٢٥- بحيث سال الدم من أنفه ورأسه ، فرق له ذلك العظيم .

- وجأ بالصياح ، وتجمع الخلق حوله ، والمجوسي يصيح : يا أيها الناس
احذروا .

- أخذ يلطم رأسه قائلاً : يا رأساً بلا عقل ، ويضرب صدره قائلاً : يا صدراً بلا
نور .

- وطفق يسجد قائلاً : يا كل التراب ، لتخجل من هذا الجزء المهين منك .

- إنك وأنت كل خاضع لأمره ، وأنا الجزء ظالم وقبيح وغوى .

١٣٠- إنك وأنت كل ذليل ومرتعش من الحق ، وأنا الجزء منبت وفي خلاف .

- وأخذ كل لحظة يتجه إلى السماء قائلاً : ليس لي وجه يا قبلة العالم .

- وعندما جاوز الحد في ارتعاشه وخفقانه ، أخذه المصطفى ﷺ بين أحضانه .

- هدأه ، وزاد في ملاطفته ، وفتح عينيه ، ووهبه المعرفة .

- فما لم يبك السحاب ، متى تضحك الرياض ؟ وما لم يبك الطفل ، متى يجيش

اللبن ؟

١٣٥- إن الطفل الذى يبلغ من العمر يوما واحدا يعرف الطريق، ويقول لنفسه :
لأبك حتى تجيء المرضعة الحنون .

- وأنت لا تعرف أن حاضنة الحواضن ، قليلا ما تعطيك اللبن مجانا وبلا
بكاء .

- لقد قال الله : فليبكوا كثيرا ، فاستمع ، حتى ينصب عليك لبن فضل الخالق .
- وإن بكاء السحاب وحرقة الشمس ، هما عماد الدنيا ، نفس هذان الخيطان
المجدولان .

- فإن لم تكن حرقة الشمس ، وإن لم يكن بكاء السحاب ، فمتى كانت الأجساد
والأعراض ضخمة عظيمة ؟

١٤٠- ومتى كانت تعمر هذه الفصول الأربعة ، إن لم تكن تلك الحرقة ،
وذلك البكاء الأصلي .

- وما دامت حرقة الشمس وبكاء سماء الدنيا يجعلان منها حلوة الفم ؛
- فاجعل شمس العقل في حرقة دائمة ، واجعل العين كالسحاب ، شارقة
بالدمع .

- وتلزمك عين باكية كالطفل الصغير ، وقلل إذن من أكل هذا الخبز ، فإنه
يضيع ماء وجهك .

- وعندما يكون الجسد ذا زاد منه ليل نهار ، فإن أغصان الروح تكون متساقطة
الأوراق ، في خريف .

١٤٥- وزاد الجسد نقص في زاد الروح ، فعليك أن تقلل منه سريعا ، وتزيد
في زاد الروح .

- و﴿ أقرضوا الله ﴾ تعنى : أقرض الروح من زاد الجسد ، حتى تثبت
روضة في قلبك على سبيل العوض .

- فاقترض ، وأنقص هذه اللقيمات في جسدك ، حتى يبدو لك ما لا عين رأت .
- وعندما نخلص الجسد نفسه من بعره ، يملؤه بالمسك والدر الإجلالي .
- إنه يعطي هذه الأوضار ويأخذ الطهر ، ويصبح الجسد ذا نصيب من قوله تعالى (يطهركم) .
- ١٥٠- لكن الشيطان لا يفتأ يخوفك ، ويقول لك : انتبه ، سوف تحزن وتتدم إن فعلت .
- إنك تذيب البدن في سبيل هذه المهاوس ، وسوف يحل بك الندم والحزن الشديد
- هيا ، كل هذا ، فهو حار وعلاج للمزاج ، واشرب ذاك من أجل النفع والعلاج
- وهذا الجسد أيضا بمثابة المركب ، وما اعتاد عليه ، هو الأصوب له .
- فهيا ، لا تغير العادة ، فمن ذلك يتأتى الخل ، وتتولد في القلب والدماغ مئات العلل .
- ١٥٥- وهذه التهديدات يأتي بها الشيطان الدني ، وهو ينفث في آذان الخلق مئات الوسوس .
- ويجعل من نفسه جالينوس في " وصف " الدواء ، حتى يخدع نفسك الضعيفة المريضة .
- قائلا: في هذا الشيء نفع لك و"علاج" من الألم والحزن ، وبالنسبة لحبة قمح ، قال نفس الشيء .
- وهو لا يفتأ ينفث وسوسته في أذنيك ، وبالخطام يلوي شفتيك ؛
- كشفتي الفرس عند تركيب سنايكه ، وذلك ليبدى لك الحجر الرخيص كأنه الياقوت .

١٦٠- وهو يأخذ بأذنيك ، كما يؤخذ بأذني الفرس ، ويجرها صوب الحرص ،
وصوب الكسب .

- ويضع في قدمك سنبكا خطأ ، بحيث تعجز في الطريق من الألم الذي
يسببه لك .

- أتدرى ما هو هذا السنبك ؟ إنه التردد بين أمرين ، فلا تزال قائلاً : أفعل هذا
أو أفعل ذاك ، فانتبه .

- فافعل ما فعله المختار من النبي ، ولا تفعل ما فعله المجنون أو الصبي .
- لقد حفت الجنة ، فبأى شيء صارت محفوفة ؟ بالمكارة التي منها زاد
المحصول .

١٦٥- وإن له مائة وسوسة من حيلته ودهائه ، مثلها ما ينطلق من سلة مملوءة
بالأفاعي . (١)

- وإن كان هناك ماء جار سد الطريق أمامه ، وإن كان ثم حبر زمان ، ضحك
عليه .

- فاجعل العقل رفيقاً لعقل صديق ، واقرأ « أمرهم شورى بينهم » ثم
اعمل .

ملاطفة المصطفى ﷺ لذلك الأعرابي الضيف وتهدئته إياه من إضطرابه

وبكاء ذلك الأعرابي ونواحه على نفسه خجلاً وندماً وبتأثير

نار القنوط

-- إن هذا الكلام لانهاية له ، وذلك الأعرابي بقي مندهشاً من أطاف هذا
الملك .

(١) ج/١١-١٤٣:- فإن كان ثم جبل اختطفه كأنه قشة ، وذلك حتى يبدى لك سلطانه وتسلطه .

- وكاد يجن ، وفر عقله من رأسه ، لكن يد المصطفى ردت .
- ١٧٠- وقال له : أقبل على ، ففعل ما أمر به ، وكأنه شخص يقوم من نوم ثقيل .
- قال له : عد إلى هنا ، لا تفعل ، عد إلى وعيك ، فمن هنا تحدث أمور معكوسة
- ورش وجهه بالماء ، فانطلق في الحديث قائلاً : يا شاهد الحق ، إعرض على الشهادة .
- حتى أشهد ، وأخرج منطلقاً في هذه الصحراء ، فلقد سئمت من الوجود .
- إننا مقيمون في دهليز قاضي القضاة ، من أجل قضية " ألسنت " و " بلى "
- ١٧٥- فإذا كنا قد قلنا له بلى على سبيل الإمتحان ، فأقوالنا وأفعالنا شهود وبيان .
- وإلا فلأى شيء نستسلم في دهليز قاضي القضاة ؟ أليس لأننا جننا هنا من أجل الشهادة ؟
- فحتام تظل محبوساً في دهليز قاضي القضاة أيها الشاهد ، هيا قدم شهادتك عند انبلاج الصبح .
- ولقد دعيت إلى هنا لكي تعطي هذه الشهادة ، ولا تبدي عتوا " واستكباراً " .
- ومن عنادك ، قبعيت في هذا المضيق ، وقد عقدت يدك ، وضممت شفتيك .
- ١٨٠- وما لم تؤد الشهادة أيها الشهيد ، متى تكتب لك النجاة من هذا الدهليز .
- إنه عمل لا يستغرق سوى لحظة ، قم به وانطلق ، ولا تجعل العمل اليسير صعباً على نفسك .
- وأد هذه الأمانة ، سواءً في مائة عام أو في لحظة واحدة ، وهيا ، أنج بنفسك .

بيان أن الصلاة والصوم وكل الأعمال الظاهرة شهود

على النور الباطني

- إن هذه الأعمال من صلاة وصيام وحج وجهاد ، هي شهود أيضا على الإعتقاد .
- وهذه الزكاة والهدي وترك الجسد ، شهود أيضا على سرك .
- ١٨٥- والمائدة والضيافة من أجل إظهار الحق ، وهي تعنى : أيها العظام ، لقد صرنا صادقين معكم .
- وأنواع الهدى والعطايا والصلوات ، كلها دليل يقول : لقد صرت معك طيبا مؤثقا .
- وكل إنسان يجاهد بمال أو بمجرد قول لا جدوى منه ، لم ؟ لكي يقول : لدى جوهر في داخلي .
- لدى جوهر من التقوى أو من السخاء ، وهذه الزكاة والصوم كلاهما دليل على الخصلتين .
- فالصوم يقول : لقد اتقى الحلال ، فاعلم إذن ألا صلة له بالحرام .
- ١٩٠- وقالت زكاته : إنه يعطي من ماله ، فكيف يسرق من أهل مذهبه ؟
- وإن كان ما يفعله رياءً وحيلة، فإن هذين الشاهدين قد جرحا في محكمة عدل الإله .
- والصيد إذ ينثر الحب ، لا يكون من الرحمة والجود ، بل من أجل الصيد .
- والقطعة النائمة في صيامها ، قد تناومت من أجل صيد " الفأر " الساذج .
- ولقد جعل مائة قوم سيئي الظن من هذا الإعوجاج ، وجعل أهل الجود والصوم سيئي السمعة .

١٩٥- وفضل الحق ينصب على ذلك الذى يمشي باعوجاج ، ويطهره من ألوان اعوجاجه في النهاية.

- ولقد سبقت رحمته ، ووهب ذلك الغدر نورا لا يكون للـبـدر .
- ولقد طهر الحق جهاده من هذا الإختلاط ، وغسلته الرحمة من هذا التخبط واللتواء .

- وحتى يبدى " الإله " غفرانه ، بحيث يكون مغفره غافرا لرأسه (١).
- ومن هنا فقد سقط المطر من أعالي السماء ، حتى يطهر الدنسين من الخبث .

تطهير الماء لكل أنواع الدنس ، ثم تطهير الله سبحانه وتعالى للماء من القذر ، فلا جرم أن الله سبحانه وتعالى هو القدوس

٢٠٠- عندما سعى الماء ، وصار نجسا ، بحيث أن الحس صار يرد هذا الماء " النجس " .

- حملة الحق مرة ثانية إلى بحر الصواب ، حتى غسله من كرمه ماء الماء "ذاك" .

- وفي العام التالي ، عاد " الماء إلينا " مطيعا ، و" سألناه " : أين كنت ؟ "فأجاب":
في بحر الطيبين .

- لقد مضيت من هنا نجسا وعدت طاهرا ، تلقيت خلعة " الإكرام " وعدت نحو التراب .

- فهيا ، هلموا إليّ أيها الدنسين ، فإن طبعي قد أخذ من طبع الإله .
٢٠٥- إنني أتقبل منكم كل قبحكم ، وأطهر الشيطان ، فيصبح كالملك .

(١) عند جعفرى : ١٥٢/١١ : بحيث تغفر كل ذنوبه . ويبدو أصح .

- وعندما أصير قذرا أعود إلى ذلك المكان ، وأمضي إلى أصل أصل الطهر .
 - وهناك ألقى بالدلق الملوث من فوق رأسي ، فيهبني من جديد الخلعة الطاهرة .
 - إن هذا هو عمله ، وعملي هو هذا ، إنه من زين العالم ، رب العالمين .
 - فلو لم تكن هذه الأقدار " عالقة " بنا ، متى كان منهاج الماء يكون هكذا ؟
 - ٢١٠-- إنه يسرق أكياس الذهب من الأحد ، ويسرع في كل صوب صائحا :
- هل من مفلس ؟

- فإما أن ينصب على نبات ينمو ، أو يغسل وجه من لم يغسل وجهه .
- أو يحمل على رأسه كالحمال ، سفينة لا قدم لها ولا يد ، فوق البحار .
- وهناك مئات الآلاف من الأدوية كامنة فيه ، ذلك أن كل دواء يشتق منه .
- وهو روح كل ذرة ، وقلب كل حبة وبذرة ، يمضي في الجدول ، وكأنه خزانة الدواء .

٢١٥- ومنه تكون التربية والرعاية ليتامى الأرض ، والسير والمشى لأولئك المقعدين المتيبسين .

- وعندما يصبح بلا قيمة ويتكرر ، ويصبح حائرا مثلنا فوق الأرض ؛

استعانة الماء بالحق جل جلاله

بعد تكدره

- يطلق " آنذاك " الأنين من أعماقه مناديا : يا الله ، لقد أعطيت ما أعطيت ، وبقيت متسولا .
- لقد صببت كل ما عندي على الطاهر والدنس ، فأعد إليّ رأسمالي ، أيها الملك ، هل من مزيد ؟

- فيقول للسحاب : احملة إلى موضعه الطيب ، وأنت أيتها الشمس ، اجذبيه إلى أعلى .

٢٢٠- ويسوقه من طرق مختلفة ، حتى يبلغ به البحر الذي لاحد له .

- إن غرضي من هذا الماء هو أرواح الأولياء ، فهي التي تغسل الأكرار عنهم .

- وعندما تصير كدرة من غدر أهل الأرض ، تعود إلى واهب الطهر "المستوى" على العرش :

- فيردها من تلك الناحية راضية جارة أذيالها، قد وعت درس الطهر من موطنه - ومن اختلاطها بالخلق تصاب بالاعتلال ، فتبحث عن ذلك السفر ، " وتهتف " : أرحنا يا بلال .

٢٢٥- يا بلالا حسن النغم حلو الصوت ، اصعد فوق المئذنة ، ودق طبول الرحيل .

- فلقد سافرت الروح والجسد في قيام ، ولذلك فهي تقول عند رجعتها : السلام . - فتقوم : أرواح الأولياء " بتحرير الجميع من التيمم ، و" تخلص " طلاب القبلة من التحري .

- إن هذا المثل كأنه الواسطة أثناء الكلام ، والواسطة ضرورة من أجل أن يفهم العوام .

- فكيف يمضي إلى النار أحدٌ دون واسطة ، اللهم إلا السمندل الذي خلص من العلائق .

٢٣٠- إنك تتخذ من دخولك الحمام واسطة ، حتى يستطيب طبعك السخونة والنار .

- وما دمت لا تستطيع الدخول إلى النار " مباشرة " كالخليل عليه السلام ، فقد صار الحمام رسولا للماء إليك ودليلا .
- والسير من الحق ، لكن أهل الطبع ، متى يحسون بالشبع دون واسطة من الخبز ؟
- واللفظ من الحق ، لكن أهل الجسد ، لا يجدون اللفظ دون رياض ، وهي "مجرد" حجاب .
- وعندما لا تبقى واسطة الجسد بلا حجاب ، يجد المرء النور من جيبه ، كما حدث مع موسى عليه السلام .
- ٢٣٥- وكل هذه الفنون التي يبيدها الماء ، شهادة على أن باطنه مليء بلطف الرب .

دلالة الفعل والقول الخارجيين على الضمير

والنور الداخلي

- إن القول والفعل شاهدان على الضمير ، فاستدل من هذين على ما يوجد في الباطن .
- فإن لم يوجد لسرك نفاذ إلى الباطن ، فانظر إذن من الخارج إلى بول المريض
- والفعل والقول بمثابة البول من المريض ، فهو برهان للطبيب الذي يعالج الأجساد .
- لكن طبيب الروح ذاك يمضي إلى داخل روحه ، وعن طريق الروح ينفذ إلى داخل إيمانه .
- ٢٤٠- فلا حاجة به إلى الفعل والقول الظاهريين ، " ومن هنا قيل : إحدروهم هم جواسيس القلوب " .

- فاطلب دليل القول والفعل من ذلك الذى لا يكون متصلا بالبحر وكأنه
الجدول (١).

في بيان أن النور في حد ذاته مضيء من داخل المرء دون أن

يفسره قول أو فعل ويدل على نوره

- لكن نور السالك الذى فاق الحد ، امتلأت بضوئه الصحارى والأودية .
- وإن شهوده لفارغ من الشهود ، ومن أنواع التكلف ومن التضحية بالروح في الوجود .
- ونور هذا الجوهر عندما تلاً على ظاهره ، فرغ من كل التدرج والتسلسل .
- ٢٤٥- إذن لا تطلب منه دليل الفعل والقول ، فقد تفتحت الداران منه ، كالوردة .
- وما هو هذا الدليل ؟ إنه إظهار الخفي ، سواء بالقول أو بالفعل ، أو بغيرهما من الوسائل .
- فالغرض هو إظهار سر الجوهر ، فالوصف ثابت ، وهذا العرض ، عابر غير مستقر .
- وعلامة الذهب لا تبقى فوق المحك ، ويظل الذهب ، حسن الاسم ، خالياً من الشك .
- وهذه الصلاة ، وهذا الجهاد ، وهذا الصيام ، أمور لا تبقى ، وتبقى الروح حسنة الاسم .

(١) ج/١١-١٦٢: فقوله وفعله شاهدان عليه ، ذلك الذى يكون متصلاً بالبحر كأنه الجدول .-فانظر إلى قوله وفعله ، وماذا يوجد في ضميره وسره .- وما هي مراتب نوره ، وهل هو سخي أو ينثر الحب من أجل الصيد .- فإن كان صيادا ابتعد عنه ، ولا تستمع إلى وساوسه وقوله وفعله . - وإن كان صديقاً ، لا ترفع يدك عنه ، حتى يبلغ بك البحار .

٢٥٠- ولقد أبدت الروح مثل هذه الأفعال والأقوال على محك الأمر ، وسحقت جوهر " الدليل " .

- قائلة : إنني صادقة الاعتقاد ، وهاك الدليل ، لكن هناك في الأدلة اشتباهات .
- فاعلم أن الجواهر في حاجة إلى تركية ، وتركيتها الصدق الذى يكون موقوفا عليها .

- وفي الدليل عن طريق القول ينبغي أن يحفظ اللفظ ، أما في الدليل عن طريق الفعل ، فينبغي حفظ العهد .

- فإن كان ثم اعوجاج في دليل القول فهو مردود ، وإن كان ثم سعي باعوجاج في دليل الفعل ، فهو مردود .

٢٥٥- وينبغي أن يكون قولك وفعلك خاليين من التناقض ، حتى تحصل على القبول في التو واللحظة .

- إن سعيكم لشتى ، وأنتم في تناقض ، إنكم تخططون في النهار ، وتمزقون ما خطتم ليلا .

- ومن ذا الذى يستمع إلى شاهد متناقض ، اللهم إلا إذا زاول الحطم من لطفه ؟

- والفعل والقول إظهار للسر والضمير ، كلاهما يظهر السر الخفي المستور .

- وعندما زكى دليلك فقد قبل ، وإلا حبس في المهلة والتكؤ والنكوص .

٢٦٠- وما دمت تعاند ، فهم يعاندون أيها الحرون ، فانتظرهم ، إنهم منتظرون .

عرض المصطفى عليه السلام الشهادة على ضيفه ذاك

- إن هذا الكلام لا نهاية له ، لقد عرض المصطفى ﷺ الإيمان على هذا الفتى وقبله .
- وتلك الشهادة التي كانت مباركة عليه ، قد فكت القيود المعقودة "عليه"
- صار مؤمنا ، وقال له المصطفى ﷺ : كن ضيفا علينا الليلة أيضا .
- قال : والله إنني ضيفك إلى الأبد ، حيثما أكون وحيثما أمضي .
- ٢٦٥- إنني عتيقك ، وحارس بابك ، ومن صار حيا منك ، وأنا على مائدتك في الدنيا والآخرة .
- وكل من يختار سوى هذه المائدة المختارة ، فإن حلقه يتمزق في النهاية من العظام .
- وكل من يمضي صوب مائدة غير مائدتك ، اعلم أن الشيطان قد صار جليسه وشريكه في طعامه .
- وكل من يمضي عن جوارك ، يصبح الشيطان بلا جدال جارا له .
- وإن مضى بدونك إلى سفر بعيد ، يكون الشيطان رفيقا له وجليس طعامه .
- ٢٧٠- وإن ركب جوادا أصيلا ، ويكون حاسدا للقمر ، فإنه يردف الشيطان خلفه .
- وإن تحمل منه قرينته المدللة ، فإن الشيطان يكون شريكا له في نسله .
- فإن الحق قد قال له في القرآن - يا شققا "مليئا بالنور" - « شاركهم في الأموال والأولاد » .
- ولقد قال الرسول ﷺ هذا جليا من الغيب ، في أقواله النادرة المثل مع على ﷺ
- يا رسول الله ، لقد أبديت لنا الرسالة بالتمام ، وكأنها شمس بلا غمام .

- ٢٧٥- وإن ما فعلته لم تفعله مائتا أم ، ولم يفعله عيسى عليه السلام مع عازر .
- ألم تتقذ روعي الآن من الأجل ؟! وإذا كان عازر قد بعث حيا فقد مات لتوه .
- وصار ضيفا على الرسول ﷺ تلك الليلة ذلك الأعرابي ، فأكل نصف لبن ماعز واحدة ، وضم شفتيه .
- فألح عليه قائلا : كل الرقاق واشرب اللبن ، فقال : لقد شبعنا والله ، بلا نفاق
- وليس هذا تكلفا أو حياءً أو تفضلا ، لقد صرت أكثر شبعنا مما كنت بالأمس .
- ٢٨٠- فتعجب كل أهل البيت ، لقد امتلأ هذا القنديل بنقطة من الزيت .
- وما هو قوت لطير الأبابيل ، هل يملأ معدة مثل هذا الفيل ؟
- وكثر الهمس بين الرجال والنساء ، إن هذا الفيلي الجسد يأكل قدر ما تأكل بعوضة .
- لقد انتكس حرص الكفر وهمه ، وشبعت الأفعى من قوت نملة .
- ولقد ذهب عنه طمع المتكدين الموجود عند الكفار ، فسمن دسم إيمانه وتضخم .
- ٢٨٥- وذلك الذي كان يرتجف من الجوع الشديد المستمر (١) ، رأى ثمار الجنة مثلما رأتها مريم .
- لقد أسرع فأكهة الجنة صوب جسده ، فسكنت معدته التي تشبه الجحيم .
- والإيمان في حد ذاته نعمة ودسم عظيم ، يا من قنعت من الإيمان بالقول .

(١) حرفيا : جوع البقر .

بيان أن النور الذي هو غذاء الروم يصبح غذاءً

لأجسام الأولياء ، حتى يصبح قرينا للروم مصداقا

لقول الرسول ﷺ : أسلم شيطاني على يدي

- بالرغم من أنه - أي النور - طعام الروح والنظر ، فإن للجسد نصيبا منه أيضا يا بني . (١)

- وإن لم يكن شيطان الجسم آكلا منه ، لما قال الرسول ﷺ : أسلم شيطاني .

٢٩٠- وما لم يأكل الشيطان من ذلك الدسم الذي يحيي الموتى ، فمتى كان له أن يصير مسلما .

- إن الشيطان عاشق للدنيا وأعمى وأصم ، وربما يقضي على العشق عشق آخر .

- إنه عندما يتذوق " قوتا " من منزل اليقين الخفي ، فإنه يحمل أحمال عشقه إليه قليلا قليلا .

- " يا حريص البطن عرج هكذا ، إنما المنهاج تبديل الغذاء .

- يا مريض القلب عرج للعلاج ، جملة التدبير تبديل المزاج

٢٩٥- أيها المحبوس في رهن الطعام ، سوف تتجو إن تحملت الطعام

- إن في الجوع طعاما وافرا ، افتقدها وارتعج يا نافرأ .

- اغتذ بالنور كن مثل البصر ، وافق الأملاك يا خير البشر " (٢)

- وكالملك ، اجعل غذاءك تسبيح الحق ، حتى تتجو من الأذى كالملائكة .

(١) ج/١١-١٧٤:- حتام يا قانعا بالخبز والكراث ، عد إلى وعيك وتغذ بالنور .

(٢) ما بين القوسين بالعربية في المتن الفارسي .

- وإذا كان جبريل لا يحوم حول الجيف ، فهو في قوته ليس ضاربا أقل من
نسر (١) .

إنكار أهل الجسد لغذاء الروم وارتجافهم من أجل الغذاء الخسيس

٣٠٠- حبذا مائدة موضوعة في الدنيا ، لكنها خفية جدا عن عيون
الأخساء .

- وإن صارت الدنيا بستانا مليئا بالنعمة ، فإن نصيب الفأر والحية منها
والمصباح . هو التراب " فحسب " .

- إن نصيبها هو التراب ، سواء في الشتاء أو الربيع ، فكيف تأكل التراب يا
أمير الكون ، كأنك الحية ؟

- وفي قلب الخشب ، تقول دودة الخشب : لمن تكون يا ترى مثل هذه الحلوى
الطيبة ؟ (٢)

- ودودة البعر بين ذلك الحدث ، لا تعرف نقلا في الدنيا سوى الخبث . (٣)

مناجاة

٣٠٥- أيها الإله الذي لا نظير له ، آثرنا ، ما دمت قد أعطيت الأذن
حلقة من هذا الكلام .

(١) ج/١١-١٧٤:- والفيل وإن كان وقورا على الأرض ، قل لي ، متى نجا من بعوضة ؟

(٢) ج/١١-١٧٩:- والحشرة الصغيرة تقول وسط التراب ، إن أحدا في العالم لم يأكل مثل هذه الحلوى .

(٣) ج/١١-١٧٩: ولا يعرف الغراب شيئا قط سوى النجاسة ، لقد صارت له النجاسة " عزيزة " كالعين
والمصباح .

- خذ بأذاننا وجرها نحو ذلك المجلس ، فمن رحيقك ، يشرب أولئك المنتشون .

- وما دمت قد أوصلت إلينا رائحة منه ، لا تغلق فوهة تلك القربة ، يا رب الدين .

- إنهم جميعا يشربون منك ، من ذكور وإناث ، ذلك العطاء بلا انقطاع أيها المستغاث .

- يا من يستجاب منك الدعاء الذى لم يقل ، لقد أعطيت القلب في كل لحظة كثيرا من الفتوح .

٣١٠- ولقد نقشت بضعة حروف ، و"جعلتها" كتابة ، فصارت الحجارة من عشقها في " ليونة " الشمع .

- ولقد صورت الحاجب مثل حرف النون والعين مثل حرف الصاد والأذن مثل حرف الجيم ، وجعلتها فتنة للعقول والألباب .

- ومن حروفك هذه صار العقل يجدل الخيوط الرقيقة ، فداوم على نسجها أيها الأديب الذى يحسن الخطوط .

- وخليق بكل فكر ارتبط بالعدم ، لحظة بلحظة ، صورة خيال حسن الرسم .
- والحروف العجيبة على لوح الخيال ، إنما كتبتها العين ، وصفحة الخد ، والخال .

٣١٥- فلاكن ثملا بالعدم ، لا بالموجود ، وذلك لأن معشوق العدم أكثر وفاءً .

- ولقد جعل العقل قارئاً لتلك الأشكال ، حتى يطوى من جرائها كل التدابير .

**تمثيل اللوح المحفوظ وإدراك كل إنسان من ذلك اللوح
بالنسبة للأمر وقسمته ومقدار رزقه ، بإدراك جبريل عليه السلام
كل يوم من اللوح الأعظم**

- إن ذلك العقل يحمل كل صباح الدرس اليومي من اللوح المحفوظ ، وكأنه الملك .
- فانظر من العدم إلى كتابات بلا بنان ، ومن علمها تحير أرباب الشهوات .
- فصار كل إنسان مغلوبا مضحكا بالنسبة لخيال ، صار طلعة " دؤوبا" من اشتهاؤه لكنز ما .
- ٣٢٠- فمن خيال صار أحدهم ممثلا بالعظمية ، متجها إلى مناجم الجبال .
- ومن خيال ، اتجه أحدهم بجهد الميرير إلى البحر من أجل الدر .
- وثالث قبع من أجل الترهيب في كنيسة ، ورابع انطلق حريصا نحو الحقل .
- ومن خيال ، صار هذا قاطع طريق لمن نجا ، ومن خيال صار ذاك مرهما لكل جريح .
- وفي استدعاء الجن فقد هذا قلبه ، وفوق النجوم وضع آخر سنابك جواده .(١)
- ٣٢٥- وهذه الخيالات المختلفة ترى الظهور ، من تلك الخيالات المتنوعة الموجودة في الباطن .
- وهذا حائر : ترى على أى شيء عكف آخر ، وكل ذائق لشيء ، ينفي ما ذاقه آخر .

(١) ج/١١-١٨٣:- وآخر في السفينة من أجل الربح ، وأحدهم فاسق ، والآخر ذو صلاح .

- ولأن تلك الخيالات كلها غير مؤتلفة ، فإنها عندما ظهرت ، صارت مختلفة .

- وعندما خبئت قبلة الروح عن الأنظار ، فإن كل جماعة قد اتجهت إلى ناحية ما .

تمثيل الأساليب المختلفة والهمم المتباينة باختلاف تحري

المتحرين للقبلة في الظلام ، وبحث الغواصين في قاع البحر

- إن مثلهم كمثّل القوم الذين يتحرون عن القبلة ، ويمضون على الظن نحو جهة ما .

٣٣٠- وعندما تسفر الكعبة عن وجهها في الصباح ، يتكشف لهم أنهم قد ضلوا الطريق .

- أو كالغواصين في قاع البحر ، يجمع كل منهم شيئاً ما بعجلة .

- وعندما يخرجون من قاع البحر العميق ، يتكشف من هو صاحب الدر العظيم .

- وأن آخر قد حمل درا صغيراً ، وثالثاً قد حمل حصي وسبه (١).

٣٣٥- " هكذا نبلوهم بالساهرة ، فتنة ذات افتضاح قاهرة " (٢) .

- وهكذا فإن كل قوم كأنهم الفراش ، خافقون بأجنحتهم حول شمعة من شموع الدنيا .

- وإنهم ليكون أنفسهم في النيران ، ويطوفون حول شموع النفس .

(١) سبه معرب شبه حجر رخيص وقيل الجزع اليماني .

(٢) بالعربية في المتن الفارسي .

- وذلك على رجاء نار موسوية الإقبال ، من لهيبها يشتد اخضرار الأشجار .
- لقد سمعت كل جماعة عن فضل تلك النيران ، وظنوا جميعا كل شرارة إياها .
- ٣٤٠- وعندما يسطع فجر نور الخلود ، يبدو لكل منهم أى شمع كان " يطوف حوله " .
- وكل من أحرق جناحه من شمع الظفر ذاك ، يعطيه ذلك الشمع السعيد ثمانين جناحاً .
- وطائفة الفراش التي أغمضت كلتا العينين ، وبقيت تحت شمع السوء محترقة الجناح .
- تتقلب في الندم والحرقلة ، وتطلق الآهات من الهوى الذى يغمض العينين
- ويقول له الشمع : مادمتم أنا نفسي قد احترقت ، فمتى أنجيك من الحرقلة والجور .
- ٣٤٥- إن شمعك باكٍ لايفتأ يقول : إنني محترق الرأس ، فمن أين لي أن أضيء للغير ؟

تفسير : يا حسرتنا على العباد

- إنه لا يزال يقول له : إنني من منظرك قد اغتررت ، لكن مخبرك قد رأيته متأخرا .
- والشمع الميت الذى أضاعه الريح ، والذى سلب قلوبنا ، قد تمزق من اعوجاج رؤيتنا .
- " ظلت الأرواح خسرا مغرما ، تشتكي شكوى إلى الله العمى

- حبذا أرواح إخوان تقــــات ، مسلمــــات مؤمنــــات قانتات " (١)
- ٣٥٠- إن كل جماعة قد اتجهت إلى ناحية ما ، وأولئك الأعزاء قد اتجهوا إلى لا صوب .
- وكل حمامة تطير نحو جهة ما ، وهذه الحمامة تطير نحو الجهة التي لا جهة فيها . (٢)
- فلسنا نحن بطيور الهواء ولا طيور المنازل ، وإن حبوبنا هي تلك الحبوب التي لا حبوب فيها .
- ومن هنا فقد صار رزقنا واسعاً ، ذلك أن خياطة القباء بالنسبة لنا هي تمزيقنا إياه .

سبب تسمية الفرجية بهذا الاسم من البداية

- مزق أحد الصوفية جيبه عند حرج ، فحدث له من بعد هذا التمزيق الفرج .
- ٣٥٥- فسمى تلك الجبة الممزقة بالفرجية ، فشاع هذا اللقب من ذلك الرجل النجي .
- لقد شاع اللقب ، وأخذ الشيخ صفاءه، أما الذى بقى في طبع الخلق فهو اللفظ ، وهو الثمالة .
- وهكذا فكل من كان له اسم صاف ، ترك هذا الاسم وكأنه الكدر .
- وكل آكل للطين قد أخذ الثمالة ، ومضى الصوفي حو الصفاء دون دهشة أو عجب .

(١) بالعربية في المتن الفارسي .

(٢) ج/١١-١٩٠:- وكل عقاب يطير من مكان إلى آخر ، وجزاء هذه العقبان حقيقة هو اللامكان .

- وقال : لابد للكدر من صفاء ، ومن هنا فإن القلب يدل على الصفاء ، ويمضي إليه .

٣٦٠- إن الكدر عسر ، وصفاءه هو اليسر ، والصفاء كالرطب ، والكدر كالبسر .

- واليسر مع العسر ، فانتبه ولا تكن قانطرا ، وفي هذا الممات ، لك طريق إلى المعاش .

- فإذا كنت تريد الروح مزق الجبة ، حتى تطل برأسك من ذلك الصفاء سريعا .

- والصوفي هو الذى يكون طالبا للصفاء ، ليس الصوفي من لباس الصوف وحيافته واللوامة .

- لقد صار الصوفي عند أولئك اللئام : " الخياطة واللوامة والسلام " (١)
٣٦٥- وعلى خيال ذلك الصفاء والاسم الطيب ، يكون ارتداء الألوان طيبا ، لكن :

- إذا مضيت على خياله نحو أصله ، لا على مثال عباد الخيال ، مرحلة بعد مرحلة " من الخيال "

- فالخيال هو حارس الغيرة ، يدور حول مريم الجمال .

- وقد منع كل باحث ، قائلا له : لا طريق ، ، وكل خيال يقف دونه قائلا : قف

- اللهم إلا ذلك الحاد السمع الحاد الذهن ، الذى يكون له التأييد من جيش نصرته

٣٧٠- إنه لا يهلع من الخيالات ويصير ملكا ، يبدى سهم الملك ، ثم

يمضي في الطريق . (٢)

(١) بالعربية في المتن الفارسي .

(٢) ج/١١-١٩٢ :- كل من يكون في يده سهم الملك ، يجد الطريق ويمضي نحو المنزل . ثم عنوان "

مناجاة " يليه بيت :-

- فدير من أجل هذا القلب الحائر الضال ، وهب تلك الأقواس المنحنية
سهما .

- لقد سكبت جرعة من هذه الكأس خفية ، على أرض التراب " من كأس
الكرام " (١).

- وعلى الوجه والجداول دليل من جرعتـه ، والملوك يلـعقـون التراب من
جرائها .

- إن جرعة الحسن في هذا التراب الجميل ، هي التي تقبلها أنت ليل نهار
بمئة قلب .

٣٧٥- والجرعة الممتزجة بالتراب ، إذا كانت تصنع أمثال المجنون ، ماذا تفعل
بك إذا كانت صافية "دون تراب " ؟!

- وكل امريء ممزق الثياب " وجدا وولها " أمام قطعة من المدر ، فإن هذا
المدر تجرع جرعة من الحسن - فجرعة على القمر والشمس والحمـل ،
وجرعة على العرش والكرسي وزحل .

- أتسميها جرعة ويا للعجب أو كيمياء ؟! فمن تأثيرها يوجد العديد من
البهاء !!

- فاطلب تأثيرها بجد يا ذا الفنون ، لا يمس ذاك إلا المطهرون .

٣٨٠- فجرعة على الذهب وعلى الياقوت والدرر ، وجرعة على الخمر وعلى
النقل والثمار .

- وجرعة على وجوه الحسان الجميلات ، فما بالك إذن بما يكون رائقا
صافيا ؟!

=أيها القديم ذو المنن العالم بالسـر ، نحن في طريقك عاجزون وممتحنون .
(١) ما بين القوسين بالعربية في المتن الفارسي .

- فإذا كنت تعلق هذه بلسانك ، فكيف بك إذا رأيتها دون طين ؟!
- وعند الموت عندما تنفصل جرعة الصفاء هذه عن الجسد بالموت ؛
- فإن ما يتبقى بعدها تقوم بدفنه سريعاً ، فكيف كان مثل هذا القبح مع هذا " الجمال " ؟!
- ٣٨٥- وعندما تبدى الروح جمالها بدون هذه الجيفة ، فإنني لا أستطيع أن أعبر لك عن لطف ذلك الوصال .
- وعندما يبدى القمر لطفه بدون هذا السحاب ، فإنه لا يمكن التعبير عن شأنه وأبهته .
- فما أجمله من مطبخ ، ذلك المليء بالشهد والسكر ، ويكون السلاطين لاعقين للأطباق فيه .
- وحبذا بيادر صحراء الدين هذه ، والتي يكون كل بيدر بالنسبة لها لاقط حب .
- وما أجمله من بحر للعمر هذا ، خالٍ من الأحزان ، والذي تكون البحار السبعة بالنسبة له قطرة طل .
- ٣٩٠- وعندما صب ساقى يوم العهد جرعة على هذا الحمأ المسنون الدني ؛
- جاش ذلك التراب وجشنا من ذلك الغليان ، فجرعة أخرى - ياإلهي - فقد قل منا الجهد .
- فلو كان جائزاً لي ، لشكوت مر الشكوى من العدم ، وإن لم يكن هذا بالذى يقال ، فقد سلمت .
- إن هذا هو بيان البط المنشئي من الحرص ، فتعلم من الخليل ﷺ أن البط جدير بالقتل .
- وفي البط غير هذا كثير من الخير والشر ، لكنني أخشى أن يفوتنى الحديث "عن الطيور الأخرى" .

وصف الطاووس وطبعه وسبب قتل إبراهيم عليه السلام إياه

٣٩٥- لقد جئنا الآن إلى الطاووس ذي اللونين ، الذى يتجلى بالنسبة للشرف وبالنسبة للعار .

- إن همته هى صيد الخلق من طيبين وأشرار ، لكنه غافل عن نتيجة هذا الصيد وفائدته .

- والشبكة لا علم لها عندما تأخذ الصيد ، فأى علم للشبكة بالمقصود من العمل ؟
- وأى نفع للشبكة من الصيد وأى ضرر ؟ إنني فى دهشة من أخذها هذا الذى لانفع فيه !!

- أيها الأخ ، لقد اتخذت كثيرا من الأصدقاء ، بأنواع كثيرة من التحبيب ،
(١) ثم تركتهم ومضيت .

٤٠٠- وكان هذا عمالك منذ أن ولدت ، كان صيد الناس بشبكة الوداد .
- ومن كل هذا الصيد ، والتكديس ، والكبرياء والوجود ، ابحث بيدك فيه ،
لن تجد خيطا واحدا ذا سدى ولحمة .
- لقد مضى أكثر الوقت ، واليوم فى آخره ، وأنت لا تزال تجد فى صيد الخلق .

- فهيا داوم على أخذ هذا فى شبكتك وترك ذاك ، وهيا صد ذلك الآخر مثل اللئام .

- ثم اترك هذا وابحث عن آخر ، وهاك لعب الأطفال الغافلين .

(١) حرفيا : بمائتي تحبيب .

٤٠٥- ويحط الليل ، ولا صيدٌ واحدٌ في شبكتك ، وليست شبكتك إلا صداد لك وقيـد .

- بل تكون قد صدت نفسك بالشبكة ، وبقيت حبيسا محروما من أمانيك .
- فهل يمكن أن يكون في هذا الزمان أحقق مثلنا يكون صاحب شبكة ، ويقوم بصيد نفسه ؟

- ولما كان صيد العوام كصيد الخنازير ، بعد تعب لا حد له ، يكون الأكل منه حراما .

- وإن ما يستحق الصيد هو العشق فحسب ، لكن متى تسعه شبكة أحد ؟
٤١٠- اللهم إلا أن تأتي أنت وتصبح صيدا لـه ، وتترك شبكتك ، وتمضي إلى شبكته .

- وإن العشق لا يفتأ يهمس لي في أذني: أن تكون صيدا خير من أن تكون صيادا .

- فاجعل نفسك مخدوعا بي ، واغتر ، ودعك من تصور نفسك شمسا ، وكن ذرة .

- كن ساكنا على بابي ، وكن بلا دار ، ولا تدع أنك شمعة ، وكن فراشة .
- وذلك حتى ترى طعم الحياة ، وترى السلطنة مستترة في العبودية .
٤١٥- وإنك لترى الأمور مقلوبة في الدنيا ، وقد لقبت من هم في الجبيرة بالملوك .

- فكثير من الحبال في عنقه ، والتاج مشنقة ، وحوله جماعة من الناس في صياح : هاكم الملك المتوج .

- إنه مثل قبور الكفار ظاهره مزدان بالحلل ، لكن في باطنه قهر الله عز وجل
- وعندما زينوا قبورهم بالجص ، أسدلوا عليها حجابا من الظن .

- وطبعك المسكين عليه قشرة جص من الفضل ، كأنه نخلة من الشمع ، لا ورق ولا ثمر .

**في بيان أن كل إنسان يعرف لطف الحق وكل إنسان يعرف
قهر الحق ، وكلهم متعلقون بلطف الحق هاربون من قهر الحق ،
لكن الحق تعالى أخفى أنواعا من القهر في لطفه وأنواعا
من اللطف في قهره ، فهو قلب للزهر، ومكر من الله حتى يميز
أهل التمييز الذين ينظرون بنور الله من الناظرين إلى الحاضر
والظاهر ، مصداقا لقوله تعالى : (ليبلوكم أيكم أحسن عملا)**

٤٢٠- قال أحد الدراويش لدرويش آخر : كيف رأيت حضرة الحق ؟
أخبرني .

- قال : رأيتها بلا كيف ، لكن من أجل التعبير بالمقال ، لأذكر نبذة عنها ،
وعلى سبيل المثال .

- رأيت على يساره نارا ، وعلى يمينه نهرا من الكوثر .
- على يساره ، رأيت نارا محرقة للعالم ، وعلى يمينه ، رأيت نهرا من
السعادة .

- ورأيت جماعة مدت الأيدي نحو تلك النيران ، وجماعة أخرى في سرور
ونشوة من أجل ذلك الكوثر .

٤٢٥- لكن هناك لعبة مقلوبة تماما ، موجودة أمام قدم كل شقي وسعيد .
- فكل من كان يمضي صوب النار والشرر ، كان يرفع رأسه من بين الماء ،

- وكل من كان منهم يمضي نحو النهر ، كان يتواجد في النار في التو واللحظة .

- وكل من كان يمضي صوب اليمين والماء الزلال ، أطل برأسه من النار من ناحية الشمال .

- وكل من مضى صوب الشمال الناري ، أطل برأسه من ناحية اليمين .
٤٣٠- وقليل ما هم أولئك الذين أدركوا هذا السر المستتر ، فلا جرم أن قليلا هم الذين مضوا صوب تلك النار

- اللهم إلا ذلك الذي انصب على رأسه الإقبال ، فترك الماء وأسرع نحو النار .

- لقد جعل " الله " لذة الحاضر معبودة عند الخلق ، فلا جرم أن أصابهم الغبن من ذلك المكر .

- لأنهم من الحرص والغفلة محترزون من النار ، هاربون صوب الماء ، طائفة بعد طائفة ، وصفا بعد صف .

- فلا جرم أن أطلوا برؤوسهم من النار ، فيا أيها الغافل ، اعتبر ، اعتبر من هذا .

٤٣٥- وكانت النار تنادي : أيها الذاهلون المخدوعون ، إنني لست النار ، إنني نبع القبول .

- لقد وضعوا كمامة على العيون يا عديمي النظر ، هلموا إليّ ، ولا تهربوا من الشرر .

- أيها الخليل ، لا شرر هناك ولا دخان ، ليس ما تراه هنا إلا سحر النمرود وخداعه .

- وإذا كنت أرييا ذكيا كالخليل فالنار ماءٌ بالنسبة لك ، وأنت فراشة " تلك النار " .

- وروح الفراشة لا تفتأ تنادى وتهتف : وآسفاه ، ليتّه كان لي مائة ألف جناح .
٤٤٠- إذن لا احترقت كلها في النار بلا استغاثة ، برغم أنوف من ليسوا بأهل وقلوبهم .

- إن الجاهل يشفق على من حماريته ، بينما أشفق عليه أنا ، من قوة بصيرتي .

- خاصة تلك النار التي هي روح الماء ، وإن أمر الفراش على عكس أمورنا .

- إنها ترى النور فتمضي إلى النار ، والقلب يرى النار ويمضي صوب النور .

- ومثل هذا المكر يأتي من الرب الجليل ، حتى تعرف من هو من آل الخليل .

٤٤٥- لقد جعلوا النار على شكل الماء ، وفجروا عين ماء من داخل النيران .

- وإن الساحر ليبدى بفته طبقا مليئا بالأرز كأنه مليء بالدود على رؤوس الأشهاد .

- ويبدى الدار مليئة بالعقارب من نفثات سحره ، ولا وجود فيها لعقرب واحد .

- وما دام الساحر يبدى هذا ومئات من أمثاله ، فكيف يكون إذن مكر خالق السحرة ؟!

- فلا جرم أنهم من سحر الخالق ، قد سقطوا قرنا بعد قرن مستسلمين ، استسلام المرأة لزوجها .

٤٥- وكان سحرتهم عبيدا وغلما ، وقد سقطوا كما تسقط الصعوة في الشبكة .

- فهيا ، واقرأ من القرآن ، وشاهد السحر الحلال ، وانقلاب أنواع المكر الذي كالجبال .

- ولست بفرعون حتى آتي نحو ماء النيل ، ولأَمْض نحو النيران كأنني الخليل .

- فهي ليست بنار ، إنها الماء المعين ، أما ذلك الماء فمن المكر ، تحول إلى ماء نارى .

- ومن ثم فما أطيب ما قاله ذلك الرسول الذى أحل الطيبات ، ذرة من العقل أفضل من الصوم والصلاة .

٤٥٥- ذلك أن العقل جوهر فيك وهذان عرضان ، ومن المفروض أن يكمل العقل هذان .

- حتى يكونا كالصقل بالنسبة لتلك المرأة ، فإن الصدر يشرح من الطاعة بالصفاء .

- لكن المرأة إن كانت فاسدة من الأساس ، فإن الصقل يؤتي أكله فيها متأخرا .

- لكن تلك المرأة المختارة حسنة الأصل ، يكفيها قليل من الصقل .

**تفاوت العقول من أصل الفطرة خلافا للمعتزلة الذين
يقولون أن العقول الجزئية في الأصل متساوية ، وأن هذه
الزيادة والتفاوت من التعلم والرياضة والتجربة**

- إعلم جيدا أن تفاوت العقول هذا " موجود " ، ومراتبه من الأرض حتى السماء .

٤٦٠- فهناك عقل مثل قرص الشمس ، وهناك عقل أقل من الزهرة والشهاب .

- وهناك عقل كمصباح عند ثمل ، وهناك عقل مثل نجم من النار .
- ذلك أن السحاب عندما ينقشع من أمام " المرء " ، فلينظر إلى نور الله ،
يهب " الناس " العقول .(١)

- ولقد أساء العقل الجزئي إلى العقل " الكلي " ، وشهوة الدنيا جعلت
المرء محروما .

- فذاك العقل رأى من الصيد حسن الصياد ، وهذا العقل لكونه صيادا
يحمل هم الصيد .

٤٦٥- وذاك العقل من الخدمة ، وجد الدلال من المخدم ، وهذا لكونه
مخدوما ، حاد عن طريق العز .

- وذاك العقل من فرعونيته صار أسيرا للماء ، وهذا من معاناته الأسر ، صار
من الأسباط وسيدا عليه .(٢)

(١) ج/١١-٢١٤:- وإن عقول الخلق على عكس عقله ، إن عقله مسك وعقول الخلق رائحته .- والعقل الكلي
والنفس الكلية هو رجل الله ، فلا تعتبرن العرش والكرسي شيئا غيره .- وذاته الطاهرة هي مظهر الحق ،
فاطلب الحق منه لا من غيره .

(٢) الترجمة هنا من نسخة جعفرى لأنها أكثر وضوحا ومنطقية من نسخة نيكلسون .

- إن اللعب معكوس هنا ، وحصان " الشطرنج " مقيد تماما ، فقلل من احتيالك ، فالأمر أمر إقبال وحظ .
- وقلل نسج سدى " أعمالك " ولحمتها على المكر والحيلة ، فإن الغنى قليلا ما يعطي الطريق للماكر .
- ولتمكر ، لكن في سبيل حسن الخدمة ، حتى تجد " دور " النبوة في الأمة .
- ٤٧٠- ولتمكر حتى تتخلص من هذا المـكـر ، ولتمكر حتى تتفصل عن الجسد .
- ولتمكر حتى تصبح أقل العباد ، وتمضي في التواضع والقلة لتصبح سيـدا .
- ولا تقوم بأعمال الثعالب أيها الذئب العجوز ، لا تقم بها أبدا قاصدا السيادة .
- لكن كن كالفراشة ، واهجم على النار ، ولا تتجاوز هذا الأمر ، واللعب بطهر .
- واترك القوة ، وكن عاكفا على الضراعة ، فإن الرحمة تنصب على المتضرع أيها الفقير .
- ٤٧٥- ضراعة المضطر الظمآن إلى المعاني ، لا ضراعة ذلك الغوى الباردة الكاذبة .
- وإن بكاء إخوة يوسف ﷺ مجرد حيلة ، لأن بواطنهم كانت مليئة بالحسد والمرض .

- حكاية ذلك الأعرابي الذي كان كلبه يموت جوعاً ، بينما خرجته**
مليئاً بالخبز ، وأخذ ينوم على الكلب وينشد فيه الشعر ، ويبكي
ويلطم رأسه ووجهه ، بينما يبخل عن إعطاء الكلب لقمة من الخبز
- كان ذلك الكلب يحتضر ، وذلك الأعرابي كان منهمكا في البكاء ، كان يذرف الدمع ويصيح : واكرباه (١)
- فمر به أحدهم وسأله : ماهذا البكاء ؟ ولماذا تتجوح وتصرخ ؟
- قال : كان عندي كلب حسن الخصال ، وها هو الآن يحتضر وسط الطريق .
- ٤٨٠- كان صيادي في نهاري وحارسي في ليلي ، فهو حاد البصر ، أخذ للصيد ، خير باللصوص (٢).
- قال : مم يشكو ؟ وهل طعنه أحد ؟ قال : بل الجوع قد هدد من قواه .
- قال : فاصبر إذن على هذا الألم والخسارة والحَرَض ، فإن فضل الحق يهب الصابرين العوض .
- ثم قال له : أيها السيد الحر ، ما هذا الخرج المليء في يدك ؟
- قال : إنه خبز وزاد ولحم كتف من أجلي ، أحمله معي لكي يتقوى به بدني .
- ٤٨٥- قال : وكيف لا تعطي ذلك الكلب الخبز والزاد ؟ قل : إلى هذا الحد لم يبلغ بي العطاء والوداد .
- فالحصول على الخبز لا يتأتى دون دراهم ، أما دمع العينين فبالمجان .

(١) ج/١١-٢١٧:- ماذا أفعل ياترى ؟ وما التدبير يا رب ، وكيف أستطيع الحياة بدونك بعد ذلك ؟

(٢) ج/١١-٢١٧:- كان يصيد الصيد ويحتفظ به من أجلي ، ولم يكن يترك لصا يقترب مني .

- قال : ليفضحك الله أيتها القربة الممتلئة بالريح ، فإن لقمة الخبز أفضل لديك من الدمع !!

- والدمع دم ، حوله الحزن إلى ماء ، وألا يساوى الدم المسفوك هدر التراب " الذى سفك عليه " ؟

- لقد جعله كله ذليلاً مثل إبليس ، والجزء من هذا الكل ، لا يكون إلا خسيساً .
٤٩٠- وأنا غلام لذلك الذى لا يبيع الوجود ، إلا لذلك السلطان ذى الأفضال والجلود .

- وعندما يبكي ، تكون السماء باكية من أجله ، وعندما يشكو ، يكون الفلك داعياً معه .

- وأنا غلام لذلك النحاس العابد للهمة ، ذلك الذى لا ينكسر ، إلا إذا عرض على الكيمياء .

- فارفع في الدعاء يدا كسيرة ، ذلك أن فضل الله يمضي طائراً نحو الكسير .

- وإذا كنت تريد النجاة من هذا الجب السحيق ، فامض أيها الأخ فوق النار دون تأخير .

٤٩٥- وانظر إلى مكر الله ، ودعك من مكرك ، يا من مكره يزرى بمكر الماكرين .

- وعندما يفنى مكرك في مكر الرب ، فإنك تفتح كميناً شديداً العجب .

- وأقل ما في هذا الكمين يكون البقاء ، وتظل إلى الأبد في عروج وارتقاء .^(١)

(١) ج/١١-٢١٨:- وابنل جهدا ما من أجل هذا الكمين ، حتى تشم شذى من العلم اللدنى . - وإن كنت تعلم أحوال عروجك جيداً ، فإن هذا يكون خيراً بالنسبة لك .

**في بيان أنه لا توجد عين مؤذية للإنسان بقدر العين التي
ينظر بها إلى نفسه بعجب ، اللهم إلا إذا بدلت عينه بنور
الحق مصداقا لـ : بي يسمع وبى يبصر ، وصارت نفسه
بلا نفس**

- لا تنظر إلى جناح طاووسك وانظر إلى قدمه ، حتى لا يفتح لك " سوء النظر " كمينا .
- فإن الجبل ينزلق من عيون الحاسدين ، وقرأ من القرآن ﴿ يزلقونك ﴾ واعلم .
- ٥٠٠- ومن نظرة انزلق أحمد ﷺ وهو كالجبل ، وذلك في طريق لا طين فيه ، ولا مطر .
- ولقد بقي مندهشا " متسائلا " : من أى شيء هذا الإنزلاق ؟ إنني لا أظن هذا الحال يخلو " من سر " .
- حتى نزلت الآية ، وعلم أن ذلك الذى حدث له من عين السوء ، ومن الحقد والحسد .
- " وخاطبه ربه قائلا " : لو كان غيرك لفنى في التو واللحظة ، ولكان صيدا للعين وسخرة للفناء . (١)

(١) ج/١١-٢٢٢:- فاعلم معنى عين السوء آخر الأمر ، ومن عين السوء ، اقرأ ﴿ وإن يكاد ﴾

- لكن عصمة ساعية سابغة خفت إليك ، أما انزلاقك فكان من أجل إعطاء العلامة والدليل .

٥٠٥- فاعتبر ، وانظر إلى ذلك الجبل ، ولا تعرض قدرتك ، يا أقل من قشة .

تفسير « وإن يكاد الذين كفروا ليزلقونك بأبصارهم »

- يا رسول الله ، إن في هذا الجمع أناسا ، يصيبون النصور " الطائرة " بعيونهم الحسود .

- ومن نظراتهم تتشق رأس أسد العرين ، بحيث يئن ذلك الأسد ويتوجع .

- إن أحدهم ليصب نظرة على الجمل كالحمام ، ثم يرسل غلامه في أثره .

- ويقول له : إمض ، واشتر من شحم هذا الجمل ، فيرى الجمل وقد سقط في عرض الطريق .

٥١٠- وقد ذبح ذلك الجمل من مرض " عارض " ، وكان يسابق الجواد في عدوه .

- ومن الحسد ، ومن عين سوء بلا شك ، يحول الفلك سيره وطوافه .

- والماء خفي والساقية ظاهرة ، وفي الدوران يكون الماء هوأ صل العمل .

- والعين الطيبة دواء للعين الشريرة ، فإنها تفني عين سوء وتدوسها بالأقدام .

- وسبق الرحمة حق وصدق ، وهي أى عين الرحمة من الرحمة ، وعين
السوء نتيجة للقهر واللعنة .

٥١٥- ورحمته تصير غالبية على نعمته ، ومن هنا انتصر كل نبي على
خصمه .

-ذلك أنه من نتاج الرحمة ، وخصمه ذلك القبيح الخصال من نتاج القهر
واللعنة .

- وإن حرص البط لحرص واحد ، وحرص ذلك " الطاووس " خمسون طبقة ،
والحرص على الشهوة حية ، أما الحرص على المنصب فأفعوان .

- وحرص البط من شهوة الحلق والفرج ، وفي الرياسة يضمّر عشرون ضعف
لهذا " الحرص " .

- وإنه ليدعي الألوهية من جاهه لاهيا وعابثا ، ومتى يُعافى ذلك
الطامع في الشراكة ؟

٥٢٠- ولقد كانت زلة آدم من البطن والباه ، أما زلة إبليس فكانت من
التكبر والجاه .

- فلا جرم أن آدم قد سارع في الاستغفار ، بينما استكبر ذلك اللعين عن
التوبة .

- إن حرص الفرج والحلق سوء جبلية ، لكنه ليس تعاليا واستكبارا ، إنه
تنزل .

- "ولحرص" الرياسة هذا جذور وفروع ، إن تحدثت عنها تفصيلا ، للزم لها
دفتر خاص .

- ولقد سمى العرب الجواد الشموس شيطانا ، وليس الدابة التي تبقى في
مرعاها

٥٢٥- والشيطنة لغة هي العصيان والاستكبار ، ومن هنا استحققت هذه الصفة اللعينة .

- وإن مائة من الآكلين يستطيعون الجلوس حول مائدة واحدة ، لكن الدنيا لاتسع اثنين من طلاب الرئاسة .

- فكلاهما لا يريد للآخر أن يظل على وجه الأرض ، حتى أن الملك ليقتل والده خوفا من منازعته إياه .

- ألم تسمع ما قيل من أن الملك عقيم ، إن طالب الملك ليقطعن رحمه من الخوف .

- إنه عقيم ، لا نسل له ولا إبن ، كأنه النار لا علاقة له بأحد .

٥٣٠- وكل ما تجده تحرقه وتشنته بددا ، وعندما لا تجد ما تأكله ، تأكل نفسها .

- فكن هباءً ، وانجُ من بين مخالبيها ، وقلل طلب الرحمة من قلبها الذي يشبه السندان .

- وما دمت قد صرت هباءً ، لاتخش السندان ، وخذ الدرس كل صباح من الفقر المطلق .

- والألوهية رداء ذى الجلال ، وكل من يرتديه ، ينقلب عليه وبالا .

- والتاج له ، ولنا حزام " الخدمة " ، وويل لذلك الذى يجاوز حده .

٥٣٥- وهو فتنة لك ذلك الجناح الطاووسي ، إنه " يقول لك " : لقد وجبت لك الشركة ، وجاز لك التقديس .

**قصة ذلك الحكيم الذي رأى طاووسا ينزع جناحه الجميل
بمنقاره ، ويجعل جسده عاريا أقرع قبيحا ، فسأله
متعجبا : ألن تندم ؟ قال : لأندم ، لكن الروم عندي أعز
من الجنام ، وهو عدو لروحي**

- لقد أخذ طاووس ينزع ريشه في واد من الوديان ، وكان أحد الحكماء قد ذهب
منتزها إلى ذلك المكان .

- فقال : أيها الطاووس ، كيف تنزع هذا الجناح السنى من أساسه دون أن
يعتريك ندم ؟

- وكيف يطاوعك قلبك على خلع هذه الحل ، ثم تلقي بها هكذا في الوحل ؟

- إن كل ريشة منه يضعها الحافظون في المصحف إعزازا لها وقبولا .

٥٤٠- ومن أجل الاسترواح بالهواء النافع العليل ، يصنعون من ريشك هذا
المراوح .

- فما كل هذا الجحود ؟ وما كل هذه الجرأة ؟ ألا تعلم من هو الذى صورك
ونقشك ؟

- أو أنك ربما تعرف ، لكنك تبدى الدلال ، وتقوم عامدا بإزالة الزينة التي
عليك !!

- وما أكثر المدللين الذين أسقطهم هذا الذنب من عين المليك .

- وإبداء الدلال يكون في طعمه أحلى من السكر ، لكن قلل من قضمه ، ففيه
مائة خطر .

٥٤٥- وطريق الضراعة ذاك عمران آمن ، فاترك التدلل ، وتواءم مع هذا
الطريق .

- وما أكثر المتدللين الذين قطعوا أجنحتهم وقوادهمهم ، وصار ذلك في النهاية وبالا عليهم .

- وإذا كانت لذة التدلل قد رفعتك لحظة ، فإن الخوف والرعب الكامنين فيها لا يلبثا أن يذيباك .

- وهذه الضراعة بالرغم من أنها تصيبك بالنحول ، فإنها تجعل الصدر كأنه البدر الأنور .

- فإذا كان " الله سبحانه وتعالى " يخرج الحي من الميت ، فكل من صار ميتا ، صار له الرشد .

٥٥٠- فصر ميتا ، حتى يخرج الحي من هذا الميت ، المخرج الحي الصمد .

- وما دام يخرج الميت من الحي ، فإن نفس الحي لا تفتأ تطوف حول الموتى .

- ولتصبح شتاءً لترى إخراج الربيع ، ولتتحول إلى ليل لترى إيلاج النهار .

- ولا تنزع هذا الجناح فهو لا يقبل الرفو والرتق ، ولا تخمش وجهك حدادا يا جميل الوجه .

- فإن مثل ذلك الوجه الذى يشبه شمس الضحى ، من الخطأ أن يتعرض للخمش .

٥٥٥- فإن آثار الأظافر على مثل ذلك الوجه من قبيل الكفر ، ذلك الوجه الذى يبكي فيه وجه لقمر من فراقه

- أولست ترى إذن وجهك هذا ؟ فاترك الطبع الباحث عن الجدل واللجاج .

في بيان أن صفاء النفس المطمئنة وبساطتها تصبح مشوشة من

الفكر ، كما أنك إن كتبت شيئاً على وجه مرآة أو رسمت شيئاً

عليه ، يبقى أثر عليها ونقطان ، مهما قمت بمحــوـه

- إن وجه النفس المطمئنة في الجسد ، تقوم بخمشها أظافر
الفكر .

- فاعلم أن الفكرة السيئة أظافر مليئة بالسّم ، وهي تخمش وجه الروح
بعمق .

- وهو من أجل أن يفك عقدة المشكّلات ، جعل القوادم الذهبية ملقاة في
الحدث . (١)

٥٦٠- فاعتبر العقدة محلولة أيها المنتهي ، إنها عقدة صعبة وشديدة على كيس
فارغ .

- ولقد شخت في حل العقد ، فاعتبر عدداً آخر من العقد قد حل .

- والعقدة التي تصبح صعبة على حلوقنا ، هي أن تعلم : هل أنت خسيس أو
صاحب إقبال .

- وحل هذا الإشكال إذن إن كنت آدمياً ، واجعل أنفاسك مصروفة على هذا ،
إن كنت من نفس آدم .

- واعتبر حدود الأعيان والأعراض أمورا معلومة ، لكن اعرف حدك ،
فلا مناص لك من هذا .

(١) كما عند جعفرى " ٢٣٣/١١ " وهي عند نيكلسون : ٣٨/٥ " الفأس الذهبية ولا معنى لها ، كما أنه أمال
كلمة بال بمعنى جناح لتكون بيل أى فأس دون داع من الوزن أو القافية .

٥٦٥- وعندما تعرف حدك، عليك بالفرار من هذا الحد، حتى تصل إلى اللاحد ،
يا ناخلا للتراب .

- لقد ضاع العمر في الحديث عن المحمول والموضوع ، ويا فاقد البصيرة ، لقد
ضاع عمرك في " المنقول " والمسموع .

- وكل دليل لا نتيجة منه ولا أثر له باطل ، فامعن النظر فيما نتج عنك .
- وإنك لم تر صانعاً إلا عن طريق مصنوع ، وأنت قانع بقياس
إقترانسي .

- والمشتغل بالفلسفة يزيد في الوسائط ، لكن الصفي على عكسه فيما يتعلق
بالدلائل .

٥٧٠- فهو يفر من الدليل ومن الحجاب ، ولقد طأطأ متفكراً ، رأسه في
جيبه ، من أجل المدلول .

- وإذا كان الدخان دليلاً على النار ، فأولى بنا الدخول في نار بلا
دخان .

- خاصة تلك النار التي هي من القرب والولاء ، تكون أقرب إلينا من
الدخان .

- ومن ثم فمن سواد الفعل ، المضي عن الروح صوب الدخان ، من أجل
تصورات هذه الروح .

في بيان قول الرسول ﷺ : لا رهبانية في الإسلام

- لا تقتلع الجناح ، بل اصرف قلبك عنه ، ذلك أن شرط هذا الجهاد هو " وجود
" العدو " .

٥٧٥- وعندما لا يكون عدو فالجهاد محال ، وإن لم تكن شهوة ، لا يكون هناك إمتثال .

- ولا يكون صبر عندما لا يكون لديك ميل ، وعندما لا يوجد خصم ، ما الحاجة إلى قيامك بالإحتيال .

-فانتبه ، ولا تجعل نفسك خصيا ، ولا تصر راهبا ، ذلك أن العفة رهينة " بوجود " الشهوة .

- ولا يمكن النهي عن الهوى إن ام يوجد هوى ، ولا يمكن القيام بالغزو ضد الموتى .

- لقد قال " أنفقوا " ، إذن " فاكسبوا " أولا ، ذلك أنه لا نفقة دون أن يسبقها دخل .

٥٨٠- فإذا كان قد قال " أنفقوا " على الإطلاق ، فاقراها أنت " إكسبوا " ثم " أنفقوا " .

- وكذلك عندما قال " اصبروا " ، ينبغي أن تكون هناك رغبة ، حتى تشيح عنها بالوجه .

- إذن فإن " كلوا " من أجل شراك الشهوة ، وبعدها " لا تسرفوا " وهذه هي العفة .

- وعندما لا يكون هناك محمول به لدى " المرء " ، لا يكون ممكنا أن يوجد المحمول عليه .

- وعندما لا تكون لديك مشقة في الصبر ، ليس شرطا أن ينزل عليك الجزاء .

٥٨٥- حبذا ذلك الشرط ، وما أسعده ذلك الجزاء ، ذلك الجزاء الذى يلاطف القلب ويزيد في الروح .

في بيان أن ثواب عمل العاشق من الحق هو الحق نفسه

- إنه هو فرح العاشقين وترحمهم ، وهو أيضا الأجر ، وثواب الطاعة والخدمة
- وإذا كان غير المعشوق قابلا للرؤية ، لا يكون هذا عشقا ، بل شهوة عابثة
- والعشق هو تلك الشعلة التي عندما تشتعل ، تحرق كل ما تبقى غير المعشوق
- لقد سل سيف "لا" في سبيل قتل ما سوى الحق ، فانظر ماذا تبقى من بعد "لا"
- ٥٩٠- لقد تبقى "إلا الله" ، ومضى كل ما هو سواه ، فلتهنأ أيها العشق العظيم ، يا مهلك الشرك .

- بل إنه هو نفسه الذي يبقى أولا وأخيرا ، ولا تعتبر الشرك إلا من نظرة الأحوال .

- فواعجبا ، هل ثم حسن دون أن يكون انعكاسا من حسنه ؟ فليس للجسد حركة من غير الروح .

- وذلك الجسد الذي تكون في روحه الخل ، لا يكون حلوا ، وإن نفعته وربيته في العسل .

- ويعلم ذلك الشخص أنه كان حيا ، في ذلك اليوم الذي اختطف فيه كأسا من كف روح الروح .

٥٩٥- وذلك الذي لم تر عيناه ذلك الوجه ، تكون حرارة الدخان روحا بالنسبة له

- وما دام لم ير عمر بن عبد العزيز ، فإن الحجاج يكون أيضا عادلا في رأيه .

- وما دام لم ير ثبات حية موسى عليه السلام ، فإنه يظن حياة في حبال السحر .

- والطائر الذي لم يشرب من الماء الزلال ، يخفق بجناحيه في الماء المالح .

- ولا تمكن معرفة الشيء إلا بضده ، وعندما يذوق " المرء " الجراح ، يعرف الملاطفة والإكرام .

٦٠٠- فلا جرم أن الدنيا قد قُدمت ، حتى تعرف قدر إقليم " ألت " .

- وعندما تتجو من هذا المكان تمضي إلى هناك ، وتصير شاكرا في مصنع سكر الأبد .

- فتقول : لقد كنت هناك أقوم بنخل التراب ، وكنت هاربا نفورا من هذا العالم الطاهر . (١)

- وآسفاه ، ليتّه كان قد عجل لي في الأجل ، حتى يقل عذابي في الوحل والوجل . (٢)

في تفسير قول الرسول ﷺ : ما مات من مات إلا وتمنى أن يموت قبل

ما مات ، إن كان برا ليكون إلى وصول البر أعجل ، وإن كان

فاجرا ، ليقبل فجوره

- ومن هنا قال الرسول الخبير : إن كل من مات وترجل عن " مطية " الجسد ؛

٦٠٥- لا تكون لديه حسرة الانتقال والموت ، بل يحس بحسرة التقصير والفوت

- وإن كل من يموت ، تكون لديه هذه الأمنية ، وهي ليت أنه قبل هذا قد نقل مقصده ومقامه .

- ليكون قد قلل من شره إن كان شريرا ، وليكون مجيئه أسرع إلى دار القرار " إن كان تقيا .

(١) ج/١١-٢٤٥:- كنت قانعا من الكنز بالحية ، وكنت سعيدا من البستان بشوكة .

(٢) عند نيكلسون "٤٠/٥" وحل وعند جعفرى "٢٤٥/١١" وجل فجمعتهما معا .

- فيقول ذلك الفاجر : لقد كنت غافلا ، وكنت أزيد من الحجب لحظة بعد لحظة .

- فلو كان قد بُكر لي في العبور قليلا ، لكنت حجبى وأستارى أقل .

٦١٠- فقلل إذن من تمزيق الوجه القنوع حرصا ، وكفاك أيضا تمزيق الوجه الخشوع كبرياءا .

- وكفاك تمزيقا لوجه الجود بخلا ، ومن الإبلسية كفاك تمزيقا لوجه السجود الطيب .

- ولا تنزع ذلك الجناح المزين للخلد ، ولا تقتلع ذلك الجناح الذى يطوى الطريق .

- وعندما سمع " الطاووس " النصيحة نظر إليه ، ثم شرع في العويل والبكاء .

- نواحا وبكاءا متصلين بألم ، فبكى لبكائه كل من كان حاضرا .
٦١٥- وذلك الذى كان يسأل عن سبب نزع الجناح ، حار جوابا ، وأخذ يبكى ندما .

- قائلا : لماذا سألته من الفضول ؟ لقد كان حزينا ، وهيجت أحزانه .
- أخذ يذرف الدمع من العين الباكية فوق التراب ، وفي كل قطرة ، أدرج مائة جواب . (١)

- إن البكاء الصادق يصادف الروح ، ويجعل الفلك والعرش يبكيان . (٢)
- والعقول والقلوب عرشية بلا جدال ، تحيا في حجاب من نور العرش .

(١) ج/ ١١-٢٥٠:- أخذ يذرف الدمع من عينيه على التراب ، وكان التراب يتحول إلى طين من الدمع الهتون

(٢) ج/ ١١-٢٥٠:- والبكاء الذى لاصدق فيه لا وجد فيه ، ومن هنا يضحك منه الشيطان . والبكاء الذى

لا صدق فيه يكون بلاضياء ، إنه كالمخيض لا دسم فيه .

في بيان أن العقل والروح محبوسان في الماء والطين مثل

هاروت وماروت في جب بابل

٦٢٠- إن هذين الطاهرين - مثل هاروت وماروت - قد قيدا هناك في الجب المريع .

- إنهما في العالم السفلي والشهواني ، من الجرم ، صارا رهينة في هذا البئر .
- فالأطهار والأشرار يتعلمون منهما السحر وابطال السحر دون اختيار منهما .
- لكنهما في البداية يقومان بنصحه قائلين ، انتبه ، لا تتعلم السحر منا ، ولا تقتبسه .

- إننا نعلم هذا السحر يا فلان ، من أجل الابتلاء والامتحان .
٦٢٥- فشرط الامتحان هو الاختيار ، ولا اختيار هناك بلا إقتدار .
- والميول كالكلاب النائمة ، قد كمن فيها خيرها وشرها .
- وما لم تكن قدرة فهي نائمة في صفوف ، ومثل حزم الحطب ملقاة في استسلام
- حتى تبدو جيفة في الأفق ، فينفج على تلك الكلاب في صور الحرص .
- وعندما نفق حمار في تلك الحارة ، فقد استيقظ مائة كلب نائم من أجله .
٦٣٠- وأنواع الحرص المخفية في كتم الغيب ، بدأت في الهجوم ، وأطلت برؤوسها من جيوبها .

- وصارت كل شعرة من كل كلب أسنانا ، وكل كلب من الاحتيال ، صار مبصبا بذنبه .

- فنصفه الأسفل من الحيلة ، ونصفه الأعلى من الغضب ، كالنار الضعيفة عندما تجد الحطب .

- فتتواصل الشعل شعلة شعلة من اللامكان ، ويمضي دخان اللهب حتى السماء

- إن مائة من أمثال هذا الكلب قد ناموا في الجسد ، واختفوا ، مالم يكن لهم صيد .

٦٣٥- أو مثل طيور البازي قد خيبت أعينها ، واحترقت في حجاب من عشق الصيد .

- حتى ترفع الكمامة وترى الصيد ، فتقوم آنذاك بالتحليق حول سفوح الجبال
- وشهوة المريض تكون ساكنة ، لكن خاطرها لا يفتأ يمضي صوب الصحة
- وعندما ترى الخبز والتفاح والدابوق ، يتقاتلان معا لذة الطعام وخوف الضرر .

- فإن كان " المريض " صبورا ، تكون الرؤية نافعة له ، ويكون ذلك التهييج نافعا لطبعه العليل .

٦٤٠- وإن لم يكن صبر فالأولى عدم الرؤية ، ومن الأولى أن يكون السهم بعيدا عن لادرع له . (١)

جواب الطاووس على ذلك السائل

- وعندما فرغ من البكاء ، قال له : إمض ، إنك عاكف على اللون والرائحة .
- ألسنت ترى أنه ينصب على مائة بلاء من كل صوب من أجل هذه القوادم ؟
- وما أكثر الصيادين الذين لا رحمة عندهم ، ويضعون الفخاخ في كل صوب من أجل هذا الريش .
- وكثيرا ما يقوم الرامي بالسهم ، بإطلاق السهام حولي في الفضاء من أجل هذه القوادم .

(١) ج/١١-٢٥٥:- عد وأتم الحكاية ، وتحدث عما قاله الطاووس في جوابه . ثم بيت بعد العنوان "٢٥٥/١١" واستمع الآن من الطاووس إلى الجواب ، حتى تعلم أن هناك خطايا لكل طيب .

٦٤٥- وما دامت لا قوة لدى ولا ضبط نفس ، أمام هذا القضاء والبلاء وهذه
الفتن ؛

- فمن الأفضل أن أكون قبيحا كريها ، حتى أكون آمنا في هذا الجبل
وهذه الصحراء . (١)

- لقد كان هذا سلاح عُجبي أيها الفتى ، ومن العُجب حاق بالمعجبين بأنفسهم
ألف بلاء .

بيان أن الفضائل والمواهب ومال الدنيا مثل ريش

الطاووس أعداء للـروم

- ومن ثم فإن الفضل هلاك للساذج الغفل ، الذى من أجل الحبة ، لا يرى
الفخ .

- والاختيار يكون خيرا لذلك الذى يكون مالكا لنفسه ، " منفذا لأمره تعالى " :
انقوا .

٦٥٠- وعندما لا يكون حفظ وتقوى فحذار ، ولتبعد الآلة إذن ولتنبذ الاختيار .

- إن موضع التجلى والاختيار عندى هو هذا الجناح ، فلأنترع هذا الجناح ،
الذى يكون خطرا على الرأس .

- والصبور يعتبر جناحه عدما ، حتى لا يلقي به جناحه هذا في الشر والعناء .

- ومن ثم فلا ضرر في الجناح في حد ذاته ، فلا تنزعه ، وإن رميت بسهم ،
تلقه بالدرع .

(١) ج/١١-٢٥٥:- فلأنترع ريشي ريشة ريشة ، حتى لا تسقطني في الفخ كل حيلة . - فالروح عندى أغلى
من المال والريش ، فالروح باقية ، والجسد أبتر .

- لكن الجناح الجميل عدو لي ، ذلك أنه لا صبر لي عن الظهور والتجلي .
٦٥٥- ولو كان الصبر والحفظ مرشدين في طريقي ، ل زاد الإختيار في عظمتي وحشمتي .

- إنني كالطفل أو كالثمل في أوان الفتن ، لا يصح أن يوضع السيف في يدي .
- ولو كان لي عقل ومزدرج ، لكان السيف في يدي هو عين الظفر .
- فينبغي عقل يهب النور وكأنه الشمس ، حتى يضرب بالسيف الذي لا يكون إلا صوابا .

- وما دمت لا أملك عقلا مستتيرا وصلاحا ، لماذا لألقي السلاح إذن في البئر ؟
- فلألق الآن في البئر بالسيف والمجن ، فسوف يكونان سلاحا " في يد " خصمي
- وما دمت لأملك القوة والعون والسند ، فسيأخذ الخصم السيف من يدي ويضربني به .

- وبرغم هذه النفس القبيحة التي لاتستر الوجه ، لأقم بخمش هذا الوجه .
- حتى يقل هذا الجمال وهذا الكمال ، وعندما لا يبقى هذا الوجه "الجميل" ، يقل سقوطي في الوبال .

-وما دمت أخمش وجهي على هذه النية فلا جُرم ، فإن الخمش إخفاء لهذا الوجه
٦٦٥- فإذا كان في قلبي هذا صفات النساء " من عفة وحياء " ، لما كان وجهي الجميل ينشر إلا الصفاء .

- وعندما لم أر في نفسي قوة أو فضلا أو صلاحا ، فإنني سرعان ما ألقيت السلاح ، عندما رأيت الخصم .

- حتى لا يصير سيفي كمالا له ، ولا يصير خنجرى وبالا على .
- وعلى أن أواصل الفرار ما دام فيّ عرق ينبض ، ومتى كان الفرار من النفس سهلا يسيرا ؟!

- ذلك أن الذى يهرب من غيره ، عندما يبتعد عنه يقر قراره .
- ٦٧٠- وأنا الذى خصمي هو نفسي في هروب حتى الأبد ، وديدني هو قولي
لنفسى : إمض ، إنهض .
- فهو لا يكون آمنا حتى ولو مضى إلى الهند وخُتِنَ ، ذلك الذى يكون خصمه
هو ظله .

- في وصف أولئك الذين انسلخوا عن أنفسهم فأمنوا شر أنفسهم
وفضل أنفسهم ، فهم فانون في بقاء الحق ، كالنجوم التي
تفنى في الشمس نهارا ، ولا يكون عند الفاني خوف من الآفة والخطر**
- عندما يكون لفناء " المرء " زينة من الفقر ، يصبح مثل محمد ﷺ لا ظل له .
- لقد صار قوله ﷺ الفقر فخرى زينة للفناء ، وصار هو مثل لهب الشمع بلا
ظل .
- صار بأجمعه لها كالشمعة من أخصص القدم إلى قمة الرأس ، لا يكون للظل
منفذ إلى الطواف حوله .
- ٦٧٥- ولقد هرب الشمع من نفسه ومن الظل في الشعاع ، من أجله ، ذلك الذى
أراق الشمع .
- ولقد قال هو : لقد صبيبتك من أجل الفناء ، فقال : وأنا أيضا هربت في الفناء
- إن هذا الشعاع الباقي هو المفترض ، وليس شعاع الشمس الفاني ، الذى هو
عرض .
- وعندما فنى الشمع بكليته في النار ، فإنك لن ترى أثرا للشمع ولا أثرا للشعاع
- إنه واضح فحسب عند دفع الظلمة ، إنها نار صورية ، قائمة على شمعة .

٦٨٠- وشمع الجسم على خلاف هذا الشمع ، فهو كلما ذاب وقل ، زاد نور الروح .

- وشعاع هذا النور باق ، وذلك الشعاع فان ، ذلك أن شمعة الروح ذات شعلة ربانية .

- وذلك اللهب الناري لأنه نور ، فإن ظل الفناء يكون بعيدا عنه .

- ويكون للسحاب ظل يسقط فوق الأرض ، ولا يكون الظل جليسا للقمر .

- والإنسلاخ عن الذات هو انقشاع السحاب يا راغبا في الخير ، إنك في الإنسلاخ عن الذات تكون مثل قرص القمر .

٦٨٥- ثم إنه عندما تأتي سحابة مزجاة ، فقد ذهب النور عن القمر ، وبقي خيال منه .

- فقد صار نوره ضعيفا من حجاب السحاب ، وصار ذلك البدر الشريف أقل من هلال .

- وإن القمر ليبدى خيالا من السحاب والغبار ، وقد جعلنا سحاب الجسد مغرقين في الخيال .

- فانظر إلى لطف القمر - وهذا أيضا من لطفه - حين قال إن السحب عدوة لنا .

- والقمر فارغ من السحاب ومن الغبار ، وله على قمة الفلك المدار .

٦٩٠- لقد صار السحاب عدوا لنا خصما لروحنا ، فهو الذي يخفي القمر عن أعيننا .

- وهذا الحجاب يجعل الحورية عجوزا شمطاء ، ويجعل البدر أقل من هلال .

- ولقد أجلسنا القمر إلى جوار العز ، واعتبر عدونا عدوا لله .

- وإن نور هذا السحاب وبهاء مأخوذان - في الأصل - من القمر ، وكل من سمي السحاب قمرا ، هو شديد الضلال .

- وعندما سطع القمر بنوره على السحاب ، تبدل وجهه المظلم من تأثير هذا القمر .

٦٩٥- وبالرغم من أنه في لون القمر وذو صولة ودولة ، فإن هذا النور للقمر في السحاب ، نور مستعار .

- وفي القيامة تعزل الشمس ويعزل القمر ، وتُشغل العين بأصل الضياء .

- حتى تعلم ما هو ملك وما هو مستعار ، وتعرف هذا الرباط الفاني من دار القرار .

- وتكون المرضعة مستعارة لأيام ثلاثة أو أربعة ، فخذينا أيتها الأم في أحضانك

- إن جناحي " أنا الطاووس " سحاب وحجاب كشف ، لكنه صار لطيفا من انعكاس لطف الحق .

٧٠٠- فلأنزع الجناح وحسنه من الطريق ، حتى أرى حسن القمر مباشرة من القمر .

- أنا لا أريد المرضعة ، إن الأم أفضل منها ، أنا موسى ، ومرضعتي هي أُمي

- وأنا لا أريد لطف القمر من الواسطة ، فإن ارتباط القوم بها قد صار هلاكا لهم

- أو ربما يصير السحاب فانيا في الطريق ، حتى لا يصير حجابا على وجه القمر .

- بل يبدى صورته في صفات العدم ، وكأنه أجساد الأنبياء والأولياء .

٧٠٥- فلا يبقى مثل ذلك السحاب عاقدا للحجب ، يكون ممزقا للحجب ، ومفيدا في المعاني .

-مثلما حدث ذات صباح صحو ، أن سقطت قطرات مطر ، ولم يكن هناك
سحاب في السماء.

- كانت تلك السقاية معجزة من معجزات الرسول ﷺ ، فلقد صار السحاب من
المحو في لون السماء .

- كان هناك سحاب ذهب عنه طبع السحاب ، وهكذا يصير جسد العاشق
بالصبر .

- يكون جسدا ، لكن صفات الجسدية قد انتفت عنه ، فلقد بدل ، وذهب عنه
اللون وذهبت الرائحة .

٧١٠- إن الجناح من أجل الغير ، لكن الرأس من أجلي أنا ، ومنزل السمع
والبصر عماذ للجسد .

- والتضحية بالروح من أجل صيد الغير ، اعلم أنه كفر مطلق ، وقنوط من
الخير!!

- هيا إنتهه ، لا تصبح كالسكر أمام طيور البيغاء ، لكن كن سما ، وصر آمنا
من الخسران .

- فكأنك من أجل أن تجعل نفسك محمودا في الخطاب ، جعلت نفسك جيفة أمام
الكلاب .

- من أجل هذا خرق الخضر ﷺ السفينة ، حتى نجت تلك السفينة ممن كان
يأخذ كل سفينة غصبا .

٧١٥- ومن هنا وردت الفقر فخرى عن هذا السني ، حتى أهرع من حرص
الطامعين إلى الغني .

- ومن هنا أيضا تخبأ الكنوز في الخرائب ، وذلك حتى تتجو من حرص أهل
العمران .

- وإذا كنت لا تعلم كيف تقتلع الجناح فامض واختر الخلوة ، حتى لا تصبح بأجمعك نفقة لهذا وذاك .

- ذلك أنك طعام وآكلٌ للطعام ، إنك آكل ومأكول أيها الحبيب ، فانتبه .

في بيان أن كل ما سوى الله آكل ومأكول ، مثل ذلك الطائر الذي

كان يمضي لصيد الجراد ، وكان مشغولا بصيد الجراد غافلا عن البازي

الجائع الذي يقصد صيده من خلف ظهره ، والآن أيها الإنسان الصياد

الآكل ، لا تأمن عن صيادك وآكلك ، وإن لم تكن تراه رأى العين ،

فداوم النظر إليه بالدليل والاعتبار ، إلى أن تفتن عين السر

- كان طويتر منهما في صيد دودة ، فاهتبل القط فرصة ، واختطفه .

٧٢٠- لقد كان أكلا ومأكولا ، وغافلا في صيده عن صياد آخر .

- وبالرغم من أن اللص " منهمك " في صيد المتاع ، فإن الشرطة تجد في أثره مع خصومه .

- إن عقله مشغول بالمتاع والقفل والباب ، وهو غافل عن الشرطة ، وآهات المظلومين " في السحر .

- ويكون غارقا في شهوته ، بحيث يكون غافلا عن طالبه الباحث عنه .

- وإذا كان العشب يروى بالماء الزلال ، فإن معدة الحيوان في أثره ترعى منه .

٧٢٥- فإن ذلك العشب آكل ومأكول ، شأنه شأن كل موجود ، إلا الله تعالى .

- ومصادقا للآية الكريمة « وهو يُطعم ولا يُطعم » (١) ليس الحق مأكولا ، بل هو آكل اللحم والوضم .

(١) في المتن وهو يطعمكم وليست موجودة في القرآن الكريم .

- ومتى يكون الآكل والمأكول آمنين من آكل آخر يترصدهما في مكن .
- وأمن المأكولين جذوب للمأتم ، فامض إلى تلك العتبة التي نزلت في شأنها « لا يُطعم » .
- وكل خيال يأكله خيال آخر ، وكل فكرة ترعى عليها فكرة أخرى .
- ٧٣٠ - وإنك لا تستطيع أن تتجو من خيال أو تنام إل بعد أن تخلص منه .
- والفكر كالنحل وخیالك هذا كالماء وعندما تستيقظ يعود إليك كالذباب .
- ويطير حولك عدد من نحل الخيال ، يجذبك هذا الصوب وذاك ، ويحملك من ناحية إلى أخرى .
- إن هذا الخيال هو أكل الآكلين ، أما بقية الآكلين فهم في علم ذي الجلال .
- فهيا أهرب من جماعة الأكالين القساة الغلاظ إليه ، فهو القاتل لك : نحن الحفظة لك .
- ٧٣٥- أو نحو ذلك الذي وجد الحفظ ، هذا إذا لم تستطع أن تمضى صوب ذلك الحافظ .
- وإياك أن تضع يدك إلا في يد الشيخ ، فإن الحق صار آخذا بتلك اليد معينا لها
- وإن شيخ عقلك قد اعتاد على الطفولة ، وذلك من جواره للنفس ، فهو في حجاب .
- فاجعل عقل الكامل قرينا لعقلك حتى يعود العقل عن تلك الخصلة السيئة .
- وعندما تضع يدك في يده ، تتجو آنذاك من أيدي الآكلين .
- ٧٤٠- وتصبح يدك من أهل تلك البيعة ، التي نزل في شأنها « يد الله فوق أيديهم » .
- ما دمت قد وضعت يدك في يد الشيخ المرشد ، مرشد الحكمة الذي يكون عليما وخطيرا .

- فهو نبي زمانه أيها المرید ، مادام نور النبی ﷺ ينبعث منه .
- وبهذا تكون قد صرت حاضرا في الحديبية ، وقرينا لهؤلاء الصحابة الذين بايعوا .
- وصرت أيضا من الصحابة العشرة المبشرين بالجنة ، وقد صرت خالصا كالذهب كامل العيار .
- ٧٤٥- وحتى تصح لك المعية ، ذلك أن المرء مع من أحب .
- يكون معه في الدنيا وفي الآخرة ، وهذا هو حديث أحمد ﷺ طيب الخصال .
- لقد قال ﷺ " المرء مع محبوبه ، لا يفك القلب من مطلوبه " (١)
- وقلل الجلوس حيثما يوجد فخ وحَب ، وامض يا آخذا للضعيف ، فانظر إلى آخذى الضعفاء .
- ويا مستقويا على الضعفاء ، اعلم هذا جيدا ، أن هناك يدا فوق يدك أيها الفتى .
- ٧٥٠- إنك ضعيف وآخذ للضعفاء وهذا عجيب ، فأنت صيد وآخذ للصيد جاد في الطلب .
- ولا تكن كمن قيل فيهم « وجعلنا من بين أيديهم سدا ومن خلفهم سدا » بحيث لا ترى الخصم ، وهو شديد الظهور .
- وحرص الصياد يصيبه بالغفلة عن أن يصاد وأن فاتتا سوف يسلب منه القلب .
- فلا تكن أقل من طائر في مرج ، رأى عصفورا من أمامه ومن خلفه .
- وعندما يقترب من الحبة ، يلتفت بوجهه ورأسه عدة مرات إلى الأمام في لحظة ، وإلى الخلف في الأخرى .

(١) ما بين القوسين بالعربية في المتن الفارسي .

٧٥٥- ويقول : يا للعجب ، إن هناك صيادا أمامي وآخر خلفي ، حتى أصرف النظر عن هذه اللقمة خوفا منهما .

- فانظر أنت إذن إلى قصة الفجار ، وانظر أمامك موت الرفيق والجار .

- فقد أهلكهم بلا وسيلة أو آلة ، " فالموت " قرينك على كل حال .
- لقد عذب الحق ولا يد هناك ولا مقامع ، فاعلم إذن أن الحق حكم ولا آلة
- وذلك الذى كان يقول : إذا كان الحق موجودا فأين هو ؟ فإنه يقر في العذاب أنه هو .

٧٦٠- وذلك الذى كان يقول : إن هذا بعيد وعجيب ، يذرف الدمع ويقول :
يا قريب .

- وعندما رأيت أن الفرار من الشبكة واجب ولازم ، كانت شبكتك قد التصقت بجناحك .

- فلاقتل أنا أوتاد هذه الشبكة المنحوسة ، ومن أجل شهوة لا أمرر فمي .
- لقد أعطيتك هذا الجواب بما يناسب عقلك ، فافهمه ، ولا تتصرف عن البحث والتقصي .

- واقطع هذا الحبل الذى هو الحرص والحسد ، وتذكر « في جيدها حبل من مسد » (١)

(١) ج/١١-٢٧٣:- وانظر إلى أحوال فرعون وشمود ، وقوم لوط وقوم صالح وقوم ثمود .- وانظر إلى حال النمرود الظلوم ، وألق نظرة على مآل قوم نوح .- وتأمل في قصة شداد وعاد ، وانظر إلى حسرتهم يوم التناد - حتى تعلم أن الحق سميع وعليم ، لا خوف لديه ولا بأس ولا خشية .

سبب قتل الخليل عليه السلام للغراب وإشارته إلى قمع أية

صفة من الصفات الذميمة المهلكة في المريد

٧٦٥- لا نهاية لهذا الكلام ولا فراغ منه ، فلماذا قتلت الغراب يا خليل الحق ؟
- من أجل أمر الحكمة . فماذا كان الأمر ؟ ينبغي أن تكشف لنا قليلا من الأسرار .

- إن نعيق الغراب المستمر وصياحه ، يكون دائما طالبا للعمر في الدنيا
- مثل إبليس ، طلب من الإله الطاهر الفرد عمر الجسد إلى يوم القيامة .
- فقال : « أنظرني إلى يوم يبعثون » ، وليته قال : تبنا يا ربنا .
٧٧٠- وإن العمر بلا توبة هو عين انتزاع الروح ، والموت الحاضر هو الغياب عن الحق .

- والعمر والموت كلاهما يكون طيبا مع الحق ، وبدون الحق يكون ماء الحياة نارا .

- وكان ذلك أيضا من تأثير اللعنة ، أنه في مثل تلك الحضرة ، ظل يبدو باحثا عن العمر " الطويل " .

- وطلب غير الله من الله ، هو تزيد في الظن ، وعدم تقدير لكل حق قدره .
- خاصة ذلك العمر الغريق في الغربة ، إنه سلوك كسلوك الشعلب في محضر الأسد .

٧٧٥- أعطنى عمرا أطول حتى أصبح أكثر تفهقرا ، وأمهلنى حتى أمضى في النقصان .

- وذلك حتى تكون اللعنة علامة عليه ، وسيء ذلك الشخص الذى يكون باحثا عن اللعنة .

- والعمر الطيب في القرب من رعاية الروح وتربيتها ، وعمر الغراب يكون من أجل أكل البعر .
- أعطني عمرا إذن لكي أكل الغائط ، واعطني هذا دائما ، فإن جوهري شديد السوء .
- وإن لم يكن أكلا للغائط ذلك المنتن الفم ، لكان قد قال : خلصني من طبع الغراب فيّ .

مناجاة

- ٧٨٠- يا من بدلت التراب إلى ذهب ، وجعلت من تراب آخر أبا للبشر .
- إن فعلك هو العطاء وتبديل الأعيان ، وفعلى أنا هو السهو والنسيان والخطأ .
- فبدل السهو والنسيان إلى علم ، وأنا بأجمعي خطل وجهل ، فاجعلني صبورا وحلما .
- يا من تجعل من الأرض البور خبزا ، ويامن تجعل من الخبز الميت ، روحا .
- ويا مرشدا للروح الحائرة ، ويامن تجعل الضال رسولا . (١)
- ٧٨٥- وتجعل قطعة من الأرض سماءً ، وتزيد في الأرض من عدد النجوم .
- وكل من يجعل من هذه الأرض ماء حياة ، يحقق به الموت مبكرا عن الآخرين .

(١) ج/١١-٢٨٣: يا من أعطيت الروح للتراب الكدر ، وأعطيته العقل والحس والرزق والإيمان . - وتأتي بالسكر من البوص والتمر من الخشب ، ومن المنى الميت حسناء جميلة . - ومن الطين الورود ومن القلب الصفاء ، وتمنح الشحمة ضياء ونورا .

- وبصيرة القلب الناضرة إلى الأفلاك ، ترى أنه يوجد هنا في كل لحظة خلق" وتصوير .

- وقلب للأعيان وأكسير" محيط " بكل شيء " ، وإتلاف لخرقة الجسد دون أن تخاط .

- وأنت في ذلك الوقت الذى جئت فيه إلى الوجود ، كنت نارا أو ريحا أو ترابا .

٧٩٠- ولو كان لك بقاء" على هذا الحال ، فمتى كان هذا الإرتقاء يصل إليك ؟
- إن الوجود الأول لم يبق من " تأثير " المبدل ، بل وضع وجودا أفضل في موضعه .

- وهكذا حتى مئات الآلاف من الموجودات ، واحدة بعد الأخرى ، التالي خير" من السابق .

- فانظر إليها على أنها من المبدل ، ودعك من الوسائط ، فمن الوسائط تبتعد عن أصولها .

- وحيثما زادت الواسطة ، انتفى الوصال ، والواسطة أكثر ازديادا عند من قلت لذته بالوصل .

٧٩٥- ومن معرفة السبب تقل حيرتك ، والحيرة هي التي تعطيك الطريق إلى الحضرة .

- لقد وجدت أنواع البقاء هذه من أنواع الفناء ، فلماذا أشحت بوجهك عن الفناء فيه ؟

- وأى ضرر كان قد أصابك من الفناء ؟ حتى تتشبث بالبقاء أيها النافق ؟

- وإذا كان ثانيك أفضل من أولك ، فابحث إذن عن الفناء ، واعبد المبدل .

- ولقد رأيت مئات الآلاف من أنواع الحشر أيها العنود ، حتى هذه اللحظة ،
ومن بدء الوجود .

٨٠٠- من الجمادية- وأنت غافل- حتى حال النماء ، ومن النماء نحو الحياة
والابتلاء .

- ثم نحو العقل والتميزات الطيبة ، ثم خارج هذه " الحواس " الخمسة و"
الجهات " الستة .

- وآثار الأقدام هذه موجودة حتى ساحل البحر ومن بعدها ، توجد آثار الأقدام
داخل بحر العدم .

- ذلك أن منازل اليابسة تكونت على سبيل الإحتياط ، من القرى والأوطان
والأربطة .(١)

-ثم إن منازل البحر عند التوقف ووقت الموج ، لا عرصات فيها ولا سقوف
تحبس المسافرين .

٨٠٥- ولا نهاية تبدو واضحة لتلك المراحل ، وهذه المنازل لا علامة لها
ولا اسم .

- وما هو بين المنزلين مائة ضعف لما هو موجود " بين منازل الأرض " ، في
ذلك الطرف بين النماء وبين تحول الروح إلى عين " من الأعيان .

- لقد رأيت أنواع البقاء هذه في أنواع الفناء ، فكيف تشبثت ببقاء الجسد ؟
- هيا ، وابذل هذه الروح أيها الغراب ، وكن مضحيا بالروح أمام تبديل
الله .

- وداوم على أخذ الجديد ، ودعك من القديم ، فكل سنة جديدة أفضل لك من
ثلاث سنوات سابقة .

(١) ج/١١-٢٨٤:- وذلك أن منازل البحر في ازدياد ، وعند موجه ، لا جدران هناك ولا عمد .

٨١٠- وإن لم تك مؤثرا على نفسك كالنخل ، ضع القديم فوق القديم ، واجعل منه مخزنا .

- واحمل هذا القديم المهترىء المتعفن ، وقدمه هدية إلى كل من لم ير "نعمة" .

- وكل من رأى الجديد لن يكون مشتريا منك ، إنه صيد الحق ، وليس فريسة لك .

- وحيثما يكن هناك سربٌ من الطير العمياء ، فإنها تتجمع حولك ، أيها السيل المالح .

- حتى تزداد عمى من المياه المالحة ، وذلك لأن المياه المالحة تزيد في العمى .

٨١٥- وأهل الدنيا لهذا السبب عمى القلوب ، شاربون لمياه الجسد المالحة .

- فداوم على إعطاء المالح وشراء العمى في الدنيا ، ما دمت لا تملك ماء الحيوان في الخفاء .

- ومع مثل هذا الحال تريد البقاء والذكر ، وسعيدٌ في سواد الوجه ، كأنك الزنجي .

- والزنجي مستريح في سواده ، ذلك لأنه زنجي بأصله وميلاده .

- لكن ذلك الذى كان جميلا وضاء الوجه ، إذا اسود لونه يبحث عن علاج للأمر .

٨٢٠- والطائر المحلق عندما يبقى على الأرض ، يبقى في حزن وألم وحنين .

- لكن الطائر المنزلي يمضي هائئا على الأرض ، ويسرع لالتقاط الحب ، سعيدا نشطا .

- ذلك أنه في الأصل لا يطير ، لكن الطائر الآخر طيار محلق في الهواء .

قال النبي ﷺ: ارحموا ثلاثا، عزيز قوم ذل ، وغنى قوم افتقر

وعالما يلعب به الجهال

- قال الرسول عليه السلام : ارحموا حال " من كان غنيا فافتقر ،
- والذي كان عزيزا فاحتقر ، أو صفيا عالما بين المضمر" (١)
- ٨٢٥- قال الرسول ﷺ : ارحموا هؤلاء الثلاثة ، حتى وإن كنتم من صخر أو من جبل .
- ذلك الذى ذل من بعد الرئاسة ، وذلك الغنى الذى صار بلا دينار .
- وثالثهم ذلك العالم ، الذى يكون مبتلى في الدنيا بين البلهاء .
- ذلك لأن الانتقال من العز إلى الذل ، كأنه قطع عضو من البدن .
- والعضو الذى يقطع من البدن يموت ، إنه يتحرك قليلا بعد بتره ، لكن ليس لفترة طويلة .
- ٨٣٠- وكل من شرب من كأس " ألسنت " في العام الفائت ، يحس هذا العام بالألم والخمار .
- وذلك الذى يكون في الأصل ككلب الحظيرة ، متى يكون حريصا على السلطنة .
- إنما يبحث عن التوبة من ارتكب الذنب ، وإنما يتأوه من ضل الطريق .

(١) ما بين القوسين بالعربية في المتن الفارسي .

قصة سقوط حشف غزال في حظيرة حمر ، وشتت تلك الحمر لذلك

الغريب حيناً على سبيل الشجار وحيناً على سبيل السخرية ،

وابتلاؤه بالقش الجاف الذي ليس طعامه ، وهذه صفة العبد

المخصوص من الله بين أهل الدنيا وأهل الهوى والشهوة

مصادفاً لقول الرسول ﷺ : الإسلام بدأ غريباً وسيعود

غريباً فطوبى للغرباء . صدق رسول الله

- لقد صاد أحد الصيادين غزالاً ، فوضعه في الحظيرة بلا رحمة .
- وحبس الغزال في حظيرة مليئة بالحر والبقر كما يفعل الظلمة .
- ٨٣٥- أخذ الغزال من خوفه يجرى في كل صوب ، وفي الليل وضع الصياد القش أمام الحمر .
- ومن الجوع أخذ كل حمار وكل بقرة في رعى القش وكأنه أحلى من السكر .
- وأخذ الغزال يسرع حيناً هنا وحيناً هناك ، وحيناً كان يشيخ بوجهه عن الدخان والغبار .
- وكل من وضعوه مع ضده ، " عاقبوه " بهذا العقاب على أنه مساو للموت .
- حتى أن سليمان عليه السلام قال : إن لم يقدم الهدد عذراً مقبولاً عن تأخير عجزه ؛
- ٨٤٠- فإنني سوف أقتله أو أسومه أشد العذاب ، عذاباً شديداً يفوق الحساب والتصور .
- هيا ، أى عذاب هذا أيها المعتمد ، قال : وضعه في قفص واحد مع غير جنسه .
- والروح بازى والطبائع غربان ، فهي في جراح من الغربان والبوم .

- ولقد بقى الغزال بينها في محنة وعذاب ، مثل من كان يسمى " أبو بكر " بين أهل سبزوار .

**حكاية محمد خوارزمشاه الذي استولى بالحرب على مدينة سبزوار
وكل أهلها من الروافض ، فطلبوا الأمان لأرواحهم ، فقال : أعطاكم
الأمان ، إذا أحضرتكم لي كهدية واحدا من أهل هذه المدينة
يسمى أبو بكر**

- ٨٤٥- ذهب محمد الب الغ خوارزمشاه لقتال أهل سبزوار المليئة بالحصون .
- فضيق عليهم جنده الخناق ، وأعمل جيشه القتل في الأعداء .
- فسجدوا أمامه قائلين : الأمان ، ضع حلقات "العبودية" في آذاننا ، وهبنا الحياة
- وكل ماتريده من عطاء أو خراج ، نعطيه لك ، وكل موسم يكون في ازدياد .
- وأرواحنا ملك لك أيضا يا من أنت في طبع الأسد ، فمر بأن تظل أمانة لدينا بعض الوقت .
- ٨٥٠- قال : إنكم لن تخلصوا أرواحكم مني ، ما لم تحضروا لي أحدا يسمى أبو بكر .
- وما لم تحضروا لي كهدية أحدا يسمى أبوبكر من مدينتكم أيتها الأمة الضالة ؛
- فإننى سوف أحصدكم حصاد الزرع أيها القوم الأذنياء ، ولا آخذ خراجا ، ولا أقبل رجاء .
- فوقفوا في طريقه جارين جوالا مليئا بالذهب ، قائلين : لا تطلب من يسمى أبو بكر من مثل هذه المدينة .

- فمتى يكون أبو بكر في سبزوار ؟ أتوجد مدرّة جافة في قاع جدول ؟
٨٥٥- فأشاح بوجهه عن الذهب ، وقال : أيها المجوس ، ما لم تقدموا إلى من
يسمى أبوبكر ؛

- فلا فائدة قط ، ولست طفلا ، حتى أقف أمام الفضة والذهب مندهشا !!
- فما لم تسجد لن تتجو أيها الضعيف المسكين ، حتى ولو قست المسجد بمقعدك
- فبثوا العيون في كل صوب ، سائلين : أين من يسمى أبوبكر في هذه الأرض
الخربة ؟

- وبعد أن جدوا في البحث ثلاثة أيام بلياليها ، وجدوا شخصا يسمى أبو بكر ،
لكنه شديد النحول .

٨٦٠- كان عابر سبيل أقعده المرض في زاوية خربة مليئا بالحرص .
- كان قد نام في ركن منعزل ، وعندما رأوه ، صاحوا به : أسرع .
- إنهض فإن السلطان يطلبك ، وبك سوف تتجو مدينتنا من الذبح .
- قال : لو أن بي قوة أو كنت أستطيع القدوم ، لذهبت أنا بنفسى إلى مقصدى .
- ومتى كنت أبقي في ديار الأعداء هذه ؟ ولكنك قد أسرعت نحو مدينة
الأحباب .

٨٦٥- فأحضروا محفة مما ينقل عليها الموتى ، ووضعوا عليها أبا بكر المجادل
ذاك .

- وأخذ الحمالون يحملونه حملا إلى خوارزمشاه ، حتى يرى الدليل .
- إن سبزوار هذه هي الدنيا ، ورجل الحق فيها ضائع وممتحن .
- ومثل خوارزمشاه كمثّل الربّ الجليل ، إنه يريد القلب من هؤلاء القوم الأراذل
- لقد قال : " إنه لا ينظر إلى تصويركم ، فابتغوا ذا القلب في تدبيركم " . (١)

(١) مابين القوسين بالعربية في المتن الفارسي .

٨٧٠- وأنا أنظر إليكم من خلال صاحب قلب ، لا إلى صورة السجود ، وإنفاق الذهب .

- بينما ظننت أنت أن قلبك قلب ، وتركت البحث عن أصحاب القلوب .
- وقلب " الواحد منهم " لو حلت به سبعمائة من أمثال هذه السموات السبع ، لتاهت فيه واختفت .

- فلا تسم فتات القلوب هذه قلوبا ، ولا تبحث في سبزوار عمن يسمى أبو بكر .
- وصاحب القلب يصبح مرآة سداسية الجهات ، وينظر فيها الحق من الجهات الستة .

٨٧٥- وكل ما يوجد في الجهات الستة ، لا ينظر إليه الحق دون واسطة منه .
- فإن رد فإنما يرد من أجله ، وإن قبل ، فإنه يكون سندا للقبول .
- وبدونه لا يعطي الحق أحدٌ نوالا ، إن كل ما ذكرته هو نبذة عن صاحب الوصال .

- إنه يضع ما يهبه على كف يده ، ومن كف يده ، يعطيها لمن رحمهم
- فلكلفه اتصال بالبحر الكلي ، على أتم وجه ، ودون شكل أو كيفية .
٨٨٠- إنه اتصال لا يستوعبه كلام ، وقوله يكون بالأمر والتكليف ، والسلام .

- وإنك لتأتى بمائة جوال من الذهب أيها الغني ، ويقول الحق : بل قدم القلب أيها المنحني .

- فإن كان القلب راضيا عنك فأنا راض ، وإن كان معرضا عنك ، فأنا معرض .

- إنني لا أنظر إليك ، بل أنظر إلى ذلك القلب ، فقدمه هدية أيها الحبيب على بابي .

- إنني معك كما يكون هو معك ، مثلما توجد الجنان تحت أقدام الأمهات .
٨٨٥- إنه الأب والأم ، بل هو أصل الخلق ، وما أسعده ذلك الذى عرف القلب
من القشر .

- وإنك تقول : ألسنت قد أتيت إليك بالقلب ؟ فيقول لك : إن " قتلوا " مليئة بأمثال
هذه القلوب . (١)

- بل هات ذلك القلب الذى هو قطب العالم ، وهو روح الروح لروح آدم .
- ومن أجل ذلك القلب الملىء بالنور والبر ، يكون سلطان القلوب ذاك
منتظرا .

- وإنك لتطوف لعدة أيام في سبزوار ، ولا تجد مثل ذلك القلب من الاعتبار .
٨٩٠- فتضع قلبا ذابلا مهترىء الروح على محفة جارا إياه إلى تلك
الناحية .

- قائلا : لقد أحضرت إليك قلبا أيها المليك ، وليس هناك أفضل من هذا القلب
في سبزوار .

- فيقول لك : أهذه جبانة أيها المتجرىء حتى تحضر قلبا ميتا إليها ؟
- إمض وهات قلبا في طبع المليك ، فمن هذا القلب ، يكون الأمان لـ " سبزوار " .
الكون .

- فتقول : إن هذا القلب خفي عن الدنيا ، وذلك لأن الضياء والظلمة
ضدان .

٨٩٥- إن العداوة لهذا القلب ميراث عند " سبزوار " الطبع منذ يوم " ألسنت " .
- ذلك أنه بازى ، والدنيا مدينة الغربان ، ورؤية أحد لمن هو من غير
جنسه ، بمثابة الكي له .

(١) ج/ ١١-٣٠٥:- يقول لك : هذا القلب لا يساوى شروى نقيير .

- إنه إن لطف ، فإنما يفعل ذلك نفاقا ، إنه يستميل حتى يحقق الرفقة .
- إنه يوافق ، لا من أجل الحاجة ، بل من أجل أن يقصر الناصح في نصيحته الطويلة .
- ذلك أن ذلك الغراب الخسيس الباحث عن الجيفة ، لديه الآلاف من أنواع المكر ، بعضها فوق بعض .
- ٩٠٠- فإن قبلتم نفاقه هكذا أيها السالكون ، لصار نفاقه هذا هو صدق المستفيد بعينه .
- وذلك لأن صاحب القلب ذى العظمة والحشمة ، هو في سوقنا كالحمار المعيوب .
- فابحث عن صاحب قلب ، إن لم تكن بلا روح ، وكن من جنس القلب إن لم تكن معاديا للسلطان .
- وذلك الذى يخيل عليك احتياله ومكره ، هو وليك أنت ، وليس ولي الله .
- وكل من عاش على طبعك وخصالك ، هو الولي والنبى عند طبعك . (١)
- ٩٠٥- فامض ، واترك الهوى ، حتى يصبح أرج "الحقيقة" لك ، وتكون لك تلك الشامة الطيبة الباحثة عن العنبر .
- ومن ممارسة الهوى ، تكون أنفك فاسدة ، ويكون المسك والعنبر كاسدين أمام لبك . (٢)
- إن هذا الكلام لا نهاية له ، وغزالنا ، يهرب داخل الحظيرة من مكان إلى آخر .

(١) ج/١١-٣٠٦:- وامض واهجر الهوى ، حتى يأتى إلى مشامك عبير الحق ، أيها العظيم .

(٢) ج/١١-٣٠٦:- إنك عاشق للنجس كالغراب ، ومن ثم فإن أنفك لا يتلقى رائحة المسك .

بقية قصة الغزال واصطبل الحمير

- ظل ذلك الغزال حسن النافجة لعدة أيام معذباً في حظيرة الحمير .
- كان مضطرباً ، يجود بالروح ، كسمكة على اليابسة ، فعندما يحبساً في صندوق صغير يعذبان : البعر والمسك .
- ٩١٠- كان أحد الحمير يقول له : ها هو ذا أبو الوحوش ، إن فيه طبع الملوك والأمراء ، فاصمت .
- وكان آخر يسخر قائلاً : لقد أتى من الجزر والمد بجوهر غالية ، فمتى يبيعها رخيصة ؟
- وطفق حمار ثالث يقول : بهذه الرقة التي فيك ، إمض إلى سرير الملك ، وقل : أين المتكأ ؟
- وحمار رابع أتخم حتى عجز عن الرعي ، فأخذ ينادى الغزال داعياً إياه " إلى الطعام " .
- فهز رأسه بما يعني : لا ، إذهب عني يافلان ، لا شهية عندي ، ولا أقدر .
- ٩١٥- قال : أعلم أنك تسوق الدلال ، أو أنك تتجنب الطعام تكبراً عليه .
- فقال لنفسه : إن هذا هو طعامك ، فمنه تتجدد أعضاء جسدك ، وتحيا .
- لقد كنت أليفاً للمروج ، وكنت مرفهاً في الرياض ، و" إلى جوار " الماء الزلال .
- فإذا كان القضاء قد ألقى بي في العذاب ، فمتى تمضي عني تلك الجيلة ، وهذا الطبع الطيب ؟

- وإذا كنت قد صرت شحاذا ، متى أصبح ملحاحا سمجا ؟ وإذا كانت ملابسي قد خلقت ، فأنا لا زلت جديدا نضرا .

٩٢٠- ولقد رعيت السنبل والشقائق والريحان ، مع الزهد فيها ، وأضعاف هذا الدلال .

- قال الحمار : هيا ، أنفج علينا نفاجا شديدا ، ففي الغربة يمكن الإدعاء الذى لا يستند على دليل .

- قال الغزال : إن نافجتي في حد ذاتها شاهد عليّ ، فإنها تزرى بالعود والعنبر .

- لكن متى يشمها صاحب شم ؟ ، لقد صارت حراما على الحمار عابد البعر .

- إن الحمار يشم بول الحمار على الطريق ، فكيف أعرض المسك على هذا الفريق ؟

٩٢٥- من أجل هذا قال النبي المستجيب ، سر { الإسلام في الدنيا غريب } .

- ذلك أن أهله أيضا ينفرون منه ، بالرغم من أن الملائكة قرناء لذاته .

- إن الأنعام يرون صورته مجانسة لهم ، لكنهم لا يجدون من " حقيقته " حتى رائحتها .

- وكأنه أسد في إهاب بقرة ، أنظر إليه على البعد ، لكن إياك أن تشق عنه الإهاب .

- وإن شقيقته ففرط أولا في بقرة الجسد ، فإنه يمزق البقرة ، ذلك الذى فيه طبع الأسد .

٩٣٠- إنه يخرج من رأسك طبع البقر ، ومن الحيوان ينزع الطبع الحيواني

- وتكون بقرة فتقلب لديه إلى أسد ، فإذا كنت سعيدا مع طباع البقر ، لا تبحث عن الأسد .

تفسير (إني أرى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف)
كان الله تعالى قد خلق تلك البقرات العجاف على صفة الأسود
الجائعة ، حتى أنها كانت تأكل تلك البقرات السبع السمان
بشبهة ، وبالرغم من خيالات صور البقر أبديت في النوم
تأمل أنت في المعنى

- ذلك الذى كان عزيز مصر يراه في النوم ، عندما انفتح الباب أمام عين
غيبه ؛

- رأى سبع بقرات سمان حسنة التسمين ، أكلتها تلك البقرات السبع العجاف
- لقد كانت تلك العجاف أسدا في الباطن ، وإلا لما كان لها أن تأكل الأبقار
٩٣٥- ومن هنا فإن رجل الأمر قد خلق على صورة الإنسان ، لكن في
داخله أسدا خفيا مفترسا للرجال .

- إنه يبتلع المرء سعيدا ويجعله فردا ، ويصفي كدره ، وإن آلمه . (١)
- فهو بهذا الألم الواحد ينقيه من جملة الأكدار ، فيخطو فوق السها . (٢)
- فحتام تقول كالغراب شديد النحس : أيها الخليل ، لماذا قتلت الديك ؟
- أجب : إنه الأمر ، فحدثنا إذن عن حكمة الأمر ، حتى تكون كل شعرة في
مسيحة له . (٣)

(١) ج/١١-٣١٥:- لتكن بقرة الجسد فداء لأسد الله ، إذا كنت معه ذا صدق وصفاء .- وإن قتلت الضيف
ظللنت نفس مخرة الحمار ، فحتام تربى أيها السيد بقرة الجسد .
(٢) ج/١١-٣١٥:- يصبح ملكا ويترك العبودية ، ويجد في الموت حياة القلب .
(٣) ج/١١-٣١٧:- قال إنه الأمر ، فافقرأ علينا حكمة الأمر ، حتى أهمل له بالروح .

بيان أن قتل الخليل عليه السلام لديك كان إشارة إلى قمع

أية صفة من الصفات المذمومات المملكات في

باطن المريد

- ٩٤ - إنه شهواني ، شديد في عبادة الشهوة ، وهو ثمل من ذلك الشراب المسموم الذي لا قيمة له .
- ولو لم يكن النسل مطلوباً يا وصي " آدم " ، لكان آدم قد خصى نفسه من عارها .
- لقد قال إبليس اللعين للخالق : أريد فخاً عظيماً من أجل هذا الصيد .
- فعرض عليه الذهب والفضة وقطعان الخيل " المسومة " قائلاً له : إنك بهذا تستطيع أن تخطف الخلق .
- قال : حسناً ، وعبس بشدقيه ، وصار عبوساً مليئاً بالغضون وكأنه الأترجة .
- ٩٤٥ - فقدم الحق لذلك المدبر الذهب والفضة والجواهر والمعادن النفيسة .
- قائلاً : خذ هذه الشبكة الأخرى أيها اللعين ، فقال : زدني عليها يا نعم المعين .
- فأعطاه " الطعام " الدسم والحلو والمشروبات الغالية وكثيراً من الثياب الحريرية .
- فقال : يا رب ، أريد أكثر من هذا المدد ، حتى أشدهم إليّ بحبل من مسد .
- فإن الثملين بك من الأبطال الشجعان ، يقطعون كالرجال تلك الحبال .

- ٩٥٠- وحتى يكون رجلك أنت مميزا عمن ليسوا برجال بهذه الفخاخ وحبـال
الهوى .
- إنني أريد شبكة أخرى يا سلطان العرش ، شبكة شديدة الإحتيال ،
تجندل الرجال .
- فأتى بالخمـر وآلات الطرب^(١) ووضعها أمامه ، فابتسم لها نصف ابتسامة ،
ولم يفرح كثيرا .
- فأرسل " إبليس " رسالة إلى " مظهر قدرة الله " في الإضلال منذ الأزل قائلا:
فلتجعل التراب يتصاعد من قاع بحر الفتنة .
- أليس موسى واحدا من عبيدك ، وقد عقدت له حجب الغبار من قلب البحر ؟
- ٩٥٥- وأطلقت للماء العنان من كل صوب ، وارتفع غبار من قاع
البحر؟^(٢)
- وعندما أبدى له حسن النساء وفتنتهم ، التي تتغلب على عقول الرجال
وصبرهم؛
- طرقت بأصابعه فرحا ، وانطلق راقصا ، وقال : أعطنيها سريعا فقد
بلغت مرادى .
- وعندما رأى تلك الأعين المليئة بالخمـر ، والتي تجعل العقول والألباب بلا
قرار .
- ذلك الصفاء الموجود في خدود أولئك الفاتنات ، والتي تحترق عليها القلوب
وكانها البخور .

(١) حرفيا : الصنج وهو آلة موسيقية كالرباب .

(٢) ج/١١-٣١٧:- أعطني فخا قويا حتى يتم الأمر ، ألقه في أفواههم كأنه اللجام .- وأضعهم في
وهقي وأجرهم جرا ، بحيث لا يستطيعون عصيان ذلك الفخ .

٩٦٠- والوجه والخال والشفاة التي كاليافوت ، وكأنما تجلى فيها الحق من

خلف حجاب رقيق (١).

- ولقد رأى هو هذا الغنج والتشي اللطيف ، كأنه تجلي الحق من حجاب

رقيق (٢).

تفسير (لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم ،

ثم رددناه أسفل سافلين) وتفسير (ومن نعمه

ننكسه في الخلق)

- إن الحسن الذي سجد له كما سجدت الملائكة لآدم ، لم يلبث أن عزل وطرد
كما طرد آدم .

- فقال : أواه ، أعدمٌ بعد وجود ؟ فقال : إن جرمك أنك عمرت طويلاً .

- كان جبريل يجره أخذا إياه بالنواصي قائلاً له : إمض عن هذا الخلد وعن هذه
الطائفة من الحسان .

٩٦٥- فقال له : ما هذا الإذلال بعد العز ؟ ، قال : هذا هو العدل وهذا هو الحكم

- يا جبرائيل ، كنت تسجد لي بالروح ، فكيف تطردني الآن من الجنان ؟

(١) ج/١١-٣١٨: _والقد الذي كأنه السرو المتبختر في الرياض ، والخذ كالياسمين والزهور البيضاء .

(٢) ج/١١-٣١٨: - فصار عالمٌ والها حائراً مبهوتاً ، من تلك النظرة والدلال الحلو والجمال .

- إن الحل تتساقط من فوقى امتحاننا ، مثل تساقط الأوراق من الشجر أوان الخريف .

- وذلك الوجه الذى كان يشع كضوء القمر ، صار من الشيخوخة كأنه ظهر الضب .

- وذلك الرأس وذلك المفرق الجميل الوضياء ، صار قبيحا وقت الشيخوخة ، متساقط الشعر .

٩٧٠- وذلك القد الشاق لصفوف الحسان كالسنان ، صار فى الشيخوخة محنيا كأنه القوس .(١)

- لقد صارت حمرة الشقائق صفرة زعفران ، وقوة الأسد صارت كخور النساء .(٢)

- وذلك الذى كان يحمل الرجل تحت إبطه بفن ، صار يؤخذ من تحت إبطيه عند القيام .

- وهذه فى حد ذاتها هى آثار الغم والذبول ، وكل واحد منها رسول للموت .

(١) ج/١١-٣٢١: صار الشعر الذى كان فى سواد الزاغ كالبرد ، وصار الوجه من التجاعيد مليئا بالجراح والوسم .

(٢) ج/ ١١-٣٢١:- صارت العين التى تشبه النرجس ذابلة ، وحرارة الأعضاء تحولت إلى برودة .

تفسير (أسفل سافلين ، إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم

أجر غير ممنون)

- لكن ، إن كان طبيبه نور الحق ، فليس له من الشيخوخة والحمى نقصان ونحول .

٩٧٥- يكون وهنه مثل وهن الثمل ، وفي هذا الوهم يحسده " من هو في قوة " رستم .

- وإن يمت ، تصبح عظامه غريقة في اللذة ، ويصبح ذرة ذرة في شعاع من نور الشوق .

- وذلك الذى لا يكون له " هذا النور " حديقة بلا ثمر ، يقلبها الخريف رأسا على عقب .

- ولا تبقى ورود ، بل تبقى الأشواك سوداء ، ولقد صارت صفراء دون ثمر كأنها تل من قش .

- فما هو الجرم الذى ارتكبته هذه الحديقة يا الله ، حتى تجعلها هكذا مجردة من حللها ؟

٩٨٠- لقد نظرت إلى نفسها ، ورؤية النفس سم قتال ، فانتبه أيها الممتحن .
- وتلك الحسناء التى بكى العالم من حبها ، أخذ عالمها يطردها عنه ، فما ذنبها ؟

- جرمها أن تلك الزينة كانت عارية عندها ، لكنها ادعت قائلة : هذه الحلل ملك لي .

- لقد قمنا باسترداده حتى تعلم على سبيل اليقين ، أن البيدر ملك لنا ، والحسان ملتقطات للحب منه .

- وحتى تعلم أن تلك الحل كانت عارية ، كانت مجرد شعاع من شمس الوجود .

٩٨٥- وأن ذلك الجمال ، وتلك القدرة ، وذلك الفن ، قد انتقلت من شمس الحسن نحو هذه الناحية .

- ثم تعود أنوار تلك الشمس من فوق تلك الجدران ، وتآفل " كأنها النجوم .
- لقد عاد شعاع الشمس نحو موضعه ، وبقي كل جدار أسود مظلمًا .
- وذلك الذى جعلك ذاهلاً أمام وجوه الحسان ، هو نور الشمس " قد اخترق " زجاجاً ذا ثلاثة ألوان .

- والزجاج الملون هو الذى يبدى لك ذلك النور الذى لالون له ، مختلفاً ألوانه .
٩٩٠- وعندما لا يبقى الزجاج الملون ، يجعلك النور الذى لالون له ذاهلاً آنذاك .

- فتعود على رؤية النور بلا زجاج ، بحيث لا تبقى أعمى عندما ينكسر الزجاج - وإنك لقانع من علم مكتسب ، وقد أضأت بصرك بمصباح الغير .
- فيقوم بخطف مصباحه حتى تعلم أنك مستعير ، ولست بالفتى .
- فإذا قمت بالشكر وسعي المجتهد، لا تحزن ، فإنه يرد إليك أضعافاً مضاعفة ، ما فقد .

٩٩٥- وإن لم تشكر ، فلتبك الآن دماً ، فقد صار ذلك الحسن بريئاً من الكافر ، منتفياً عنه .

- " أمة الكفران أضل أعمالهم ، أمة الإيمان أصلح بالهم " (١)

(١) بالعربية في المتن الفارسي .

- لقد ضاع الحسن والفضل لانعدام الشكر ، بحيث لا يرى " الكافر " أثرا منها أبدا .

- فلقد ضاع منه " كل إحساس " بالصلة والقرابة أو بانعدامهما ، وبالشكر والوداد ، بحيث لم يعد يذكرها .

- فإن " أضل أعمالهم " أيها الكافرين ، تعنى ضياع الرغبة من كل من بلغ منيته ١٠٠٠- اللهم إلا من أهل الشكر وأهل الوفاء ، فإن الدولة تحل في أثرهم أينما يحلون .

- ومتى تعطي الدولة الزائلة القوة ؟ إن الدولة المقبلة هي التي تهب الخاصة .
- فاقترض من هذه الدولة مصداقا لقوله : أقرضوا ، حتى ترى مائة دولة أمامك
- وقلل من الشرب هنا ، من أجل نفسك ، حتى تجد حوض الكوثر أمامك .
- وذلك الذي صب جرعة على تراب الوفاء ، متى يستطيع صيد الدولة أن يفر منه ؟

١٠٠٥- إنه يسعد قلوبهم مصداقا لقوله «أصلح بالهم» ، و" رد من بعد النوى أنزالهم "(١)

- قائلا : يا أيها الأجل ، يا أيها التركي المغير على القرية ، رد على هلاء الشكورين ما أخذته منهم .

- فيقوم برده إليهم ، لكنهم لا يقبلونه ، ذلك أنهم نعموا ببضاعة الروح .
- ويقولون : نحن من الصوفية ، وقد مزقنا الخرق ، ولا نأخذها ثانية ، ما دمنا قد قامرنا بها .

(١) ما بين القوسين بالعربية في المتن الفارسي .

- لقد عوضنا ، فما هو هذا العوض أخيرا ، لقد ذهبت عنا الحاجة والحرص والغرض .

١٠١٠- ولقد خرجنا من الماء المالح المهلك ، وتقاطرنا على الرحيق وعين الكوثر .

- وما قمت بفعله أيتها الدنيا مع الآخرين من غدر ومكر ودلال ثقيل ؛
- نصبه نحن على رأسك جزاء وفاقا لك ، فنحن شهداء قدمنا إلى الغزو .
- حتى تعلمين أن للآله الطاهر عبادا ، ديدنهم الهجوم والجدال والمعارضة والمراء معك .

- إنهم ينتزعون شوارب مكر الدنيا ، وينصبون خيامهم على قلاع النصر
١٠١٥- لقد صار هؤلاء الشهداء غزاة من جديد ، وهؤلاء الأسرى أوشكوا من جديد على النصر .

- ولقد أطلوا برؤوسهم مرة ثانية من العدم ، قائلين : أنظر إلينا إن لم تكن أكمله .

- حتى تعلم أن هناك شموسا في العدم ، وأن ما يسمى شمس هنا ، هي هناك نجمة سها .

- وكيف يكون الوجود في العدم أيها الأخ ؟ وكيف يكون الضد مكنونا في ضده ؟

- فاعلم أنه يخرج الحي من الميت ، حتى صار العدم أملا عند العابدين .
١٠٢٠- وذلك الزارع الذي تكون أهرأوه خالية ومع ذلك يكون سعيدا ، أليس ذلك على أمل ما هو " موجود " في العدم ؟!

- فإن ذلك " الزرع " ينبت من العدم ، وافهم ، إن كنت واقفا على المعاني .

-إنك تكون منتظرا لحظة بلحظة " ما يأتي " من العدم ، وأن تجد الفهم ولذة السكينة والبر .

- وليس هناك إذن بكشف هذا السر ، وإلا لجعلت كل " كفرة " الأبخاز من " مؤمني " بغداد .

- ومن ثم فإن خزانة صنع الحق هي العدم ، فهو يأتي منها بالعطايا ، لحظة بلحظة .

١٠٢٥- فالحق مبدع ، والمبدع هو الذي يأتي بالفرع ، دون أن يكون له أصل أو سند .

مثال لعالم الوجود الذي يبدو عدما ، وعالم العدم الذي يبدو وجودا

- لقد أبدى العدم وجودا شديد الإحترام ، وأبدى الوجود على شكل العدم .
- لقد أخفى البحر وجعل لك الزبد ظاهرا ، وأخفى الريح وأبدى لك الغبار .
- " أبداه لك " كمئذنة من التراب الملتف المتصاعد ، فكيف يصعد التراب من تلقاء نفسه ؟

- لكنك ترى التراب متصاعدا أيها العليل ، ولا ترى الريح إلا بتعريف الدليل .
١٠٣٠- ترى الزبد رايبا من كل صوب وناحية ، والزبد لا يتحرك دون وجود البحر .

-إنك ترى الزبد بالحس والبحر بالدليل ، والفكر خفي ، وما هو واضح هو القال والقيـل .

- ولقد كنا نظن النفي إثباتا ، وكانت لنا عيون ترى ما ليس موجودا .

- وذلك الذى ظهر لنا فى نوم ونعاس ، ماذا يمكن أن يكون إلا خيال ، وليس برؤية حقيقية ؟

- فلا جرم أننا صرنا دائري الرؤوس من الضلال ، وعندما اختفت الحقيقة ، ظهر الخيال .

١٠٣٥- وعندما وضع هذا العدم أمام النظر ، كيف أخفى تلك الحقيقة عن البصر ؟

- فالتناء عليك ، أيها الأستاذ الساحر ، الذى أبديت الكدر للمعرضين صفاءً .

- إن السحرة يقيسون على وجه السرعة ضوء القمر أمام التاجر ، ويقبضون الذهب ربها .

- ويختطفون الفضة على هذا النسق أكاداسا أكاداسا ، وضاعت الفضة من اليد ، ولا كرباس هناك .

- وهذه الدنيا ساحرة ونحن تجار ، نشترى منها ضوء القمر الذى تم قياسه ١٠٤٠- إنها تقيس على وجه السرعة خمسمائة ذراع من الكرباس ، وبشكل ساحر ، من ضوء القمر .

- وعندما سلبت فضة عمرك أيها السالك ، هل تحولت الفضة إلى كرباس ؟ لا ، والكيس فارغ .

- وينبغي لك أن تقرأ (قل أعوذ) أيها الأحد ، هيا أبد شكواك من النفاثات فى العقد .

- إن أولئك الساحرات ينفثن فى العقد ، فالغياث أيها المستغاث من سوء المآل .

- لكن فلتقرأ أيضا بلسان العقل ، فإن لسان القول لسان واهن ، أيها العزيز .

١٠٤٥- وهناك ثلاثة رفاق لك فى العمر ، أحدهم وفى والآخران غادران .

- أحدهما صحبتك ، وثانيهما متاعك ومالك ، وثالثهما الوفي هو حسن فعالك .
- إن المال لا يخرج معك من القصور ، ويأتي معك الصاحب حتى " باب " القبر -
- ذلك أنه في يوم مماتك يقول لك ذلك الصاحب بلسان حاله :
- لست رفيقا لك أكثر من هذا ، ولأقف برهة على قبرك .
- ١٠٥٠- لكن فعلك هو الوفي فالزمه ، فهو الذى يدخل معك إلى قاع اللحد .

**في تفسير قول المصطفى ﷺ : لا بد من قرين يدفن معك وهو حي
وتدفن معه وأنت ميت ، إن كان كريما أكرمك ، وإن كان لئima
أسلمك ، وذلك القرين عملك ، فاصلحه ما استطعت . صدق**

رسول الله

- ومن هنا قال الرسول ﷺ : من أجل هذا الطريق ، ليس هناك من رفيق أوفى من العمل .
- فإن كان طيبا ، يكون رفيقا لك إلى الأبد ، وإن كان سيئا ينقلب عليك حية في اللحد .
- وهذا هو العمل والكسب في طريق السداد ، ومتى يمكن فعله - أيها الأب - دون تعليم من أستاذ ؟
- وأدنى حرفة تجرى في هذه الدنيا ، لا تكون أبدا دون إرشاد أو أستاذ .
- ١٠٥٥- إن أولها علم ومن بعدها يأتي العمل ، حتى تعطي الثمر من مهلة أو أجل .
- " استعينوا في الحرف ياذا النهى ، من كريم صالح من أهله -

- أطلب الدر أخي وسط الصدف ، واطلب الفن من أرباب الحرف
- إن رأيتم ناصحين أنصفوا ، بادروا التعليم ، لا تستكفوا " (١)
- وإن لبس المرء الملابس الخلقة عند قيامه بصناعة الدباغة ، فإن ذلك لا يقلل من سيادته ، إن كان سيدا .
- ١٠٦٠- وعند النفخ " في الكور " إن لبس الحداد الملابس الممزقة ، فإن احترامه لم يقل أمام الخلق .
- فاخلع إذن لباس الكبر عن الجسد ، وعند التعلم ، إلبس لباس الذل .
- والطريق إلى تعلم العلم هو القول ، لكن تعلم الحرفة يكون عن طريق عملي .
- وإن كنت تريد " علم " الفقر فهو قائم بالصحبة ، فلا لسانك يعمل " لاكتسابه" ولا يدك . (٢)
- إن معرفته تتلقاها الروح من الروح ، لا عن طريق الكتاب ولا عن طريق اللسان .
- ١٠٦٥- وإن كان موجودا في قلب السالك بشكل غامض ، فليس عند السالك معرفة بالرموز بعد .
- حتى يشرح قلبه ذلك الضياء ، ومن هنا قال تعالى : ﴿ ألم نشرح لك صدرك ﴾ .
- أي أننا أعطيناك الشرح داخل الصدر ، ووضعنا نحن الشرح داخل صدرك .
- لكنك لا زلت تطالبه حتى الآن من خارجك ، وإذا كان لديك اللبن ، فكيف تحلبه من آخرين ؟

(١) مابين القوسين بالعربية في المتن الفارسي .

(٢) ج/١١-٣٣٧:- والمعرفة أنوار في أرواح الرجال ، لا عن طريق الدفتر والقليل والقال .

- وهناك عين لبن في داخلك بلا ضفاف ، فكيف تطلب ذلك اللبن " المصبوب
في قدر ؟

١٠٧٠- وإن لديك منفذا إلى البحر يا طالب السقيا ، فاشعر بالعار من طلبك
الماء من الغدير .

- فمن " ألم نشرح " لا شرح لك بعد ، ما دمت باحثا عن الشرح متكديا إياه
- فانظر إلى شرح القلب من داخلك ، حتى لا يأتينك الوصف بـ
" لا تبصرون " .

تفسير (وهو معكم)

- هناك سلة مليئة بالخبز فوق رأسك ، وأنت لا تفتأ تتكدي كسرة خبز من باب
إلى باب .

- فخرج على رأسك ، ودعك من دوار الرأس ، وامض ، واطرق باب القلب ،
لماذا أنت على كل باب ؟

١٠٧٥- إنك واقف في جدول ، مأؤه يصل إلى ركبتيك ، وغافل عن نفسك ،
وباحث عن الماء من هذا وذاك .

- فالماء أمامك وخلفك ، وذو مدد ، لكن العيون من بين أيديها سد ، ومن خلفها
سد .

- فالجواد موجود تحت الفخذ ، والفارس باحث عن الجواد ، وإن "سئل " :
ما هذا ؟ قال : جواد ، ولكن أين الجواد ؟

- انتبه ، أليس هذا الذى يبدو تحتك جواد ؟ قال : نعم ، لكن من رأى جوادا قط ؟

- إنه ثمل بشيء ، وأمام وجهه ذلك الشيء ، وهو غافل عنه ، وغافل عن تفصيلاته أيضا .

١٠٨٠- وهو ثمل شوقا إلى الماء وهو أمام وجهه، إنه في الماء ، لكنه غافل عن هذا الماء الجارى .

- كالدر في البحر ويتساءل : أين البحر ؟ وذلك خيال ، لأن، الصدف جدار أمامه "دون البحر"!!

- وتساؤله هذا يصبح حجابا له ، يصبح سحابا على شعاع شمس "حقيقته" .

- إن عينه الرمضاء المريضة هي ختم بصره ، إن ما ينبغي أن يرفع السدود من أمامه ، صار سدا له .

- إن لبه نفسه قد صار ختما على سمعه ، فليكن لبك مع الحق ، يا حائرا في آلائه .

في تفسير قول المصطفى ﷺ : من جعل الهموم هما واحدا ، كفاه الله

سائر همومه ، ومن تفرقت به الهموم ، لا يبالى الله في أى واد أهلكه

١٠٨٥- لقد وزعت لبك على " كثير " من الجهات ، بينما لا تساوى شروى نقير (١) تلك الترهات .

- وكل جذر لشوكة يمتص ماء لبك ، ومتى يصل ماء لبك إلى الثمار ؟ (٢)

(١) حرفيا : فجلة واحدة .

(٢) ج/١١-٣٤٨:- إن كل نبات لاقيمة منه يجذب الماء منك ، ومتى يصل ماء ذهنك إلى الإله .

- هيا فلتقطع ذلك الغصن السيء ولتقم بتقضييه ، ولترو هذا الغصن الحسن الطيب ، ولتجعله نضرا .

- إن كليهما أخضر في هذه اللحظة ، لكن أنظر إلى العاقبة ، فإن ذلك يذوى ، ومن هذا تنمو الثمار .

- وماء البستان لهذا حلال ولذاك حرام ، وسوف ترى الفرق في آخر الأمر ، والسلام .

١٠٩٠- وما هو العدل ؟؟ إنه سقيا هذه الأشجار ، وما هو الظلم ؟ إنه إهدار الماء على تلك الأشواك .

- إن العدل هو وضع النعمة في موضعها ، لا أن تكون ساقيا لكل جذر يكون .
- وما هو الظلم ؟ إنه وضع الشيء في غير موضعه ، وهذا في حد ذاته لا يكون إلا منبعا للبلاء .

- فأعط نعمة الحق للروح والعقل ، لا إلى الطبع كثير الهموم كثير العقد .
- ولتجعل أحمال الحزن كلا على " كاهل " جسدك، ودعك من وضعها على كاهل الروح ، فإنها تحطم روحك

١٠٩٥- لقد وضع " أحدهم " على أم رأس عيسى " الروح " حملا ثقيلًا ، بينما يبرطع حمار " الجسد " في المروج .

- وليس من المعقول وضع الكحل في الأذن ، وليس من المعقول أن تطلب من الجسد أعمال القلب .

- فإذا كنت قلبا تبخر وتدل ولا تتحمل الذل ، وإذا كنت جسدا ، لا تتلذذ بالسكر ، وتذوق السم .

- فالسم نافع للجسد ، لكن السكر ضار له ، ومن الأفضل للجسد أن يبقى بلا مدد .

- إن الجسد هو حطب جهنم ، فلتصبه بالنحول ، والحطب إن نبت ، إذهب واقتله .

١١٠٠- وإلا صرت حطبا وحمالا للحطب ، في الدارين مثل زوج أبي لهب .
- ولتميزن بين غصن سدره " المنتهى " وبين الحطب ، وإن كان كلاهما أخضر ، أيها الفتى .

- فأصل ذاك الغصن هو السماء السابعة ، وأصل هذا الغصن من النار والدخان
- وهما يتشابهان في الصورة أمام الحس ، فإن عين الحس تخطيء النظر ، وهذا ديدنها .

- لكن الفرق شديد الوضوح أمام عين القلب ، وجاهد " ولو " جهد المقل ، وتعال نحو القلب .

١١٠٥- وإن لم يكن لك قدم ، فحرك نفسك ، حتى ترى كل قليل وكل كثير . (١)

في معنى هذا البيت :

إن مضيت في الطريق ، فإنهم يفتحون لك الطريق

وإن صرت عدما ، يتجهون بك إلى الوجود (٢)

- إذا كانت زليخا قد غلقت الأبواب من كل طرف ، فإن يوسف عليه السلام وجد من الحركة المنصرف .

- فافتح القفل والباب ، واتضح الطريق ، عندما توكل يوسف عليه السلام وتحرك .

(١) ج/١١-٣٤٩:- فإن هذه الحركة قد صارت مفتاحا للبركة ، ومن الحركة تستفيد أيها القلب .

(٢) العنوان عند جعفرى "١١-٣٥٦" : في معنى هذه الرباعية ، ثم بيت لإكمال الرباعية بعد البيت المذكور :
وإن تواضعت لا يسعك العالم ، وأنذاك يبدونك لنفسك دون نفسك .

- وإن لم تكن فرجة واحدة ظاهرة وموجودة ، فينبغي السعي على العشواء ، كما فعل يوسف ^{عليه السلام} .

- حتى يفتح القفل ، ويبدو الباب ، ويصبح لك منفذٌ إلى اللامكان .

١١١٠- لقد جئت إلى هذه الدنيا أيها الممتحن ، فهل تراك رأيت قط الطريق الذي جئت منه ؟

- لقد جئت من مكان ما ومن موطن ما ، فهل علمت طريق المجيء قط ؟ أبدا ، على الإطلاق .

- وإذا كنت لا تعلم ، وحتى لا تقول : لا طريق ، فإن من هذا الطريق الذى لا طريق فيه ، ذهابنا .

- إنك في النوم تمضي سريعا إلى اليسار وإلى اليمين ، فهل تعلمن على الإطلاق أين هذا الميدان الذى " تركض فيه " ؟

- فلتغمض هذه العين ، ولتسلم نفسك ، حتى ترى نفسك في تلك المدينة القديمة .
١١١٥- وكيف تغلق عينيك ومائة عين ذات خمار ، هي غرورا سد أمام عينيك من هذه الناحية .

-- وأنت شديد القلق والانتظار عشقا لأولئك الذين يشترون " ما تعرض " وأملا في العظمة والسيادة .

- وإن نمت ، فإنك ترى أولئك المرجوئين في النوم ، ومتى تحلم بومة النحس إلا بالخرائب ؟!

- إنك تريد من يشتري منك كل لحظة ، وفي غاية السعى والقلق ، وماذا لديك لكي تبيع ؟ لاشيء على الإطلاق !!

- فلو كان لقلبك خبزٌ أو أدم ، لفرغت تماما من أولئك المشتريين (١).

(١) ج/١١-٣٥٦: وإن كان ثم خبز في كيسك ، لفرغت تماما من مشتريي قلبك .

- قصة ذلك الشخص الذي كان يدعي النبوة ، فقالوا له : ماذا أكلت حتى صرت أحمق تهذي ؟ فقال : لو وجدت شيئاً آكله ، لما تحولت إلى أحمق ، ولما هذيت ، فإن أي كلام طيب لو قيل لغير أهله يكون من قبيل الهذيان ، وإن كانوا مأمورين بقول هذا الهذيان**
- ١١٢٠- طفق أحدهم يقول " إنني رسول الله ، وأنا أكثر فضلاً من كل الرسل والأنبياء .
- فقيدوا عنقه ، وأخذوه إلى الملك ، وقالوا : إن هذا يقول إنه رسول من الإله .
- وتجمع عليه الخلق ، كالنمل والجراد ، قائلين : ما هذا المكر ؟ ما هذا الاحتيال ؟ وما هذا الكيد ؟
- فإن كان رسولا ذلك الذي يأتي من العدم ، فنحن كلنا رسل وفي غاية الاحترام
- لقد جئنا كلنا من هناك ، ونحن هنا كلنا غرباء ، فلماذا خصصت أنت بها ، أيها البليغ المفوه ؟ (١)
- ١١٢٥- ألم تأتوا أنتم إلى هنا كالأطفال النائمين ، وكنتم غافلين عن الطريق ، وعن المنازل .
- لقد مررتم بالمنازل نياماً ثملين " بالنعاس " ، غافلين عن الطريق ومرتفعاته ومنخفضاته .
- لكننا غدونا السير في اليقظة سعداء " منتبهين " ، مما وراء " الحواس " الخمسة و" الجهات الستة " حتى أرضها وموضعها .
- ورأينا المنازل من الأصل والأساس ، مثل الأدلاء الخبراء العارفين بالطريق .

(١) ج/١١-٣٦٣: وأجابهم ذلك الرسول الطيب قائلاً : يا جماعة من العمى والجهال وأرباب الفضول . - إنكم لم تعلموا أيها القوم أنه قد قضي عليكم بالوصول إلى هنا ، وهذا من عماكم .

- فقالوا للملك : قم بتعذيبه ، حتى لايقول أحد على شاكلته هذا الكلام أبدا .
١١٣٠- فرآه الملك شديد النحول والضعف ، بحيث يموت من صفة واحدة ،
ذلك المسكين .

- فكيف يمكن تعذيبه أو ضربه ؟ وبدنه كان قد صار كالزجاج .
- " وقال في نفسه " : على أن أتحدث إليه بالحسنى ، وأسأله : لماذا أنت آخذ في
التجديف بالعصيان والكفر ؟

- فإن الشدة لا تجدى هنا نفعا ، وبالحسنى واللين ، تطل الحية برأسها من
جحرها .

- وأبعد الناس من حوله . كان ملكا رقيقا ، ديدنه اللطف والملاينة .
١١٣٥- فأجلسه ، ثم سأله عن موطنه ، ومن أين يتعيش ؟ وإلى أين يلجأ
ويأوى ؟

- قال : أيها الملك ، إنني من دار السلام ، وجئت من الطريق إلى هنا ، دار
السلام .

- وأنا لا دار لي ، ولا جليس واحد أجالسه ، ومتى تتخذ السمكة من اليابسة
مسكنا ؟!

- ثم سأله الملك مازحا : إذن ماذا أكلت ؟ وبم انتدمت ؟
- وهل تشتهي شيئا ؟ وماذا أكلت هذا الصباح ، بحيث إنك منتش إلى هذا الحد ،
كثير النفاق شديد الكبرياء ؟

١١٤٠- أجاب : لو كان عندي خبز ، جافا كان أو طريا ، فمتى كان لي أن
أدعي النبوة ؟

- إن ادعاء النبوة مع هذا القليل من الناس ، أشبه بطلب القلب من صخر أو من
جبل .

- ولم يطلب أحد من جبل أو من صخر عقلا وقلبا ، ولم يسأله عن فهم نكتة من النكات أو ضبطها .

- فإن كل ما تنفوه به يردده الجبل بعينه ، يردده ترديد الرقية هازئا مازحا .

- فأين هؤلاء القوم من الرسالة ؟ ومن الذى يكون عنده رجاء الروح في جماد ؟
١١٤٥- فلو أنك جئت إليهم برسالة عن النساء والأموال ، لطأطأوا كلهم رؤوسهم طاعة أمامك ، ولسلموك أموالهم .

- ولو قلت لأحدهم إن في موضع كذا حسناء تدعوك ، فقد صارت عاشقة لك ، يعترف بك آنذاك .

- ولو أنك أتيت برسالة من الله كأنها الشهد ، داعيا : تعال إلى الله ، يا طيب العهد ؛

- وامنض من دنيا الموت نحو الزاد ، وإذا كان البقاء ممكنا ، لا تصر فانيًا -
- فإنهم يهبون سعيا لسفك دمك وقطع رأسك ، لا حمية للدين ، ولا غيرة على الفضل .

سبب عداوة العوام لأولياء الله الذين يدعونهم

إلى الحق وإلى ماء الحياة الأبدية .. وعيشهم غرباء عنهم

١١٥٠- بل إن ذلك يكون من التصاقهم بالمال والأهل ، ويكون سماع هذا البيان مرا بالنسبة لهم .

- إن خرقة قد التصقت التصاقا شديدا بجرح الحمار ، وعندما تريد أن تنزعها منه قطعة قطعة ؛

- فإن ذلك الحمار يرفس بقدميه يقينا من الألم ، وما أفضل من اتقاه وابتعد عنه .

- خاصة إذا كان هناك خمسون جرحا ، وفي كل موضع خرقه ، ملتصقة برأسه ، غارقة في العرق .
- وإن الأهل والأملاك كالخرقة ، وهذا الحرص هو الجرح ، وكلما ازداد الحرص ، ازدادت الجراح .
- ١١٥٥- إن الأهل والأملاك بمثابة بومة " ملازمة " للخراب فحسب ، فهي لا تسمع أوصاف بغداد وطبس .
- ولو أن بازي سلطانيا عاد من الطريق ، وأتى بمائة خبر لهذا اليوم عن المليك - وتحدث مفصلا عن دار الملك والبساتين والأنهار ، إذن لسخر منه آنذاك مائة عدو .
- قائلين : لقد أتى لنا البازي بأساطير الأولين ، وإنه يخلق الكلام هازلا مجدفا .
- والأساطير القديمة هي هم ، وهم المهترئون إلى الأبد ، وإلا فإن ذلك الحديث من البازي ، يجعل القديم جديدا .
- ١١٦٠- إنه يهب الروح للموتى الذين ماتوا منذ زمن ، ويهب تاج العقل ونور الإيمان .
- فلا تسرق القلب من الفاتن الذي يهب الروح ، فهو الذي يجعلك تمتطي ظهر الجواد الأصيل .(١)
- ولا تسرق الرأس من الرفيع العظيم الذي يهب التاج ، فهو الذي يفك مائة عقدة من حول قدم القلب .
- ومع من أتحدث ؟ فأين حي واحد في القرية ؟ وأين ساع واحد نحو ماء الحياة ؟

(١) حرفيا : رخش وهو اسم جواد رستم .

- إنك بذلة واحدة هارب من العشق ، وماذا تعرف من العشق سوى الاسم ؟
- ١١٦٥- وإن للعشق مائة دلال واستكبار ، واليد لا تحصل عليه إلا بعد تدلل كثير منه .
- ولأن العشق وفي ، فإنه يشتري الوفي ، ولا ينظر أبدا إلى الرفيق الغادر .
- فالإنسان بمثابة الشجرة ، وجذورها العهد ، وينبغي للجذور أن تُعهد بالرعاية ، وبجهـد .
- وإن العهد الذي يكون فاسدا جذر مهترىء ، قد انقطع عن الثمار ، وعن اللطف .
- وبرغم أن فروع النخلة وأوراقها خضراء ، لا نفع فيها ، مادام جذرها فاسدا .
- ١١٧٠- وإن لم تكن فيها أوراق خضراء وجذرها موجود ، فإنها في النهاية تخرج مئات الأوراق .
- فلا تكن مغرورا بالعلم وابحث عن العهد ، فالعلم بمثابة القش ، والعهد بمثابة لبـه .

- في بيان أن الرجل الطالم عندما يتمكن في الشر ، ويرى آثار**
- إقبال الطيبين ، ينقلب إلى شيطان ، ويصمم مانعا للخير من الحسد**
- مثل الشيطان الذي احترق بیدره ، يريد أن يكون جميع الخلق**
- محترقي البيادر (أرأيت الذي ينهى * عبدا إذا صلى)**
- وعندما ترى الأوفياء قد حازوا النفع ، تصبح آنذاك حسودا كالشيطان .
- وكل من ساء مزاجه ووهن طبعه ، لا يريد لأحد قط أن يكون صحيح الجسد .
- فإن لم تكن تريد أن يكون لديك حسد إبليس ، فتعال من باب الدعوى إلى عتبة الوفاء .

١١٧٥- ومالم يكن لديك وفاء لاتتحدث ، فإن أغلب حديث الادعاء مكون من " أنا " و " نحن " .

- وهذا الكلام الموجود في الصدور بمثابة الدخول للألباب، ومن ثم ففي الصمت مائة نماء للرب الروح .

- وعندما يتفوه به اللسان ، فقد صار إنفاقا من الرب ، فقلل الإنفاق حتى يبقى الرب المعيا .

- ولمن قل كلامه ذهن عبقرى ، وعندما زاد قشر الكلام ، فقد ضاع الرب .
- ذلك أنه عندما يزيد القشر يقل الرب ، ويرق القشر عندما يكتمل الرب ويتضخم .

١١٨٠- فانظر إلى هذه الثمار الثلاثة فقد نجت من الفجاجة : الجوز واللوز والفسدق .

- وإن كل من يعصى يكون شيطانا ، ويكون حسودا لدولة الأخيار وإقبالهم .
- وما دمت قد وفيت بعهد الله ، فإن الله تعالى من كرمه يحفظ عهده .
- وأنت مغمض العينين عن وفاء الحق ، ولم تسمع « اذكروني أذكركم » .
- وأنصت ، واستمع إلى « أوفوا بعهدى » حتى تأتي « أوف بعهدكم » من الحبيب .

١١٨٥- فأى عهد وأى قرض منا نحن أيها الحزين المسكين ، إنه من قبيل وضع الحبة المتبسة في الأرض .
- لا يكون منها للأرض ضياء أو نعمة ، ولا لرب الأرض منها الدخل والغنى .

- اللهم إلا أن يتضرع إلى الله قائلا : يا إلهي ينبغي لي دخل من هذه الحبة ، فقد أعطيت أنت أصلها من العدم .

- لقد أكلت أنا " من المحصول " وأتيت بهذه الحبة كدليل ، فقد سقت هذه النعمة إلينا فسقها ثانية .

- فدعك إذن من هذا الدعاء الجاف الذي لامعنى له ، واعلم أن إلقاء البذرة في التراب يريد شجرة .

١١٩٠- وإن لم تكن لديك حبة ، فإن الله سبحانه وتعالى من هذا الدعاء ، يهبك نخلا ، فنعم سعيك الذى سعيت .

- مثل مريم البتول ، كان لديها الألم ، ولم يكن لديها حب، لكن صاحب الفضل ، جعل لها تلك النخلة خضراء .

- وذلك لأن تلك السيدة العظيمة كانت وفيّة ، فأعطاه الله مائة مراد ، دون أن تطلب .

- وتلك الجماعة التى كانت ذات وفاء ، زادهم الله في كل شيء عمن هم من جنسهم .

- لقد صارت البحار مسخرة لهم والجبال ، والعناصر الأربعة عبيد أيضا عند تلك الجماعة .

١١٩٥- إن هذا الإكرام في حد ذاته بمثابة الدليل ، حتى يراها أهل الإنكار عيانا بيانا .

- لكن كراماتهم الخفية لا تدركها حواس ، ولا يعبر عنها بيان .

- إن هذا هو ديدنه ، ويكون هذا إلى الأبد ، على سبيل الدوام ، لا ينقطع ولا يسترد .(١)

(١) ج/١١-٤٣١:- بل يبقى لحظة بعد لحظة في رقي ، ذلك أن واهبها صاحب كرم وعطاء .

مناجاة

- يا واهب القوت والتمكين والثبات ، ألا فلتخلصن الخلق يا إلهي من عدم الثبات هذا .
- وعلى ذلك الأمر الذى ينبغى الثبات عليه ، اجعل النفس مقيمة ، فهي نزاعة إلى الهوى .
- ١٢٠٠- وامنحهم -يا إلهي- الصبر وكفة الميزان الثقيلة ، وخلصهم -يا إلهي- من فن من يصورون لهم السوء .
- واشهرهم ثانية من الحسد أيها الكريم ، حتى لا يتحول كل منهم من الحسد إلى شيطان رجيم .
- وفي النعيم الفانى للمال والجسد ، لا يفتأون يحترقون جميعا من الحسد.
- فانظر إلى الملوك الذين يجرون الجيوش ويسوقونها ، ويقتلون أقاربهم من الحسد .
- والعشاق للحسان المليئات بالقذر والدنس ، أخذوا يسعون في دماء بعضهم البعض وأرواحهم .
- ١٢٠٥- فاقراً " ويس ورامين " و "خسرو وشيرين " ، وماذا فعل من جراء الحسد أولئك البلهاء .
- ولقد فنى العاشق كما فنى المعشوق ، فهم ليسوا بشيء ، وهواهم ليس بالشيء الذى يذكر .
- والإله الطاهر الذى يضرب عدمه ببعضه ، هو الذى يجعل عدم عاشقا لعدم .
- ومن القلب الذى ليس بقلب تطل أنواع الحسد ، وهكذا يجعل عدم مضطرا إلى أن يبدو وجودا .

- وهؤلاء النساء اللاتي هن أكثر شفقة ، أليس من الحسد تأكل إحداهما الأخرى عندما تكون ضرة لها ؟

١٢١٠- فما بالك بالرجال وهم بطبعهم قساة القلوب ، ترى في أى منزل هم من منازل الحسد ؟

- ولو لم يقدم من الشريعة رقية تلطف " هذا الجحيم " لمزق كل خصم جسد خصمه .

- فإن الشرع يشير بالرأى من أجل دفع الشر ، ويحبس الشيطان في قارورة الحجة .

- فلا يزال بالبرهان والأيمان والنكوص " عن الادعاء " ، حتى يدخل شيطان الفضول في القارورة .

- مثل الميزان الذى يجمع رضا الضدين ، على سبيل اليقين في الجد وفي الهزل .

١٢١٥- فاعلم أن الشرع بمثابة الميزان والمكيال على وجه اليقين ، فبه ينجو الخصمان من القتال ومن الحقد.

- وإن لم يكن ثم ميزان ، فمتى كان الخصم من الجدل ، يتخلص من وهم أنه " قد تعرض للحيف والاحتياي .

-ومن هنا ففي هذه الجيفة القبيحة التي لا وفاء عندها ، يوجد كل هذا الحسد وكل هذه الخصومة وكل هذه القسوة .

-إذن فمن أين يكون فيها إقبالٌ ودولة ، والجنى والإنسي ماضيان في الحسد ؟
- وأولئك الشياطين أنفسهم حسودون قداماء ، وهم لا يتوقفون لحظة واحدة عن قطع الطريق .

١٢٢٠- وأولئك الأدميون الذين زرعوا العصيان ، تحولوا بدورهم من الحسد إلى شياطين.

- فاقراً من القرآن أن شياطين الإنس ، قد صاروا من مسخ الإله لهم ، من نفس جنس الشياطين .

- وعندما يصبح الشيطان عاجزاً عن الفتنة ، فإنه يطلب العون من هؤلاء الإنس - قائلاً لهم : أنتم أعوان لي ، فالعون العون ، وأنتم إلى جانبي ، فقدموا لي المساعدة والتأييد .

- وإن قطع الطريق على أحد في الدنيا ، فإن هذين النوعين من الشياطين يهبان فرحين .

١٢٢٥- وإن نجا أحد بروحه ، وصار عالياً في الدين ، فإنهما ينوحان ، كلا الحاسدين .

- وكلاهما يصر على أسنان الحسد ، على كل من وهبه الله العقل .

سؤال الملك مدعي النبوة هذا عن الرسول الصادق وماذا يكون

معه يهبه لأتباعه وماذا يجدونه في حضرته وصحبته غير

النصيحة التي يقولها بلسانه

- فسأله الملك : بماذا أوحى إليك ؟ وأي نفع يتأتى أصلاً من ذلك الذي يكون نبياً؟ (١)

- قال : قل لي أنت ما الذي لم ينزل به الوحي بعد ؟ وأية دولة بقيت ، ولم يصل النبي ﷺ إليها ؟

(١) ج/١١-٤٤٧:- وأي شيء يهبه للمرء في حديثه ؟ غير النصيح وغير الأوامر والنواهي .

- وأي نفع من محضره وصحبته ، وفي أي رتبة ودرجة يكون من يتبعه ؟

- ولنفرض أن الوحي الذي نزل عليّ ليس هو وحي الرسول خزانة "المعرفة" ،
إنه ليس أقل من الوحي الذي نزل على النحل .

١٢٣٠- وعندما نزلت ﴿ أوحى ربك إلى النحل ﴾ ، جعل منزل وحيه مليئاً
بالشهد .

- وهو بنور وحي الحق عز وجل ، جعل عالماً مليئاً بالشمع والعسل .
- وذلك الذي نزلت في حقه ﴿ كرماً ﴾ ، وهو يمضي إلى أعلى عليين ، متى
يكون وحيه أقل من وحي النحل - وألم تقرأ أنت ﴿ إنا أعطيناك الكوثر ﴾ ،
إذن فلماذا بقيت جافاً متيبساً ظمآنًا ؟

- أو ربما كنت أنت فرعون ، والكوثر كالنيل ، قد تحول من أجلك إلى دم كدر
أيها العليل .

١٢٣٥- فهيا ، تب ، وكن ضائقاً نفوراً من كل عدو ، ليس لديه ماء الكوثر في
وعائه . (١)

- وكل من رأيته أحمر الوجه من ماء الكوثر ، فهو في طبع محمد ﷺ قد تطبع
بطبعه .

- حتى تأتي في حساب [أحبه الله] ، فإن معه تفاحاً من الشجرة المحمدية .
- وكل من تراه ظامياً الشفة من الكوثر ، عادته كأنه الموت أو كأنه
الحمى . (٢)

- حتى ولو كان أباك ولو كان أمك ، فإنه في الحقيقة شاربٌ لدمك .
١٢٤٠- وتعلم هذه السيرة من إبراهيم الخليل عليه السلام ، فقد صار في البداية ضائقاً
من أبيه ، نفوراً من " مسلكه " .

(١) حرفياً : قرعته .

(٢) ج/١١-٤٤٧ :- فقد صار لك كأبي جهل وأبي لهب ، ابتعد عنه حتى لا تسقط في الكرب .

- حتى تكون أمام الحق ممن قيل فيهم [ابغض لله] ، حتى لا يصيبك حسد العشق بالنحول والسل .

- وما لم تقرأ " لا " و " إلا الله " ، فإنك لن تجد منهاج هذا الطريق .

قصة ذلك العاشق الذي أخذ يعدد لمعشوقه أنواع إخلاصه ووفائه والليالي الطويلة ليالي (تتجافى جنوبهم عن المضاجع) وقلعة الزاد وظماً الكبد في الأيام الطويلة . وأخذ يقول : لا أعرف وفاءً إلا هذا ، فإن كانت هناك خدمة أخرى وطاعة أخرى أرشدني إليها فأنا مطيع لكل ما تأمر به سواء كان الدخول في النار كالخليل عليه السلام أو السقوط بين فكي الحوت كيونس عليه السلام أو العمى من البكاء كشعيب عليه السلام أو التعرض للقتل سبعين مرة مثل جرجيس عليه السلام ، ولا حد لوفاء الأنبياء وتضحياتهم ولا حصر ... وجواب المعشوق عليه

- أخذ أحد العشاق يعدد أمام معشوقه ، أحواله وأموره والطاعات التي قام بها له .

- قائلاً : لقد فعلت من أجلك كذا وكذا ، وتعرضت للسهام والرماح في هذه الموقعة .

١٢٤٥- وذهب المال وهدت القوة وفقدت السمعة ، وكم من الخسائر حاقت بي من عشقك .

- لم يرني صبح قط ضاحكا أو نائما ، ولم يرني مساء قط مستقرا ساكنا .

- وأخذ يعدد له ما احتسأه من أجله من ألم وكدر ، واحدا واحدا وبالتفصيل .

- لا من أجل أن يمنن عليه ، بل كان يقدم على صدق محبته مائة شاهد .

- والعلاء تكفيهم إشارة واحدة ، ومتى يذهب ظمأ العاشقين منها ؟

١٢٥٠- فهو يكرر القول بلا ملال ، وبإشارة واحدة متى يكتفي الحوت من الماء الزلال .

- ولقد أسهب في القول عن هذا الألم القديم ، وما زال يشكو قائلا : لم أنطق بكلمة واحدة !!

- كان يحس بنار لم يكن يعلم كنهها، لكنه كان يبكي من لهيبها وكأنه الشمع .(١)

- قال المعشوق : لقد فعلت كل هذا ، لكن افتح أذنك تماما وافهم جيدا :

- إنك لم تفعل أصل أصل العشق والولاء ، وكل ما فعلته هو مجرد فروع .

١٢٥٥- قال له العاشق : قل لي ، ما هو هذا الأصل ؟ قال : إن أصله هو أن تموت وتتحول إلى عدم .

- لقد فعلت كل هذا ولم تمت ، ومازلت حيا ، فهيا مت أيها الحبيب المضحى بالروح .(٢)

- فاستلقى في التو واللحظة وأسلم الروح ، وقامر برأسه كأنه الوردة ضاحكا وسعيدا .

- فصارت هذه الضحكة وقفا عليه إلى الأبد ، مثل عقل العارف وروحه بلا نصب ولا كبد.

- ومتى يتلوث نور القمر ، وإن سطع هذا النور على الصالح والطالح إلى الأبد.

(١) ج : ٤٥١/١١-٤٥٢ وبعد أن بكى قال : كل هذا مضى ، لكن أرشدني الآن يا صديقي الطيب . - إنني ممثّل بروحي لكل ما تأمر به ، إنني وفق أمرك ، فقد ألقيت بالرأس والقدم . فإن كان ينبغي على أن أمضي إلى النار كالخليل ، أو أن أجعل دمي مسفوكا مثل يحيى . - أو أن أصير أعمى من البكاء مثل شعيب ، أو أمضي إلى فم الحوت كيونس . أو ترسلني كيوسف إلى الحب والسجن ، أو تجعلني كعيسى بن مريم في فقره . - فإنني لا أحول الوجه عنك ولا أرجع ، فإن روحي وجسدي من أجل أمرك .

(٢) ج/١١-٤٥٢: عندما سمع ذلك العاشق المنسلخ عن ذاته ، أطلق آهة حزينة من روحه وقلبه .

١٢٦٠- إنه يعود صوب الإله بريئاً طاهراً منهم جميعاً ، كأنه نور العقل ونور الروح .

- وتظل صفة الطهر وقفا على القمر ، وإن كان سطوعه على أقدار الطريق .
- ومن نجاسات الطريق والأوضار الموجودة فيه ، لا فساد هناك يحصل للنور .
- ولقد سمع نور الشمس نداء " ارجعي " ، فعاد إلى أصله على وجه السرعة .
- فلا بقي عليه عار من المزابل التي " سطع عليها " ، ولا بقي عليه لون من الرياض . (١)

١٢٦٥- وعاد نور العين إلى منبع الضياء ، وبقيت الصحارى والوديان في ولها عليه .

(١) هنا بيت زائد عن جعفرى "٤٥٢-١١" وهو في رأيه ليس خالياً من الإبهام "٤٥٧-١١" وإن كنت أراه شديداً الوضوح: وعندما عاد نوره من الأرض الخراب ، ظل منتظراً عودته إليها . أى أن سطوع النور على المزابل لا يجعله ينفر منها بل يظل مشتاقاً إلى العودة إليها .

سأل أحدهم عالما عارفا : إن بكى أحدهم في الصلاة بصوت مسموع وتأوه ونام ، فهل تبطل صلاته ؟ فأجاب : إن اسمه ماء العين وهو مرتبط بما رآه الباكي ، فإن كان قد رأى الشوق إلى الله سبحانه وتعالى ، أو بكى ندما على الذنب ، فإن صلاته لا تبطل بل تكتمل إذ لا صلاة إلا بحضور القلب ، وإن كان قد تذكر تعب البدن أو فراق الولد تبطل صلاته ، فأصل الصلاة ترك الجسد وترك الابن مثل إبراهيم عليه السلام الذي كان يضحى بابنه من أجل تمام الصلاة وأودع جسده نار النمرود ، وقد أمر المصطفى صلى الله عليه وسلم بهذه الخصال في قول الله تعالى (فاتبع ملة إبراهيم) وقوله **«كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم»**

- سأل أحدهم أحد المفتين في خلوة : هل إذا بكى أحدهم نائحا في الصلاة ؛

- ترى هل تبطل صلاته ؟ أو تكون كاملة ومقبولة ؟

- قال : فلماذا سمي إذن ماء العين ؟ أنظر إلى ما قد رآه ثم بكى !!

- ماذا رآه ماء العين في باطنه ؟ حتى صار هكذا سيالا من مآقيه ؟ (١)

١٢٧٠- فإذا كان قد رأى تلك الدار ذلك الممتلئ ضراعة ، فإن تلك الصلاة تجد رونقها من النواح .

(١) ج/١١-٤٥٨:- فإذا كان يبكي طويلا من شوق إلى الحق ، أو يبكي في الصلاة ندما على الذنب .- أو كان البكاء خوفا من الحق فهو مستحب ، ذلك أن دمعتك هذا ماء "دافع" للنار .- فلا شك أن صلاته تزدان بالكمال ، ولا جدال في أنه يجد القرب في طريق الحق .

- وإذا كان ذلك البكاء من أجل تعب في بدنه أو حداد عنده ، فقد تقطع الخيط وانكسر المغزل .(١)

دخل مرید فی خدمة شیخ ، ولا أقصد بالشیخ کبیر السن بل شیخ العقل والمعرفة ، وإلا فإن عیسیؑ کان شیخا فی المهد ویحییؑ کان شیخا فی مکتب الأطفال ، ووجد المرید الشیخ باکیا ، فوافقہ وبکی ، وعندما انتهى وخرج ، خرج خلفه مرید آخر کان أكثر فهما لجال الشیخ مسرعا بسبب غیرته علی الشیخ ، وقال له : یا أخی يجب أن أقول لک ، ناشدتک الله ألا تفکر وتقول : مادام الشیخ یبکی فأنا أيضا أبکی ، إذ تلزم ثلاثون سنة من الرياضة التي لا رياء فیها ، وینبغي عبور عقبات وبحار مليئة بالتماسیم وجبال قاحلة مليئة بالأسود والنمور ، حتی تصل أو لا تصل إلى ذلک البكاء للشیخ ، فإن وصلت فکمر شطر " زویت لی الأرض کثیرا " .

- لقد جاء أحد المریدین إلى الشیخ ، وكان الشیخ فی بکاء وفی نواح .
- وعندما رأى ذلک المرید الشیخ باکیا ، بکی بدوره وسال الدمع من عینیه .
- والسمیع یضحک مرة واحدة ، لكن الأصم یضحک مرتین ، وعندما یقص أحد الناس فکاهة لرفیقہ ؛
- ١٢٧٥- فإنه یضحک للمرة الأولى تقلیدا وكما تملي علیه نفسه ، لأنه یرى القوم جمیعا یضحکون .

(١) ج / ١١-٤٥٨:- وإذا کان ینوح من فراق الابن ، لأن قلبه وروحه فی ألم حداد علیه .- فإن تلك الصلاة لا تساوي حبتي شعیر ، وذلك لأنه یسلم قلبه إلى الأغیار .- فإن صلاته تبطل بلا شک ، ولکان بکاؤه أيضا بلا فائدة .- ذلک أن ترک الجسد هو أصل الصلاة ، وترک النفس ، وترک الولد ، هذه هی الضراعة .- فتعلم من خلیل الله وضع بالولد ، واجعل جسدک معرضا لنار النمرد .- والخلاصة حتی تعلم أيها العظیم ، أن هناك فرقا بلا حد بین بکاء وبکاء .

- فهو وإن كان يضحك مثلهم جميعا في تلك اللحظة ، إلا أنه يكون غافلا عن حال الضاحكين .

- ثم يعود فيسأل : مم كان الضحك ؟ ويضحك ثانية بعد أن يسمع بأذنيه .
- ومن هنا فالمقلد مثل الأصم ، في مثل ذلك الفرح والسرور الذي في رأسه .
- فالشيخ هو الشعاع والشيخ هو المنهل ، وفيض السرور لا يكون من المريدين ، بل من الشيخ . (١)

١٢٨٠- مثل سلة في الماء ونور على زجاج ، إذا اعتبراها من ذاتيهما ، فهذا من الغفلة .

- وعندما ينفصل عن النهر يعلم ذلك العنود ، أن الماء العذب كان فيه من الجدول .

- وتعلم الزجاجاة أيضا من غياب القمر (٢) أن تلك اللمع كانت داخلها من القمر المنير الطيب .

- وعندما يفتح الأمر بـ " قم " عينيه ، يضحك إذن كالفجر للمرة الثانية .
- ثم يضحك من ضحكته الأولى تلك ، التي كانت تأتيه على سبيل التقليد .

١٢٨٥- ويقول : لقد كانت هذه الحقيقة وهذه الأسرار والرموز من عدة طرق نائية وبعيدة وطويلة

- وكيف كنت أنا في ذلك الوادي ، أقوم على البعد بإبداء السرور على العمياء ومن محض الحماس .

- وبأى شيء كنت أربط الخيال ، وماذا كان ذلك ؟ إن إدراكي الواهن كان يبدى صورة باهتة .

(١) ج/١١-٤٦٢:- إن الشعاع هو الشيخ نفسه ، وما كان يفعله تقليد الشيخ ، إذ أنه يرى السرور من تأييد الشيخ .

(٢) حرفيا : الغروب .

- فأين لطفل الطريق فكرة الرجال ، وأين خياله من الحقيقة الصحيحة ؟!
- وإن فكر الأطفال يكون في المرضعة أو الرضاع أو الزبيب والجوز ، أو البكاء والصياح .
- ١٢٩٠- وذلك المقلد يكون كالطفل العليل ، حتى وإن كان له بحث عميق ودليل
- وذلك التعمق في الدليل والبحث في الإشكالات ، يسوقه بعيدا عن بصيرة " القلب " .
- لقد أضاع المادة التي تكون كحلا " لبصيرة " سره ، وقصر عمله على الحديث عن الإشكالات .
- فعد أيها المقلد عن بخارى " العلم الظاهري " ، وامض صوب الذلة حتى تصير أسد الرجال .
- حتى ترى بخارى أخرى في باطنك ، وأولئك الذين يشقون الصفوف ، " لا يفقهون " في محفلها .
- ١٢٩٥- والرسول مهما كان على الأرض سريع الخطو ، عندما يذهب إلى البحر يكون خائر القوى مقطوع العرق .
- إنه إنما يتبع " حملناهم في البر " فحسب ، وجدير بأن يسمى رجلا ذلك المحمول في البحر ، فحسب .
- وإن الملك ليجزل له عطاءً غير ممنون ، يامن صرت رهنا للتصور والوهم .
- لقد كان ذلك المريد الساذج يبكي أيضا ، لكن بكاءه كان وفقا لبكاء ذلك " الشيخ " العزيز .
- لقد كان يتصرف تقليدا كالرجل الأصم ، كان يرى البكاء ، ولم يكن يعرف سببه .

١٣٠٠- وعندما بكى كثيرا ، أدى فروض الاحترام ومضى ، فخرج في أثره
سريعا مريد من خواص " الشيخ

- وقال له : يا باكيـا كالسحاب بلا علم ، ووفقا لبكاء شيخ النظر؛
 - ناشدتك الله مرار أيها المريد الوفي ، بالرغم من أنك مستفيد من التقليد ؛
 - ألا تقول : رأيت هذا الملك يبكي ، وأنا بكيت مثله ، فهذا منكر .
 - فبكائك مليء بالجهل والتقليد والظن ، وليس مثل بكاء ذلك المؤمن .
- ١٣٠٥- ولا تقم بقياس بكاء على بكاء ، فمن هذا البكاء إلى ذاك طريق طويل
وبون شاسع .

- فإنه حتى بعد ثلاثين سنة من الجهاد ، لا يستطيع العقل أن يصل إلى حيث
يكون .

- فإن بينه وبين تلك الناحية من العقل مائة منزل ، فلا تعتبرن العقل واقفا على
تلك القافلة .

- وإن بكاءه ليس من الحزن وليس من الفرح ، وتعلم الروح ذلك البكاء ، إنه
من الأمور النادرة الطريفة .

- وبكاؤه وضحكه نابعان من تلك الناحية ، ومما يكون وهم العقل بريئا منه
١٣١٠- ودمع عينه على مثال عينه ، ومتى تصبح العين التي لم تبصر
عينا ؟!

- وما يراه هو من المحال أن يمس ، لا عن طريق قياس العقل ولا عن طريق
الحواس .

- والليل يفر هاربا عندما يرى النور من على البعد ، فأى علم إذن لظلمة الليل
بأحوال النور ؟!

- وإن البعوضة لتهرب من الرياح ذات الدهاء ، فمن أين تعلم البعوضة إذن طعم الرياح ؟

- وعندما يعن القديم يتحول الحديث إلى عبث ، فأى علم للحديث إذن بالقديم ؟!
١٣١٥- وعندما يقع القديم على الحديث يصيبه بالذهول ، وما دام قد حوله إلى عدم فقد جعله من نفس لونه .

- وإذا أردت فإنك تجد مائة نظير " لهذه الأمثلة " ، لكنى لا أجرؤ على قولها أيها الفقير .

- إن " الم " و " حم " وهي مجرد حروف ، تصبح كعصا موسى ﷺ عندما تتصدى " لغيرها من الحروف " .

- والحروف كلها تشبه في ظاهرها هذه الحروف ، لكنها تكون مفتقرة إلى صفاتها .

- وكل من يمسك بعصا على سبيل الامتحان ، متى تكون مثل عصا موسى ﷺ عند البيان ؟

١٣٢٠- وهذا النفس العيسوى ليس مثل كل ريح ونفس ، يتأتى من فرح أو من حزن .

- و " الم " و " حم " هذه أيها الأب ، قد جاءت من حضرة مولى البشر .
- ومتى تشبهها أى " ألف " وأى " لام " إذن ؟ فإن كنت صاحب روح ، لا تنتظر إليها بعينيك هاتين .

- حتى وإن كانت في تركيبها مجرد حروف أيها الهمام ، فإن العوام أيضا يتشابهون في التركيب .

- وتركيب محمد ﷺ أيضا من لحم وجلد ، وبالرغم من أن تركيب كل جسد يكون من جنسه ؛

١٣٢٥- يكون فيه لحم وجلد وعظام ، فإن هذا التركيب لا يشبهها في قليل أو كثير .

- ففي هذا التركيب ، حلت المعجزات التي تجعل كل الأجساد لا تقوى على عمل .

- كذلك تركيب " حم " في الكتاب ، إنها شديدة العلو والارتفاع ، والحروف الأخرى شديدة الدنو .

- ذلك أن الحياة تتأتى من هذا التركيب ، إنها مثل نفخ الصور ، تفعل فعلها في العجز .

- تتحول إلى أفعى وتشق البحر ، عندما تكون عصا " حم " من عطية الله .
١٣٣٠- وظاهرها يشبه بقية الظاهر ، لكن قرص الرغيف بعيد تماما عن قرص القمر .

- وإن بكاءه وضحكه ونطقه أمور ليست كلها منه ، إنها من خلق " هو " .
- وعندما أخذ الحمقى بالظاهر ، احتجبت عنهم تماما تلك الدقائق .
فلا جرم أن حجبوا عن الوصول إلى الغرض ، فقد فاتت النقاط الدقيقة في موضع الاعتراض . (١)

**قصة تلك الجارية التي كانت تقضي وطرها مع حمار سيدتها وكانت قد دربته
كما يدرب الماعز والدب على جماع الأدميين (٢) ، وكانت تضم قرعة في عضو الحمار
حتى لا يجاوز الحد ، وعلمت السيدة ذلك ، لكنها لم تر النقطة الدقيقة الكامنة
في القرعة.. فصرفت جاريتهما بحجة ما إلى مكان بعيد ، واجتمعت بالحمار بلا**

(١) ج/١١-٤٦٧:- وأقول لك حكاية على مثال هذا الأمر ، حتى تنال حصة من بياني هذا.- وهي قصة

طويلة وعريضة ومخيفة ، إنها بعيدة الغور ، لكنها قريبة تماما .

(٢) عند يوسف بن أحمد " ٣٠٣/٥ " كما يدرب الماعز على الوقوف على قاعدة المصباح والدب على الرقص ، وكذا عند الأنقروى " ٣٢٥/٥ " .

- قرعة ، وهلكت مفتضحة . وعادت الجارية فجأة وناحت عليهما قائلة : يا روجي ويا نور عيني : رأيت القضيب ولم ترى القرعة.. رأيت الذكر ولم ترى الآخر. كل ناقص ملعون وإن كان الناقصون في عين الظاهر مرحومين وليسوا ملعونين ، فاقراً :
- (ليس على الأعمى حرج) فهي قد نفت الحرج ونفت اللعنة ونفت الغضب .
- لقد استلقت جارية تحت حمار ، من فرط الشهوة ، ومرض الشذوذ ، والحرص " على الجماع " .
- ١٣٣٥- كانت قد دربت ذلك الحمار الفحل على مجامعتها ، وكان الحمار قد فهم جماع الآدمي .
- وكانت هناك قرعة وضعتها تلك المحتالة في ذكر الحمار ، من أجل الحد .
- ولقد وضعت القرعة في الذكر تلك الداهية ، حتى يولج نصف الذكر عند الإيلاج .
- ذلك أن ذكر الحمار إن أولج فيها بأجمعه ، لمزق رحمها وأمعاءها .
- كان الحمار يزداد نحولا ، وعجزت السيدة " عن فهم " لم صار هذا الحمار في نحول الشعرة ؟
- ١٣٤٠- وقد عرضته على البياطرة قائلة : ما بال هذا الحمار ؟ وما هي علته تلك ، التي أدت إلى نحوله هكذا ؟
- لكن علة لم تظهر فيه قط ، ولم يعرف أحد قط سر ذلك .
- فبدأت في تفحص الأمر بجد شديد ، صارت لحظة بلحظة مستعدة للتفتيش والبحث .
- وينبغي أن تكون الروح أمة للجد ، ذلك أن الباحث بجد ، يجد في النهاية .
- وعندما تفحصت وتجسست عن أحوال الحمار ، رأت تلك الجارية نائمة تحت الحمار .

١٣٤٥- لقد رأت من فرجة الباب هذا الحال ، فتعجبت تلك العجوز كثيرا من ذلك الأمر .

- لقد كان الحمار يضاجع الجارية ، كما يفعل الرجال مع النساء ، بتعقل ونظام .
- فأحست نحوها بالحسد ، وقالت لنفسها : ما دام هذا الأمر ممكنا ، فأنا أولى ، فالحمار ملكي .

- لقد تهذب الحمار وصار مدربا ، والمائدة ممتدة ، والمصباح مضاء .
- وتجاهلت ما رأت ، ودقت باب الدار قائلة : أيتها الجارية ، حتام تنهكين في كنس المنزل ؟

١٣٥٠- كانت تقول هذا الكلام على سبيل التعمية ، بما يعني : يا جارية ، لقد جئت ، فافتحي الباب .

- وصمتت ، ولم تفتح الجارية ، وأخفت السر من أجل طمعها الخفي .
- ثم إن الجارية أخفت كل أدوات الفساد ، وتقدمت ، وفتحت الباب .
- وعبست بوجهها ، وعيناها مليئتان بالدمع ، وحكت شفتيها بما معناه : إني صائمة .

- وفي كفها مكنسة مبللة ، أى : لقد كنت أكنس الدار ، وأزيل عنها القذر .
١٣٥٥- وعندما فتحت الباب والمكنسة في يدها ، قالت السيدة هامسة لنفسها : أيتها الأستاذة ؛

- عبست بوجهك ، والمكنسة في يدك ، فما هذا الحمار الذى عافت نفسه الطعام ؟

- لقد أتم نصف العمل ، والغضب باد عليه ، ينظر نحو الباب متحرك الذكر منتظرا إياك .

- لقد همست بهذا خفية عن الجارية ، وعاملتها بإعزاز كما يعامل الأبرياء .

- ثم قالت لها : خذى طراحتك ، واذهبى إلى منزل كذا ، وبلغى عنى هذه الرسالة ..

١٣٦٠- هكذا قولي ، وهكذا فافعلي ، وكذلك ، لقد اختصرت أنا ثثرة النساء .

- فخذ أنت لب ما هو مقصود . وعندما صرفتها السيدة العجوز ؛

- كانت شديدة الفرح من نشوة الشهوة ، فأحكمت رتاج الباب ، وأخذت تقول في تلك اللحظة :

- لقد ظفرت بخلوة ، فلأصرخ شاكرة ، لقد خلصت من جماع الرجال قويهم وضعيفهم .

- ومن الطرب ، صارت تلك المرأة كالماعز ، بل ألف ماعز ، لا يقر لها قرار في لهيب اشتهاء الحمار .

١٣٦٥- فيا لها من ماعز ، صادتها الشهوة صيد الماعز ، وليس من العجيب أن يصاد المذهول صيد الماعز

- إن الميل إلى الشهوة يجعل القلب أعمى وأصم ، حتى ليبدى الحمار "في جمال" يوسف ، والنار نورا .

- وما أكثر الثملين بالنار الباحثين عن النار ، والذين يعتبرون أنفسهم نورا مطلقا .

- اللهم إلا أن يكون المرء عبدا لله ، فيوضع على الجادة بجذب الحق ، ويتحول المصير .

- حتى يعلم أن ذلك الخيال النارى ، ليس إلا من قبيل الشيء المستعار على الطريق .

١٣٧٠- وإن الشره ليبيدين القبائح طيبات ، ولا يوجد أسوأ من الشهوة ، من آفات الطريق .

- لقد جللت بالعار آلافا من ذوى السمعة الطيبة ، وجعلت مئات الآلاف من الأذكىاء حمقى مذهولين .

- وإذا كانت قد أبدت حمارا في جمال يوسف المصرى ، فكيف تبدى تلك اليهودية من هو في جمال يوسف

- لقد جعل سحرها البعر لك شهدا ، فكيف تبدى الشهد نفسه وقت الالتحام ؟

- والشهوة من الطعام ، فقلل الطعام ، أو فعليك بالنكاح ، واهرب من الشر

١٣٧٥- فإنك إن أكلت تقوم بجرك نحو الحرم ، ولا بد للدخول من نفقة .

- ومن ثم فإن النكاح مثل نطقك " لا حول ولا قوة إلا بالله " ، حتى لا يلقينيك الشيطان في البلاء .

- وإذا كنت حريصا على الطعام ، عليك بالزواج سريعا ، وإلا أتى القط ، واختطف منك الشحمة .

- وضع الحمل الثقيل سريعا على ظهر الحمار الذى يقفز ويبرطع ، قبل أن يلقي بك من فوق ظهره .

- وإنك لا تعرف فعل النار أيها البرد ، فلا تحم حول النار بمثل هذه المعرفة .

١٣٨٠- وإن لم يكن لك علمٌ بالقدر والنار ، فلن تبقى القدر من النار ولا الحساء .

- فينبغي أن يكون الماء حاضرا وأيضا الدراية ، حتى يطبخ ذلك القدر ، ويخرج سالما من الغليان .

- وما دمت جاهلا بفن الحدادة ، فإنك تحرق شعرك ولحيّتك عندما تمر بحانوت الحداد .

- ولقد أغلقت تلك المرأة الباب ، وسحبت الحمار سعيدة ، فلا جرم أن لقيت جزاءها .

- فأتت به ساحبة إياه إلى باحة الدار ، ونامت تحت ذلك الحمار الفحل ، الذي يصيد الحمير .

١٣٨٥- وعلى نفس ذلك المقعد الذي رأت عليه الجارية ، لتقضى وطرها أيضا تلك البغي .

- ورفعت ساقها ، فأولج الحمار فيها ، واشتعلت فيها النيران من قضيب الحمار - لقد أولج الحمار المدرب في السيدة في التو واللحظة حتى خصيتيه ، فماتت السيدة على الفور .

- ولقد تمزق كبدها من طعنة قضيب الحمار ، وتفسخت أمعاؤها ، كل عن الأخرى .

- ولم تتبس تلك المرأة ، وأسلمت الروح في الحال ، وسقطت المرأة في ناحية ، والمقعد في ناحية أخرى .

١٣٩٠- وامتلاً صحن الدار بالدم ، والمرأة منقلبة ، لقد ماتت ، وسلب روحها ريب المنون .

- وبهذا الموت السيء المقترن بمائة فضيحة أيها الأب ، فهل رأيت قط شهيدا لقضيب حمار ؟

- فاستمع من القرآن إلى « عذاب الخزي » ، ولا تضح بالروح لمثل هذا العار .
- واعلم أن هذه النفس البهيمية حمار" فحل ، وأن يكون المرء تحتها خاضعا لها أشد عارا .

- ولو مت في أنيتك عن طريق النفس ، اعلم حقيقة أنك مثل تلك المرأة .
- ١٣٩٥- إنه يجعل نفوسنا على صورة الحمار ، ذلك لأنه يجعل الصورة على وفق الطبع .
- وهكذا يكون إظهار السر في القيامة ، ناشدتك الله ، ألا فلتفر من الجسد الذي يشبه الحمار .
- لقد خوف الله سبحانه وتعالى الكفار من النار ، وقال هؤلاء الكفار : النار ولا العار .
- قال : بل إن هذه النار هي أصل أنواع العار ، إنها مثل تلك النار التي قضت على تلك المرأة .
- ومن حرصها لم تأكل لقمة مناسبة لها ، فغص حلقها بلقمة الموت السيئة .
- ١٤٠٠- فكل اللقمة المناسبة في حجمها أيها الرجل الحريص ، حتى ولو كانت اللقمة من الحلوى والخبيص .
- لقد أعطى الحق تعالى للميزان لسانا ، فانتبه واقرأ من القرآن سورة الرحمن .
- وهيا ، لا تترك الميزان من حرصك ، فإن الحرص والطمع خصمان مضلان لك .
- إن الحرص يبحث عن الكل ويتجاوز عن الكل ، فلا تعبد الحرص أيها المهين ابن المهين .(١)
- وأخذت تلك الجارية تروح وتجيء صارخة : أواه ، لقد صرفت أيتها السيدة أستاذتك .
- ١٤٠٥- لقد أردت القيام بالعمل دون أستاذ ، وأردت أن تقامرى بالروح بجهل .

(١) حرفيا : أيها الفجل بن الفجل .

- يا من سرقت مني علما ناقصا ، هل شعرت بالعار من السؤال عن أحوال الشراك ؟

- ولو كان الطائر قد التقط الحب من بيده ، لما سقط " في الشراك " والحبل في عنقه .

- فقل من أكل الحب ، ولا تقم برفو " الجسد " كثيرا " بالطعام " ، وما دمت قد قرأت (كلوا) فاقراً (لاتسرفوا) .

- وما لم تأكل الحب ، لا تسقط في الشراك ، هذا هو ما يفعله العلم والقناعة ، والسلام .

١٤١٠- وإن العاقل يأكل النعمة من الدنيا ، ولا " يتجرع " الأحزان ، والجهلاء قد بقوا محرومين " غرقى " في النـدم .

- وما دام حبل الشراك قد أخذ بأعناقهم ، صار إلتقاط الحب حراما على الجميع - ومتى يلتقط الطائر الحب وهو ساقط في الشراك ، كما يفعل هؤلاء العوام في شراك الدنيا ؟

- ثم إن الطيور العاقلة الذكية ، قد منعت أنفسها عن الحب بشدة وحسم .(١)

١٤١٥- ففي هذه الشبكة حبوب مغموسة في السم ، وأعمى ذلك الطائر الذي طلب الحب من الشراك .

- وصاحب الشبكة قطع رؤوس البلهاء ، وأجلس " تلك الطيور " الظريفة في "صدور" المجالس .

- ذلك أن ما يفيد من تلك الطيور البلهاء هو لحومها ، أما ما ينفع من الطيور الذكية الأريية ، فهو الغناء والتغريد .

(١) حرفيا : قيدت نفسها عن الحب بحبل شديد .

- لقد دخلت الجارية من خوخة الباب ، فوجدت السيدة ميتة ، تحت الحمار .
- فصاحت : أيتها السيدة البلهاء ، ما هذا بالذى كان يحدث ، لو كان لك أستاذ أبدى لك الأمور .
- ١٤٢٠- لقد رأيت ظاهره وبقى سره خفيا عليك ، ودون أن تتقني الصنعة ، فتحت الدكان .
- لقد رأيت القضيب كأنه الشهد وكأنه الخبيص ، فكيف لم ترى تلك القرعة أيتها الحريصة ؟
- أو أنك كنت مستغرقة في عشق الحمار ، فبقيت تلك القرعة خفية عن ناظريك
- لقد رأيت ظاهرا من الصنعة من الأستاذ ، فاحترفت الأستاذية فرحة سعيدة .
- ورب محتال مخدوع عديم فهم ، لم ير من طريق الرجال سوى الصوف .
- ١٤٢٥- وما أكثر الوقحاء من تعلم قليل واحتراف ، لم يتعلموا من ملوك الطريق " إلا الثثرة .
- وكل من في يده عصا ، صاح : إني موسى ، وآخر ينفخ في " وجوه " البلهاء قائلا : أنا عيسى .
- وآه من ذلك اليوم الذى يطلب فيه منك حجر الإمتحان صدق الصادقين .
- ولتسألن في النهاية عن الأستاذ الباقي ، فإن الحريصين كلهم عمى " وخرس .
- لقد بحثت عن الجميع وتخلفت عن الجميع ، وهذا القطيع الأبله صيد للذئاب .
- ١٤٣٠- ولقد سمعت صورة " كلام " فتحولت إلى ترجمان ، وأنت لا تفهم ما تقول ، وكأنك بيغاء .

تمثيل تلقين الشيخ للمريدين والرسول للأمة التي لاطاقة لها لتلقين الحق ولا ألفة لها مع الحق بالبغاء الذي لا ألفة له مع صورة الآدمي بحيث يلقن منه ، فالحق تعالى يضم الشيخ كما توضع المرأة أمام البغاء ويلقنه من خلف المرأة ، مصداقا لقوله تعالى (لا تمركبه لسانك) و (إن هو إلا وحى يوحى) وهنا بداية مسألة لا نهاية لها ، بحيث أن تمريك البغاء لمنقاره في المرأة والذي تسميه خياله هو بلا اختيار ولا تصرف منه فالصورة هي قراءة البغاء من الخارج وهو المتعلم لا صورة ذلك المعلم ذلك المعلم الذي وراء المرأة ، فقراءة البغاء الظاهرة تحت سيطرة ذلك المعلم .. ومن ثم فهذا مثال لا

مثل

- إن ذلك الذى يراه البغاء في المرأة ، هو صورته هو وقد ظهرت أمامه .
- وخلف المرأة هناك مدرب خفي ، إنه يتحدث بلسان أديب حسن اللسان .
- ويظن البغاء الصغير أن هذا الكلام الهامس ، هو كلام البغاء الذى في المرأة
- ويظن أنه يتعلم الكلام من جنسه ، وهو غافل عن مكر ذلك الذئب العجوز .
- ١٤٣٥- فإنه يعلمه من وراء المرأة ، وإلا فإنه لا يتعلم إلا من جنسه .
- لقد تعلم الكلام من ذلك الرجل الفاضل المحنك ، لكنه غافل عن سره ومعناه .
- وأخذ منطقته من الإنسان كلمة كلمة ، وماذا يتعلم البغاء الصغير من البشر سوى هذا .
- وكذلك ففي مرآة جسد الولي ، يرى المريد الممتليء " نقصا وأنية " نفسه
- لكنه متى يرى العقل الكلي عند الحديث والفعل كامنا خلف المرأة ؟
- ١٤٤٠- إنه يظن أن من يتحدث إليه بشر ، لكن الآخر سر وهو عنه بلا علم أو خبر .
- وهو يتعلم الحروف ، لكنه لا يعلم السر القديم الأزلى ، فهو ببغاء ، وليس بالنديم .

- والخلق أيضا يتعلمون صفيـر الطير ، ذلك لأن هذا الأمر من فعل الحلق والفم
- لكنهم غافلون عن المعاني التي تدور في " أفكار " الطيور ، ومن يعلمه إلا سليمان عليه السلام صاحب الإقبال الذي بلا نظير .
- ولقد تعلموا كثيرا من ألفاظ الدراويش ، وأضاعوا المحافل والمنابر بها .
- ١٤٤٥- فإما أن رزقهم قد اقتصر على تلك الألفاظ ، أو تحل بهم رحمة " الله " في النهاية فتبدى لهم الطريق .

رأى أحد أصحاب القلوب كلبة حبلـى ، وكانت الجراء تنبح في بطنها ، فتعجب وقال لنفسه : إن الحكمة من نباح الكلاب هي الحراسة ، والنباح في بطن الأم ليس من قبيل الحراسة ، كما أنه ليس طلبا للعون أو الرضا ع أو ما إليها ولا شيء يوجد من هذه الفوائد قط . وعندم عاد إلى وعيه نادى حضرة الله (وما يعلم تأويله إلا الله) فكشف أن هذه حالة قوم لم يخرجوا من الحجاب ولم تفتح منهم أعين القلوب ، لكنهم يدعون البصيرة ، ويتحدثون بالمقالات ، فلا قوة ولا عون تصل إليهم ، ولا تصل إلى مستمعهم هداية ولا يصل إليهم رشـد

- كان أحدهم يرى فيما يرى النائم أثناء خلوة أربعينية ، أن ثمة كلبة حبلـى في الطريق ؛

- وسمع فجأة نباح جرائها ، وكانت الجراء لا تزال في بطنها .
- فأصابه ذلك النباح بدهشة شديدة ، و" تساءل " : كيف نبحت الجراء في البطن ؟ يا الله .

- إن أحدا لم ير قط في الدنيا ، جراء نابحة وهي لا تزال في بطن " أمها " .
- ١٤٥٠- وعندما استيقظ من النوم ، ونجا من الواقعة ، وعاد إلى وعيه ، أخذت حيرته تزداد لحظة بعد لحظة

- ومن يستطيع في الخلوة أن يفسر هذا الأمر المعضل اللهم إلا أن يتوجه إلى الحضرة الإلهية ؟

- قال : يا رب ، لقد عجزت عن ذكرك في الخلوة من هذا الإشكال ، ومن القيل والقال .

- فهيا ، أطلق جناحي يا الله حتى أخلق عليا ، وأمضي إلى روضة الذكر وحديقة التفاح .

- وفي التو واللحظة جاءه هاتف قائلا : إن هذا الأمر مثال على ثرثرة الجهال .
١٤٥٥- أولئك الذين لم يخرجوا بعد من الحجب والأستار ، ومع ذلك فهم متحدثون بالهذر ، مغمضو الأعين

- فنباح الجراء في البطن عمل لا فائدة منه ، فلا هي طاردة لصيد ، ولا حارسة بليل .

- إنها لم تر ذئبا ل تمنعه ، كما أنها لم تبصر لصا لتنبه .
- وأولئك من الحرص واشتهاء الرئاسة ، عندهم كلل في البصر ، وجرأة على الحديث والنفاج .

- وإن أحدهم من هواه في الأتباع والمريدين والمشجعين ثابت القدم في " إدعائه ونفاجه " .

١٤٦٠- وإنه ليعطي الأمارات العديدة عن القمر دون أن يراه ، وهو يضل الريفي الساذج بهذا الأمر . (١)

- وهو من أجل " الطالب المتابع " المشتري ، يتحدث عن مائة أماراة عن القمر دون أن يراه ، ومحض الجاه .

- إن المشتري الذي فيه النفع واحد " أحد " ، لكنهم بالنسبة له ، في ريب وشك .
- ومن أجل مشتر لا قيمة له ولا قدر ، أذهبت هذه الجماعة المشتري " الحقيقي " أدراج الرياح .

(١) ج/١١-٤٧٨:- وهو يقول مائة أماراة دون أن يرى طالبا واحدا ، ويهزل ويشرب المخيض مصفقا .

- وإن المشتري لنا هو من ورد في الآية الكريمة (إن الله اشترى) ، فهيا اسمُ واعلُ عن الهم من أجل أى مشتر .

١٤٦٥- وبحث عن المشتري الذى يبحث عنك ، والعالم بمبدئك ومنتهاك .

- وانتبه ، ولا تقم بجذب كل مشتر بيدك ، فإن ممارسة العشق مع معشوقتين أمر سيء .

- فإنك لن تجد من هذا المشتري نفعا وفائدة إذ يشتريك ، وليست له في حد ذاته قيمة العقل والنهى .

- وليس عنده أصلا ثمن فردة حذاء ، ومع ذلك تعرض عليه أنت الياقوت والعقيق .

- لقد أعماك الحرص ، ثم يصيبك بالحرمان ، ويجعلك الشيطان مثله رجيمًا .

١٤٧٠- كأصحاب الفيل وكقوم لوط ، جعلهم ذلك الممسوخ مرجومين مثله .

- لقد وجد الصابرون المشتري والطالب ، عندما لم يهرعوا إلى كل مشتر وطالب .

- لكن كل من حول وجهه عن ذلك المشتري " الفرد " ، قد بريء منه الحظ والإقبال والبقاء .

- وبقيت الحسرة للحريصين إلى الأبد ، مثل حال أهل ضروان " وما أصابهم " من الحسد .

قصة أهل ضروان وحسدهم للفقراء قائلين : كان أبونا من طيبته يعطي أغلب دخل الحديقة للمساكين ، فعندما كان العنب ينضج كان يعطي عشرة ، وعندما كان يتحول إلى زبيب ودبس كان يزكي بعشره ، وعندما كان يصنع منه حلوى وقالونج كان يعطي عشرة ، وكان يعطي من القصيل " المحصول بالسنابل " العشر ، وعندما يجهز حبوبه في البيدر يزكي بعشرها ، وعندما كان يفصل القمح عن التبن ، كان يزكي بعشره ، وعندما كان يطحنه كان يعطي العشر ، وعندما كان يعجنه كان

يعطي أيضا العشر ، وعندما كان يخبزه ، كان يعطي العشر أيضا . فلا جرم أن الحق تعالى كان قد وضع البركة في هذه المزرعة والحديقة ، بحيث صار كل أصحاب الحدائق يحتاجون إليه سواء في الثمر أو في المال ، ولم يكن هو محتاجا إلى أحد منهم ، وكان أبناؤه يرون إخراج هذا العشر المتكرر ، ولم يكونوا يرون تلك البركة .. مثل تلك المرأة الشقية التي كنت قد رأيت ذكر الحمار ولم تكن قد رأيت القرعة

- كان هناك رجل صالح رباني ، كان كامل العقل ، متديرا للعواقب .
١٤٧٥- وكان شهيرا في قرية ضروان بالقرب من اليمن ، بالتصدق والخلق الحسن .

- كان الحي الذي يسكن فيه قبلة للفقراء ، وكان المحتاجون يقدون إليه .
- كان يعطي العشر من السنابل دون رياء ، كما كان يعطي العشر من القمح عندما يفصله عن التبن .

- وعندما كان يطحنه كان يعطي أيضا العشر ، وعندما كان يخبزه ، كان يعطي العشر من الخبز . (١)

- لم يكن يغفل عطاء العشر من كل دخل ، كان يخرج " الزكاة " أربع مرات على كل ما يزرع .

١٤٨٠- وكان ذلك الفتى الجواد يكثر من وصاياه لأولاده كل لحظة وهم مجتمعين ؛

- ويقول لهم : الله بيني وبينكم في نصيب المسكين " بعد وفاتي " ، إياكم أن تمنعوه من حرص أنفسكم .

(١) ج/١١-٤٨٥:- كان يعطي العشر من العنب ثم من الزبيب ، وكان يعطي أيضا العشر من الدبس .- وكان يعطي العشر من حلوه ومن الفالودج ، ولم يكن يغفل شيئا قل أو كثر .

- حتى يبقى لكم الزرع وتبقى لكم الثمار ، دائمين ثابتين في حمى طاعة الحق .
- إن كل الثمار والدخول من الغيب ، لقد أرسلها سبحانه وتعالى دون ظن أو ريب .

- وإذا أنت أنفقت في موضع الكسب وفي أوانه فقد ربحت .
١٤٨٥- والتركي يقوم بغراس أغلب المحصول في مزرعته ثانية، فهو أصل الثمار.

-إنه يزرع معظمه ،ويأكل منه القليل ، فليس لديه أدنى شك في أنه سينمو ثانية ويربو .

- ومن هنا فإن التركي يفرط في البذر،ذلك أن تلك الغلة نتجت بدورها من تلك الأرض .

- والإسكاف يشتري الجلد والأديم والجلد غير المدبوغ مما يزيد على قوته
- إنه يقول لنفسه : لقد كانت هذه الأشياء هي أصول دخلي ، ومنها أيضا يحل قيد الرزق .

١٤٩٠- لقد جاء الدخل من ذلك الباب لاجرم ، ومن ثم فهو على ذلك الباب يقوم بالعطاء ، ويبدى الكرم .

- وهذه الأرض " للزارع " والجلد غير المدبوغ " للإسكاف " مجرد دريئة وحجاب فحسب ، واعلم أن أصل الرزق في كل نفس من الله .
- ذلك أنك تزرع في الأرض التي هي أصل العمل والزرع ، حتى تثبت لك من كل حبة مائة ألف حبة .

- فلأفرض أنك إذا قمت الآن بزراعة الحب ، في الأرض التي ظننتها سبباً ؛

- ماذا تفعل إن ظلت عامين أو ثلاثة لا تثبت ، إلا أن ترفع كفيك داعيا متضرعا ؟

١٤٩٥- وتضرب رأسك بكفيك أمام الإله ، وهذه اليد وهذه الرأس تكونان شاهدين على إعطائه الرزق .

- وذلك حتى تعلم أنه أصل الرزق ، حتى يبحث عنه كل من هو باحث عن الرزق .

- فاطلب الرزق منه ، لا من زيد ومن عمرو ، واطلب السكر منه ، لا من المخدر ولا من الخمر .

- واطلب الغنى منه ، لا من الكنز والمال ، واطلب النصرة منه ، لا من العم والخال .

- إنك سوف تفارق هؤلاء كلهم ، إنته .. من سوف تدعو في تلك اللحظة .
١٥٠٠- فادعه من الآن ، ودعك من الباقيين ، حتى تصبح وارثا لملك الدنيا .

- فما دام يومٌ سوف يأتي يفر المرء فيه من أخيه ، ويهرب المولود من أبيه ؛

- ولذلك يصبح كل صديق آنذاك عدوا ، إذ كان صنما لك ومانعا في طريقك إلى الله " .

- وأنت كنت تشيح بوجهك عن الذي صور الوجه " الحسن " ، لأنك كنت تجد أنس القلب من صورة .

- والآن إذا إنقلب أصحابك أعداء لك ، وتحولوا عنك ، ولجوا في الخصومة ؛
١٥٠٥- فهيا قل : الآن سعد زماني ، أن ما كان سيحدث في الغد قد حدث اليوم
- لقد صار أهل الدار أعداء لي ، حتى صارت القيامة بالنسبة لي واقعا مسبقا

- وذلك قبل أن أخسر أيامي ، وأنهى عمري وأنا بينهم .
- لقد كنت شاريا لبضاعة معيوبة ، والحمد لله أن اكتشفت عيبها مبكرا .
- وذلك قبل أن تضيع ثروتي من يدي ، وفي النهاية أفاجا بأنها معيوبة .
- ١٥١٠- "ويقال لي" : لقد ضاع المال وضاع العمر أيها الحسيب النسيب ، لقد بذلت المال والروح من أجل سلعة فاسدة .
- و"أرى " أنني أعطيت المال وأخذت ذهباً مغشوشاً ، وأخذت أمضي به فرحاً سعيداً نحو الدار .
- فالشكر " لله" أن هذا الذهب المزيف قد كشف الآن ، وذلك قبل أن يمضي من عمري أكثر " مما مضى".
- ويبقى الزائف في رقبتني إلى الأبد ، وأتحسر على أنني قد أضعت عمري فيه
- وما دام الذهب قد أبدى زيفه لي مبكراً ، لأبتعد عنه إذن بأسرع ما يمكنني .
- ١٥١٥- وعندما يبدي صديقك لك العداوة ، ويطفح عليه جرب حقه وحسده .
- لا تصرخ أنت شاكياً من إعراضه هذا ، ولا تجعل نفسك بهذا جاهلاً أبلاًه .
- بل أشكر الله ، ووزع الصدقات(١) ، أنك لم تعمر معه طويلاً في جوال واحد
- وأنك خرجت من جواله سريعاً ، حتى تبحث عن رفيق الصدق السرمدي .
- ذلك الصديق المخلص الذي من بعد موتك ، يصبح حبل صداقته أكثر إحكاماً وقوة .(٢)
- ١٥٢٠- وربما يكون ذلك الصديق سلطاناً أو ملكاً رفيع الشأن ، أو مقرباً لدى السلطان ، مقبولة شفاعته.
- لقد نجوت من المزور المحتال الماكر ، ورأيت زيفه عياناً بيانا قبل الأجل

(١) حرفياً : الخبز .

(٢) حرفياً : ثلاثي الخيط .

- وذلك الجفاء الذى يبيده لك الخلق فى الدنيا - لو تعلم - هو كنز ذهبى خفى من أجلك .

- ولقد جعل الناس يكونون معك على هذا النسق من سوء الخصال ، حتى تضطر إلى اللجوء إلى تلك الناحية .

- واعلم يقينا أنهم جميعا فى النهاية ، سوف يتحولون إلى خصوم وأعداء ، وعصاة لك .

١٥٢٥- وتبقى أنت فى صراخ وعويل وأنت فى اللحد ، داعيا الأحد قائلا :
(رب لا تدرني فردا) .

- يا من جفاؤك أفضل من عهود الأوفياء ، كما أن شهد الأوفياء من عطائك أيضا .

- فاستمع إلى نصائح " عقلك " يا صاحب الأهرام ، وأودع قمحك أرض الله .
- حتى يأمن اللص ويأمن السوس ، واقتل شيطان " الهوى " سريعا وأرضة " العقل والتدبير " .

- فهو الذى يخوفك فى كل لحظة من الفقر ، فصدده كالقطا أيها الصقر الشجاع .
١٥٣٠- ومن العار لبازى السلطان العزيز الموفق ، أن يكون صيدا لقطاة .
- لقد أوصاهم " ذلك الأب " كثيرا وألقى ببذور الوعظ ، لكنه لم يجد نفعا ، فقد كانت أرضهم بورا .

- فإنه إن كان للناصح مائة " نصيحة " داعية ، ينبغي لنصحه أذن واعية .
- وإلا فإنك تتصح المرء بمائة تطف ورقة ، وهو يهز كتفيه استهانة بنصحك .
- وإن إنسانا واحدا معرضا عن الاستماع من جدله ورفضه ، يصيب بالإحباط مائة من المتحدثين .

١٥٣٥- ومن يكون ألطف لهجة وأكثر نصحا من الأنبياء ، أولئك الذين أثرت أنفاسهم الربانية حتى في الحجر

- ذلك أن الجبل والصخر قد تأثروا بهم وجابوهم ، لكن قيد المدبر لم يفك عنه
- وكذلك تلك القلوب التي ديدنها " الإحساس بالذات " وقول أنا ونحن ، صار الوصف " الصادق " عليها أنها أشد قسوة " من الحجارة " .

بيان أن عطاء الحق والقدرة ليسا موقوفين على القابلية ، لأن العطاء قديم والقابلية حادثة ، والعطاء صفة الحق والقابلية صفة المخلوق ، ولا يكون القديم متوقفا على الحادث ، وإلا استحال الحدوث .

- والحل بالنسبة لذلك القلب " القاسي " عطاءً مبدل ، والقابلية ليست شرطا لعطائه .

- لكن عطاءه هو الشرط للقابلية ، فالعطاء لب ، والقابلية هي القشور .
١٥٤٠- وأن تصير العصا لموسى عليه السلام ثعبانا ، وتصير كفه مشرقة كأنها الشمس ،
- ومئات الآلاف من معجزات الأنبياء ، تلك التي لا تستوعبها ضمائرنا وعقولنا ؛

- ليست من الأسباب ، لكنها من تصريح " المشيئة " الإلهية ، ومتى كانت هناك قابلية للمعدومات ؟

- وإذا كانت القابلية شرطا لفعل الحق ، لما خلق موجود قط من العدم .
- ولقد وضع سنة للطالبيين تحت هذه الخيمة الزرقاء وأسبابا وطرقا !!
١٥٤٥- والأمور بأغلبها تجري طبقا لسنة " الله " ، لكن القدرة أحيانا تخرق السنة .

- لقد وضع سنة وعادة ذات نسق ونظام ، ثم خلق المعجزة كخرق للعادة و"السنة " .

- وإذا كان العز لا يصل إلينا دون سبب ، فإن القدرة على عزل السبب ليست منتفية .

- فيا أسير السبب ، لا تحلق بفكرك خارج السبب ، لكن لا تظن أن " فعله " عاجز عن الاستغناء عن السبب .

- فإن كل ما يشاءه هذا المسبب يفعله ويأتي به ، فإن القدرة المطلقة تمزق الأسباب .

١٥٥٠- لكنه يجعل " نفاذ " أمره جاريا على الأسباب ، حتى يعلم الطالب البحث عن المراد .

- فإن لم يكن ثم سبب ، فأى طريق يبحث عنه المريد ؟ ومن هنا ينبغي أن يكون السبب واضحا في الطريق .

- وإن هذه الأسباب مجرد حجب على صنعـه ، فليست كل الأنظار جديرة بالنظر إلى صنعـه .

- إذ ينبغي بصيرة نفاذة فيما وراء الأسباب ، حتى تقشع الحجب من جذورها وأصولها .

- حتى تبصر المسبب في اللامكان ، وتعتبر الجهد والكسب والتجارة من قبيل الهزل .

١٥٥٥- وأن الخير والشر كليهما يصلان من المسبب ، فلا أسباب هناك ولا وسائط أيها الأب .

- اللهم إلا خيالات وأوهام متراكمة على طريق الحياة ، حتى يبقى عهد الغفلة رديحا من الزمان .

في ابتداء خلق جسد آدم ﷺ عندما أمر الحق سبحانه وتعالى

جبريل بأن يمضي ويأخذ من هذه الأرض قبضة من التراب

وفي رواية : من كل ناحية منها قبضة من التراب

- عندما أراد الصانع الخالق خلق البشر ، من أجل ابتلائهم بالخير والشر .

- قال لجبريل الصدوق : إمض ، وخذ قبضة من تراب الأرض ، و" آيت به" كرهينة .

- فشمّر عن ساعد الجد ، ونزل إلى الأرض حتى ينفذ أمر رب العالمين .
١٥٦٠- ومد يده نحو التراب ذلك الحامل لأمر الله ، فجمع التراب نفسه وانكمش حذرا خائفا .

- ثم انطلق في الحديث متضرعا قائلا : بحق حرمة الخلاق الفرد .
- دعنى وامض ، وهبني رuchi ، وحول عنى عنان جوادك الأشهب .
- فبالله دعنى ، ولا تحملنى في مزالق التكاليف والمخاطر .
- بحق ذلك اللطف الذى به اصطفاك الحق ، وجعل علم اللوح الكلى مكشوفاً لك
١٥٦٥- حتى أصبحت معلما للملائكة ، وكنت دائماً متكلماً مع الحق .
و" بحق" أنك سوف تصير سفيراً للأنبياء ، وأنك حياة نور الوحي ولست بالبدن .

- والفضل لك على إسرافيل لأنه حياة الجسد وأنت حياة الروح .
- وإن نفخة الصور هي نشأة الأجساد ، لكن نفختك أنت نشأة للقلب الفريد .
- وروح روح الجسد حياة للقلب ، ومن ثم فإن عطاءك أفضل من عطائه .
١٥٧٠- ثم إن ميكائيل هو الذى يوزع رزق الجسد ، لكن سعيك أنت يهب رزق القلب المنير .

- إنه قد ملأ الحجر من عطاء يكال بالكيل ، لكن عطاء رزقك أنت لا يستوعبه كيل .

- وأنت أيضا أفضل من عزرائيل صاحب القهر والغضب ، ذلك لأن للرحمة سبقت الغضب .

- وأنتم الأربعة حملة العرش ، وبانتباهك ، أنت أيها المليك أفضل هؤلاء الأربعة .

- ومن يحملون العرش يوم القيامة ثمانية ، وأنت أفضل الثمانية في ذلك الوقت .

١٥٧٥- وهكذا لأخذ يعدد "مناقبه" ويبيكي ، وكان هو يفهم طرفا من المقصود من هذا "الرجاء" .

- وكان جبريل معدنا للحياء والخجل ، وسدت عليه الأيمان السبل .

- ومن كثرة ما تضرع إليه "التراب" وأقسم عليه بالأيمان ، عاد "جبريل" وقال: يا رب العباد ؛

- لم أكن أنا بالذى يهمل تنفيذ أوامرك ، لكنك أعلم بما جرى .

- لقد ذكر الاسم الذى من هوله أيها البصير ، تتوقف الأفلاك السبعة عن المسير .

١٥٨٠- فاستحييت ، وخجلت من اسمك ، وإلا فنقل قبضة من الطين أمر يسير .

- ذلك أنك قد وهبت الملائكة ، قوة يستطيعون بها تحطيم هذه الأفلاك (١)

(١) ج/ ١١-٥٠١:- وأى قدر لقبضة التراب وأية قوة لها للوقوف أمامك ، لكن الرحمة غلبت .

**إرسال ميكائيل لقبض حفنة من التراب من الأرض من أجل تصوير
الجسد المبارك لأبي البشر خليفة الحق الذي سجدت له الملائكة
الذين علمهم آدم عليه السلام**

- قال لميكائيل : إهبط أنت ، واختطف من الأرض قبضة من التراب
كالأسد .

- وعندما انتقل ميكائيل إلى الأرض ، مد يده لكي يختطف تلك القبضة .
فارتعد التراب ، وأخذ يجد في الهرب ، وصار متضرعا نائحا ذارفا للدمع .
١٥٨٥- ولقد تضرع بجذ وجهه وصدر محترق ، وأقسم عليه ، يسبقه دمه
الدامي .

- وقال : بحق الإله اللطيف الذي لا ند له ، والذي جعلك حاملا للعرش
المجيد .

- ومشرفا على كيل الأرزاق في الدنيا ، ومغرقا " بالفضل " للظالمين إلى
فضل الإله .

- ذلك أن اسم ميكائيل قد اشتق من الكيل ، ومن هنا صار كيال للرزق .
- " بحقه " هبني الأمان ، ودعني حرا ، وانظر إليّ أخاطبك وأنا مخرج
بالدماء .

١٥٩٠- وقال الملاك " المخلوق " من معدن رحمة الإله : كيف أنثر
الملح على هذا الجرح ؟

- وهكذا فكما أن الشيطان هو معدن القهر ، إذ يجعل بني آدم يجارون
بالصراخ .

- والرحمة قد سبقت الغضب أيها الفتى ، كما أن اللطف يغلب على وصف الإله .

- ولا بد لعبيده أن يتخلقوا بخلقــه ، ما دامت قـربهم مليئة بماء جدوله .

- وذلك الرسول الحق مرشد السلوك قد قال : الناس على دين ملوكهم .

١٥٩٥- فذهب ميكائيل صوب رب الدين ، خاوى اليد ، خالى الوفاض مما طلب منه .

- وقال: يا عالما بالسـر ، أيها الملك الفرد ، لقد قيد التراب " يدي " ببكائه ونواحه .

- ودمع العين عندك - يا إلهي - ذو قدر ، وأنا لم أستطع تجاهل سماع " ضراعتـه " .

- وللآهة والنواح عندك قيمة كـبيرة ، لم أستطع أنا التجاوز عن حقوقها

- والعين الدامعة ذات احترام كبير عندك ، فكيف أعاند أنا وأجادل بشأنها .

١٦٠٠- إن الدعوة إلى لضراعة موجودة خمس مرات في اليوم ، إنها تقول للعبد : أدخل في الصلاة ، ونح ضارعا .

- وإن المؤذن ليصيح حي على الفلاح ، وهذا الفلاح هو التضرع ، واستجلاب الفضل .

- وذلك الذى تريد أن تؤلمه من حزنه وهمـه ، فإنك تسد طريق الضراعة أمام قلبه .

- حتى ينزل به البلاء دونما شيء يدفعه ، عندما لا يكون لديه شفيـع من الضراعة .

- وذلك الذى تريد أن تشريه من البلاء ، تدفع روحه دفعا إلى التضرع والاستغاثة .

١٦٠٥- وقلت في القرآن أن تلك الأمم التي حل بها ذلك الغضب الجبار
والعذاب الهون".

- لأنهم لم يكونوا يتضرعون في ذلك الوقت، "إلى الله" حتى يرد عنهم
البلاء.

- ولأن قلوبهم كانت قد قست، كانت ذنوبهم هذه تبدو عبادة "لله".
- وما لم يعرف نفسه ذلك المجرم العنيد، فمن أين له أن يعلم أن يجرى
الدمع من عينيه.

**قصة قوم يونس عليه السلام بيان وبرهان على أن التضرع والنوام دافعان للبلاء السماوي،
والحق تعالى فاعل مختار، ومن ثم يفيد التضرع والنوام لديه. ويقول الفلاسفة
هو فاعل بطبع وعلة وليس مختارا، ومن ثم فإن التضرع لا يغير الطبع**

- عندما ظهر البلاء لقوم يونس عليه السلام، انفصل عن السماء سحب "مليء" بالنار.
١٦١٠- وأخذ يلقي بالبرق والصواعق فيحرق الحجارة، وأخذ السحاب يردد
فتشحب الوجوه.

- كانوا جميعا على سطوح "منازلهم" ليلا، عندما ظهرت تلك الكرب والكوارث
من فوقهم (١).

- فنزلوا جميعا من فوق السطوح، ومضوا عراة الرؤوس إلى الخلاء.
- وأخرجت الأمهات أطفالهن، حتى يقوموا جميعا بالضراعة والدعاء
والاستغاثة.

- ومنذ صلاة العشاء وحتى طلوع الفجر، أخذ هؤلاء الناس جميعا يحثون
رؤوسهم بالتراب.

١٦١٥- ومن بعد اليأس والآهات المرة، أخذ السحاب في الانقشاع قليلا قليلا.

(١) ج/١١-٥١٢:- عندما كان يونس عليه السلام قد مضى عنهم، وذلك من جحودهم لله وحقدهم. - لكنهم عندما
رأوا أمارات البلاء، بدأوا في الضراعة والدعاء..

- إن قصة يونس عليه السلام طويلة مفصلة ، والوقت وقت " قصة " تراب " آدم " والحديث المستفيض عنه .

- وإذا كان للتضرع هذه الأقدار عند الله ، ففي أى مكان آخر يكون للنواح قيمته هناك ؟

- فهيا ، إنهض ، واستعد سريعا للرجاء والأمل ، وإنهض أيها الباكي ، واضحك دائما . (١)

١٦٢٠- فإن الملك المجيد ، يسوى الدمع فى الفضل بدم الشهيد . (٢)

إرسال اسرافيل عليه السلام إلى الأرض قائلاً له : خذ حفنة من التراب من أجل تركيب جسد آدم عليه السلام

قال إلهنا لإسرافيل : إمض ، واملأ كفك من التراب ، وتعال .

- فجاء اسرافيل بدوره صوب الأرض ، وبدأت الأرض مرة أخرى في التوسل قائلة :

- يا ملاك الصور ، ويا بحر الحياة ، ويا من نفخك الصور ، يجد الموتى الحياة والنشور .

- ومن نفخة واحدة في الصور ينطلق صوت عظيم ، ويمتلئ المحشر بالخلائق ، بعد أن كانوا من الرميم .

١٦٢٥- إنك تتفخ في الصور مناديا : هلموا إليّ ، إنهضوا يا قتلى كربلاء " الدنيا " .

(١) ج/١١-٥١٢:- وكن ملازماً للضراعة حتى تصبح فرحاً ، وابك ، حتى تصير ضاحكاً بلا قم .

(٢) ج/ ١١-٥١٢:- وكلتضرع يكون مع حرقة وألم يؤثر في المرء . لقد تضرع ونرف الدمع من عينيه ، فعلت الرحمة وسكنت ذلك الغضب .

- يا من هلكتم بسيف الموت ، أطلوا برؤوسكم من التراب " كما تطل " الأغصان والأوراق .

- وبرحمتك ونفختك الجذابة تلك ، يمتليء العالم بمن قد أحياهم " نفيرك " .

- إنك ملاك الرحمة ، فأظهر الرحمة ، وأنت حامل للعرش ، وقبلة للعطايا

- والعرش موضع لمعدن العطاء والعدل ، وتحتة أربعة أنهار من المغفرة .

١٦٣٠- نهر من لبن ونهر من عسل خالد ونهر من الخمر ونهر كدجلة من الماء الجارى العذب .

- ثم تجرى من تحت العرش داخل الجنة ، ويظهر منها النذر اليسير في الدنيا .

- بالرغم من أن هذه الانهار الأربعة ملوثة هنا ، مم ؟ من سم الفناء المهلك غير السائغ .

- ولقد صبت من تلك الأنهار الأربعة على التراب الكدر ، وأثيزت بذلك الفتنة حتى يبحث عن أصولها أولئك الأخساء ، لكنهم قنعوا بالأربعة الموجودة هنا ، هؤلاء الأدنياء .

١٦٣٥- ولقد أعطى اللبن من أجل تربية الأطفال ، وفجر عينا من صدر كل امرأة .

- وجعل عينا من الخمر فى الكرم ، لكى يجترىء بعضهم ، ويشربون منها لدفع الحزن والهم .

- وجعل من باطن النحل عينا للعسل ، وفيه شفاء للأبدان المريضة .

- وأعطى الماء للناس جميعا بأصولهم وفروعهم ، من أجل التطهر ومن أجل الشرب .

- حتى تتببع آثارها حتى الأصول ، لكنك قنعت بما هو هنا يا ذا الفضول .

١٦٤٠- فاستمع الآن إلى قصة التراب ، ماذا يقول من رجاء يحرك " القلوب " -
- لقد قطب وجهه وعبس أمام إسرافيل، وأخذ يقوم بمائة نوع من التشكل والنفاق
- وقال له : بحق ذات الجلال الطاهرة ، لا تجعل هذا القهر حلالا على .
- إننى أشم رائحة ما من تقليبك إياى ، وثمة ظن سيء يسرع إلى ذهني .
- إنك ملاك الرحمة فارحم ، فإن الطائر الملكي لا يؤذى طائرا صغيرا .
١٦٤٥- يا شفاء ورحمة لأصحاب الألم ، إفعل أنت أيضا ما فعله ذلك
المحسنان .

- فعاد اسرافيل سريعا إلى الملك ، وقص عليه ما حدث واعتذر له "قائلا" :
- إنك أمرت في الظاهر أن خذه ، لكنك ألهمت الضمير بعكس أمرك هذا .
- لقد كان أمرك للأذن أن إمض واقبضه ، لكنك نهيت اللب عن
القسوة . (١)

-والرحمة سبقت الغضب وغلبته ، يا بديع الأفعال ، ويا أيها المحسن الرب .

إرسال عزرائيل ملك الحزم والعزم لحمل حفنة من التراب من أجل

أن يسوى منها سبحانه وتعالى جسم آدم ﷺ على وجه السرعة

١٦٥٠- قال الإله على وجه السرعة لعزرائيل ، أنظر ذلك التراب
صاحب الخيال والأوهام .

- والحق بتلك الضعيفة الظالمة العجوز ، واحضر إلى سريعا قبضة من التراب
- وذهب عزرائيل قائد القضاء نحو كرة التراب من أجل المطالبة
والاقتضاء .

- فبدأ التراب على عادته في الصراخ ، وأقسم عليه ، وأغلظ في الإيمان

(١) ج/ ١١ - ٥١٦:- ورحمته بلا حد ولا نهاية ، إنه حكيم وكريم ورحيم .

- قائلاً : أيها العبد المقرب ، يا جمال العرش ، ويا مطاع الأمر في العرش والفرش .
- ١٦٥٥- إمض بحق حرمة الرحمن الفرد ، إمض بحق ذلك الذي تلطف معك .
- بحق الملوك الذي لا معبود سواه ، والذي لا ترد عنده ضراعة أحد . (١)
- قال : إنني لا أستطيع بهذا الرجاء والدعاء ، أن أعصى أمر السر والعلن .
- قال " التراب " : إنه أمر بالحلم أخيراً ، وكلاهما أمر ، فخذ الأمر بالحلم عن طريق العلم .
- قال " عزرائيل " : هذا تأويل وقياس ، وعليك في الأمر الصريح أن تقلل البحث عن الغموض والإلتباس .
- ١٦٦٠- ومن الأفضل لك أن تؤول ما يعن لك من فكر ، من أن تقوم بتأويل غير المتشابه هذا .
- وإن قلبي ليشفق من ضراعتك ، ومن دمعك ، إمتلاً صدرى دماً .
- ولست خالياً من الرحمة ، بل إنني أكثر رحمة من أولئك الثلاثة على ألم الذي يعانى ويقاسى .
- وبالرغم من أنني أقوم بصفع ذلك اليتيم ، وبالرغم من أن ذلك "الرجل" الحليم يعطيه الحلوى ؛
- فإن هذه الصفحة ألد من تلك الحلوى ، وإن خدعته الحاوى ، فالويل له .
- ١٦٦٥- إن كبدى ليحترق شفقة وتأثراً بضراعتك ، لكن الحق لا يفتأ يعلمنى اللطف .
- وهناك لطفٌ خفي في أنواع القهر ، وهناك عقيق لا يقدر بثمن مخفيٌ في الحدث .

(١) ج/ ١١ - ٥١٩ :- وبحق حق الحق أن ترفع يدك عنى ، يا من لك من الحق فضائل بلا عدد .

- وقهر الحق أفضل من مائة حلم منى ، ومنع الروح عن الحق ، هو بمثابة نزع الروح .

- وأشد قهر منه أفضل من حلم الكونيين ، فنعم رب العالمين ، ونعم العون .
- وهناك ألطاف مضمرة في قهره ، وتسليم الروح من أجله ، يمد في العمر .
١٦٧٠- فهيا ، إنتبه ، ودعك من سوء الظن والضلال ، واجعل الرأس قدما " ساعيا إليه " ما دام قد قال لك تعال .

- والإستدعاء منه يهب كثيرا من العلو والسمو ، إنه يهب النشوة والقرين والبسط والزرابي .

- وإني لا أجرؤ على تجاهل هذا الأمر السني أو الإستهانة به ، أو أن أكون معوجا ضالا بشأنه .

- ولقد سمع التراب المسكين كل هذا ، لكن كان في أذنيه وقر ، من الظن السيء .

- ثم إن ذلك التراب أخذ يبكي ويتضرع بطريقة أخرى ، ويسجد ويتمايل كأنه السكران .

١٦٧٥- قال : لا ، إنهض ، فلن يحقق بك ضرر من هذا الأمر ، وأناضامن لك هذا برأسي وروحي .

- لا تفكر عبثا ، ولا تتضرع ثانية ، اللهم إلا إلى ذلك الملك الرحيم العادل .
- إني عبد للأمر ، ولا أجرؤ على مخالفة أمره ، ذلك الأمر الذي أثار الغبار من قلب البحر .

- ولا أسمع إلا من ذلك الخالق للسمع والبصر والعقل ، ولا أسمع - حتى من نفسي - إلى الخير والشر .

- إن أذني صماء إلا عن قوله ، وهو عندي أعز من الروح الحلوة .

١٦٨٠- فقد وهبت الروح منه ، ولم يوهب هو من الروح ، وهو يهب مئات الآلاف من الأرواح بالمجان .

- وماذا تكون الروح حتى أختارها على الكريم ؟ وماذا يكون البرغوث حتى أحرق من أجله الكليم ؟

- فأنا لا أعلم خيرا إلا خيـره ، وأنا بدونه أصم وأبكم وأعمى .

- وأذن صماء عن أولئك الذين يستغيثون ، فأنا في كفه كأنتي السنان . (١)

بيان أن المخلوق الذي يحيق بك ظلم منه هو في الحقيقة كالألة ، والعارف هو الذي يرجع إلى الحق لا إلى الألة ، وإذا رجع إلى الألة فذلك في الظاهر فحسب ، ومن أجل مصلحة ، كما قال أبو اليزيد: لي سنوات لم أتحدث مع مخلوق ولم أسمع كلمة واحدة من مخلوق ، لكن الخلق يحسبون أنني أتحدث معهم وأسمع منهم ، لأنهم لا يرون المخاطب الأكبر ، فهم عند حالي بالنسبة له كالصدي ، ولا يهتم المستمع العاقل بالصدي . كما يقول المثل المعروف

قال الجدار للوتد لم تشقني ، قال الوتد : أنظر إلى من يدقني

- لا تطلب الرحمة بحمق من السنـان ، بل أطلبها من ذلك المليك الذي يكون السنان في يده . (٢)

١٦٨٥- فما بالك تتضرع إلى السنان والسيـف ، مع أنه أسيرٌ في يد ذلك السني

- إنه " أزر " في صنعته وأنا الصنـم ، والألة التي يجعلني إياها أكون إياها .

- فإن جعلني كأسـا ، أكون كأسـا ، وإن صنع مني خنجرا أصير خنجرا .

- وإن جعلني نبعا فإنني أفيض بالمـاء ، وإن جعلني نارا ، أهب الدفء .

- وإن جعلني مطرا أهب البيادر ، وإن جعلني سنانا أنفذ في الأجساد .

(١) ج/١١-٥٢٠: الشطرة الثانية : وأمضي إلى فم الأفعى من أجله .

(٢) ج/١١-٥٢٠:- لا تطلب الرحمة من حد السيـف ، بل من الملك الذي هو له في يده كالصولجان .

١٦٩٠- وإن جعلني حية أنفث السم ، وإن جعلني عوناً وسنداً أقوم بالخدمة .(١)

- إنني كالقلم بين الإصبعين ، ولست بالمتوسط في صف الطاعة .
- ولقد شغل التراب بالكلام - ثم اختطف قبضة من ذلك التراب القديم .
- لقد اختطفها بسحر من موطن التراب ، والتراب يهذى بالكلام كمن فقدوا الوعي .

- وحمل حتى حضرة الحق التراب الذي لإرادة له ، حمله كما يحمل الطفل الهارب من المكتب .

١٦٩٥- قال الله سبحانه وتعالى : بحق علمي المطلق ، لأجعلن منك جلاداً لهؤلاء الخلق .

- قال: يا رب ، إن القوم سوف يعادونني ، عندما آخذ بحلوقهم عند الموت .
- فهل ترضى أيها الإله السني ، أن تجعلني عدواً مبغوضاً كريبه الوجه ؟

- قال : بل لأجعلن " للموت " أسباباً ظاهرة للعيان ، من الحمى والقولنج والدوار و" طعان " السنان .(٢)

- حتى أحول أنظارهم عنك ، إلى الأمراض والأسباب والعلل المتداخلة .
١٧٠٠- قال : يا رب ، هناك أيضاً من العباد ، من يمزقون حجب الأسباب أيها العزيز .

- تتجاوز عيونهم الأسباب وتتجاوز الحجب من فضل الرب .

(١) ج/١١-٥٢٦:- وإن جعلني سكران ، أصبح حلواً ، وإن جعلني حنظلاً أمتليء حقداً .- وإن جعلني شيطانا أعصى وأتمرّد ، وإن جعلني محرقاً أصبح ناراً .

(٢) ج/١١-٥٢٧:- ومن الصداع والورم الدموي والخناق ، والزكام والجذام والفواق .- والسدة والديدان والاستسقاء والسل ، وكسر ذات الصدر واللدغ ووجع القلب .

- ومن وجد كحل التوحيد من كحال الحال ، فقد خلص " من التفكير " في العلة والاعتلال .

- فهم لا ينظرون إلى الحمى والقولنج والسل ، ولا يتركون سبيلا لهذه الأسباب إلى قلوبهم .

- ذلك أن لكل واحد من هذه الأمراض دواء ، وعندما لا يقبل المرض الدواء ، فالفعل إذن هو فعل القضاء .

١٧٠٥- فاعلم يقينا أن لكل داء دواء ، مثلما يكون علاج البرد بلبس الفراء .

- وعندما يريد الله لأمريء أن يتجمد من البرد ، فإن البرد ينفذ حتى من مائة فراء .

- ويضع في جسده رعدة ، لا تذهب عنه بثوب أو بدار .

- وعندما يحم القضاء ، يصبح الطبيب أبله لا يعي شيئا ، بل ويضل ذلك الدواء طريق النفع .

- بحيث يصبح إدراك البصير محجوبا ، عن هذه الأسباب التي هي خداعٌ للأبله .

١٧١٠- وإن العين ترى الأصل عندما تكون كاملة ، وعندما يكون المرء أحول لا يرى إلا الفروع .

جواب الله على عزرائيل : إن من لاوجه نظره إلى الأسباب والأمراض والطعن بالسيف

فإنه لا يقيم عليك أيضا ، لأنك سبب مهما كنت أخفى من تلك الأسباب ، وربما يكون

خفيا على المريض لقوله تعالى : وهو أقرب إليكم ولكن لا تبصرون (١)

- قال الله : ذلك الذي يكون عالما بالأصل ، متى يراك إذن بيننا ؟

(١) هكذا في النص ، والآية الكريمة هي : (ونحن أقرب إليه منكم ولكن لا تبصرون) . الواقعة / ٨٥.

- وبالرغم من أنك أخفيت نفسك عن العوام ، فإنك أمام المستثيرين " مجرد " حجاب و "سبب" .
- وأولئك الذين يكون الأجل بالنسبة لهم كالسكر ، ما دامت أنظارهم نشوى بأنواع الإقبال .
- لا يكون موت الجسد بالنسبة لهم أمرا مرا ، فإنهم يمضون من الجب والسجن إلى البساتين والرياض .
- ١٧١٥- لقد نجوا من الدنيا المليئة بالالتواء والضلال ، ولا يبكي أحد على فوات هباء الهباء .
- فلو أن نقابا حطم برج السجن وهدمه ، لا يضيق بذلك أبدا قلب السجين .
- ولا يتحسر قائلا : وا أسفاه ، لقد حطم هذا الحجر المرمري ، بحيث نجت نفوسنا وأرواحنا .
- ذلك الرخام الجميل وذلك الحجر الأصيل ، كان بهيا بالنسبة لبرج السجن منسجما معه .
- فكيف حطمه حتى نجا السجين ؟ ينبغي أن تقطع يده في هذا الجرم .
- ١٧٢٠- ولا يوجد سجين قط يتحدث بهذا الهراء ، اللهم إلا ذلك الذى يؤخذ من السجن إلى المشنقة .
- ومتى يكون مرا على الإنسان ، أن يحمل من " موطن " سم الأفاعي إلى الشهد والسكر ؟
- لقد صارت الروح مجردة عن ضجة الجسد وضوضائه ، إنها تحلق بجناح القلب ، لا قدم الجسد .
- مثل ذلك السجين فى الجب ، الذى يقضى الليالى " الطوال " راقدا يحلم بالرياض والبساتين .

- إنه لا يفتأ يقول : إلهي ، لا ترجع روحي إلى الجسد ، حتى أصول وأجول في هذه الروضة .

١٧٢٥- فيقول الله له : لقد استجيبت دعوتك ، لا تعد ، والله أعلم بالصواب - فانظر إلى هذا الحلم كيف يكون حلوا ، أن يدخل المرء الجنة دون أن يذوق الموت .

- إنه لا يتحسر أبدا على اليقظة ، وعلى الجسد المقيد بالأغلال في قاع الجب .

- فادخل آخرا أيها المؤمن في المعمعة ، فإن هناك فوق السموات حفلا مقاما من أجلك .

- وقم أملا في الطريق الأسمى ، " قيام " الشمع أمام المحراب ، أيها الغلام .

١٧٣٠- وداوم على ذرف الدمع والإحتراق في الطلب ، مثل الشمع مجزوز الرأس ، طوال الليل .

- وأضمم شفتيك عن الطعام والشراب ، واسرع نحو المائدة السماوية . - وليكن ذلك الرجاء في السماء لحظة بعد لحظة ، "ولتكن" راقصا في هوى السماء كأشجار الصفصاف .

- فإن الماء والنار يأتياك لحظة بلحظة من السماء ، فيزداد رزقك . - وإذا حملك إلى هناك بعدها فلا عجب ، ولا تنتظر إلى العجز ، وانظر إلى الطلب .

١٧٣٥- وهذا الطلب منك وديعة من الله ، لأن كل طالب جدير بما يطلب . - وجاهد حتى يزيد - سبحانه وتعالى - في هذا الطلب ، حتى يخرج قلبك من جب الجسد .

- ويقول الخلق : لقد مات فلان ..ذلك المسكين ، وتقول أنت : بل أنا حي أيها الغافلين .

- وإذا كان جسدى قد ثوى كما تثوى الأجساد ، فإن الجنان الثمانية قد تفتحت في قلبي .

- وإذا كانت الروح قد استقرت بين الورد والنسرين ، فأى بأس وحزن أن يكون الجسد في ذلك البعر ؟

١٧٤٠- وأى خبر للروح الآمنة عن الجسد ، سواء كان في روضة أو مستودع قمامة .

- ما دامت الروح في العالم السماوى تصيح : يا ليت قومي يعلمون .

- وإذا كانت الروح لن تعيش دون هذا البدن ، فايوان من إذن سوف يكون الفلك ؟

- وإذا كانت الروح سوف تعيش بدون البدن ، فرزق من إذن سيكون مصداقا لـ « وفي السماء رزقكم » ؟

في بيان وخامة دسم الدنيا وحلوها ، ومنعه لطعام الله الوارد في [الجوع طعام الله يحيي به أبدان الصديقين] أى أن في الجوع طعام الله ، وقوله عليه السلام [أبيت عند ربي يطعمني ويسقيني] وقوله تعالى «يرزقون فرحين»

- عندما تتخلص من فتات هذا الطعام الدنس ، فإنك تحصل على الدسم والقوت الشريف .

١٧٤٥- ذلك الذى إن أكلت من دسمه آلاف الأرطال ، فإنك تمضي خفيفا طاهرا كأنك الملاك .

- فلا هو يصيبك باحتباس الرياح أو القولنج ، ولا هو يؤدى بك إلى قعود " بآلم المعدة .

- وإنك إن أكلت " هنا " قليلا ، تظل جائعا كالزراغ ، وإن أكلت حتى امتلأت ، يأخذ التجشؤ بمجامع أنفك .

- فقلة الطعام تؤدي إلى ضيق الخلق واليبوسة والسل ، والشره إلى الطعام يؤدي إلى تخمة الجسد .

- ومن طعام الله والقوت المستساغ الهنيء ، صر كالسفينة ، طافيا على مثل هذا البحر .

١٧٥٠- وكن في الصوم صبورا صامدا ، منتظرا لحظة بعد أخرى قوت الله.

- فإن ذلك الإله الحكيم حسن الفعال ، يعطي الكثير من الهدايا في الإنتظار .

- والرجل الشبع لا ينتظر الخبز ، وهل يأتي قوته سريعا أو بطيئا متأخرا .
- لكن فاقد الزاد يقول في كل لحظة : أين ؟ وهو منتظر في جوعه في كد ونصب .

- وعندما لا تكون منتظرا لا يأتينك ذلك النوال من الدولة ذات السبعين ضعفا .

١٧٥٥- فالإنتظار الإنتظار أيها الأب ، من أجل المائدة العلوية كما يفعل الرجال - وكل جائع قد وجد قوتا في نهاية الأمر ، وسطعت عليه شمس دولة ما .

- والضيف صاحب الهمة عندما يقلل في شرب الحساء ، يحضر له صاحب المائدة طعاما أفضل .

- اللهم إلا إذا كان صاحب المائدة فقيراً بخيلاً ، فكفاك سوء ظن بالرزاق الكريم .

- واشمخ برأسك مثل جبل ، أيها " السيد " السند ، حتى يسطع عليك أول شعاع من الشمس .

١٧٦٠- فإن قمة الجبل العالي المستقر ، هي التي تنتظر الشمس في أول سطوعها .

الجواب على ذلك المغفل الذي قال : ما أحلى هذه الدنيا لو لم يكن موت وما أحلى ملكها لو لم يكن إلى زوال . وعلى هذه الوتيرة من " الفشارات "
- كان أحدهم يقول : ما أحلى الدنيا ، إن لم يخطُ فيها الموت بقدميه .
- فقال آخر : إن لم يكن موت ، لما ساوت هذه الدنيا المليئة بالضلال قشة واحدة .

- وكان بيدرا قد بسط في واد ، وترك مهملاً ، لم يُدرس ، ولم يُدق .
- ولقد اعتبرت الموت حياة ، وألقيت بالبذور في الأرض البور .
١٧٦٥- والعقل الكاذب يرى الأمور على عكسها ، ويرى الحياة موتاً أيها الظالم .

- فيا أيها الإله ، فلتبد لنا الأشياء على حقيقتها في دار الخداع .
- ولا يوجد ميت قط يتحسّر بسبب الموت ، إنما تكون حسرتة دائماً من قلة زاده .

- وإلا فإنه قد انتقل من بئر إلى خلاء ، بين ألوان الإقبال والمتعة والسعة .
- ومن موضع المأتم هذا والمقام الضيق ، قد نقل إلى الخلاء الواسع .
١٧٧٠- ومقعد الصدق لا إيوان الباطل ، وخمر الخواص ، لا السكر من المخيض .

- لقد صار في مقعد الصدق وجليسا للحق ، ونجا من معبد نار الجسد هذا .
- فإن لم تكن قد عشت حياة مضيئة ، فقد بقيت فيها لحظة أو لحظتين ، فمت كالرجال .

فيما يرجى من رحمة الله تعالى ، معطي النعم قبل استحقاقها (وهو الذي ينزل الغيث من بعد ما قنطوا) ورب بعد بورث قربا ، ورب معصية ميمونة ورب سعادة تأتي من حيث يرجى النقم ، ليعلم أن الله يبدل سيئاتهم حسنات

- جاء في الحديث أنه في يوم القيامة ، يأتي الأمر لكل جسد أن : إنهض " من جدتك " .

- ونفخ الصور أمر من الإله الطاهر ، معناه : أطلوا برؤوسكم أيها الخلائق من التراب .

- ١٧٧٥- وتعود روح كل امرئ إلى بدنه ، تماما كما يحدث في الصباح عندما يعود الوعي إلى البدن .

- وتعرف الروح جسدها عندما يطلع النهار ، وتعود إلى خرائبها كما تعود الكنوز .

- إنها تعرف جسدها وتحل فيه ، فمتى تذهب روح الصائغ نحو جسد الخياط ؟

- وروح العالم تمضي صوب العالم ، كما تسعى روح الظالم نحو الظالم .

- فقد علمها كلها علم الإله ، كما يميز - عند الصباح - الحمل من الشاة .
- ١٧٨٠- والقدم تعرف نعلها في الظلام ، فكيف لا تعرف الروح جسدها أيها الصنم .

- والصبح هو الحشر الصغير أيها المستجير ، وقس عليه إذن الحشر الكبير .
- وكما تطير الروح " عائدة " نحو الطين ، تحلق الكتب ذات اليسار وذات اليمين .
- ويوضع في كف " المرء " كتب البخل والجود ، وكتب الفسق والتقوى ، ما كان قد إعتاد عليه .
- وعندما يستيقظ من النوم عند السحر ، يرجع إليه ، ذلك الخير وذلك الشر .
- ١٧٨٥- فإذا كان قد عود خصاله على الرياضة ، فهي ما يأتي أمامه أوان يقظته .
- وإذا كان بالأمس غفلا قبيحا في ضلال ، فإنه يجد كتاب العزاء الأسود في الشمال .
- وإذا كان بالأمس طاهرا تقيًا ذا دين ، فإنه عند اليقظة يظفر بالدر الثمين .
- فإن منامنا ويقظتنا شاهدان على صفة موتنا وحشرنا .
- ولقد أبدى الحشر الأصغر الحشر الأكبر ، وفسر الموت الأصغر الموت الأكبر .
- ١٧٩٠- الكتاب هنا خفي و" مجرد " خيال ، ويصير ذلك الكتاب في الحشر عيانا بيانا .
- فهذا الخيال هنا خفي واضح الأثر ، ومن هذا الخيال تثبت هناك الصور .

- فانظر ، إن صورة الدار تكون في قلب المهندس ، كأنها بذرة في باطن التراب
- ثم تأتي تلك الصورة من الباطن إلى الظاهر ، كالأرض التي تلد من البذر المدفون .
- وكل خيال يجعل من القلب موطننا ، سوف يتصور في يوم الحشر ١٧٩٥- مثل الخيال الموجود عند ذلك المهندس في الضمير ، وكالنبات في الأرض القابلة للبذر .
- إن مأهدف إليه من الحديث عن هذين المحشرين موضوعا ما ، يكون في بيانه حصاة للمؤمنين .
- وعندما تسطع شمس القيامة ، ينسلون من الأجداث سراعا ، الصالحون والطالحون .
- ويمضون ساعين نحو ديوان القضاء ، ويدخل النقد الصحيح والنقد الزائف إلى الكير .
- ويصبح النقد الصحيح الطيب سعيدا مكرما ، أما النقد الزائف ، فيصير في عذاب وذوبان .
- ١٨٠٠- وتصل ألوان الامتحان لحظة بعد أخرى ، وتبدو أسرار القلوب في الأجساد .
- مثلما صار ظاهرا من القنديل الماء والزيت ، أو كالتراب الذي ينبت " ما دفن فيه " من أسرار .
- وإن يد الربيع لتبدى ما غرس في الشتاء ، من بصل وكراث وخس .
- فثمة ما يكون مخضرا نضرا سعيدا من « نحن المتقون » ، وآخر كالبنفسج ناكس الرأس .

- لقد جحظت العيون من " شدة " الخطر ، وصار المطمئن شديد القلق (١) من الخوف المستقر .
- ١٨٠٥- وثمة عيون قد كلت من الإنتظار ، خوفا من تأتيها الكتب من الشمال .
- فالعيون دائرة ذات اليمين وذات اليسار ، ذلك أن قدوم الكتاب باليمين ليس بالأمر السهل .
- وثمة كتاب يأتي إلى أحد العباد ، أسود بأجمعه ، محشو بالفسق والفساد .
- ليس فيه حسنة واحدة أو عمل واحد موفق ، ليس فيه إلا ما يؤذى قلب الصديق .
- إنه مليء بالقبح والذنوب من بدايته إلى نهايته ، والسخرية والتصفيق استهزاء من أهل الطريق .
- ١٨١٠- إنه مليء بسرقات ذاك وأنواع إحتياله ومكره ، ويقول هذا كالفراعين " أنا " و " إنا " .
- وعندما يقرأ ذلك المتقل " بالذنوب " كتابه ، يعلم أن مآله هو الرحيل إلى السجن .
- ثم يمضي إلى المشنقة كأنه اللصوص ، فجرمه ظاهر ، وقد سد طريق الإعتذار .
- وتلك الآلاف من الأعذار والحجج والأقوال المشينة ، صارت سدا لفمه كأنها مسمار السوء .

(١) حرفيا : ذا عشرة عيون .

- فالمتاع المسروق موجود على جسده وفي داره ، وقد كشف أمره ، وضاعت أسطورتـه .

١٨١٥- ثم يمضي سائرا نحو سجن السعير ، فالشوك لا محيص له من النار .

- وهؤلاء الملائكة الموكلون من قدام ووراء ، كانوا في الدنيا مستورين ، فصاروا ظاهرين كالعسس .

- إنهم يحملونه ويخزونـه بالمناخس قائلين : فلتعض أيها الكلب نحو حظائك "الجديرة بك".

- وهو يجر قدمه في بداية كل طريق ، ربما ينجو من ذلك الجب " السحيق " .

- ويقف منتظرا ، مستسلما ، ويتلفت حوله ، وينظر خلفه آملا .

١٨٢٠- ويذرف الدمع " الهتون " كأقطار الخريف ، وأمله واه الأساس ، وماذا لديه سواه ؟

- يتلفت كل لحظة بوجهه ، ويتوجه نحو العتبة المقدسة .

- فيأتي الأمر من الحق من إقليم النور ، أن قولوا له : أيها الفاسد العارى " من كل فضل " .

- ماذا تنتظر يا معدن الشر ؟ وما التفاتك يا دائر الرأس .

- إن كتابك هو الذى جاء في يدك ، يا من قدمت الأذى لله والعبادة للشيطان
١٨٢٥- وما دمت قد رأيت كتاب أعمالك ، فإلى أى شيء تنظر ؟ أنظر إذن إلى جزاء عملك !!.

- ولماذا تتلصق عبثا ؟ وفي هذه الحفرة من الجحيم ، أى أمل في شعاع نور ؟!

- فإنك لم تقدم في ظاهر الأمر طاعة واحدة ، وليس لديك في باطنك نية " لفعل حسنة واحدة " .

- ولا أنت قدمت في الليل المناجاة والقيام ، ولا كان لك في النهار تقى أو صيام .

- ولا أنت حفظت اللسان عن إيذاء الناس ، ولا كان لك نظرٌ باعتبار إلى ما هو قدامك وخلفك .

١٨٣٠- وما هو ذكرك لما هو قدامك ؟ إنه ذكرك لموتك ونزحك ، وما هو ذكرك لما هو خلفك ؟ إنه موت الرفاق من قبلك .

- ولا كان لك عن الظلم توبة " تجار " فيها بالضراعة ، أيها الغشاش المحتال ، يا من تعرض القمح وتبيع الشعير .

- وما دام ميزانك أنت كان مزيفا معوجا ، فأى إستقامة تطالبها من ميزان الجزاء ؟!

- وما دمت قد سعيت بشمالك في الغدر والخسران ، كيف يأتيك الكتاب إذن في يمينك ؟!

- ولما كان الجزاء بمثابة الظل يا محني القوام ، فإن ظلك يسقط أيضا منحنيا أمامك .

١٨٣٥- وعلى هذا المنوال يسمع موجه القول ، والذي منه يقصم ظهر الجبل .

- ويقول العبد : إن ما تفضلت به من بيان ، أنا " من السوء " مائة ضعف له ، مائة ضعف ، مائة ضعف .

- وأنت نفسك قد سترت ما هو أسوأ بحلمك ، وإلا فإنك تعلم فضائحي بعلمك .

- لكن خارج جهادى وخارج فعلى ، ومن وراء الخير والشر والكفر والدين ،

- " وخارج " ضراعتى بعجز ، وما لا يدور في خيالى ووهمى أو وهم مائة مثلى ؛

١٨٤٠- كنت راجيا في محض لطفك ، بصرف النظر عن إستقامتى أو عتوى .

- " كنت أرجو " عطاء محضا من اللطف الذى لا يعوضه " لطف " ، كنت آملا فيك يا مكرما بلا غرض .

- ولقد التفت أنا إلى ذلك الكرم المحض ، وأنا لم ألتفت نحو " ما قدمت " من عمل .

- لقد التفت بوجهي نحو ذلك الرجاء الذى وهبني الوجود من قبل القبل .

- ووهبني خلعة الوجود بلا مقابل منى ، وكنت دائما معتمدا على ذلك .

١٨٤٥- وعندما يعدد ذنوبه وأخطاءه ، فإن ذلك العطاء المحض يبدأ في العطاء .

- قائلاً : أيها الملائكة ، ردوه إلينا ، فإن عين قلبه كانت على الرجاء .

- ولنتجّه دون مبالاة منا ، " ولنتجاهل " كل هذه الخطايا ، ولنشطب عليها .

- فإن عدم المحاسبة إنما يباح لمن لا يصيبه نفع أو ضرر من الغدر أو من الصلاح .

- ولنشعل نارا طيبة من كرمنا ، بحيث لا تبقى زلة أو ذنب ، قلا أو كثيرا .

١٨٥٠- نارا من أقل شرر منها ، يحترق الذنب ، ويحترق الجبر والإختيار

- ولنضرم نارا في الأصل البشرى الإنساني ، ولنحول الشوك إلى روضة من رياض الروح .
- فنحن من الفلك التاسع قد أرسلنا كيمياء " تبديل " ، فحواها (يصلح لكم أعمالكم) .
- وأمام النور المستقر ، ماذا يكون في حد ذاته ، كر إختيار أبي البشر وفره .
- وقطعة من اللحم أداة للحديث عنده ، وقطعة من الشحم موضع البصر فيه ١٨٥٥- وموضع السمع فيه قطعتان من العظام ، وموضع إدراكه قطرتان من الدم ، أي القلب .
- إنه مجرد دودة صغيرة مليئة بالأقذار ، لكنه ملأ الدنيا بالضجيج والصخب
- لقد كنت نطفة من مني " يمني " ، فاترك قولك " أنا " ، وتذكر يا إياز ذلك الرداء الجلدي .

قصة إياز وامتلاكه لـحجرة ليحتفظ فيها بحذائه القديم وسترة

الرعي الخاصة به ، وظن الحاشية أن له فيها كنزا مدفونا ، وذلك

لإحكامه غلق الباب وثقل القفل

- لقد دفع ذكاء إياز إياه " على الاحتفاظ " بحذائه وسترته الجلدية " معلقين " على جدار .
- كان يمضي كل يوم إلى حجرة منزوية ، قائلاً لنفسه : هذا حذاؤك القديم ، فلا تغتر .
- ١٨٦٠- فقالوا للملك : إن له حجرة " خبأ " فيها الذهب والفضة ، ودفن فيها الجرار .
- وهو لا يسمح لأحد بدخولها ، كما أنه يخلق بابها على الدوام .

- وقال الملك : عجباً لهذا الغلام ، ما الذى يخفيه عنا ويستتره علينا ؟!
- ثم أمر أحد الأمراء قائلاً : إمض فى منتصف الليل ، فافتح تلك الحجرة ، وادخلها ؛
- وكل ما تجده فيها ، إنهبه ، وافش سره للندمان .
- ١٨٦٥- فهو مع مثل هذا اللطف والإكرام الذى لاحد له ، يخفي الفضة والذهب من لؤمه " وخسته " .
- ويظهر الوفاء والعشق والوجد ، فى حين أنه يعرض القمح ويبيع الشعير .
- وكل من يجد الحياة فى العشق ، يكون كل ما سوى العبودية ، كفراً عنده .
- وفى منتصف الليل تشاور ذلك الأمير مع ثلاثين من خاصته فى فتح حجرة إياز .
- وحمل عدد من المقاتلين المشاعل ، ومضوا نحو الحجرة فرحين .
- ١٨٧٠- قائلين : إن أمر السلطان هو أن نسطو على الحجرة ، ويحمل كل منا كيساً من الذهب .
- فكان أحدهم يقول : ها ، أى ذهب تقصد ؟ تحدث عن العقيق والياقوت والجواهر .
- إنه كبير خواص خزانة السلطان ، بل إنه بمثابة الروح بالنسبة للملك .
- فأية قيمة عند ذلك المحظي المقرب للمرجان والياقوت والزمرد والعقيق ؟!
- لم يكن الملك يسيء الظن به ، لكنه كان يسخر ويهزأ ليمتحن " الأمراء " .
- ١٨٧٥- لقد كان يعرف أنه برىء من الغل والغش ، لكنه كان مرتعد القلب من ظنه أيضاً .

- قائلا : ربما كان الأمر كذلك - لا قدر الله - ويتألم ، وأنا لأأريده أن يشعر بالخجل .

- إنه لم يفعل هذا ، وجائز له إن فعل ، قل له : إفعل ما تريد ، إنه محبوبنا .

- وكل ما يفعله محبوبي ، فقد فعلته أنا ، فهو أنا وأنا هو ، بالرغم من أنني محبوب عنه .

- ثم عاد يقول : إنه بعيد عن هذه الطباع والخصال ، ، ما هذا الخلط ؟ بل ما هذا الهذيان والخيال ؟!

١٨٨٠- إن هذا في حد ذاته يستبعد عن إياز ، بل هو محال ، إنه بحر" لا يسبر غوره .

- بل إن البحار السبعة قطرة واحدة منه ، وكل الوجود رشحة من موجه .

- وكل أنواع الطهر تؤخذ من هذا البحر ، بل إن قطراته قطرة تقوم بكيمياء " التبديل .

- إنه ملك الملوك ، بل هو صانع الملوك ، وسمي " إياز " دفعا للحسد .

- بل إن العيون الطيبة لتحسده بدورها ، غيرة منه ، فإن حسنه بلا حد .

١٨٨٥- إننى أريد فما في سعة الفلك ، حتى أصف ذلك الذى يزرى بالملك

- ولو أجد فما قدر هذا الذى أطلبه بل مائة ضعف ، فإن ما أحس به من حنين ، يضيق به الصراخ .

- ولو لم أقل هذا القدر أيضا أيها السند ، فإن زجاجة القلب تتكسر من الضعف .

- ولما رأيت زجاجة القلب رقيقة " هشة " ، لكي أسكن " ما بي " مزقت كثيرا من الأقبيصة .

- وأنا - أيها المحبوب - ينبغي على أن أجن بلا جدال ، ثلاثة أيام على رأس كل شهر .

١٨٩٠- فانتبهه ، هذا هو اليوم الأول ، إنه يوم النصر ، لا يوم الفيروز - وكل قلب يحتوى على حزن المليك ، تكون كل لحظة كأول الشهر بالنسبة له .

- وما دمت قد صرت مجنونا ، فإن قصة محمود وأوصاف إياز ، قد خرجت الآن عن إيقاع اللحن .

بيان أن ما نذكره هنا هو مجرد صورة القصة لكي تكون مناسبة لمن يأخذون بالصورة وجديرة بمرآة تصويرهم ، ومن القدسية التي هي حقيقة هذه القصة يخجل النطق من مجرد التفوه بها ، ومن الخجل يضل الرأس والحية والقلم والعاقِل تكفيه الإشارة

- ذلك أن فيل " روي " رأى هند " الجنان " في الحلم ، فاقطع الأمل إذن في الخراج ، فقد خربت القرية .

- " كيف يأتي النظم لي والقافية ، بعدما ضاعت أصول العافية

١٨٩٥- ما جنون واحد لي في الشجـون ، بل جنون في جنون في جنون

- ذاب جسمي من إشارات الكنى ، منذ عانيت البقاء في
الفنـا " (١)

- يا إياز ، لقد صرت من عشقك " في نحول " الشعرة ، وعجزت عن
إتمام قصتك ، فحدثنا أنت بها.

- ولطالما قرأت أسطورة عشقك بالروح ، ، فاقرأني أنت إذن ، فقد صرت
أسطورة .

- إنك أنت الذى تقرأ لأنا أيها المقتدى ، إنني الطور وأنت موسى ، وهذا هو
الصدى .

١٩٠٠- وأى علم للجبل المسكين بالكلام والحديث ، إن موسى يعلم أن الجبل
خال " من الفكر والقول " ..

- إن الجبل يعلم ، لكن ما أتيح له من علم ، والجسد " يستمد " قليلا من لطف
الروح .

- والجسد قد خلق كالإصطرلاب من أجل الحسـاب ، وهو آية من الروح
التي هي كالشمس الساطعة .

- ولأن ذلك المنجم ليس حاد البصر ، يشترط أن يكون هناك رجل يصنع له
الإصطرلاب .

- وذلك حتى يصنع الإصطرلاب من أجله ، وحتى يفهم شيئا عن حالة
الشمس .

(١) ما بين القوسين بالعربية في المتن الفارسي .

١٩٠٥- والروح التي تبحث عن الصواب عن طريق الإصطرلاب ، أى قدر تعرفه عن حالة الفلك والشمس ؟

- وأنت تتنظر إذن بعين الإصطرلاب ، فأنت في رؤيتك للعالم قاصر جدا على وجه اليقين .

- لقد رأيت الدنيا بقدر رؤيتك ، فأين الدنيا إذن ؟ لماذا تتحسس شاربك " كبرياء " ؟

- وإن للعارفين كحلا " يجلي البصر " فابحث عنه ، حتى تصير كالبحر هذه العين التي تشبه الجدول .

- ولو كان معي ذرة من العقل والوعي ، أى هوس هذا وتجديف في القول ؟
١٩١٠- وبما أن رأسي قد خلت من الوعي والذكاء ، فأى ذنب لي في هذا الخلط في الكلام ؟

- إن الذنب ذنبه هو ، ذنب من سلبي العقل ، وقد ماتت أمامه عقول كل العقلاء .

- " يا مجير العقل فتان الحجي ، ما سواك للعقول مرتجي
- ما اشتبهت العقل مذ جننتي ، ما حسدت الحسن مذ زيننتي
- هل جنوني في هواك مستطاب ، قل : بلى ، والله يجزيك
الصواب " (١)

١٩١٥- فسواء تحدث هو بالفارسية أو بالعربية ، أى أذن وأى لب يستطيعان فهم أعماقه ؟

- وليست خمره جديرة بكل وعي ، وحلقته ليست مبدولة لكل أذن .

(١) ما بين القوسين بالعربية في المتن الفارسي .

- ها أنا قد جننت مرة ثانية كالمجنون ، هيا إمض ، إمض أيها الحبيب ، وهات القيد سريعا .
- وفيما عدا ذلك القيد الذي هو من جدائل حبيبي ، إن جئتني بمائتي قيد ، فإني أحطمها تحطيمًا (١).

حكمة النظر في الحذاء القديم والسترة الجلدية مصداقا لقوله

تعالى (فليَنظر الإنسان مم خلق)

- عد بنا مرة أخرى إلى قصة عشق إياز ، فهي كنز مليء بالأسرار .
- ١٩٢٠- لقد كان كل يوم يذهب إلى الغرفة العليا ، كي يشاهد الحذاء القديم والسترة الجلدية .
- وذلك أن وجود " النعمة " يحدث سكرًا شديداً ، ويسلب العقل من الرأس والحياء من القلب .
- ونفس سكر الوجود هذا قد قطع لطريق من مترصده على مئات الآلاف من القرون السابقة.
- لقد صار عزازيل من هذا السكر إبليس ، واعترض قائلاً : لماذا يصبح آدم رئيساً على ؟
- إنني سيد وابن سيد أيضاً ، وجديرٌ بمائة فضل مستعد له .
- ١٩٢٥- ولست بأقل من أحد في الفضل ، حتى أقف احتراماً أمام العدو .
- لقد خلقت أنا من النار وخلق هو من الوحل ، ، وما قيمة الوحل إلى جوار النار ؟

(١) ج/ ١١-٥٧٣:- إن على قدم قلبي قيذاً من العشق ، فبأى شيء يجديني هذا الوعظ والنصح ؟- وقصة العشق لا مطلع لها ، وبالتالي لا مقطع لها أيضاً .

- وأين كان هو في ذلك الزمان الذى كنت أنا فيه صدرا للعالم وفخرا للزمن ؟!

(وخلق الجان من مارم من نار) وقوله تعالى في حق إبليس

إنه (كان من الجن ففسق)

- لقد كانت نار روح السفيه تلقي باللهب ، فقد كان ناريا ، والولد سر أبيه .

- لا ، لقد أخطأت ، بل كان غضب الله ، فلماذا تبحث عن العلل والأسباب ؟

١٩٣٠- إن الأمر الذى بلا علة مبرأ من العلل ، إنه مستقر ومتواصل منذ الأزل .

- وفي كمال الصنع المتواصل المستمر ، أى موضع للعلة الحادثة أو الحدث ؟
- وأى شيء يكون سر الأب هذا ، إن أبانا أيضا من صنعه ، إن الصنع لب ، والأب الصورى هو القشر .

- فاعلم أن العشق - يا هش القشر كالبنديق - هو رفيقك ، وروحك تبحث عن اللب ، وتديق القشر منك .

- وجهنمي ذلك الذى يكون القشر رفيقا له ، لقد أعطى جلده مصداقا لـ (بدلناهم جلودا) .

١٩٣٥- والمعنى واللب فيك مسيطران على النار ، لكن قشورك حصب جهنم .
- والقدر الخشبي الذى يكون فيه ماء الجدول ، تكون قدرة النار كلها على ظاهره .

- لكن معنى الإنسان مسلط على النار ، إنه مالك خازن الجحيم ، فكيف يكون هالكا فيه ؟

- فلا تزد إذن في البدن ، وزد في المعنى ، حتى تصير سيدا على النار مثل مالك .

- وها أنت تقوم بزيادة القشر فوق القشر ، فلا جرم أنك كالقشر في دخان .
١٩٤٠- ذلك أنه لا طعام للنيران إلا القشور ، وقهر الحق سالخ لجلد ذلك الكبرياء .

- وهذا الكبرياء نتيجة للقشور والجلد ، ومن هنا فالمال والجاه صديقان حميمان لذلك الكبرياء .

- وما هو هذا الكبرياء ؟ إنه الغفلة عن اللباب ، إنه متجمد غافل غفلة الثلج عن الشمس " الساطعة " .

- وعندما يأتيه علم بالشمس ، لا يبقى ثلجا ، يصير لنا حارا ويجد في السير .
- وعندما يرى الجسد اللب يصير بجملته طامعا فيه ، ويصير ذليلا عاشقا ،
إذ : ذل من طمع .

١٩٤٥- وعندما لا يرى اللب يقنع بالقشر ، ويصبح قيد " عز من قنع " مطوقا إياه في سجنه .

- والعز هنا " بالدنيا " هو مجوسية وذل للدين ، وما لم يفن الحجر ، متى صار فصا ؟

- أتقول " أنا " وأنت في مقام الحجرية لا تزال ، إن الألوان هو أوان تحولك إلى مسكين فان .

- ومن هنا يبحث الكبرياء دائما عن الجاه والمال ، لأنه من كثرة " البعر " يكون الكمال لمستودع القمامة .

-فإن هاتين المرضعتين تربيانه ، وتحشوانه بالشحم واللحم والكبرياء والعنجهية .

١٩٥٠- ولم تمنعنا النظر في لب اللب ، ومن ثم فقد ظننا القشر لبا .
- لقد كان إبليس هو الإمام في هذا الطريق ، ، إذ سقط في شبكة الجاه .
- فالمال كالحية ، والجاه ذاك أفعى ، وظل الرجال بمثابة الزمرد لهذين .
- وذلك لأن الزمرد يقتلع عين الحية ، فتعمى ، ويجد السالك الطريق .
- ولأن ذلك الرئيس قد وضع هذه الشوكة في الطريق ، فكل من جرح به ، قال : لعنة الله على إبليس .

١٩٥٥- يعنى أن هذا الحزن قد حاق بي من غدره وجحوده ، وذلك المقتدى سباق القدم في الغدر .

-ومن بعده ، جاءت القرون في أثر بعضها ، كلها قد سارت على نهجه ، واتبعت سنته .

- وكل من يسن سنة سيئة أيها الفتى ، حتى يتخبط الخلق من بعده في العمى ؛

- فإن كل أوزارها تتجمع عليه ، فقد كان رأسا ، والباقون مجرد ذيول " له " - لكن آدم كان يضع أمامه ذلك الحذاء وتلك السترة ، قائلا : إنني من طين .

١٩٦٠- مثل إياز ، كان حذاؤه مزارا لله ، فلا جرم أن صار محمود العاقبة .

- إن الوجود المطلق إنما يقوم بكل أحواله في العدم ، وما هو موضع صنع " كن " إلا العدم ؟

- وإن أحدا قط لا يكتب على ورقة مكتوبة ، كما أن أحدا لا يغرس غصنا فوق غصن مغروس .

- " فالكاتب" يبحث عن ورقة " بيضاء " لم يكتب عليها شيء ، و" الغارس " يغرس بذرته في موضع لا بذرة فيه .

- فكن أيها الأخ موضعاً لم يغرس فيه أحد شيئاً ، وكن ورقة بيضاء لم يكتب عليها شيء .

١٩٦٥- حتى تصبح مشرفاً بـ« نون والقلـم » ، حتى يلقي فيك بذره ذو الجود والكرم .

- وخذ من هذا الفالوذج الذي لم يلحق ، وتجاهل ذلك المطبخ الذي رأيت .
- ذلك أنه يوجد في ذلك الفالوذج أنواع من السكر ، تذهب الحذاء القديم والسترة الجلدية من ذاكرتك .

- وعندما يحين النزع والموت تتأوه ، وتذكر آنذاك السترة والحذاء القديم .
- وما دمت غريقاً في أمواج القبح ، حيث لا عون هناك من ظهير أو حميم ؛

١٩٧٠- ولا تذكر سفينة الصدق ، فإنك لا تنتظر في الحذاء القديم ولا في السترة الجلدية .

- وما دمت عاجزاً غريقاً في دوامة الفناء ، فإنك تجعل من « ظلمنا أنفسنا » ورداً على الولاء .

- ويقول الشيطان : انظروا إلى هذا الساذج ، واقطعوا رأس هذا الديك الذي يؤذن في غير وقت .

- وإن هذه الخصلة بعيدة عن فضائل إياز ، أن تبدو صلاته مجرد مظهر ولا صلاة فيها .

- فلقد كان ديكاً للسماء من قبل ، وكان أذانه دائماً في وقته .

**في معنى [أرنا الأشياء كما هي] ومعنى [لو كشف الغطاء ما ازدادت
يقينا]**

**وقوله : في كل ما تنظر إليه بعين السوء
إنما تنظر إليه من كوة وجودك
و"الدرجة العوجاء تلقي ظلاً أعوج"**

١٩٧٥- أيتها الديكة ، تعلمي الصياح منه ، ، فهو يصيح من أجل الحق ،
لا من أجل دائق .

- إن الصبح الكاذب يأتي ولا يخدعه ، والصبح الكاذب هو الدنيا بخيرها
وشرها .

- وأهل الدنيا أصحاب عقول ناقصة ، بحيث ظنوها صبا صادقا .

- ولقد حطم الصبح الكاذب القوافل التي خرجت على أمل الصباح .

- فلا كان الصبح الكاذب مرشدا للخلق ، فلقد أذهب كثيرا من القوافل أدراج
الرياح .

١٩٨٠- ويا من صرت رهنا للصبح الكاذب ، لا تقل عن الصبح الصادق
أنه أيضا كاذب .

- فإن لم يكن عندك أمان من النفاق والسوء ، فمن أي شيء تظن برفيقك
نفس الظن ؟

- وقبيح الفعل غالبا ما يكون سيء الظن ، إنه يقرأ في حق رفيقه كتابه هو .

- وأولئك الأخساء الذين ظلوا على ضلال ، سموا الأنبياء السحرة والضالين .

- وأولئك الأمراء الأخساء صناع الزيف ، ظنوا نفس الظن بالنسبة لحجرة
إياز .

١٩٨٥- وأن له فيها دفينـة وكنزا ، فلا تنظر إلى الآخرين من مرآة "نفسك

- كان الملك نفسه يعرف براءته وطهره ، وكان هذا البحث والتجسس من أجلهم هم .

- فأخذ يقول : أيها الأمير ، افتح باب تلك الحجرة في منتصف الليل ، عندما يكون غافلا عنها .

- حتى تظهر أنواع مكره ومن بعد ذلك علينا نحن عقابه .
- لقد وهبتكم أنا ذلك الذهب والجواهر ، ولا أريد من تلك الأموال إلا الخير .

١٩٩٠ - لقد كان يقول ذلك القول وقلبه يخفق من أجل إياز الذى لا نظير له .

- وكان يتساءل بينه وبين نفسه : هل هو أنا الذى يقول هذا الكلام ؟! وإلام يصير حاله إذا سمع هذا الجفاء ؟

- ثم يعود ويقول : بحق دينه ، إن ثباته ووقاره أعظم من أن ؛
- يتطير أو يضيق من قولي القبيح ، أو يجهل الغرض الحقيقي من فعلى هذا .
- وعندما يرى المبتلى تأويلات الألم ، يراه كسبا ، فمتى يصير ذاهلا منه ؟

١٩٩٥ - وصاحب التأويل والتفسير إياز الصابر ، الذى هو ناظر" إلى بحار العواقب ؛

- مثل يوسف عليه السلام ، ورؤى صاحبي السجن ، تعبيرها أمامه واضح للعيان .
- وإذا لم يدرك الرجل الصالح تفسير رؤياه ، متى يكون واقفا على أسرار رؤى الغير ؟!

- وإني إن ضربته مائة ضربة بالسيف على سبيل الامتحان ، فلن تضعف علاقة ذلك الشفوق الرحيم بي .

- إذ أنه يعلم أنني أضرب نفسي بهذا السيف ، إنني هو في الحقيقة ، وهو أنا .

**بيان اتحاد العاشق والمعشوق على وجه الحقيقة بالرغم من
أنهما متناقضان تناقض الاحتياج والاستغناء ، كالمرآة
الخالية ولا صورة فيها ، وانعدام الصورة متناقض مع
وجودها ، لكن بينهما اتحادا في الحقيقة يطول شرحه
والعاقل تكفيه الإشارة**

٢٠٠٠- اشتكى المجنون مرضا في جسده فجأة من جراء الفراق
والهجر .

- لقد جاش دمه من لهيب الشوق ، فظهرت عليه أعراض مرض الخناق .
- وجاء الطبيب ليداويه ، فقال : لابد من فصده .
- ينبغي فصده من أجل دفع الدم ، واستدعى فصادا بارعا في صنعتة .
- فربط ساعده ، وأمسك بمبضعه ، فصاح به على الفور ذلك العاشق بطبعه
٢٠٠٥- وقال : خذ أجرك ، ودعك من الفصد ، وإذا مت ، قل للجسد الذي
اهترأ : ألا قلت مض .

- فقال له : ما الذي تخشاه آخر الأمر من هذا ؟ إنك لا تخاف من أسد
العرين .

- فالأسد والذئب والدب ، وكل حمار وحش ووحش ، قد تجمعت حولك طوافة
بالليل .

- فهي لا تشم فيك رائحة بشر ، من فرط الوجد والعشق الذي أدمى كبداك .
- إن الذئب والدب والأسد تعلم ما هو العشق ، وأقل من كلب ذلك الذي لا يبصر
العشق .

٢٠١٠- فإن لم يكن في الكلب عرق من العشق ، فمتى كان كلب أصحاب الكهف باحثاً عن " أرباب " القلوب؟

- وهناك كلاب كثيرة على شاكلته في هذه الدنيا ، وإن لم تتل شهرته .
- وإنك لم تفهم النزر اليسير عن قلب من هو من جنسك ، فمتى تعرف شيئاً عن قلوب الذئاب والنعاج ؟

- فإن لم يكن عشق ، متى كان الوجود يصبح وجوداً ؟ ومتى تبدل الخبز إلى وجودك أنت ؟

- فمن أين صار الخبز لك ؟ من العشق والاشتهاء ، وإلا متى كان للخبز طريق إلى الروح ؟

٢٠١٥- إن العشق هو الذى يجعل الخبز الميت روحاً ، وهو الذى يجعل الروح الفانية خالدة .

- قال المجنون : إنني لا أخاف من المبضع ، بل إن صبرى عليه أكثر من الجبل الراسخ .

- وأنا مشرد لا يستريح جسدى دون جراخ ، إنني عاشقٌ أحوم حول الجراح .

- لكن وجودى ممتلىء بليلى ، وهذا الصدف مليء بصفات ذلك الدر .

- وأخاف أيها الفصاد إن قمت بفصدى ، أن يخز مبضعك ليلى فجأة .

٢٠٢٠- ويعلم ذلك العاقل الذى نور قلبه ، أنه لا فرق هناك بينى وبين

ليلى . (١)

(١) ج/١١-٥٩٧:- فمن أكون أنا ؟ أنا ليلى ، ومن ليلى ؟ هي أنا ، نحن روح واحدة سكنا

بدنين .

- سأل معشوق عاشقا : هل تحبني أكثر أو تحب نفسك؟ قال : لقد مت عن نفسي وصرت حيا بك ، وفنيت عن ذاتي وصفاتي وصرت موجودا بك ، ونسيت علمي وصرت عالما بعلمك ، ونسيت قدرتي وصرت قادرا بقدرتك ، فإن أحببت نفسي فكأنني أحبك ، وإن أحببتك فكأنني أحب نفسي :**
- كل من تكون له مرآة اليقين * يكون ناظرا إلى الله وإن كان ناظرا إلى نفسه أخرج من صفاتك إلا خلقي ، من رآك رآني ، ومن قصدك قصدني ، وعلى هذا المنوال**
- ذات صبح ، قال محبوب لمحبوبه على سبيل الاختبار ، قل لي يا فلان ابن فلان ؛
- هل تحبني أكثر أو تحب نفسك ، هيا قل لي يا ذا الكرب ؟
- قال : لقد صرت فانيا فيك ، بحيث صرت ممثلا بك من الرأس إلى القدم ، فلم يعد لي من وجودي إلا الاسم ، وليس في وجودي إلاك يا حسن الثغر
- ٢٠٢٥- لقد فنيت بحيث صرت كـ " قطرة " من خل ، ذائبا فيك أنت يا بحرا من عسل .
- مثل حجر يصير بأجمعه ياقوتا خالصا ، إذ يمتليء هو بصفات الشمس .
- ولا تبقى فيه صفات الحجر ، ويمتليء بصفات الشمس وجهها وظهرا .
- ومن بعد ذلك إن أحب نفسه ، يكون حبه كله للشمس أيها الفتى .
- وإن أحب الشمس بكل كيانه ووجدانه ، يكون حبه لنفسه دون " أدنى " شك .
- ٢٠٣٠- سيان إذن حب ذلك الياقوت الخالص لنفسه ، وحبه للشمس .
- وبين هذين الحبين لا فرق هناك يذكر ، فلا يوجد في كلا الجانبين إلا الضياء " النابع " من المشرق .

- إنه إن لم يصر ياقوتا فهو عدو نفسه ، لا تكون هناك آنية واحدة ، بل آنيتان .

- ذلك أن الحجر ظلماني أعشى في ضوء النهار ، والظلماني في الحقيقة عدو للنور .

- وإنه إن أحب نفسه آنذاك يكون كافرا ، ذلك أنه يكون جاحدا للشمس الكبرى .

٢٠٣٥- ومن ثم لا يليق بالحجر أن يقول أنا ، إنه ظلماني وفي معرض الفناء - فقد قال فرعون : أنا ربكم الأعلى وصار ذليلا ، وقال ابن منصور : أنا الحق فنجا .

- فإن تلك الـ " أنا " (من فرعون) قد استتبت لعنة الله ، أما هذه الأنا (من المنصور) فلها رحمة الله أيها المحب .

-ذلك أن فرعون كان حجرا مظلما ، وكان " منصور " عقيقا ، كان ذاك عدوا للنور ، وكان هذا محبا عاشقا .

- إن " أنا " المنصور هي " هو " في باطنها وحقيقتها أيها الفضولي ، إنها من اتحاد النور ، لا من الإعتقاد في الحلول .

٢٠٤٠- فجاهد حتى تقل فيك طبيعة الحجر ، وحتى يصبح حرك منورا بـ " طبيعة " الياقوت .

- واصبر في الجهاد وفي الفناء ، وشاهد دائما البقاء في الفناء لحظة بعد أخرى .

- وكلما قل فيك وصف الحجريّة ، ازداد فيك وصف الياقوتية ثباتا وإحكاما .

- يمضي وصف الوجود عن جسدك الفاني ، ويزداد وصف السكر في رأسك .

- فصر بأجمعك سمعا وكأنك أذن ، حتى تجد قرطاً من حلقة الياقوت .
- ٢٠٤٥- ومثل حفار الآبار ، داوم على إخراج التراب إن كنت إنساناً ، حتى تصل إلى الماء من ذلك الجسد الترابي .
- وإن جذبة الحق لو وصلت إلى الماء المعين ، لانبثق البئر من الأرض دون حفر .
- لكن داوم على العمل ، ولا تعول على هذا الأمر كثيراً ، وداوم على إخراج التراب قليلاً قليلاً من البئر .
- فقد وجد الكنز كل من تجشم المشاق ، وكل من جد ، أتاه الجِد والإقبال .
- فقد قال الرسول ﷺ إن الركوع والسجود ، هو دق لحقة الوجود على باب الحق .
- ٢٠٥٠- وكل من يقرع حلقة ذلك الباب ، ، يطل له الإقبال برأسه منه . (١)

مجيء ذلك الأمير النمام مع القواد والعسكر في منتصف الليل لفتح حجرة إياز ورؤيتهم للرداء الجلدي والحذاء القديم معلقين ، وظنهم أن ذلك حيلة ومكر وتعمية ، وحفرهم لأرضية الحجرة في كل ركن يعن لهم ، وحفر الحفر ونقب الجدران ، وعدم عثورهم على شيء ، وخجلهم وشعورهم بالخيبة ، كمن ساء ظنهم وتوهموا ما ليس بكائن عن الأنبياء والأولياء ، إذ كانوا يقولون أنهم سحرة صنعوا أنفسهم ، وتصوروا عليهم ، وبعد البحث والتفحص يفتعلون ويندمون ، حيث لا يجدى الفجل والندم

- لقد انطلق هؤلاء الأمناء "!!" إلى باب الحجرة ، طالبين للكنز والذهب والجرار المدفونة .

(١) ج/١١-٥٨٩:- عد وأعد القول في قصته ، أقصد إيازاً ، وماذا جرى من أحواله .

- وبشغف شديد أخذ هؤلاء الأشخاص المعدودون يفتحون القفل ، وبمائتي علم وفن .

- ذلك أن القفل كان صعبا ، وكان لسانه ملتويا ، كان قد أحسن اختياره .

- ليس بخلا بالفضة والمال والذهب الخالص ، بل من أجل كتم السر عن العوام ٢٠٥٥- " كان يقول لنفسه " : إن جماعة تطوف حول ظن السوء ، وجماعة أخرى تسميني المشعوذ المجتال .

- وصاحب الهمة تكون عنده أسرار الروح ، أكثر حفظ عن العوام من ياقوت المنجم .

- والذهب أغلى من الروح عند البلهاء ، لكنه عند الملوك فداء الروح .
- كانوا يسرعون بنشاط من حرصهم على الذهب ، ، ومانت عقولهم تقول لهم : إمشوا الهوينى .

- إن الحرص يسرع عبثا نحو السراب ، فيقول له العقل : انظر جيدا ، ليس هذا بماء .

٢٠٦٠- ولقد غلب الحرص وصار الذهب كالروح ، واختفت آنذاك صيحات العقل المحذرة .

- فصار حرص المرء أضعافا مضاعفة ، واختفت حكمة " عقله " وإشاراتهِ .
- وذلك حتى يسقط في بئر الغرور ، وحينذاك يسمع الملامة من " عقل " الحكمة
- وعندما تحطم كبرياؤه من قيود الشراك ، وجدت النفس اللوامة السيطرة عليه .

- وما لم تصطدم رأسه بجدار البلاء ، فإن أذنه الصماء لا تسمع نصيحة القلب .

٢٠٦٥- والأطفال من حرصهم على حلوى الجوز والسكر ، يجعلون كلتا الأذنين أصميين عن النصح .

- وعندما تبدأ آلام القروح عند " الطفل " ، تتفتح كلتا أذنيه لسماع النصح .

- ولقد فتحوا الحجرة بحرص وبشغف شديد ، فى تلك اللحظة ، هذا النفر .

- وتقاطروا من الباب متزاحمين ، تقاطر الهوام فى المخيض المتعفن .

- إنها تسقط فيه بعشق واندفاع ، ولا إمكان للأكل منه ، والجناحان مقيدان

٢٠٧٠- ونظروا إلى اليسار وإلى اليمين ، ووجدوا حذاء ممزقا وسترة جلدية .

- لكنهم غادوا يقولون : إن هذا المكان لا يخلو من شبهة ، والحذاء لا يوجد هنا إلا من أجل التعمية .

- هيا هاتوا السفايف الحادة ، وتحسسوا وجود الحفر والقنوات المغطاة .

- وقاموا بالحفر فى كل موضع ، وجدوا فى البحث ، وحفرت الحفر العميقة والآبار .

- كانت الحفر تصيح بهم فى تلك اللحظة " نحن حفر خالية ، أيها الدنسين .

٢٠٧٥- فأخذوا يحسون بالخجل من ذلك التفكير ، وأخذوا يردمون الحفر ثانية .

- وأخذوا يحوقلون بينهم وبين أنفسهم كثيرا ، فلقد بقيت طيور طمعهم محرومة " من الحب .

- ومن تلك الضلالات التى كانت تسوقهم عبثا ، كان نقب " الجدران " و " كسر " الباب تشى بها .

- فلم يكن فى الإمكان دهان تلك الجدران ، ولا إمكان هناك للإنكار مع إياز

- فالجـدار وساحة الحجرة يشهدان عليهم ، إن تظاهروا بالبراءة بشكل خادع .(١)

٢٠٨٠- أخذوا يرجعون إلى الملك خجلين صفر الوجوه ، تعلو " وجوههم غيرة " .

**عودة النمامين من حجرة إياز إلى الملك وهم خلاة الوفاض حجلين
مثل أولئك الذين أساءوا الظن في حق الأنبياء عليهم السلام
عند ظهور براءتهم وطهرهم ، مصداقا لقوله تعالى (يوم
تبيض وجوه وتسود وجوه) وقوله تعالى (وترى الذين كذبوا
على الله وجوههم مسودة)**

- قال الملك قاصدا : هه ؟ ما الأحوال ؟ ما بال أباطكم خالية من الذهب والفضة ؟

- وإن كنتم قد أخفيتم الدنانير والدوانق ، فأين نضرة الفرح في الوجه وعلى الوجنتين ؟

- وإن كان كل جذر مختفيا ، فإن ورق (سيماهم في وجوههم) يكون أخضر "منبأ عنه " .

- وكل ما امتصه ذلك الجسد من سم وشهد ، ينادى به الغصن المرتفع في التو واللحظة .

٢٠٨٥- فإذا كان الجذر بلا زاد خاليا من الغذاء ، فما هذه الأوراق الخضراء الموجودة في الغصن ؟

(١) ج/ ١١ - ٦١٠:- فأى عذر يقدمونه جميعا لاحتياهم ، حتى ينجوا بأرواحهم من هذه الورطة .- وفي النهاية يائسين عاضين على الشفة وبنان الندم ، لاطمين رؤوسهم بأيديهم كالنساء ؛

- إنه يضع ختما على لسان من أصله من طين ، فتشهد عليه فروعه ، أى يداه وقدماه .

- فانطلق هؤلاء الأمراء جميعا معترزين ، وسجدوا كالظل أمام القمر .

- واعتذارا عن هذا الاندفاع والتجديف والهذيان بالأنبياء ، ذهبوا إلى الملك حاملين الأكفان والسيوف .

- كانوا جميعا من الخجل يعضون بنان الندم ، وأخذ كل منهم يقول : يا ملك العالم ؛

٢٠٩٠- إن سفكت دمننا فهو لك حلال بلال ، وإن عفوت ، فهو إنعام منك علينا ونوال .

- لقد فعلنا ما نحن جديرون بفعله ، والأمر لك أيها الملك المجيد .

- فإن تجاوزت عن جرمنا يا مستتير القلب ، فقد فعل الليل أفعال الليل ، والنهار أفعال النهار .

- وإن عفوت ، فقد وجد القنوط الرجاء والسعة ، وإلا فليكن مائة من أمثالنا فداءً للملك .

- قال الملك : لا ، فإن هذا الحلم أو ذاك العقاب ، لن أفعله أنا ، فهو من حق إياز .

تحويل الملك إلى إياز مسألة قبول توبة النمامين ومقتحمي

الحجرة أو عقابهم ، بما يعني أن هذه الجناية قد حدثت في

حق عرضه

٢٠٩٥- إن هذه الخيانة في حقه وفي عرضه ، إنها طعنة في عروق ذلك المبارك القدم .

- وبالرغم من أننا - روحا - نفس واحدة ، إلا أننا منفصلان فيما يختص بظاهر النفع والضرر .

- إن إتهام العبد ليس عارا على الملك ، وليست إلا زيادة في حلمه وتحمله .
- وقد يجعل الملك المتهم في غنى قارون ، فما بالك إذن بما يمكن أن يصنعه مع البريء !! .

- فلا تظن الملك غافلا عن فعل أحد ، إنما يمنع حلمه إظهار هذا الفعل فحسب .
٢١٠٠- فمن الذى يشفع عنده أمام علمه ، ومن الذى لا يبالي " بإحسان أو إساءة " اللهم إلا حلمه ؟

- إن ذلك الذنب إنما يبدر " اعتمادا " على حلمه في البدايات ، وإلا فمتى كانت هيئته تعطي له مجال " الظهور " ؟!

- ودية جرم النفس العاقلة لا تكون إلا على حلمه ، وذلك لأن [الدية على العاقلة] .

- ونفوسنا ثملّة غائبة عن الوعي من حلمه ، وقد اختطف الشيطان القلنسوة من فوق رأسها " أى خدعها " في سكرها .

- وإن لم يكن ساقى الحلم صابا للخمر ، فمتى كان للشيطان أن يجادل آدم ويعاديه ؟

٢١٠٥- ومن كان آدم عليه السلام وقت أن وهب العلم بالنسبة للملائكة ؟ " لقد جعله " أستاذا للعلم ، والنقاد للجواهر .

- لكنه عندما شرب في الجنة خمر الحلم ، صار أصفر الوجه من لعبة واحدة من الشيطان .

- إن تلك الأدوية المقوية (١) من تعليم الودود ، كانت قد جعلته ذكياً ماهراً عالماً ؛

- ثم إن أفيون حلمه شديد التأثير ، قد جذب اللص صوب متاعه .
- فيأتي العقل ناحية حلمه مستجيراً قائلاً : لقد كنت ساقياً لي ، فخذ بيدي .

قول الملك إياز : اختر بين العفو والعقاب ، فكل ما تفعله من عدل أو لطف صواب هنا ، وفي كل منها مصالح ، ففي العدل أدرج آلاف من اللطف (ولكم في القصص حياة يا أولي الألباب) وإن من يستكره القصص إنما يأخذ في الحساب حياة قاتل ، ولا ينظر في مائة ألف حياة سوف تعصم وتحقق في حصن الخوف من العقاب

٢١١٠- أحكم على المجرمين يا إياز الطاهر ، أحكم باحتراز وحذر شديدين - وإني وإن كنت قد قمت بتجربتك في العمل مائتي مرة ، فإنني لا أجد في كفك الجلد خطأ واحداً .

- وخلق بلا عد ولا حصر خجلون عند الامتحان ، لكن كل أنواع الامتحان خجلة منك أنت .

- فيا له من بحر لا يسبر غوره ، ليس العلم فحسب باللائم له ، ويا له من جبل ومائة جبل .. لا يلزمها الحلم فحسب .

- قال : إنني أعلم أن اللازم هو عطاؤك المحض ، وإلا فأنا ذلك الحذاء القديم وسترة الراعي .

٢١١٥- ومن هنا فإن الرسول ﷺ قد شرح هذا الأمر ، عندما قال : [من عرف نفسه ، فقد عرف ربه] .

(١) حرفياً : معجون الجوز المرقش وهو دواء مقو ومنبه لفاقدي الوعي .

- إن حذاءك هو النطفة ، ودمك هو سترة الراعي ، وكل ما تبقى أيها السيد ، هو محض عطائه .

- ولقد أعطى هذه العطية حتى تستزيد منها ، فلا تقل : ليس عنده سوى هذا القدر .

- ومن هنا فإن البستاني يعرض عددا من ثمار التفاح ، حتى تعرف أشجار البستان وما تغله .

- والزارع يعرض كفا من القمح على المشتري ، حتى يعرف " نوعية " القمح الموجود في الأهرأ .

٢١٢٠- والأستاذ يشرح نقطة واحدة من الموضوع ، حتى تعرف علمه الفياض ، وتستزيد منه .

- وإن قلت إن هذا هو ما عنده فحسب ، فإنه يبعدك عنه ، كما يبعد قشة علقت بلحيته .

- يا إياز تعال الآن واحكم ، وضع في العالم أساس العدل الذي ينذر مثاله .

- إن الذين أجرموا في حقك يستحقون القتل ، وإن كانوا طمعا يحومون حول عفوك وحلمك .

- فهل يا ترى تغلب الرحمة أو يغلب الغضب ، وهل يا ترى يغلب ماء الكوثر أو اللهب ؟

٢١٢٥- وكلاهما موجودان من أجل اجتذاب الخلق منذ يوم العهد ، غصن الحلم وغصن الغضب .

- ومن هنا فإن لفظ " ألس " أيها الطالب للتفسير ، نفي وإثبات مقترنان في لفظ واحد .

- ذلك أن هذا الاستفهام للإثبات ، وإن كان لفظ " ليس " مدرجا فيه .

- ودعك من هذا حتى يظل هذا الموضوع غامضاً ، ولا تضع أطباق الخواص على مائدة العوام .

- وهناك قهر ولطف كريح الصبـا وريح الوبـا ، أحدهما يجذب الحديد ، والآخر يجذب القش .

٢١٣٠- والحق يجذب الصادقين حتى الرشـد ، وأصول الباطل تجذب أهل الباطل إليها .

- والمعدة الجديرة بالحلو ، تجذب إليها الحلو ، لكن المعدة المصابة بالصفراء ، تجذب إليها الخل .

- والفراش الدافئ يقضي على برودة الجالس عليه ، والفراش البارد المتجمد يمتص الحرارة .

- وعندما ترى الحبيب تفيض منك الرحمة ، وعندما ترى العدو ، تفور منك السطوة . (١)

- هيا يا إياز أنجز هذا الأمر على وجه السرعة ، فإن الانتظار في حد ذاته نوع من الانتقام .

تعجيل الملك إيازاً قائلاً : افصل سريعاً في الأمر ولا تنظر ، ولا

تقل : لتكن الأيام بيننا ، فالانتظار هو الموت الأحمر ، وجواب

إياز على الملك

٢١٣٥- قال : أيها الملك ، إن الأمر كله " يرجع " إليك ، وإن طلعت الشمس ، تفنى النجوم .

(١) ج/١١-٦٢٣:- وترى النور فينشر الضياء حوله ، وترى النار ذات الدخان فتزيد الظلمة .- وترى الخصم والرفيق والنور والنار والفخر والعار ، والعرش والمشقة والبارد والحر والورد والشوك .- والنحلة والحية والسدى واللحمة والخفيض والجهير ، اعتبر كلا منها مجداً مع جنسه .

- ومن تكون الزهرة أو عطارد أو الشهاب ، حتى تطلع " في حضور " الشمس ؟

- ولو كنت قد تجاوزت عن الاهتمام بالخرقة والسترة ، لما كنت قد زرعت هكذا بذور الملام .

- وما وضع قفل على باب الحجرة ، وسط مائة من الغرماء الذين يسرعون خلف خيالاتهم ؟

- لقد مدوا أيديهم داخل جدول الماء ، وكل منهم يبحث عن قطعة جافة من المدر .

٢١٤٠- ومتى تكون هناك مدرة جافة في قاع الجدول ؟ ومتى تكون السمكة عاصية للماء ؟

- ومن قسوتهم يشكون فيّ أنا المسكين ، والوفاء نفسه يخجل من وفائي .
- وإن لم يكن في هذا تحميل مشقة لمن لم يؤذن لهم ، لتحدثت ببضع كلمات عن الوفاء .

- وما دام عالمٌ بأسره باحثاً عن الشبهة والإشكال ، فإننا نسوق من الكلام قشره الخارجي فحسب .

- وينبغي عليك أن تحطم ذاتك لتصبح لباً ، وأنذاك يمكنك أن تسمع الحكايات العميقة اللطيفة .

٢١٤٥- وللجوز عندما يكون في قشره ضجة وصخب ، فأين إذن صوت اللب وصوت الزيت ؟

- إن له صوتاً ، لكنه ليس مناسباً للأذن ، إن صوته شهد خفي في الأذن .
- وإن لم يكن هناك للب صوت حسن ، فمتى يسمع أحد خشخشة أصوات القشور ؟

- وإنك لتسمع خشخشتها من أجل أن تسطو بصمت على اللب .
- فابق فترة من الوقت دون أذن ودون شفة ، وأنداك تصبح شفتاك قرينتين لشهده .

٢١٥٠- لقد قلت كثيرا من النظم والنثر على الملأ ، فجرب ولو لمدة يوم واحد أن تكون أخرس .

حكاية في بيان هذا الكلام : إنك قد جربت الكلام كثيرا فلتجرب

الصبر والصمت فترة

- لقد طبخت كثيرا من المن الحريف والمملح ، فجرب هذه المرة طبخ " المن " الحلو . (١)

- وإن أحدهم لينتبهن يوم القيامة ، فيرى أن كتاب العصيان الأسود في كفه .
- وهو مسود الفاتحة كخطابات التعزية ، ومليء بالمعاصي في المتن والحواشي .

- ولقد كان كله فسقا ومعصية ، كان كدار الحرب مليئا بالكفر .
٢١٥٥- ومثل ذلك الكتاب الدنس المليء بالوبال ، لا يأتي في اليمين بل يأتي في الشمال .

- فانظر بنفسك إلى كتابك وأنت لا زلت هنا ، هل هو جدير بالشمال أو خليق باليمين .

- والنعل الأيمن والنعل الأيسر كلاهما موجود في الحانوت ، ونعرفهما قبل أن نقوم بتجربتهما .

(١) ج/١١-٦٣٢:- وكم أكلت الدسم والحلو من الطعام ، فاخترت نفسك عدة أيام بالصيام .- ولليال طوال صرت أسيرا للنوم ، فقم ليلة واحدة ، واحصل على الإقبال .- ولقد قضيت أياما طويلة في الهزل والهذر ، فامض لأيام قليلة ، وكن مستعدا للجهد والعمل .

٢٠ وإن لم تكن يمينا ، فاعلم أنك شمال ، وكلاهما ظاهر ، زئير الأسد ، وصوت القرد .

٢١ - وذلك الذى جعل الورد جميلا طيب الرائحة ، يستطيع فضله أن يجعل الشمال يمينا .

٢١٦٠ - وهو الذى يعطي لكل شمال يمينا ، وهو الذى يسير الماء المعين في البحر .

٢٢ - فإذا كنت شمالا ، كن يمينا مع حضرته ، حتى ترى مكاسب أطافه .
٢٣ - وإنك لتجيز أن ينتقل هذا الكتاب المهين ، من الشمال ليستقر في اليمين .
٢٤ - ومثل هذا الكتاب المليء بالظلم والجفاء ، متى يكون في حد ذاته لائقا باليمين ؟

**في بيان الإنسان الذى يقول كلاما لا يناسب حاله أو دعواه ، مثل الكفرة
(ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله) وهم يقصدون الأوثان
ويضحون من أجلها بالأرواح والأموال ، فأى تناسب بين هذا وبين الروم التي
تعلم أن خالق السموات والأرض إله سميع بصير حاضر مراقب مستول غيور
..... إلى آخره**

٢٥ - كان لأحد الزهاد زوجة شديدة الغيرة ، كما كان عنده جارية حسنة كأنها من الحور . (١)

٢٥٢١ - كانت الزوجة من " شدة " غيرتها لا تفتأ تراقب زوجها ، ولم تترك له فرصة يختلئ فيها بالجارية .

٢٦ - وظلت المرأة في مراقبتها فترة من الوقت ، حتى لا تعن لهما فرصة الخلوة كل بالآخر .

(١) ج/ ١١ - ٦٣٥ :- كان للمرأة جارية قمرية الوجه ، أضربت نار " عشقها " في قلب الزاهد .

- حتى حل حكم الإله وتقديره ، فضل عقل الحارس وفسد .
- وماذا يكون العقل عندما يحل حكمه وتقديره ، وإن القمر نفسه ليصاب بالخسوف .
- كانت تلك المرأة في الحمام ، وفجأة تذكرت الطست ، وكان في المنزل .
- ٢١٧٠- فقالت للجارية : هيا ، اذهبي في سرعة الطير ، وهاتي الطست الفضي من منزلنا .
- فأحست تلك الجارية بالحياة " تدب فيها " عندما سمعت هذا القول ، فسوف يتم الوصال بينها وبين سيدها وشيكا .
- كان السيد وحيدا في المنزل في ذلك الوقت ، فأسرعت نحو المنزل وهي في شدة الفرح .
- ولقد كانت الجارية تشتهي منذ سنوات ست ، أن تجد السيد في خلوة كهذه الخلوة .
- فطارت طيرانا وأسرعت نحو الدار ، ووجدت السيد في خلوته " قابعا " في الدار .
- ٢١٧٥- ولقد اختطففت الشهوة العاشقين معا ، بحيث إنهما لم يحتاطا ، ولم يغلقا الباب .
- وامتزجا ، وتعانقا ، واشتبكا من السرور ، واتصلت الروح بالروح في تلك اللحظة من الامتزاج .
- وفي تلك اللحظة تذكرت الزوجة وقالت لنفسها : ويلي ، كيف أرسلتها إلى الدار والمستقر ؟!
- لقد وضعت بنفسها القطن إلى جوار النار ، وألقيت بالكبش الفحل وسط النعاج

- وأزاحت حجر الطُّفل غاسلة رأسها ، وأسرعت مسلوبة الروح في أثرها ، وهي تجر جر ملاءتها .
- ٢١٨٠- لقد كانت الجارية تسرع من أجل عشق الزوج ، وأسرعت هذه خوفاً ، وأين العشق من الخوف ؟! إن بينهما فرقاً عظيماً .
- وسير العارف في كل لحظة يكون إلى عرش المليك ، وسير الزاهد في كل شهر طريق يوم واحد .
- ومهما كان رزق الزاهد عظيماً ، فمتى كان يومه بخمسين ألفاً ؟
- لكن قدر كل يوم من عمر العارف ، يساوى خمسين ألف سنة من سنين الدنيا .
- والعقول خارج باب هذا السر ، وإن تمزقت جرأة الوهم ، فقل لها : تمزقي .
- ٢١٨٥- والخوف لا يساوى مقدار شعرة إلى جوار العشق ، وكلهم ضحايا في مذهب العشق .
- إن العشق هو وصف لله ، أما الخوف ، فهو وصف للعبد المبتلى بالفرج والجوف .
- وما دمت قد قرأت من القرآن « يحبونه » ، فقد قرأت معها « يحبهم » في نفس الموضع .
- فاعلم إذن أن المحبة هي وصف للحق والعشق أيضاً ، ولا يوصف الله تعالى بالخوف أيها العزيز .
- وأين صفة الحق من صفة حفنة من التراب ؟ وأين وصف الحادث من وصف الطاهر ؟

٢١٩٠- ولولا أنى تحدثت في العشق على الدوام ، لمرت مائة قيامة وهو غير تام .

- ذلك أن تاريخ القيامة محدود بزمان ، وأين يكون الحد ، حين يكون وصف الإله ؟

- وإن للعشق خمسمائة جناح ، وكل جناح ، يمتد من فوق العرش حتى طباق الثرى .

- والزاهد يسرع على قدمه بخوف ، والعشاق أكثر تحليقا من البرق والهواء .

- ومتى يصل أولئك الخائفون إلى غبار العشق ؟ وألم العشق يجعل السماء أرضا .

٢١٩٥- اللهم إلا أن تأتي عنايات الضياء ، قائلة : تحرر من الدنيا ومن سيرها .

- وتخلص ثانية من أوهامك ورؤاك ، فإن ذلك الصقر الملكي قد وجد الطريق إلى الملك .

- إن هذا الوهم وتلك الرؤية جبر واختيار ، ومن وراءيهما معا ، هناك جذب الحبيب .

- وعندما وصلت تلك المرأة إلى المنزل ، فتحت الباب ، ووصل إلى سمعيهما معا صرير فتحه .

- فانفلتت الجارية مضطربة من الالتحام ، وقفز الرجل ، ودخل في الصلاة .

٢٢٠٠- ورأت المرأة جاريته مشعثة الشعر مضطربة مرتبكة ذاهلة ؛

- ورأت زوجها قائما في الصلاة ، فارتابت المرأة من تلك الهزة .

- ورفعت طرف ثوب زوجها بلا حذر ، فرأتها ملوثة بالمني ، الخصيتين والذكر .

- كانت بقية المني تقطر من الذكر ، وقد تلوث منها فخذة وركبته .
- فصفعته المرأة فوق رأسه قائلة : أيها الحقير ، أهكذا تكون خصية المصلي ؟

٢٢٠٥- وهل يليق بالصلاة والذكر هذا الذكر ؟! ومثل هذا الفخذ وهذه العانة الملوثتين بالقذر ؟

- والكتاب المليء بالظلم والفسق والكفر والحقـد ، أ يكون لائقا باليمين ؟ أنصف ، وأصدقني القول .

- وإنك إن سألت المجوسي : من خالق هذه السماء ، وهذا الخلق وهذه الدنيا ؟

- ليقولن : خلقها الله ، وإن صنعه دليل" على ألوهيته .

- فهل يكون كفره وفسقه وظلمه البين أمورا لائقة بإقراره هذا ؟
٢٢١٠- وهل تليق بمثل هذا الإقرار الصادق تلك الفضائح وتلك الأفعال القبيحة ؟
- وإن فعله هذا قد كذب هذا القول ، حتى صار مستحقا للعذاب البئيس ذي الهول .

- ففي يوم الحشر يظهر كل خفي ، وكل مجرم ، تقوم بفضحه نفسه .

- فاليد والقدم تشهدان ببيان وحديث ، على فسادهم أمام المستعـان .

- تقول اليد : هكذا سرقت ، وتقول الشفة : هكذا قبلت . (١)

(١) في نسخة نيكلسون "سألت" وتبعثها بقية النسخ ، والبيت لا يوجد في نسخة قونيه ، والشرطة هنا مترجمة عن نسخة جعفرى "٦٤٢/١١" .

٢٢١٥- وتقول القدم : وأنا مشيت حتى منى ، فيرد الفرع : وأنا ارتكبت فاحشة الزنا .

- وتقول العين ، لقد نظرت نظرة إلى حرام ، وتقول الأذن : وأنا استمعت إلى النميمة .

- فيكون كاذبا من قمة رأسه إلى أخمص قدميه ، إذ قام بتكذيبه حتى أعضاء بدنه .

- مثل ذلك الذى أثناء الصلاة التى تهب الضياء ، صار مفتضحا من خصيتيه .

- فقم إذن بذلك الفعل الذى يكون بلا لسان ، شهادة لك ، وعين البيان .
٢٢٢٠- فجسدك كله ، وبأعضائه عضوا عضوا يا بني ، يكون قائلا : إنني أشهد في النفع والضرر .

- وسير العبد خلف السيد دليل على أنه محكوم ، وأن هذا " السيد " هو مولاه .

- وإذا كنت قد سودت كتاب عمرك ، فتب عما قد فعلت من قبل .
- وإذا كان العمر قد مر ، فارو جذره إن كان قد جف ، بماء التوبة على الفور .
- ولترو ذلك الجذر بماء الحياة ، حتى تصبح شجرة عمرك ذات أوراق وثمار .

٢٢٢٥- فيصير كل ما مضى على ذلك النسق حسنا طيبا ، والذى كان سما ، يصبح بهذا سكرًا .

- ويقوم الحق بتبديل سيئاتك ، بحيث يتحول كل ما سبق منك " من ذنب " إلى طاعة .

- فيا أيها السيد ، طف جيدا حول التوبة النصوح ، وجاهد سواءً بالجسد وسواءً بالروح .

- واستمع مني إلى بيان هذه التوبة النصوح ، وإن كنت قد ملت إليها ، فمل من جديد .

حكاية في بيان التوبة النصوح التي تشبه اللبن الذي يخرج من الثدي ولا يعود إليه ثانية .. فكل من تاب توبة نصوحا لا يذكر ذنبه أبدا فيميل إليه ، بل يزداد كرها له كل لحظة ، وتلك الكراهية دليل على أنه قد وجد لذة القبول ، وأن تلك الشهوة الأولى قد صارت بلا لذة ، وحلت هذه اللذة محل تلك اللذة كما قيل :

**لا يقضى على العشق إلا عشق آخر * فلماذا لا تتخذ رفيقا أفضل
وذلك الذي يميل قلبه إلى ذلك الذنب مرة أخرى ، يكون دليلا على أنه لم يجد
القبول ، ولم تحل لذة القبول محل لذة الذنب ، ولم تكن من نصيبه (سنيصره
اليسرى) وبقيت عليه لذة (سنيصره للعسرى)**

- كان هناك فيما مضى رجل يسمى نصوح ، تيسر له الرزق من القيام بتدليك النساء .

٢٢٣٠- كان وجهه كوجهه النساء ، وكان " بالطبع " يخفي كونه رجلا .

- لقد كان دلاكا في حمام النساء ، ولم يكن في المكر والحيلة ، بالذى يشق له غبار .

- وظل لسنوات يقوم بهذا العمل ، دون أن يفهم أحد حقيقة هوسه وسره .
- وذلك لأن صوته ووجهه كانا " كما يكونان " عند النساء ، لكن شهوته كانت كاملة يقظة .

- لقد لبس الملاءة والطراحاة وتتقب بالنقّاب ، لكنه كان رجلا شهوانيا في شرخ الشباب .

٢٢٣٥- وعلى هذا النحو ، ظل ذلك الشهواني المحب ، يقوم بتدليك بنات السادة جيـدا .

- كان يتوب مرات، وينسحب " من هذا العمل " ، لكن النفس الكافرة كانت تمزق توبته .

- فذهب ذلك القبيح الفعال إلى أحد العارفين ، وقال له : اذكرنا في دعائك .
- وعرف سره ذلك الرجل الحر ، لكنه لم يظهره له ، وكأنه حلم الله .

- فعلى فمه قفل ، وفي القلب أسرار ، والشفة صامتة ، والقلب مليء بالضجيج .

٢٢٤٠- فالعارفون الذين شربوا من كأس الحق ، عرفوا الأسرار ، لكنهم قاموا بإخفائها وسترها .

- وكل من قاموا بتعليمه أسرار الأمور ، ختموا على فيه ، وخاطوه " على ما فيه " .

- فتبسّم ضاحكا ، وقال له : يا سيء الأصل ، تاب الله عليك مما تعلمه .

في بيان أن دعاء العارف الواصل ، وطلبه من الحق ، مثل طلب الحق من نفسه مصداقا لـ [كنت له سمعا وبصرا ولسانا ويدا] وقوله (وما رميت إذ رميت ، ولكن الله رمى) والآيات والأخبار في هذا كثيرة ، وشرم تهيئة الحق للسبب ، حتى يأخذ بأذن المجرم جارا إياه إلى التوبة النصوم .

- لقد نفذ هذا الدعاء من السموات السبع ، فانصلح أمر هذا المسكين أخيرا .

- فهو دعاء الشيخ ، وليس مثل كل دعاء ، إنه فان ، وقوله هو قول الله .

٢٢٤٥- وعندما يسأل الله نفسه ويطلب منها ، كيف يرد إذن دعاء نفسه ؟!

- ولقد هيا صنع ذى الجلال سيبيا ، حتى يخلصه من اللعنة ومن الوبال .

- كان يملأ الطست في ذلك الحمام ، عندما ضاعت جوهرة من بنت الملك - وفقدت جوهرة من قرطها وهو في أذنها ، وأخذت كل امرأة في البحث والتفحص .

- ثم أحكموا رتاج باب الحمام ، لكي يبحثوا في البداية بين طيات الملابس .
٢٢٥٠- وبحثوا في كل الملابس ولم يجدوها ، ولم يكتشف سارق الجوهرة - وجدوا في البحث وكيفما اتفق ، أخذوا في البحث في الأفواه والآذان وفي كل شق .

- في كل شق ، أسفل وأعلى ، وفي كل ناحية ، أخذوا يفتشون عن الدرة الغالية الثمينة .

- وتعالى هتاف بأن يخلعن جميعا ملابسهن ، كل من كانت عجوزا أو شابة - وأخذت الحاجة في تفتيشهن الواحدة بعد الأخرى ، لتجد الجوهرة الغالية الثمينة .

٢٢٥٥- وانتحى نصوح ركنا من الخوف ، شاحب الوجه أزرق الشفة ، " خشية افتضاح أمره " .

- كان يرى الموت ماثلا أمام عينيه ، فأخذ يسير وهو يرتعد كأوراق الصفصاف " .

- وقال : يا رب ، لقد نكصت مرات عديدة عن التوبة وحنثت بالعهد .

- ولقد ارتكبت يا إلهي ما كنت أهلاً له ، حتى يحل بي مثل هذا السيل
الأسود .

- وإذا وصلت نوبة البحث إليّ ، ويلي ، أية مصائب سوف تحقيق بي .
٢٢٦٠- لقد اندلع في كبدى لهيب شديد ، فانظر في مناجاتي إلى لهيب
كبدى .

- فلا أصاب كافراً مثل هذا الغم ، ولقد تعلقت بطرف رداء الرحمة ،
فالغياث .. الغياث .

- و ليت أُمي لم تلدنني ، أو ليت ليثاً افترسني في الأجم .
- فافعل أنت يا إلهي ما أنت أهل له ، فمن كل حجر تقوم حياة
بلدغي .

- وإن لي روحاً ثقيلة وقلباً حديدياً ، وإلا لصارا دماً ، في هذه
الشدة والضراعة .

٢٢٦٥- والوقت ضيق أمامي ، وأمامي لحظة واحدة ، فزاول ملوكيتك ،
وأدركني .. أيها الإله .

- ولو أنك سترتني هذه المرة ، لتبت عن كل ما لا ينبغي فعله .
- فاقبل توبتي هذه المرة أيضاً ، حتى أعقد مائة حزام " جهدا " في
التوبة .

- وإن قصرت وأذنبت ونكصت هذه المرة ، فلا تسمع من بعدها مني قولاً أو
دعاء .

- وهكذا أخذ يتضرع ودموعه تسيّل ، قائلاً لنفسه : لقد سقطت في
أيدي الشرطة والجلادين .

٢٢٧٠- فلامات أحد - حتى من الفرنجة - هذه الميتة ، ولا اضطرر ملحد قط إلى هذا التضرع والأنين .

- وأخذ ينوح على عمره وهو يرى وجه عزرائيل يقترب منه - فأخذ يردد : يا الله .. يا الله.. ويكرر هاكثيرا ، بحيث جارتة في دعائه الأبواب والجدران .

- وأثناء ندائه المستمر للعتبات الإلهية ، ارتفع صوت من بين التفتيش والبحث .

وصول الدور في التفتيش إلى نصوص ، ونداء : لقد فتشنا الجميع ففتشوا نصوص

أيضا ، وفقدان نصوص الوعي خوفا ، وانفراج حاله بعد نهاية الشدة ، مصداقا

لقول النبي ﷺ إذا أصابه مرض أو هم : [اشتد أزيمة تنفرج بي]

- " وقال الصوت " : لقد فتشنا الجميع ، فتقدم يا نصوح ، ففقد الوعي على الفور ، وطار روحه شعاعا .

٢٢٧٥- وسقط كأنه جدار مهدم ، وضاع وعيه وعقله ، وصار كالجماد .

- وعندما غادر وعيه جسده ، اتصل سره بالحق في تلك اللحظة - وعندما صار فارغا ، ولم يبق له وجود ، استدعى ذو الجلال بازي روحه إليه .

- وعندما تحطمت سفينته وباءت بالخذلان ، سقطت من البحر على شاطئ الرحمة .

- ولقد اتصلت روحه بالحق عندما فقد الوعي ، وجاشت أمواج الرحمة في تلك اللحظة .

٢٢٨٠- وعندما نجت روحه من عار الجسد ، مضت فرحة سعيدة نحو أصلها .

- فالروح كالبازي ، والجسد بالنسبة لها كالنير والطوق الثقيل ، يكون منه مقيد القدم ، كسير الجناح ، عبدا ذليلا .
- وعندما ذهب الوعي عنه ، وفك القييد من قدمه ، يطير ذلك البازي صوب السلطان .
- وعندما جاشت بحار الرحمة ، شربت حتى الحجارة ماء الحيوان .
- وصارت الذرة الضئيلة عظيمة فخمة ، وصار الأديم الترابي ، أطلس مطرزا بالذهب .
- ٢٢٨٥- وخرج من قبره ذلك الرجل من بعد مائة عام ، وصار الشيطان الملعون يزري في حسنه بالحوور .
- وصار كل وجه الأرض أخضر يانعاً ، وأنبت الخشب اليبس البراعم ، وصار نضرا لطيفا .
- وصار الذئب جليسا للشاة في مجلس الصراح ، وصار القانطون متهللين مقبلين .

العثور على الجوهرة واعتذار صاحبات الأميرة وجواربها لنصوم

- ومن بعد ذلك الخوف الذي كان هلاكاً للروح ، وصلت البشارات صائحة : هالك الذي فقد منك .
- ووصل " هتاف " الهاتف فجأة أن : رُفع الخوف ، لقد تم العثور على تلك الدرة اليتيمة الضائعة .
- ٢٢٩٠- لقد وجدت ، وها نحن قد تقلبنا في السرور ، بشروا الجميع ، فقد وجدنا الجوهرة .
- ومن الصياح والتهليل والتصفيق ، امتلأ الحمام ، فقد زال الحزن .

- وذلك " النصوح " الذى كان قد غاب " عن نفسه " عاد إلى وعيه ،
ووجدت عينه نور مائة نهار أمامه .

- وأخذت كل منهن تعتذر له وتطلب منه السماح ، وأخذن في إمطار يديه
بالقبل .

- قائلات : لقد أسأنا بك الظن فسامحيننا ، وأكلنا لحماً بالقليل والقال .
٢٢٩٥- ذلك أن أكثر ظن جميعهن كان فيه ، إذ كان مقرباً من " الأميرة " عن
الجميع .

- لقد كان نصوح دلائلها الخاص وموضع سرها ، بل كانا كروح واحدة في
جسدين .

- فإذا كانت الجوهرة قد سرقت ، فهو الذى سرقها فحسب ، فلم يكن هناك من
هو الصق بالسيدة منه .

- لقد كانت عندما قامت الضجة تريد تفتيشه أولاً ، لكنها أخرجت تفتيشه
لاحترامها " له " .

- فربما يلقي بها في مكان ما ، وليخلص نفسه في هذه المهلة التي
أعطيت له .

٢٣٠٠- فأخذن يطلبن منه العذر والسماح ، ونهضن جميعهن معتذرات له .

- فقال : إنه من فضل الله العادل ، وإلا فإنني أسوأ بكثير مما قيل في .

- وأى عفو وسماح ينبغي أن يطلب مني ، وأنا أكثر أهل العصر
إجراماً .

- إن ما قلناه عني من السوء ، واحد في المائة " مما أنا عليه " ، وعلى كشف
هذا الأمر وتفسيره إن شك في صحته أحد .

- فما الذى يعلمه عني أحد إلا القليل ، ويعرف من آلاف الجرائم والقبائح جرماً واحداً .

٢٣٠٥- إنني أعلم جرائمى وقبح فعالى ، كذلك يعلمها ذلك الذى ستر عليّ - لقد كان إبليس أستاذاً لي من البدايئة ، ثم صار إبليس إلى جوارى مجرد هباء .

- ولقد رأى الحق كل هذا وتغاضى عنه ، حتى لا أصير من الفضيحة مصفر الوجه .

- ثم إن الرحمة أخذت ترتق ما " تمزق " من ردائي ، وجعلت التوبة الحلوة كالروح رزقاً لي .

- وجعلني حراً كأنني شجرة سرو أو سوسن ، وجعلني سعيداً كأنني الحظ والإقبال .

٢٣١٠- وكل ما ارتكبته واقترفته اعتبرني لم أفعله ، وما لم أقم به من طاعة ، اعتبرني قد قمت به .

- وكتب اسمي في سجل الأطهار الأبرار ، وكنت من أهل الجحيم فوهبني الجنة .

- وقد تأوّهت فصارت آهتي كأنها الحبل المتين ، صارت حبلاً مد من أجلى داخل البئر .

- فأمسكت بذلك الحبل وخرجت من بئر " المعصية " ، سعيداً سميناً متورداً .

٢٣١٥- كنت مقيماً في قعر البئر مسكيناً فاقد الحيلة ، والآن أصبحت بحيث لا يسعني العالم كله . (١)

(١) ج/ ١٢-١١٢: - فلتكن أنواع الشاء لك يا رب ، فقد خلصتني فجأة من الحزن .

- فلو أن طرف كل شعرة مني تجد لسانا ، لا تتأتى أنواع شكرك في بيان
- وها أنا أصبح في هذه الروضة وهذه العيون ، هاتفا في الخلق « يا ليت قومي يعلمون » .

استدعاء الأميرة لنصوم لتدليكها بعد ثبات التوبة وقبولها " من الله " **وتعالاه ورفضه**

- ثم أتاه من بعدها أحدهم قائلا : إن أميرتنا تدعوك راجية إليك ؛
- إن الأميرة تدعوك قائلا : تعالي ، هيا ، واغسلي رأسي أيتها التقية .

- ٢٣٢٠- فهي لا ترغب في أحد سواك لتدليكها ، ثم غسل شعرها بحجر الطفل .
- فقال له : إليك عني ، وامض ، فقد كلت يدي من العمل ، وهذا النصوح قد مرض الآن .

- واذهب وابحث عن سواي سريعا ، فأنا والله قد كلت يدي من العمل .
- وقال لنفسه : لقد جاوز الجرم الحد ، فمتى يمضي عن قلبي ذلك الخوف والحزن ؟

- لقد مت مرة ، ثم عدت ، ولقد تذوقت مرارة الموت والعدم .
- ٢٣٢٥- ولقد تبت توبة حقيقية إلى الله تعالى ، ولا أعود عنها حتى تغادر روحي بدني .

- ومن بعد هذه المحنة ، من الذي يمضي ثانية صوب المحنة اللهم إلا إذا كان حمارا .

**حكاية في بيان أن الذي يتوب ويندم ، ثم ينسى ندمه ، ويجرب المجرب
يقع في خسارة الأبد إذ لا يصل إلى توبته مدد من الثبات والقوة
والحلاوة والقبول ، تكون كشجرة بلا أصل تزداد اصفرارا وتيبسا والعياذ**

بالله

- كان هناك أحد القصارين ، وكان لديه حمار جريح الظهر خاوى البطن
هزيل .

- كان يقضي يومه حتى الليل بين الصخور الخالية من العشب بلا زاد ولا ملاذ
- ولم يكن هناك من طعام إلا الماء ، وكان الحمار فيه ليل نهار كالأعمى
والتائه .

٣٢٣٠- وكانت هناك في تلك الأنحاء غابة وأجمة ، وكان فيها أسد عمله
الصيد .

- ووقعت معركة بين ذلك الأسد وبين فيل مفترس ، فجرح الأسد ،
وعجز عن الصيد .

- وظل فترة عاجزا عن الصيد من الضعف ، فظلت الوحوش من حوله بلا زاد
تتبلغ به .

- ذلك أن كل ما كان يتبقى من الأسد ، يكون من أجلها ، وعندما مرض
الأسد ، ضاق به الحال .

- فأمر الأسد أحد الثعالب قائلاً : امض ، وصد من أجلي حمارا .
٢٣٣٥- فإذا وجدت حمارا بين المروج ، فاذهب ، واحتل عليه بطلو الكلام ،
واخذه ، وأحضره إليّ .

- وعندما أسترده قوتي من لحم الحمار ، أصيد حينذاك صيدا آخر
- فأكل منه القليل ويكون باقيه لكم ، فأنا بالنسبة لكم ، سبب من أسباب الرزق .

- فابحث لي عن حمار أو عن بقرة ، واستخدم شيئا من تلك الخدع التي تجيدها .

- وبكلامك المنمق وألفاظك الحلوة ، اسلبه عقله ، واسحبه إلى هذا المكان .

**تشبيه القطب العارف الواصل في إعطاء الخلق الرزق من قوت
المغفرة والرحمة على المراتب التي يلهمه الحق إياها وتمثيله
بالأسد الذي تكون الوحوش أكلة من قوته ومن بقاياها على مراتب
قربهم من الأسد ، ليس القرب المكاني بل قرب الصفة ،
وتفاصيل هذا كثيرة ، والله الهادي**

٢٣٤٠- إن القطب هو الأسد وعمله الصيد ، وبقية الخلق من أكلة بقاياها .
- فجاهد ما استطعت في رضا القطب ، حتى يقوى ويقوم بصيد الوحوش .
- ثم إنه عندما يتعب يظل الخلق بلا زاد ، وذلك لأن رزق الخلق بأجمعه
يكون من كف العقل .

- ولأن وجد الخلق يكون من باقي طعامه ، فاحفظ هذا ، إن كان قلبك باحثا
عن الصيد .

- إنه كالعقل ، والخلق كأعضاء الجسد ، وتدير البدن منوط بالعقل .
٢٣٤٥- وضعف القطب يكون من الجسد لا من الروح ، إن الضعف يكون في
السفينة ، لا في نوح عليه السلام .

- والقطب هو ذلك الذي يكون طوافه حول نفسه ، بينما يكون دوران
الأفلاك حوله هو .

- فساعده إذن في مرمة سفينته ، إن صرت من خاصة غلمانه ومن عبيده .
- فإنك بعونك هذا تربو ولا يربو هو ، لقد قال الحق ﴿ إن تتصروا الله ﴾
فإنكم تتصروا .

- وقم بالصيد كالثعلب ، واجعل " صيدك " فداءً له ، حتى تأخذ عوضاً عنه آلاف الفرائس .

٢٣٥٠- فإن صيد المرید يكون كصيد الثعلب ، لكن الضبع الضخم لا يصيد إلا الميتة .

- وإنك لتجرن الميت إليه فيصير حياً ، والقمامة في المزرعة تقوم بإنبات النبات .

- وقال الثعلب للأسد : السمع والطاعة ، إنني سوف أحتال عليه حتى أسلبه عقله .

- فإن الاحتيال وتتميق الكلام هما عملي ، عملي هو الخداع بالقصص والحكايات ، والإضلال .

- ونزل مسرعاً من قمة الجبل إلى جانب الجدول ، فوجد ذلك الحمار المسكين الهزيل .

٢٣٥٥- فألقى السلام عليه بحرارة وتقدم منه ، وذهب إلى ذلك الساذج الغفل الفقير .

- وقال له : كيف أنت في هذه الصحراء القاحلة ، بين الحجارة وفي هذا المكان الموحش ؟

- فقال الحمار : سواء كنت في حزن أو في إرم ، فهكذا قسم لي الحق ، وأنا شاكر له .

- إنني أشكر الحبيب في الخير وفي الشر ، فهناك في القضاء ما هو أسوأ من السوء .

- وما دام هو القسام فالشكوى كفر ، إذ ينبغي الصبر ، والصبر مفتاح العطاء . (١)

٢٣٦٠- وكل من هم غير الحق أعداء وهو الحبيب ، ومتى تكون الشكوى من الحبيب مستحبة أمام العدو ؟

- وإن أعطاني المخيض فلن أطلب العسل ، وذلك أن كل نعمة مقرونة بغم . (٢)

حكاية رؤية حمار الحطاب النعم التي فيها الخيول العربية الأصيلة في

الإصطبل الخاص وتمنيه لذلك الإقبال ، وفي الموعظة أنه لا ينبغي

التمني إلا في المغفرة والعناية ، فلو كنت في مائة شقاء وظفرت بلذة

المغفرة تكون كلما حلوة ، أما فيما تبقى ، فكل حظ تتمناه بلا تجربة

فهو قرين لشقاء لا تراه ، بحيث لا يظهر من كل فخ إلا الحب والفخ خفي

وأنت في هذا الفخ تتمنى قائلاً : ليتني أمضي إلى هذا الحب ، ظانا أنها

حبوب بلا فخ

(٣)

(١) ج/ ١٢-١١٩:- ثم قال : الصبر مفتاح الفرج ، ومتى يحيق بالصابرين الجور والحر ج ؟ - إنني راض بقسمة القسام ، فهو إله الخواص ومن هم من العوام .- والخواص والعوام ذوو نصيب من نعمته ، وهو الذي يوصل الرزق للوحوش والبهائم .- والطيور والأسماك كلها تأكل رزقها ، والنمل والحيات كلها تأكل من نعمته - ومائدته ممتدة للعالم بأجمعه ، وعلى مائدته يكون الخلاق في دهشة شديدة .- إنهم يأكلون ولا يقل شيء منها قط ، فدلني من ذلك الذي يكون بلا رزق في هذه الدنيا ؟! - فكن راضياً إن كنت ذا قلب حي ، فإنه هو الذي يوصل الرزق لكل عبد .

(٢) ج/ ١٢-١١٩:- فاشكر حتى لا يأتينك ما هو أسوأ من سوء ، وإلا عجزت على حين غرة كحمار في وحل .

(٣) ج/ ١٢-١٢٤:- أتذكر حكاية عن أبي ، إذ قال لي ذات يوم ناصحاً . ورغم أن العنوان ينص على حمار الحطاب فالحمار في النص لسقاء ، ولعل مولانا كان قد وقف عند عنوان الحكاية ثم عاد إليه بعد فترة . وعلى كل فهذا لا يغير شيئاً من لب الموضوع .

- كان هناك أحد السقائين ، وكان عنده حمار ، صار منحنيا من المحن كأنه القوس .

- كان في ظهره مائة جرح من الحمل الثقيل ، وكان يتمنى يوم موته عاشقا له .
- فأين منه الشعير وهو لا يشبع من القش اليابس ، وفي أعقابه الضرب والمنخاس الحديدي .

٢٣٦٥- ورآه أمير الإصطبل وأشفق عليه ، فقد كان الرجل من معارف صاحب الحمار .

- فسلم عليه ، وسأله عن الحال ، ومن أى شيء صار هذا الحمار منحنيا كحرف الدال .

- فأجاب : من فقرى وتقصيرى في حقّه ، فإن هذا الحيوان الأعجم لا ينال حتى القش .

- فقال له : سلمه لي لعدة أيام ، حتى يقوى في إصطبل الملك .

- فسلمه الحمار ، وذلك العاشق للرحمة ، ربطه في وسط إصطبل السلطان .
٢٣٧٠- ورأى الحمار في كل ناحية جوادا عربيا أصيلا ، منعا سمينا طيبا عليه نضرة " النعيم " .

- كان ما تحت أقدامها مكنوسا مرشوشا ، والتبن والشعير يقدمان في الموعد .

- ورأى حك الجياد وتدليكها ، فمد فمه رافعا إياه قائلا : أيها الرب المجيد ؛
- على فرض أنني حمار ، ألسنت مخلوقا لك ؟ فلماذا أنا مسكين جريح الظهر نحيل ؟

- وفي الليل من ألم الجراح في الظهر ومن الجوع في البطن ، أتمنى الموت لحظة بلحظة ؟

٢٣٧٥- وما لهذى الجياد في حال مرفه ومنعم ، فلأى شيء خصصت أنا بالعذاب والبلاء ؟!

- وفجأة علا صياح الحرب والقتال ، وآن للجياد أن تسرج وتعمل .
- فتعرضت لطعنات السهام من العدو ، واخترمتها الرماح من كل صوب .
- وعادت تلك الخيول من ميدان القتال ، وسقطت كلها " على ظهورها " في الإصطبل .

- فشدت قوائمها بالحبال بإحكام ، ووقف البيطرة صفوفاً .
٢٣٨٠- وأخذوا يشقون أجسادها بالمباضع ، لكي يقوموا بإخراج النصال منها .

- ورأى ذلك الحمار هذا الأمر فقال : يا أله ، لقد رضيت بالفقر والعافية .

- إنني رافض لذلك النعيم " تتلوه " تلك الضربات الموجهة ، وكل من أراد العافية ، نبذ الدنيا .

عدم قبول الثعلب قول الحمار " اني راض بما قسم لي "

- قال الثعلب : إن طلب الرزق حلال ، فرض من أجل الإمتثال .
- إنه عالم بالأسباب ، ولا يتأتى شيء بلا سبب ، والمهم إذن هو الطلب .
٢٣٨٥- وقد أمرنا سبحانه قائلاً : (وابتغوا من فضل الله) ، حتى لا يلزم الغصب ، كما يفعل النمر .
- وقد قال الرسول ﷺ : لقد أغلق على الرزق باب أيها الفتى ، وفوق هذا الباب أقفال .

- وحركتنا وسعينا واكتسابنا بمثابة المفتاح لذلك القفل و" الكشف " لذلك الحجاب

- ولا سبيل لفتح هذا الباب دون مفتاح ، وليس من سنة الله أن يوجد خبز
دو طلب . (١)

جواب الحمارة على الثعلب

- قال : إن هذا يكون من ضعف التوكل ، وإلا فإن الذى يهب الروح
يعطيها أيضا الخبز .

٢٣٩٠- وكل من يبحث عن الملوكية والظفر ، لن يعدم لقمة خبز
يا بني .

- والوحوش والحيوانات كلها آكلة للرزق ، لا هي تسعى في كسب ، ولا
أحد " يحمل " إليها الرزق .

- فالرزاق يرزق كل ما خلق ، ويضع قسمة " كل واحد " من الخلق أمامه .

- والرزق يصل إلى كل من صبر ، وكل ما تقوم به من سعي من انعدام
صبرك .

جواب الثعلب على الحمارة

- قال الثعلب : إن ذلك التوكل أمر نادر ، وقليل ما هم ، أولئك الذين وفقوا
فيه .

٢٣٩٥- وطلب النادر من قبيل الجهل ، ومتى كان طريق سلاطين " الدين "
ميسرا لكل إنسان ؟

- وما دام الرسول ﷺ قد قال : القناعة كنز ، فمتى يصل الكنز المخبوء إلى كل
إنسان ؟

(١) ج/١٢-١٢٧:- وإنك إن قبحت في قاع بئر فمتى يأتيك الرزق يا ذا الفضل ؟ .

- فاعرف حدك ، ولا تحلق عاليا ، حتى لا تسقط في هاوية الفتنة والشر . (١)

جواب الحمار على الثعلب

- قال الحمار : اعلم أنك تعكس الأمور ، فالفتنة والشر يجتمعان في الروح من الطمع .

- فمن القناعة لم يسلم أحدٌ قط الروح ، ومن الحرص لم يصبح أحد قط سلطانا .
٢٤٠٠- والخبز لا ينقطع عن الخنازير والكلاب ، وليس من كسب الناس ، هذا المطر وهذا السحاب .

- فكما يكون العاشق للرزق طالبا إياه متضرعا من أجله ، فإن الرزق أيضا يكون عاشقا لآكله . (٢)

في تقرير معنى التوكل .. حكاية ذلك الزاهد الذي كان يمتحن التوكل

فخرج من المدينة ومن بين الأسباب ، وابتعد عن أماكن تردد الناس وطرق مرورهم ، ووضع رأسه على حجر في سفح جبل مهجور مفقود وهو في غاية الجوع ، ونام قائلا لنفسه : توكلت على خالقك للأسباب ورزقك وانقطعت عن الأسباب ، حتى أرى أن التوكل سبب
- سمع أحد الزهاد أن المصطفى ﷺ قد قال ، إن الرزق يأتي يقينا للروح من قبل الله .

- سواء أردت أو لم ترد ، فإن رزقك يأتيك مسرعا إليك من عشقه إياك .
- ومن أجل الامتحان ، ذهب ذلك الرجل ونام مسرعا في صحراء بالقرب من جبل .

(١) ج/١٢- ١٣٠ :- فجاهد واسع في طلب الرزق ، ما لم يكن لك صبر على التوكل .

(٢) ج/١٢- ١٣١ :- وإن لم تسع يأتك حتى بابك ، وإن سعيت فلا نصيب لك إلا الصداق .

٢٤٠٥- قائلًا : لأرى هل يأتيني الرزق ، حتى يقوى ظني وإيماني أن الرزق من الله .

- وضلت قافلة طريقها ، وسارت نحو الجبل ، فرأت ذلك الذي يمتحن " ربه " نائمًا .

- فقالوا : كيف يكون هذا الرجل وحيداً في هذه الناحية ؟ في صحراء بعيدة عن المدينة وعن الطريق ؟

- عجباً ، هل هو حي أو ميت ؟ وكيف لا يخاف من ذئب أو من عدو ؟!

- وتقدموا وأخذوا يتحسسونه بأيديهم ، فلم يتحدث ذلك الرجل عن عمد .

٢٤١٠- ولم يتحرك ، ولم يحرك رأسه ، ولكي يتم امتحانه ، لم يفتح حتى عينيه !!

- فقال " أحدهم " : إن هذا المسكين المحروم ، قد سقط هكذا بالسكته من الجوع

- فأتوا بالخبز وبطعام في قدر ، حتى يصبوه في حلقه وفي فيه .

- فضم الرجل عامدا أسنانه بشدة ، حتى يرى صدق ذلك الوعد .

- فأشفقوا عليه قائلين : إنه شديد الجوع ، وهو هالك " لا محالة " من الجوع و" ماض " إلى الفناء .

٢٤١٥- فأتوا بسكين وأسرعوا إليه ، وفصلوا ما بين أسنانه التي أطبقها .

- وصبوا الحساء في فمه ، وأخذوا يدسون لقيمات الخبز في فيه .

- فقال : أيها القلب بالرغم من أنك آخذ في الاستسلام ، فإنك تعرف السر لكنك تتدلل .

- قال القلب : نعم ، أعلم ، وأفعل ما أفعله عن عمد ، فالرازق هو الله ، لجسدى وروحي .

- وكيف يكون هناك امتحان أكثر من هذا ؟ ، إن الرزق يمضي سعيدا إلى الصابرين . (١)

جواب الثعلب على الحمار وحته إياه على الكسب

٢٤٢٠- قال الثعلب : دعك من هذه الحكايات ، واطرق أبواب الكسب ، ولو بجهد المقل .

- لقد أعطاك الله يدا ، فقم بعمل ما ، وقم بكسب ما ، وعاون العدو والصديق .

- فكل من يخطو خطوة نحو الكسب ، فإنه يقوم بعون أصدقاء آخرين .

- ذلك أن كل الكسب لا يتأتى من شخص واحد ، فهناك نجار وهناك سقاء وهناك حائك .

- وهذه الدنيا قائمة على المشاركة ، وكل إنسان يختار عملا ما من افتقاره .

٢٤٢٥- وليس للخيال الساذج مجال هنا ، فإن سبيل السنة هو العمل والاكتساب .

جواب الحمار على الثعلب أن التوكل هو أفضل الكسب فكل إنسان محتاج

إلى التوكل ، حتي يدعو : اللهم هب لي هذا العمل ، والدعاء يتضمن التوكل

والتوكل كسب لا يحتاج إلى كسب آخر قط..... إلى آخره

- قال " الحمار " : إنني لا أعلم في الدارين كسبا أفضل من التوكل على الله " تعالى " .

(١) ج ١٢ / ١٣٣-١٣٤ :- حتى تعلم ذلك ولا تترك التوكل ، وماذا يكون الحرص ؟ من الحمارية والجهل . - ثم فتح بعد ذلك ذلك المسكين فمه ، وقال : لقد قمت بامتحان رزقي . - وكل ما قاله ذلك الرسول طاهر الجيب ، حق ، ولا يوجد فيه أدنى ريب .

- ولا أعرف نظيرا للكسب المتمثل في شكره تعالى ، حتى يجذب شكر الله مزيدا من الرزق .(١)

- وطال بينهما الجدل والخطاب ، حتى حارا سؤالا ، واحتارا في الجواب .
- ثم قال " الثعلب " : اعلم أنه بشأن هذه المهلكة ، قد ورد نهي الله فقال
(لا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة) .

٢٤٣٠- والصبر في صحراء قاحلة وبين الأحجار يكون من الحمق ، وذلك لأن
(أرض الله واسعة) .

- فانتقل من هنا صوب المروج ، وارع الخضرة هناك ، إلى جوار النهر
الجارى .

- والمرج " هناك " أخضر وكأنه الجنان ، والخضرة هناك نامية ، تصل
حتى الوسط .

- وسعيد ذلك الحيوان الذى يمضى إلى هناك ، إن الجمل نفسه ليختفي بين
الخضرة .

- وكل ركن فيه نبع فياض ، والحيوان منعم فيه وفي أمان .

٢٤٣٥- ومن حماريته لم يقل له الحمار : أيها اللعين ، لقد جئت من هناك ،
فلماذا أنت نحيل ؟

- وأين امتلاؤك ؟ وأين نضرة النعيم ؟ وأين بهاؤك ؟ وما هذا النحول في جسدك
المهدود ؟

- وإذا لم يكن كلامك المفصل عن الروضة كذبا وبهتاناً ، فلماذا لا أرى في
عينيك النشوة ؟

(١) ج/١٢-١٣٩:- والتوكل في حد ذاته هو أفضل الكسب ، ذلك أنك في كل كسب ممدود اليد إلى الله .-
داعيا : يا الله هيء لي من أمرى رشدا ، وهذا الدعاء من قبيل التوكل إن فكرت جيدا .- ففي التوكل لا يكون
ثم احتياج قط ، وهو الفراغ من نقص الدخل ومن الخراج .

- وهذا الإلحاح والطمع، وهذا العمى في البصر ، " نابعان " من كونك متسولا ،
لا من أنك قد تبوأ الإمارة

- وإذا كنت قد جئت من النبع، فكيف تكون جافا هكذا ؟ وإذا كنت نافجة غزال ،
فأين أريج المسك ؟! (١)

٢٤٤٠- وكيف لم تبدُ عليك أمانة واحدة مما تتحدث عنه أو تفصل فيه
أيها المحترم ؟

ضرب الجمل للمثل في بيان أن المخبر عن دولة ونصرة ونعيم لا ترى

أثرها عليه يكون موضع اتهامه بأنه مقلد في الحديث عنها

- سأل أحدهم الجمل قائلا : ها ، قل لي من أين أنت قادم يا مبارك
الخطي ؟

- قال من الحمام الساخن الموجود في حيك ، قال : هذا واضح من ركبتيك !!
- لقد رأى فرعون العنود حية موسى عليه السلام ، فأخذ في طلب المهلة وإيداء اللين
- وقال الأذكىاء : كان ينبغي عليه أن يكون أكثر حدة وغضباً مادام هو رب
الدين .

٢٤٤٥- وسواء كانت المعجزة أفعى أو حيّة ، ترى ماذا حدث لألوهيته
وكبريائه ؟

- لقد كان يهتف (أنا ربكم الأعلى) عند جلوسه ، فما هذا الهلع الذي
يبدية من أجل دودة ؟

- وما دامت نفسك ثملة بالنقل والنبذ ، فاعلم أن روحك لم تبصر العناقيد من
الغيب .

(١) ج/١٢-١٣٩:- وإذا كنت قادما من الجنان ، فأين باقة الورد التي جنت بها كهديّة ؟!

- فهناك أمارات تدل على هذا النور ، هي " التجافي منك عن دار الغرور " (١).
- وعندما يطوف الطائر حول الماء الأجاج ، فذلك لأنه لم يجد المدد من الماء العذب .

٢٤٥٠- بل إن إيمانه يكون ثقليدا ، وروحه لم تر وجه الإيمان .
- ومن هنا يكون المقلد في خطر عظيم ، في الطريق من قاطع الطريق ، الشيطان الرجيم .

- وعندما يرى نور الحق يصير آمنا ، ويصبح ساكنا مطمئنا من اضطرابات الشك .

- فإن زبد البحر يكون دائما في اضطراب وجيشان ، ما لم يصل إلى أصله أي التراب .

- إن هذا الزبد ترابي الأصل وغريب عن الماء ، ولا بد من وجود الاضطراب في الغربة .

٢٤٥٥- وعندما تتفتح عيناه ويبصر صورة " الحق " ، لا يجد الشيطان عليه بعد يدا .

- وإذا كان الثعلب قد تحدث إلى الحمار بالأسرار ، فقد ألقى بها على عواهنها ، وتحدث بها كالمقلد .

- لقد مدح الماء ، لكنه لم يكن تواقا إليه ، وخمش وجهه ومزق ثوبه ، ولم يكن عاشقا .

- والعذر من المنافق مردود وليس طيبا ، ذلك أنه صادر من الشفة لا من القلوب .

(١) ما بين القوسين بالعربية في المتن الفارسي .

- إن فيه رائحة التفاح ، لكنه ليس جزءًا من التفاح ، وهذه الرائحة فيه ليست إلا من أجل الأذى .

٢٤٦٠- وإن هجوم المرأة في قلب المعركة ، ليس شاقًا للصفوف ، بل يجعل الأمر خرابًا .

- وبالرغم من أنك تراها تحمل على الصف حملة الأسد ، إلا أنها إذا أمسكت بالسيف ، ارتعد كفها .

- فويله ذلك الذى يكون عقله في طبع الأنثى ، وتكون نفسه القبيحة ذكرا مسلطا على هذا العقل .

- فلا جرم أن عقله هذا يكون مهزوما ، ولا ينقله إلا صوب الخسران .

- وما أسعد ذلك الذى يكون عقله ذكرا ، وتكون نفسه القبيحة أنثى تحت سيطرته .

٢٤٦٥- يكون عقله الجزئي ذكرا وغالبا ، ويكون سالبا " لسطوة " النفس الأنثى .

- وهجوم الأنثى جريء أيضا بصورته وظاهره ، لكن آفته من طبعه الحمارى ، مثل ذلك الحمار .

- والوصف بالحيوانية يزداد في حق المرأة ، ذلك لأنها تركز كثيرا إلى الألوان والروائح .

- لقد سمع ذلك الحمار " وصف " ألوان المروج ورائحتها ، ففرت كل الحجج التي ساقها من طبعه .

- لقد احتاج الظمان المطر ولا سحاب ، وأحست النفس بالجوع الشديد ولا صبر .

٢٤٧٠- والصبر يكون درعا حديديا أيها الأب ، وقد كتب الحق على الدروع :
جاء الظفر .

- والمقلد يسوق مائة دليل في بيانه ، لكنه يبديها على سبيل القياس ، لا عن طريق العيان .

- إنه يبدو مضمخا بالمسك ولا مسك ، إنها مجرد رائحة مسك ، وليس لديه إلا البعر .

- وحتى يتحول البعر لديك إلى مسك أيها المريد ، ينبغي أن ترعى سنوات في هذه الروضة .

- فلا ينبغي أكل التبن والشعير كالحمير ، بل ارع الأرجوان في " ختن " كالغزلان .

٢٤٧٥- ولا ترع إلا القرنفل أو الفل أو الورد ، فامض إلى صحراء ختن مع هذا النفر " من الأولياء " .

- واجعل المعدة معتادة على ذلك الريحان والورد ، حتى تجد الحكمة وقوت الرسل .

- وحل ما بين المعدة وهذا التبن والشعير ، وابدأ في أكل الريحان والورد .
- ومعدة الجسد تجر المرء نحو مزود التبن ، ومعدة الروح تجذبه نحو الريحان .

- وكل من يأكل القش والشعير يصير أضحيفة " للذبح " ، وكل من يكون غذاؤه نور الحق يصبح قرآنا .

٢٤٨٠- فانتبه ، إن نصفك من المسك ، ونصفك من البعر ، فهيا ، لا تزد في البعر ، وزد في مسك الصين .

- إن ذلك المقلد يأتي بمائة دليل ومائة بيان ، لكم من طرف اللسان ، ولا روح .

- وعندما لا يكون لدى القائل روح وبهاء ، متى يكون لقوله ورق أو ثمر .

- إنه يتوقع على الناس في الطريق ، لكنه في روحه وداخله أكثر ارتعادا من القشة .

- ومن ثم ، فبالرغم من أن حديثه يكون ذا رواء شديد ، فإن الرعدة تكون مستترة فيه .

الفرق بين دعوة الشيخ الكامل الواصل وبين كلام الناقصين الذين

يدعون الفضل لتعلقهم بفضلات العلم التحصيلي

٢٤٨٥- إن الشيخ النوراني يخبر بالطريق ، ويجعل النور لحديثه " نعم " الرفيق

- فجاهد حتى تصير ثملا ونورانيا ، وحتى يصير نوره لحديثك رفيقا .

- وإن كل ما يغلي في الدبس ، يكون له في الحقيقة طعم الدبس .

- وإنك لتجد منه لذة الدبس ، سواء كان من الجزر أو من التفاح أو السفرجل والجوز .

- وعندما صار العلم مخمرا بالنور ، يجد القوم اللد من علمك النور .

٢٤٩٠- وكل ما تقولـه يكون منورا ، ذلك أن السماء لا تمطر أبدا إلا

الطاهر .

- فصر سحابا ، أو صر سماءً وأمطر ، فإن المطر يجعل القناة بلا فائدة .

- والماء في القناة على سبيل العارية ، لكنه فطرة في السحاب وفي البحر .

- والفكر والظن على مثال القناة ، والوحي والكشف سحاب وسماء .

- وماء المطر يجعل الحديقة ذات مائة لون ، لكن القناة تجعل الجيران يتشاحنون " على الماء " .

٢٤٩٥- لقد جادل الحمار الثعلب مرتين أو ثلاث مرات ، ولما كان مقلدا في الأصل ، فقد تجرع الخديعة .

- لم تكن لديه عظمة الإدراك ورؤيته ، فما لبثت فيهقة الثعلب أن أسكتته .
- ولقد جعله الحرص على الطعام ذليلا بحيث هزمه " وأفحمه " وهو يمتلك خمسمائة دليل .

**حكاية ذلك المخنث وسؤال اللوطي له أثناء اللوطة : من أجل ماذا هذا
الخنجر الذي معك؟ فقال : من أجل أن أمزق بطن كل من أرادني بسوء
فكان اللوطي يروم ويجيء وهو يقول : الحمد لله أنني لا أريدك بسوء
إن بيتي ليس بيتا ، إنه إقليم * وهزلي ليس هزلا ، إنه تعليم
(إن الله لا يستحي أن يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها) أي ما فوقها
في تغيير النفوس بالأفكار ، فإن سأل أحدهم (ماذا أراد الله بهذا مثلا)
فيجيب حينذاك : هكذا أردت (يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا)
فكل فتنة كالميزان ، تحمر منها وجوه كثيرة ، ويصم كثيرون
محرومين ، ولو تأملت فيه قليلا وجدت من نتائج الشريعة كثيرا
- أخذ لوطي مأبونا إلى منزله ، وقلبه و أولج فيه .**

- ثم رأى على منطقته خنجر ذلك اللعين ، فسأله : ما هذا الذي على
خاصرتك ؟

٢٥٠٠- فقال : إنه معي بحيث إن أرادني شرير بسوء ، مزقت به بطنه .
- فقال اللوطي : الحمد لله على أنني لم أقصدك بسوء ، وهذا من حصاقتي
وزكائي .

- فإن لم تكن ثم رجولة ، فما فائدة الخناجر ؟ وإن لم يكن ثم قلب ، فما جدوى المغفر والخوذة ؟
- إنك " قد " ترث عن علي ؑ سيفه المسمى ذا الفقار ، فإن كان لك ساعد أسد الله ، فايث به .
- وإذا كنت تعلم دعاء إحياء الموتى من المسيح ﷺ ، فأين شفتا عيسى وأسنانه أيها القبيح .
- ٢٥٠٥- وإنك لتصنع سفينة مما جمعت من صحبتك وفتح " الله به عليك " ، فأين ملاح السفينة مثل نوح ﷺ؟
- ولنفرض أنك قمت بتخطيط الأصنام مثل إبراهيم ﷺ ، فأين التضحية بصنم الجسد في النار ؟
- وإن كان لديك دليل ، استخدمه ، واجعل سيفك الخشبي " في مضاء " ذي الفقار .
- وإن ذلك الدليل الذي يمنعك من العمل ، إنما يكون نعمة من الله " لا نعمة " .
- ولقد جعلت الخائفين في الطريق شجعانا ، وأنت في الحقيقة أكثر ارتعادا ورعبا منهم جميعا .
- ٢٥١٠- وتقوم بإلقاء الدروس في التوكل على الجميع ، وأنت تقصد البعوضة في الهواء " من حرصك " .
- ويا أيها المخنث ، لقد تقدمت على الجيش ، لكن ذكرك " العاقل " يكذب وجود اللحية " في وجهك " .
- وما دام القلب ممثلا بانعدام الرجولة ، تكون لحيتك وشاربك من أسباب السخرية منك .
- فتب ، واذرف الدموع مدرارا كالمطر ، وخلص لحيتك وشاربك من السخرية ، واشترهما ثانية .

- واشرب دواء الرجولة في العمل ، حتى تصير شمساً حامية في " برج " الحمل .

٢٥١٥- ودعك من المعدة ، وتبخر صوب القلب ، حتى يأتيك السلام من الحق دون حجاب . (١)

- وامض خطوة وخطوتين ، وتكلف بفن ، وأنداك يأخذ العشق بأذنيك جاراً إياك . (٢)

غلبة حيلة الثعلب على إستعصام الحمار وتعففه

وجر الثعلب الحمار نحو عرين الأسد .

- كان الثعلب ثابتاً في احتياله ، فأخذ بلحية الحمار ، واصطحب ذلك الحمار .

- فأين مطرب تلك الزاوية حتى ينقر على الدف بنشاط ويغني : ضاع الحمار ، ضاع الحمار .

- وما دام أرنب قد جر أسداً نحو البئر ، فكيف لا يأتي ثعلب بحمار نحو العشب ؟

٢٥٢٠- فسد أذنيك ، ولا تتجرع وساوس الشيطان ، ولا تسمع إلا وحي ذلك الولي العادل .

- فإن كلامه ذاك أذ من الحلوى ، ذلك الذي تكون كل الحلوى تراباً لقدمه .

- والدنان الخسروانية المليئة بالخمير ، قد أخذت مادتها من خمر شفتيه .

(١) ج/ ١٢-١٦٥:- وإذا كنت تريد البطولة كرسماً ، فاحمل الخنجر ، وإذا كنت ميلاً إلى الخنوثة ، فالبس طراحة .

(٢) ج/ ١٢-١٦٥:- وكن ثابتاً في الميدان كالرجال ، حتى لا تصبح مبتلى أسفل لمشقة . - وحتام تتحدث عن الثياب كالنساء ، ادخل في صفوف الرجال كأنك السنان .

- وتكون عاشقة للخمر تلك الروح المبعدة ، التي لم تبصر خمر شفّتيه الياقوتيتين
- وما دام الطائر الأعمى لا يرى الماء العذب ، كيف لا يطوف إذن حول الماء
الأجاج ؟

٢٥٢٥- وموسى الروح يجعل الصدر " في قدسية" سيناء ، ويجعل
الببغاوات المصابة بالعمى قوية الإبصار .

- ولقد حلت نوبة خسرو عاشق شيرين الروح ، فلا جرم أن السكر قد صار
رخيصا في المدينة .

- وأمثال يوسف يحملون بعسكرهم من الغيب ، ويجرون معهم أحقاق السكر .
- وحولت إبل مصر وجوها نحونا ، فاسمعوا أيها الببغاوات صليل
الأجراس .

- فإن مدينتنا سوف تصبح في الغد مليئة بالسكر ، والسكر رخيص ، لكنه
سيصبح أرخص .

٢٥٣٠- فهيا ياباعة الحلوى ، تمرغوا في السكر ، كأنكم الببغاوات ،
وأنوف المصابين بالصفراء راغمة.

- ودقوا قصب السكر ، فهذا هو عملكم فحسب ، وضحوا بالأرواح ، فهذا هو
الحبيب فحسب .

- ولم يبق عابس واحد في مدينتنا ، ذلك أن " شيرين " بلغت من هم أمثال
" خسرو " مرادهم .

- فالنقل فوق النقل ، والخمر على الخمر ، فهيا ، واصعد المئذنة ، وقم
بدعوة الناس إلى العطاء.

- فالخل الذي عتق تسع سنوات يصير حلوا ، ويتحول حجر المرمر إلى ياقوت
مطعم بالذهب .

٢٥٣٥- والشمس فوق الفلك تقوم بالتصفيق ، والذرات لاعبة في الجو ، وكأنها العشاق .

- والعيون صارت ناعسة من المروج ، والورود تتفتح فوق الأغصان .
- وعين الإقبال والدولة تقوم بالسحر المطلق ، وصار المنصور روحا ، فهو لا يفتأ يصيح " أنا الحق " . (١)

- فإذا كان الثعلب يقوم بخداع الحمار ، قل له : فلتأخذه ، ولا تكن أنت حمارا ، ولا تغتم .

**حكاية ذلك الشخص الذي من خوفه على نفسه ألقى بنفسه في دار شاحب
الوجنتين كالزعفران ، أزرق الشفتين كالنبيلة مرتعد اليدين كأوراق
الشجرة ، فسأله رب الدار : ما الخبر ؟ وماذا حدث ؟ قال : إنهم في الخارج
يأخذون الحمير للسخرة ، قال : مبارك عليهم ، إنهم يأخذون الحمير ولست
حمارا ، فلماذا تخاف ؟ قال : إنهم يجدون في أخذها ، وقد زال التمييز
وأخشى اليوم أن أعتبر حمارا**

- أخذ أحدهم يمضي هاربا داخل منزل ، شاحب الوجه ، أزرق الشفة ،
مخطوف اللون .

٢٥٤٠- فقال له صاحب الدار : خيرا ؟! ما بالك ترتعد هكذا كيد العجوز ؟

- ما الخبر ؟ ولماذا هربت ؟ ولماذا أنت شاحب الوجه هكذا ؟

- قال : إنهم يأخذون الحمير خارج الدار من أجل السخرة للملك الطاغية .

(١) ج/١٢-١٦٩:- وصارت زليخا من " وصال" يوسف شابة من جديد ، فابدأ اللهو من جديد سعيدا هائنا .
وأضرم نارا داخل القلب ، وأحرق عليها البخور لدفع عين السوء .- وكن " منغمسا" في حالك مقيما عليه
سعيدا ، حتى تجد المراد في عالم الروح .

- قال : فليأخذوها ، فأين الحمار ياروح عمك ؟ وما دمت لست حمارا ، فامض ، فما عليك من بأس .

- قال : إنهم في منتهى الجد ، ويأخذونها بحماس ، وليس من العجيب أن يعتبروني حمارا .

٢٥٤٥- لقد جدوا في أخذ الحمير جدا شديدا ، والتميز بدوره قد انتفى .

- وما دام الذين يرأسوننا بلا تمييز ، فإنهم يأخذون صاحب الحمار بدلا من الحمار .

- لكن عليك مدينتنا نحن ليس بالآخذ كيفما اتفق ، فإن لديه تمييزا ، وهو السميع البصير .

- فكن إنسانا ، ولا تخش آخذى الحمير ، لست حمارا يا عيسى عصرك ، فلا تخف .

- والفلك الرابع مليء أيضا بنورك ، وحاشا لله أن يكون مقامك الإصطبل .

٢٥٥٠- إنك أعلى من الفلك والكواكب ، وإن كنت من أجل المصلحة " مربوطا " في حظيرة .

- لكن شتان ما بين أمير الإصطبل وبين الحمار ، فليس كل من أقام في الإصطبل حمارا .

- وما وقوعنا هكذا في أثر الحمار ؟! ، تحدث عن الروضة وعن الورود النظرة .

- تحدث عن الرمان والأترج وأغصان التفاح ، وعن الشراب والحسان بلا حد ولا حصر .

- أو عن ذلك البحر الذى موجه كله من الجواهر ، وجوهره متحدث وذو بصيرة .

٢٥٥٥- أو عن تلك الطيور التي تقطف الورود ، وتضع بيضاً ذهبياً وفضياً .

- أو عن تلك البزاة التي تربي طيور القطا ، وتقوم بالطيران على وجوها وعلى ظهورها .

- فهناك سلام خفية في الدنيا ، موجودة درجة درجة حتى عنان السماء .

- ولكل جماعة سلم مختلف ، ولكل نوع من السير سماء مختلفة .
- وكل جماعة لا علم لها بحال الأخرى ، إنه ملك عريض لا نهاية له .
٢٥٦٠- وهذا حائر ، لماذا هذا الآخر سعيد هكذا ، وهذا الآخر مندهش من حيرته .

- وساحة أرض الله ساحة واسعة ، وكل شجرة قد أطلت من أرض ما .
- والأوراق والأغصان شاكرة على الأشجار ، قائلة " ما أعجبه من ملك !!
وما أبدعها من ساحة واسعة !!

- والبلابل حول البراعم المليئة بعقد " الأزهار " ، قائلة لها : أعطينا مما تأكلين
- وهذا الكلام لانهاية له ، فعد بنا نحو ذلك الثعلب والأسد والسقم والجوع .

أخذ الثعلب الحمار إلى الأسد ، وهرب الحمار من الأسد ، ولوم الثعلب

للأسد قائلاً : لقد تعجلت والحمار لا يزال بعيداً ، واعتذار الأسد ورجاؤه

الثعلب قائلاً : إمض ، واخذه مرة أخرى

٢٥٦٥- عندما اصطحبه من الجبل صوب المروج ، حتى يمزقه الأسد إربا
بهجومه عليه .

- كان لا يزال بعيدا عن الأسد ، لكن ذلك الأسد لم يصبر برهة على الهجوم
حتى يقترب منه .

- وقوس الأسد المهول ظهره كالقبة وهو فوق مرتفعه ، لكنه لم يكن له في
الأصل حولٌ أو طول .

- فرآه الحمار من على البعد ، وعاد أدراجه هاربا ، نحو سفح الجبل ، ممزقا
حدوته .

- قال الثعلب للأسد : يا مليكنا ، لماذا لم تصبر عندما حل الوغى ؟
٢٥٧٠- حتى يقترب منك ذلك المخدوع ، وحتى تتغلب عليه بأقل جهد ممكن ؟
- إن العجلة والتسرع من مكر الشيطان ، والصبر والاحتساب من
لطف الرحمن .

- لقد كان بعيدا ، ورأى الهجوم ، وانطلق هاربا ، وظهر ضعفك للعيان ،
وأريق ماء وجهك .

- قال : لقد ظننت أنني لا زلت على قوتي ، ولم أكن أعلم أن الضعف قد أصابني
إلى هذا الحد .

- كما أن جوعي وعوزي قد جاوزا الحد ، وتاه صبري ، وضاع عقلي من
الجوع .

٢٥٧٥- فلو استطعت بما لك من عقل أن ترده إلي ، وأستعيده ؛
- فإنني أكون ممتنا لك كثيرا ، فاجتهد ، ربما تستطيع أن تأتي به بفنك .
- قال " الثعلب " : نعم ، إن أعانني الله تعالى ، ووضع على قلبه ختما من
العمى .

- أو ينسى الهول الذي قد رآه ، وهذا ليس ببعيد عن حماريته .
- لكن عندما أتى به ، لا " تتسرع " في الهجوم عليه ، حتى لا تفقده ثانية من عجلتك .
- ٢٥٨٠- قال الأسد : نعم ، لقد جربت الأمر ، و"أدركت " أنني مريض جدا ، وصار جسدى مضعضعا .
- ولن أتحرك مالم يقترب مني الحمار تماما ، وسوف أكون هامد الجسد .
- فسار الثعلب وهو يدعو قائلا : الهمة أيها المليك ، حتى تحجب غفلة ما عقله.
- فلقد تاب الحمار مرات عديدة إلى الله ، ألا يتجرع خديعة كل محتال شرير .
- فلأنكث أنا كل توباته بفني ، فنحن أعداء العقل والعهد البين الواضح .
- ٢٥٨٥- وإن رأس الحمار بمثابة الكرة في أيدي أطفالنا، وفكره العوبة في أيدينا، ووساوسنا .
- والعقل الذي يكون " مكتسبا " من دوران زحل ، لا قيمة له أمام العقل الكلي .
- لقد صار ذلك العقل عالما من عطارذ ومن زحل ، لكن " عقلنا " من عطية الله المتخلق باللفظ .
- إن قوله « علم الإنسان ما لم يعلم » هو هيئة طغرائنا ، و[العلم من عند الله] هو مقصدنا .
- ونحن ربائب تلك الشمس المنيرة ، ومن هنا فنحن نتوجه قائلين : سبحان ربي الأعلى .
- ٢٥٩٠- فإن كانت قد صارت لديه تجربة من كل ما رآه ، فإن مائة تجربة تتحطم من هذه النفثات .

- فلعله يرجع عن توبته ذلك الواهن الطبع ، ويحيق به شؤم النكوص عن هذه التوبة .

في بيان أن نقض العهد والتوبة يكون موجبا للبلاء بل والمسح كما ورد في حق أصحاب السبت وأصحاب مائدة عيسى عليه السلام : (وجعل منهم القردة والخنازير) وفي هذه الأمة يكون مسحا للقلب ، ويوم القيامة تصور الأجساد كما تكون القلوب

- إن نقض الميثاق والرجوع عن التوبة مرارا ، يصبح في النهاية موجبا للعنة .

- وإن نقض أصحاب السبت للعهد والميثاق ، كان سببا في المسح والإهلاك والمقت .

- لقد جعل الله من هؤلاء القوم قرودا ، عندما نكثوا عهد الله من مرائهم .
٢٥٩٥- وفي هذه الأمة لا يكون مسخ البدن ، لكنه يكون مسخ القلب ، يا ذا الفطن .

- وعندما يصير قلبه ذاك قلب قرد ، فإن بدنه يصير ذليلا من قلب القرد .
- ولو كان لقلبه فضل من الاختيار ، فمتى كان ذلك الحمار يحس بالذل من صورته ؟

- وكان كلب أصحاب الكهف طيب السيرة ، فلم يعتره أى نقص من شكله وصورته .

- وكان لأصحاب السبت المسخ الظاهر ، حتى يرى الخلق أنهم كبتوا عيانا بيانا .
٢٦٠٠- وعن طريق الباطن والسر هناك آلاف آخرون ، صاروا من نقض التوبة حميرا وخنازير .

عودة الثعلب إلى الحمار الهارب ليعاود خداعه

- ثم جاء الثعلب سريعاً نحو الحمار ، فقال الحمار : الحذر من مثلك رفيقاً .
- أيها القدم ، ماذا اقترفت في حقك حتى حملتني إلى الأفعى ؟!(١)
- وما هو سبب حقدك على روعي ، اللهم إلا خبت جوهرك أيها العنود .
- مثل العقرب التي تلدغ قدم الفتى ، دون أن يلحقها منه أدنى أذى .
- ٢٦٠٥- أو الشيطان الذي هو عدونا اللدود ، ولم يلحقه منا ضرر أو خسران .
- بل إنه بالطبع خصم لدود للإنسان ، وسعاده في هلاك الإنسان .
- إنه لا ينقطع عن مطاردة الإنسان ، فمتى يترك جبلته وطبعه القبيح ؟
- ذلك أن خبت ذاته بلا موجب أو سبب ، يجذبه دائماً نحو الظلم والعدوان .
- إنه في كل لحظة يدعوك نحو الإيوان ، حتى يلقي بك في قاع الجب .
- ٢٦١٠- ويقول لك : في مكان كذا عيون وجداول ، حتى يلقي بك منقلباً في حوض الماء .
- وآدم ﷺ مع هذا الوحي والنظر ، ألقى به ذلك اللعين في الفتنة والشر .(٢)
- وذلك دون ذنب ودون أذى سبق " منه " ، أو ظلم بدر من آدم ﷺ في حقه . (٣)

(١) ج/١٢-١٩٥:- أيها القدم ، ماذا اقترفت في حقك ، حتى تجعلني أنزل أسدا ؟

(٢) ج/١٢-١٩٥:- وآدم ﷺ مع كل هذا الوحي والنذير ، جنده هذا اللعين وحمله حتى البئر .

(٣) ج/١٢-١٩٥:- فمتى يحيق به ظلم من الناس ، بحيث يأتيهم في كل لحظة بأحمال من الغم.

- قال الثعلب : لقد كان ما رأيته طلسمًا مسحورًا ، بدا لعينيك كأنه أسد .
- وإلا فأنا أشد ضعفًا منك جسدًا ، وها أنا أعيش هناك ليل نهار وأرعى .
- ٢٦١٥- ولو لم يصنعوا طلسمًا سحريًا على هذا الشكل ، لهجم كل شره على ذلك المكان .
- وهناك عالم محروم مليء بالفيلة والخراتيت ، فمتى كان مرجٌ أخضر يبقى دون طلسم ؟!
- لقد أردت أنا نفسي أن أقول لك وأخبرك ، ألا تخاف عندما ترى ذلك الهول .
- لكنى نسيت أن أخبرك به وأعلمك ، فقد كنت مشغولًا بالشفقة عليك ، والرقعة لحالك .
- لقد رأيته شديداً الجوع والإملاق والحرمان ، فكنت أسرع حتى آتي بك نحو الدواء .
- ٢٦٢٠- وإلا لكنت قد قلت لك كل شيء عن الطلسم ، وأنه خيال ذلك الذى يظهر لك ، وليس بالجسد المحسوس .(١)

جواب الحمارة على الثعلب

- قال الحمارة : هيا ، إمض عني أيها العدو ، حتى لا أرى وجهك يا قبيح الوجه .
- وذلك الإله الذى جعلك شقيًا ، جعل وجهك القبيح كريها صفيًا
- فبأى وجهه قد جئت إليّ ؟ ، إن مثل هذا الجلد السميك لا يكون حتى للكركدن .
- ولقد سعيت في دمي عيانًا بيانا ، قائلًا لي : سوف أصحبك إلى المرج .

(١) ج/١٢-١٩٦:- ولقد نسيت أن أقص عليك أخبار هذا الشيء المهيّب الذى يخطف القلوب .

٢٦٢٥- حتى رأيت وجه عزرائيل " رأى العين " ، ثم جئت إليّ ثانية باحتيالك وتسويلاّتك .

- وبالرغم من أنني حمارٌ بل عار على الحمر ، فأنا حي وذو روح ، فمتى يخيل عليّ هذا ؟

- وما رأيته من هول لا يرحم ، إن كان طفلاً قد رآه ، لشاخ من فوره .
- وخوفاً من ذلك الهول ، ألقيت بنفسي منقلباً من فوق الجبل ، وقد سلب مني القلب ، وسلبت مني الروح .

- ذلك أن قدمي كانت قد انعقدت في تلك اللحظة من الرعب ، عندما رأيت ذلك العذاب سافر الوجه بلا حجاب .

٢٦٣٠- ولقد عاهدت الله قائلاً : يا ذا المنن ، فلتفك هذا القيد من حول قدمي .
- ولا أستمعن لوسوسة أحد من بعد هذا ، فلقد عاهدت ونذرت أيها المعين .
- ولقد فك الحق تلك اللحظة القيد عن قدمي ، من دعائي ذاك وتضرعي وإشاراتي .

- وإلا للحق بي ذلك الأسد الهصور ، وماذا كان الحمار يصبح بين مخالب الأسد؟

- ثم أرسلك ثانية أسد العرين ذاك ، إلى من مكره ، يا بئس القرين .
٢٦٣٥- وبحق ذات الله الصمد الطاهرة ، إن الحية الرقطاء أفضل من رفيق السوء .

- فإن الحية الرقطاء تسلب الروح من الملدوغ ، ورفيق السوء يأتي برفيقه نحو نار الأبد .

- ومن القرين - دون قول ودون حديث - يسرق قلب قرينه في الخفاء خصاله من خصال قرينه .

- وعندما يلقي عليك بظلمه ، يسرق منك ذلك الدنيء قيمتك وقدرك .
- وحتى إن كان عقلك قد صار حية ثملة " بقوتها " ، إعتبر رفيق السوء بمثابة الزمرد له .
- ٢٦٤٠- فإن بصيرة عقلك تنطلق خارجة منه ، وتضعك طعنته بين كفي الطاعون . (١)

جواب الثعلب على الحمار

- قال الثعلب : ليس هناك كدر في صفائنا ، لكن الأمور التي يصورها الوهم ليست بالشيء الهين .
- وكل هذا وهم منك يا ساذج القلب ، وإلا فليس عندي بشأنك غل أو غش .
- فلا تتظـر إليّ بخيالك القبيح ، فمن أى شيء أسأت الظن بالمحبين ؟
- وظن خيرا دائما في إخوان الصفاء ، حتى ولو رأيت منهم الجفاء ظاهرا
- ٢٦٤٥- فإن هذا الخيال والوهم السيء عندما بدا ، قد فرق بين مئات الآلاف من الرفاق وبين رفاقهم .
- وإذا ما قام مشفق بالجور على سبيل الامتحان ، فينبغي أن يكون هناك عقل ، حتى لا يساء الظن .
- وبخاصة أنني لم أكن سيء الجبلة ، وإن كنت قبيح الاسم ، وما رأيت ، لم يكن شرا ، كان طلسمًا .
- وحتى وإن كان ما أفكر فيه بشأنك من قبيل السوء ، فإن الرفاق يتجاوزون عن هذا الخطأ .
- فإن عالم الوهم ، وخیال الطمع والخوف ، هي سدٌ عظيم بالنسبة للسالك .

(١) ج/١٢-١٩٩: - ولا يوجد في الدنيا ما هو أسوأ من رفيق السوء ، وقد صار لي هذا في حد ذاته عين اليقين .

٢٦٥٠- وإن الصور التي يبدىها ذلك الخيال المصور ، صارت أذى وضرا لمثل
إبراهيم الخليل عليه السلام الذي كان جبلا .

- فقال إبراهيم العظيم عليه السلام : (هذا ربي) ، عندما سقط في عالم الخيال
والوهم .

- وهكذا أول ذكر إبراهيم عليه السلام للكواكب ، ذلك الشخص الذي تقب در التأويل .
- أن عالم الوهم والخيال الذي يقيم سدا أمام البصر ، اقتلع ذلك الجبل من
مكانه .

- حتى تفوه بعبارة (هذا ربي) ، فماذا يكون حال الحمار أو حال أشباهه ؟
٢٦٥٥- ولقد غرقت عقول كأنها الصم الرواسي ، في بحار الوهم ودوامة
الخيال .

- ومن هذا الطوفان اقتضاح للجبال ، فأين الأمان اللهم إلا في سفينة نوح
عليه السلام .

- ومن هذا الخيال القاطع لطريق اليقين ، إنقسم أهل الدين إلى أتباع لإثنين
وسبعين مذهباً .

- ورجل اليقين نجا من الوهم ونجا من الخيال ، ولا يقول عن شعرة من
حاجبه أنها الهلال .

- وذلك الذي لا يكون له سند من نور عمري ، تقطع الطريق عليه شعرة
ملتوية من حاجبه .

٢٦٦٠- ومئات الآلاف من السفن الضخمة المهولة ، تحولت إلى ألواح محطمة
في بحر الوهم .

- وأقلها فرعون النابغة الفيلسوف ، وقمره في برج الوهم في خسوف .

- ولا أحد يعرف من تكون المرأة البغي ، وذلك الذى يعرفها ، لا يقع في الظن والوهم .
- وما دام الوهم الذى أنت مقيم عليه يدير منك الرأس ، فلماذا تطوف حول وهم طف برأس آخر ؟
- وأنا عاجز من هذه " الأنا " (التي لي) ، فلماذا جلست أمامي وأنت ممثليء بأنيتك ؟
- ٢٦٦٥- إنني أبحث بالروح دون " أنا " ودون " محن " ، حتى أصبح كـرة لهذا الصولجان .
- وكل من صار بلا " أنا " صارت كل " الأناث " لـه ، وصار حبيبا للجميع من لم يحب نفسه .
- والمرأة الخالية من الصور ترتفع قيمتها ، ذلك أنها تكون عاكسة لكل الصور .

حكاية الشيخ محمد سررزي الغزنوي

- كان هناك زاهدٌ في غزنة عنده مزية من العلم ، كان اسمه محمد وكنيته سررزي .
- كان إفطاره في كل ليلة طرف غصن من الكرم " سر رز " ، وظل سبع سنوات ساعيا في أثر مطلب واحد .
- ٢٦٧٠- كان قد رأى كثيرا من العجائب من ملك الوجود ، لكن هدفه ومطلبه ، كان " إجتلاء " جمال " الملوك .
- فصعد إلى قمة جبل ذلك الملوك من نفسه ، وقال : فلتتجل لي ، أو لآلق بنفسي إلى الهاوية .

- فكوشف أن لم يأت أوان هذه المكرمة ، وإن سقطت ، فلن تموت ، ولن أفتلك .

- فألقى بنفسه من فرط المودة والعشق ، لكنه سقط في ماء عميق .

- وعندما لم يمت ، ناح هذا لرجل الملول من روحه على نفسه ، من الخيبة ، وفراق الموت .

٢٦٧٥- فقد كانت هذه الحياة تبدو له كالموت ، وكانت الأمور بأجمعها قد انقلبت أمام ناظريه .

- لقد كان يستجدي الموت من الغيب ، وكان يصيح : " إن في موتي حياتي " .

- كان مستقبلا للموت وكأنه الحياة ، وكان مصمما على هلاك روحه .

- كان السيف والخنجر ريحانة له ، وكأنه على المرتضى ، والنرجس والنسرین أعداء روحه .

- فهتف به الهاتف قائلا : إمض من الخلاء إلى المدينة ، كان هاتفنا عظيما مما وراء السر والجهر .

٢٦٨٠- فقال له : يا عالما بسرى شعرة بشعرة ، ماذا على أن أفعل في المدينة ؟ قل لي .

- قال : إن ما ستفعله ، أن تجعل من نفسك فترة " كعباس الدبس " من أجل إذلال النفس .

- فداوم على تكدي المال فترة من الأغنياء ، لكن داوم أيضا على توصيله إلى الفقراء .

- هذه هي خدمتك التي تقوم بها لفترة من الزمن . فقال : السمع والطاعة ، يا ملاذ الروح .

- وكان هناك سؤال وجواب وحوار طويل ، بين الزاهد وبين رب الورى .
- ٢٦٨٥- بحيث امتلأت السماء والأرض بالنور ، وكل هذا مذكور في المقالات .
- لكنني اختصرت ذلك المقال ، حتى لا يحتسى كل خسيس الأسرار .

مجيء الشيخ بعد عدة سنوات من الفلاء إلى مدينة غزنة ، وطوافه بالزنبيل
"متكديا" طبقاً للأوامر الغيبية ، وقيامه بتوزيع كل ما يجمعه على الفقراء
كل من كان لروحه عز لبيك * تتوالى عليه الرسائل واحدة بعد الأخرى ورسول
بعد رسول كما تكون كوة الدار مفتوحة ، لا ينقطع عنها نور الشمس أو ضياء

القمر أو المطر أو الرسائل وما إليها

- اتجه إلى المدينة ذلك المطيع للأمر ، فنورت مدينة غزنة بوجهه .
- وذهب جمع غفير لاستقباله فرحاً به ، لكنه تسلل سريعاً من طريق غير مطروق .
- ونهض كل الأعيان والعظماء ، وزينوا قصورهم من أجله .
- ٢٦٩٠- فقال : إنني لم آت من أجل إظهار النفس ، لم آت إلى هنا إلا من أجل الذل والتكدي .
- ولست عازماً على إلقاء المواعظ والدروس ، لكنى عازمٌ على الطواف من باب إلى باب ، والزنبيل في يدي .
- إنني عبد للأمر ، وهذا أمر الله ، أن أكون متسولاً ، فلأكن إذن متسولاً .
- وعلى أيضاً ألا تلفظ أثناء التسول بلفظ نادر ، وألا أسلك إلا طرق الشحاذين الأخساء .
- حتى أصبح غريقاً تماماً في المذلة ، وحتى أسمع الشتائم من خاصة الناس وعامتهم .

٢٦٩٥- إن أمر الحق روح ، وأنا تبع له ، لقد أمر بالطمع ، وذل من طمع - وما دام سلطان الدين يريد مني الطمع ، فليكن التراب إذن على مفرق القناعة - إنه يريد الذل ، فمتى أطوف حول العز ؟ وهو يريد الكدية ، فكيف أقوم بالإمارة .

- ومن الآن فصاعدا ، ليكن التكدي والذل لروحي ، وليكن هناك عشرون " من أمثال " عباس في خرجي .

- وأخذ الشيخ يطوف والزنبيل في يده صائحا : شيئا لله يا سيدي ، وفقك الله .

٢٧٠٠- إن أسرارہ أعلى من الكرسي والعرش ، وعمله هو التسول قائلا : شيئا لله ، شيئا لله .

- وهذا هو نفسه عمل الأنبياء ، إنهم يتكدون من الخلق المفلسين .

- إنهم يصيحون : أقرضوا الله ، أقرضوا الله ، إنهم يتحدثون على العكس ويقولون : أنصروا الله .

- وهذا الشيخ يتضرع من باب إلى باب ويلح ، وفوق الفلك ، هناك مائة باب مفتوحة أمامه .

- فإن تلك الكدية التي كان يقوم بها بجد ، كانت في سبيل الله ، ولم تكن من أجل الحلق .

٢٧٠٥- وحتى إن كان يقوم بها من أجل الحلق ، فإن ذلك الحلق كان ساميا من نور الله .

- فإن أكل الخبز وشرب اللبن من جانبه ، أفضل من أربعينية أو طي لثلاثة أيام من مائة فقير .

- إنه يحتسي النور ، فلا تقل أنه يأكل الخبز ، إنه يزرع الشقائق ، وإن كان يأكلها ظاهرا .

- إنه كاللهب الذي يشرب الزيت من الشمع ، ويزداد النور من أكله إياه ، بين الجمع .

- ولقد قال الله بشأن أكل الخبز « لا تسرفوا » ، لكنه لم يقل بشأن أكل النور : اكتفوا .

٢٧١٠- إن ذلك الحلقوم من أجل الإبتلاء ، وهذا الحلقوم فارغ من الإسراف وآمن من الغلو .

- كان أمرا ، لم يكن حرصا وطمعا ، فمثل تلك الروح ، لا تكون للحرص تبعا .

- فإن قالت كيمياء " التبديل " للنحاس : إعطني نفسك ، لا يكون طمعا ، بل علو همة .(١)

- كان قد عرض كنوز الأرض أمام شيخ الحق حتى الطباق السابع .
- فقال الشيخ : أيها الخالق ، إنني عاشق ، وإذا بحثت عن سواك ، أكون فاسقا
٢٧١٥- وإذا وضعت الجنان الثمانية في الحسبان ، أو قمت بالخدمة والطاعة خوفا من سقر ؛

- أكون مؤمنا باحثا عن السلامة ، وهاتان كلتاهما من حظ البدن .
- والعاشق الذي أكل قوته من عشق الله ، لا يساوى مائة بدن عنده خردلة .(٢)

(١) ج/ ١٢-٢١١:- إن ذلك التكدى الذى كان يقوم به بجد ، كان من آثار حكمته هو .

(٢) حرفيا : توتة فجة .

- وهذا البدن الذى كان لذلك الشيخ الفطن ، كان قد صار شيئاً آخر فلا تسمه بدننا .

- فهل ثم عاشق لله و " طمع في الأجر " ؟ وهل يتفق أن يكون جبريل مؤتمنا ثم يكون لصاً ؟

٢٧٢٠- إن العالم في نظر عاشق ليلى ذلك المضطرب الحزين ، لا يساوى شروى نقيير . (١)

- لقد تساوى عنده التراب والذهب ، وماذا يكون الذهب عندما لا يكون للروح نفسها خطر ؟

- ولقد فهمه الأسد والذئب والوحش ، فتحلقوا جميعاً حوله ، كالأهل والأقارب .
- ذلك أنه قد صار بريئاً تماماً من طبع الحيوان ، إمتلأ بالعشق وصار لحمه وشحمه مسممين .

- وإن ما يصبه العقل من سكر يكون سما بالنسبة للحيوان ، ذلك أن الطيب تماماً يكون ضد الشرير .

٢٧٢٥- ولا يجرؤ الوحش على التهام لحم العاشق ، فإن العشق معروف لدى الصالح والطالح .

- وإن أكله الحيوان على سبيل الفرض ، يكون لحم العاشق سما بالنسبة له ويقتله .

- فكل ما هو سوى العشق صار مأكولاً للعشق ، والعالمان كحبة واحدة أمام " منقار " طائر العشق .

- فهل أكلت حبة طائراً قط ؟ ، وهل رعى مزوداً جوداً قط ؟

- فقم بالعبودية عليك تصبح عاشقاً ، فالعبودية كسب ، يتأتى من العمل

(١) حرفياً : ورقة كراث .

٢٧٣٠- والعبد يطمع في الحرية " إن سمح " إقباله ، لكن العاشق لا يريد الحرية إلى الأبد .

- والعبد دائما ما هو طالب للخلة والأجر ، وخلة العاشق دائما هي رؤية الحبيب .

- والعشق لا يستوعبه مقال أو بيان ، فالعشق بحرٌ لا يبدو له قرار .
- ولا يمكن عد قطرات البحر وحصرها ، والبحار السبعة صغيرة أمام هذا البحر .

- وهذا الكلام لا نهاية له يا فلان ، فعد بنا إلى قصة شيخ الزمان

في معنى [لولا كما خلقت الأفلاك]

٢٧٣٥- صار شيخ كهذا متسولا من حي إلى حي ، فقد جاء العشق وهو لا يبالي ، فاتقوه .

- إنه يجعل البحر يغلي وكأنه القدر ، كما أنه يبرى الجبل ، فكأنه الرمل .
- والعشق يصيب الأفلاك بمائة شق ، والعشق يزلزل الأرض زلزالا ولا يأبه بها .

- لقد كان عشق الطاهر قرينا لمحمد ﷺ ، ومن أجل هذا العشق ، قال له الله : لولاك .

- ولما كان في العشق فردا ، فقد خصه ﷺ من بين كل الأنبياء .
٢٧٤٠- فلو لم يكن من أجل العشق الطاهر ، متى كنت أخلق الأفلاك ؟
- ولقد رفعت الفلك السنّي ، ذلك لكي تفهم علو العشق .
- وهناك منافع أخرى تتأتى من الفلك ، تابعة له ، كما تتبع البيضة الفرخ .
- ولقد جعلت التراب بأجمعه ذليلا ، حتى تفهم شيئا ما من ذل العاشقين .
- وأعطيت التراب أيضا الخضرة والنضرة ، حتى تصبح عارفا بتبديل الفقير .

- ٢٧٤٥- وتحدثك أيضا تلك الجبال الراسيات ، عن أحوال العشاق في ثباتهم .
- وبالرغم من أن كل هذه صور وذاك معنى يا بني ، إلا أنها هكذا من أجل أن تكون أقرب إلى فهمك .
- ولقد شبهوا الأحزان بالأشواك ، وهي ليست على شكلها ، لكنه تنبيه إلى المعنى .
- وذلك القلب القاسي الذي سموه حجرا ، لم يجدوا الوصف مناسباً ، فضربوا لك مثلاً .
- وإن لم يتصور عين الشيء المراد ، يكون العيب منصبا على الصورة ، لكن إياك أن تنفيها .

ذهب ذلك الشيخ كل يوم أربع مرات إلى منزل أحد الأمراء متكدياً

بزنبيله إطاعة لإشارة الغيب ، ولوم الأمير له على هذه الوقاحة

واعذاره للأمير

٢٧٥٠- ذهب الشيخ ذات يوم أربع مرات إلى قصر أحد الأمراء ، يتكدى وكأنه " المتسول " الفقير .

- الزنبيل في يده وهو يصيح : شيئاً لله ، إن خالق الروح يطلب لقمة من الخبز .
- إنها أفعال تجري عكس ما ينبغي يا بني ، تجعل العقل الكلى بدوره دائر الرأس .
- وعندما رآه الأمير قال له : أيها الوقح ، سوف أقول لك شيئاً ولا تسمني شحيحاً . (١)

- ما هذا الجلد السميك وهذا الوجه الصفيق وهذا الفعل السوء بحيث تأتي في اليوم الواحد أربع مرات ؟

(١) ج/١٢-٣٠٠ : - أيها الخسيس معدوم الحياء حتام هذا الإلحاف في الطلب ، وإلام تتحنى هكذا من أجل الرزق ؟

٢٧٥٥- وما هذا أيها الشيخ الذي تعلقت به وارتبطت ؟ إنني لم أر شحاذا فحلا
مثلك ؟

- لقد قضيت على حرمة الشحاذين وأرقت ماء وجوههم ، فما هذا التسول القبيح
كتسول عباس " الدبس " الذي قمت به ؟

- إن عباس الدبس تابع من أتباعك ، فلا كان لملحد قط هذا النفس النحس .
قال الشيخ: أيها الأمير، إنني عبد للأمر فاصمت، لست عارفا بنارى فكفاك
غلياناً.

- فلو أنني رأيت في نفسي حرصاً على الخبز، لمزقت هذا البطن الذي يطالب
بالخبز .

٢٧٦٠- ولسبع سنوات من حرقه العشق التي تشوى الجسد ، قد أكلت في
الخلاء أوراق الكرم .

- وكان من أكلى للأوراق الخضراء واليابسة ، أن أخضر لون جسدى هذا .
- وما دمت أنت موجودا في حجاب أبي البشر ، فقلل النظر باستهانة إلى
العاشقين .

- والأذكىاء الذين دققوا كثيراً في الأمور ، قد أدركوا علم الهيئـة
بأرواحهم .

- وعلم النيرنجات والسحر والفلسفة ، بالرغم من أنهم لا يعرفونها حق
المعرفة .

٢٧٦٥- إلا أنهم جاهدوا بقدر إمكانهم ، حتى بزوا فيها كل أقرانهم .
- لكن العشق أحس بالغيرة ، وأخفى نفسه عنهم ، وغابت عنهم مثل تلك
الشمس .

- ونور العين الذى رأى النجم في وضوح النهار ، كيف أخفت شمس نفسها عنه ؟

- دعك من هذا ، واقبل مني هذه النصيحة : أنظر إلى العاشقين بعين العشق
- والوقت ضيق ، والروح في مراقبة ، ولا يمكنني أن أثبت عذري لك الآن .
٢٧٧٠- فافهم ، ولا تكن موقوفا على ذلك القول ، وقلل من خمش صدور العاشقين .

- فليس الأمر كما ظننت ، من جراء هذا الإندفاع ، فلا تفرط في الحزم ، وداوم على الاحتياط .
- فهناك واجب وجائز ومستحيل ، فتوخ الوسط من بينها ، عند الحزم أيها الدخيل .

**بكاء الأمير من نصيحة الشيخ ، وانعكاسا لصدقه ، وإيثاره إياه بخزانته
جزاء هذه الوقاحة ، واستعصام الشيخ ، وعدم قبوله إياها ، وقوله :
لأستطيعم أن أنصرف دون أمر**

- قال هذا وانفجر في البكاء والعويل ، وسال الدمع على خديه ، موضعا بموضع .

- فآثر صدقه في ضمير الأمير ، والعشق يطبخ قدرا طريفة في كل لحظة .

٢٧٧٥- إن صدق العاشق يؤثر على الجماد ، فأى عجب أن يؤثر في قلب العالم ؟

- لقد أثر صدق موسى ﷺ على العصا وعلى الجبل ، بل أثر على البحر الخضم المهيب .

- وصدق أحمدؑ أثر على جمال القمر ، بل إنه قطع الطريق على الشمس الساطعة بالضياء .

- كانا كل منهما في مواجهة الآخر ، وكلاهما في صياح وعويل ، سواءً الأمير والفقير .

- وعندما بكيّا فترة طويلة ، قال له الأمير : إنهض أيها المكرم العزيز !!

٢٧٨٠- اختر ما تشاء من الخزائنة ، وإن تستحق مائة ضعفها .

- إن الدار دارك ، فخذ ما تريد وتختار ، فالعالمان شيء قليل " بالنسبة لقدرك " .

- قال : لا إذن لي بمثل هذا ، وأن أكون أخذاً لشيء بيدي مختاراً إياه .

- ولا أستطيع أن أقوم من تلقاء نفسي بهذا الفضول ، وأن أتدخل بنفسي " أدنى " تدخل .

- وهكذا تعلل ، وأغلق مجال الحديث ، فهل كان ما يمنعه أن العطاء لم يكن صادقاً ؟

٢٧٨٥- لا ، بل كان صادقاً خالياً من الغل والانفعال ، لكن كل صدق لم يكن يبدو للشيخ مقبولا .

- فقال : هكذا أمرني الله قائلًا لي : إمض ، وتسول الخبز كما يفعل الشحاذون . (١)

(١) ج/١٢-٣١٠:- لقد طلبنا من هذا الباب بتسول ، وإلا فإننا لا نهتم بما فيه من أموال .

- وصول الأمر إلى الشيخ من الغيب قائلا له : لقد أخذت طوال العامين الماضيين وأعطيت ، ومن الآن إعط ولا تأخذ ، داوم على وضع يدك تحت الحصير ، فقد جعلناه كهميان أبي هريرة من أجلك ، فإنك تجد تحتها ما تريد ، حتى يؤمن الناس أن وراء هذا العالم عالما تمسك فيه التراب بيدك فيصير ذهباً ويدخل إليه الميت فيصير حياً ، كما يدخل إليه النحاس الأكبر فيصير سعدا ، ويأتي إليه السم فيصير ترياقا ، وهو ليس داخل هذا العالم ولا خارجه ، ولا تحته ولا فوقه ، ولا متصل به ولا منفصل عنه ، فهو بلا كيف أو كيفية ، وكل لحظة تأتي منه آلاف الآثار والنماذج كصناعة اليد مع صورة اليد ، وغمزة العين مع صورة العين ، وفصاحة اللسان مع صورة اللسان ، لا هي داخله فيه ولا خارجه عنه ، ولا متصلة به ، ولا منفصلة عنه . واللبيب تكفيه الإشارة**
- لقد قام هذا الرجل الجدير بهذا الأمر لمدة عامين بما أمر به ، ثم أتاه أمر آخر من الخالق ؛
- بعد الآن ، داوم على العطاء ، لكن لا تطلب شيئا من أحد ، لقد أعطيناك من الغيب هذه القدرة .
- وكل ما يطلبه أحد منك ، قليلا أو كثيرا (١) ، ضع يدك تحت الحصير وأخرجه .
- ٢٧٩٠- هيا ، داوم على العطاء من كنز الرحمة بلا مرء ، فإن التراب يتحول في كفك إلى ذهب ، فأعط .
- أعط كلما يطلب منك ، ولا تفكر فيه ، واعلم أن عطاء الله في ازدياد .
- وفي عطائنا لا تخسير ولا نقص ، ولا ندم ولا حسرة ، من هذا الكرم .
- ضع يدك تحت الحصير أيها السند ، وذلك من أن يكون في الأمر حجاب ودريئة لعين السوء .

(١) حرفيا : من واحد إلى ألف .

- ثم املاً قبضتك مما هو موجود تحت الحصير ، وضعه في يد السائل كسير الظاهر .

٢٧٩٥- من بعد "التكدي" أعط من الأجر الذي لآمنة فيه ، إعط لكل من يريد الجوهر المكنون .

- إمض ، وكن مصداقاً لـ « يد الله فوق أيديهم » ، ووزع الرزق كيفما أتفق ، كيد الحق .

- وخلص المدينين من ديونهم ، واجعل بساط الدنيا أخضر نضراً كأنك المطر .

- وظل الشيخ عاماً "آخر" وهو يقوم بهذا العمل ، كان يهب الذهب من كيس رب الدين .

- كان التراب الأسود يصير ذهباً في كفه ، وكان حاتم الطائي شحاذاً في صفه .

معرفة الشيخ ضمير السائل دون أن يتحدث ، ومعرفته مقدار دين

المدينين دون حديث منهم ، وهذا دلالة على مصداق [أخرج بصفاتي

إلى خلقى]

٢٨٠٠- وذلك الفقير ، وإن لم يكن يذكر حاجته ، كان يعطيه إياها ، وكان يعرف ما في ضميره .

- وما كان في قلب ذلك الكسير الظاهر ، كان يعطيه مقداره ، دون زيادة أو نقصان .

- ثم قيل له : أى علم لك يا عماء بذلك القدر الذى يفكر فيه ؟

- فكان يقول : إن منزل القلب خلوة ، وهو خال من الكدية ، وكأنه الجنة .

- وليس فيه من عمل إلا عشق الله ، وما فيه من ديار إلا خيال الوصال .
٢٨٠٥- لقد كنست منزل "القلب" مما فيه من خير وشر ، فأصبح منزل "
قلبي " مليئاً بعشق الأحـد.

- وكل ما أراه فيه غير الله ، لا يكون ملكا لي، بل انعكاس لضمير السائل
- فإذا ظهر في الماء صورة عرجون أو نخلة ، فإنه لا يكون إلا انعكاسا لنخلة
خارج الماء .

- وإن رأيت صورة في قاع النهر ، فإن تلك الصورة تكون انعكاسا لشيء
موجود في الخارج أيها الفتى .

- لكن هذا الأمر يحدث عندما ينقى الماء من القذى ، فالتقية في نهر البدن شرط
لهذا الأمر .

٢٨١٠- حتى لا يبقى فيه كدر أو غثاء ، حتى يصبح أميناً يعكس صور
الوجوه .

- وليس في بدنك إلا ماء مكر بالطين أيها المقل ، فصف الماء من الطين يا
خصم القلب .

- وإنك مستمر في كل لحظة من الأكل والنوم، في طمس هذا البئر بالتراب أكثر.

سبب معرفة ضمائر الخلق

- وعندما يكون قلب ذلك الماء خالياً من هذه الأشياء ، تنعكس فيه صور
الوجود من خارجه .

- وإلا فإن لك باطنا لم يُصف بعد ، والمنزل مليء بالشياطين والقردة
والوحوش .

٢٨١٥- أيها الحمار الذي بقي في حماريته من العناد ، متى تعرف شيئا عن
الأرواح التي تشبه روح المسيح

- وأى علم لك إن أطل خيال ، من أى مكمـن يطل ؟
- إن الجسد ليصير خيالا من الزهد ، حتى " يتاح له " كنس الخيالات من الباطن . (١)

غلبة مكر الثعلب على استعصام الحمار

- لقد جاهد الحمار كثيرا ودفعه بالقول ، لكن الجوع الشديد كان ملازما للحمار .
- وغلبه حرصه ، وكان احتمالـه ضعيفا ، وما أكثر الحلوـق التي ذبحها عشق الرغيف .
- ٢٨٢٠- وقد ورد عن الرسول ﷺ الذي تيسرت له كل الحقائق " قوله " [كاد الفقر أن يكون كفرا] .
- كان ذلك الحمار قد صار رهين الجوع ، فقال في نفسه : إن كان في الأمر مكر ، فهي ميتة واحدة .
- فأنجو أيضا من عذاب الجوع هذا ، وإن كانت هذه هي الحياة فالموت أفضل لي .
- وإذا كان الحمار قد تاب في البداية وأقسم ، فقد تخطط في النهاية من حماريته .
- والحرص يجعل المرء أعمى وأحمق وجاهلا ، ويجعل الموت سهلا على الحمقى .
- ٢٨٢٥- والموت ليس بالأمر السهل على أرواح الحمير ، فليس لديهم ماء الروح الخالدة .

(١) ج/ ١٢ - ٣١٨ :- فاكـنس هذا الخيال الضال من الباطن ، حتى لا يجعلنك من أهل الظاهر .

- ولأنه لا يملك روحا خالدة فهو شقي ، وجرأته على الأجل من جراء حمقه .

- فجاهد حتى تكون لك روح خالدة ، حتى يكون لك زادٌ يوم الموت .

- ولم يكن اعتماده على الرزاق ، وأنه ينثر الجود عليه من الغيب .

- لم يكن الفضل حتى الآن قد حرمه يوما من الرزق ، بالرغم من أنه كان يسلط عليه الجوع بين الآن والآخر .

٢٨٣٠- وإن لم يكن ألم الجوع فهناك مائة ألم آخر ، يحقق بك من جراء التخمة .

- وألم الجوع أفضل من كل تلك العلل ، سواءً في لطف " حديثه " أو في خفته أو " من أجل " العمل .

- وألم الجوع أكثر طهرا ولطفا من كل الآلام ، خاصة وفي الجوع مائة نفع وفضل .

في بيان فضيلة الحمية والجوع

- إن الجوع في حد ذاته هو سلطان الأدوية ، فاستمسك به بروحك ، ولا تستهن به . (١)

- وكل المرضى قد شفوا بالجوع ، وكل المتع مردودة ، إن لم يجرب الجوع .

مثـل

٢٨٣٥- كان أحدهم يأكل خبز الشعير ، فسأله أحدهم : كيف تأكل هذا الخبز بهذا الشره ؟

(١) ج/١٢-٣٢٣:- والجوع يكون نورا للعين عند الإبصار ، ويكون قابلية في النظر والفكر .

- فقال : عندما يكون الجوع قد أصبح ضعف الصبر ، يصبح خبز الشعير أمامي كالحلوى .

- ومن ثم أستطيع أن ألتهم كل شيء وكأنه الحلوى ، عندما أصبر ، وأنا بلا شك صبور .

- والجوع بالنسبة لكل شخص ليس من عدم الحيلة أو اضطرارا ، فإن مواضع الطعام تفوق الحد والحصر .

- ولقد وهب الله سبحانه وتعالى الجوع للخاصة ، حتى يصبحوا من الجوع أسودا قوية .

٢٨٤٠- ومتى يعطي الجوع لكل جلف شحاذ ، ما دام الطعام ليس قليلا فإنه يضعه أمام المرء ؛

- قائلا له : هيا كله ، فأنت تستحقه ، إنك طائر خبز ولست بطائر ماء (١).

حكاية المريد الذي وقف الشيخ على حرصه وضميره فنصحه باللسان ،

وفي خلال النصيحة وهبه قوة التوكل بأمر الحق

- أخذ الشيخ يمضي مع أحد مريديه دون تلوؤ ، نحو مدينة كان الخبز فيها شحيحا .

- كان الخوف من الجوع والقحط مسيطرا على فكر المريد ، ومن غفلته ، كان هذا الخوف يبدو عليه في كل لحظة .

- وكان الشيخ عارفا وواقفا على الضمير ، فقال : حتام وأنت في قلق وخوف ؟

(١) ج/١٢-٣٢٤:- لا يوجد في رأسك إلا التفكير في الخبز ، ولا يأتي إلى خاطرك إلا ذكره . - فماذا يكون محصولك بعد عدد من السنين ؟ إن الموت جوعا أفضل لك من هذه الحياة .

٢٨٤٥- لقد احترقت من أجل هم الخبز ، وخطت عين التوكل والصبر .

- وأنت لست من أولئك المدللين الأعزاء ، بحيث تحفظ عندهم دون جوز أوزيب .

- فالجوع هو رزق أرواح خواص الله ، فمتى يكون نصيبا لمسكين مثلك وشحاذ ملحاح ؟

- فكم مطمئنا ، فأنت لست منهم ، وأنت في هذا المطبخ لست " محروما " من الخبز .

- إن الطبق فوق الطبق والخبز فوق الخبز على الدوام ، من أجل هؤلاء الشرهين العوام .

٢٨٥٠- وعندما يموت يتقدم الخبز قائلا : يا من قتلت نفسك خوفا من الحرمان ؛

- لقد مضيت ، وبقي الخبز : من بعدك " فانهض وخذ هذه ، يا من قتلت نفسك خوفا وهلعا . (١)

- هيا وتوكل ، ولا تصب اليد والقدم بالرعدة والرعشة ، إن رزقك أكثر عشقا لك منك له .

- إنه عاشق ، لكنه يتلأأ عليك ، لأنه يعلم إنعدام صبرك أيها الفضولي - ولو كان عندك صبر لأتاك الرزق ، ولألقى بنفسه عليك ، كما يفعل العشاق .

٢٨٥٥- فما هذه الحمى ذات الرعشة خوفا من الجوع ؟ مادام العيش ممكنا بشبع في التوكل .

(١) ج/ ١٢ - ٣٢٦- وعلى كل لقمة مكتوب بوضوح ، أنها لفلان بن فلان بن فلان .

حكاية تلك البقرة التي كانت وحيدة في جزيرة كبيرة ، والحق تعالى
يملاً تلك الجزيرة بالأعشاب والرياحين وهي علف البقرة ، وحتى دخول الليل
كانت البقرة تأكل وتسمن كأنها قطعة من الجبل ، وعندما يجن الليل
لا تنام من القلق والخوف محدثة نفسها قائلة : لقد أكلت كل المرعى
فماذا أرى غدا ؟ حتى تصاب بالنحول من هذا القلق كأنها عود الخلال ،
وتنهض صباحا فتري المرعى أكثر نظرة وأكثر خصبا مما كان عليه
بالأمس ، فتدعى ثانية وتسمن ، ثم يحل بها نفس الغم ليلا ،
ولسنوات وهي ترى نفس ما تراه ولا تطمئن

- هناك جزيرة خضراء في الدنيا ، فيها بقرة وحيدة حسنة
القم .
- وهي تقوم برعى كل المرعى حتى الليل ، حتى تصبح سمينة ضخمة
فخمة .
- وفي الليل من كثرة تفكيرها فيما سوف تأكله في الغد ، تصير نحيلة كالشجرة
من الغم .
- وعندما يسفر الصباح ، يصير الوادى شديد الخضرة ، ويصل القصير
الأخضر والعشب حتى وسطها .
- ٢٨٦٠- فتتهال البقرة عليه من شدة جوعها ، وتظل قائمة بالرعى حتى
يأتي الليل .
- فتصبح مرة ثانية سمينة ممثلة ضخمة ، ويمتلئ جسدها شحما
وقسوة .
- وفي الليل تصاب مرة ثانية بالحمى من الفرع ، حتى تصير نحيلة من الخوف
الذى يلم بها .

- وتتساءل : ماذا آكل في الغد عندما يحين أوان الطعام ؟ وهذا هو
ديدن تلك البقرة لسنوات .

- إنها لا تفكر أبدا ولا تقول لنفسها : إنني أرعى لسنوات من هذا المرعى
وهذه الروضة .

٢٨٦٥- ولم ينقص رزقي منها ذات يوم قط ، فما هذا الخوف والحزن والقلق
الذي لدى ؟!

- لكنها عندما يحل الليل ، فإن تلك البقرة الضخمة لا تفتأ تنن وتتوجع قائلة :
لقد انقطع الرزق .

- إن النفس هي تلك البقرة ، وذلك الوادى الأخضر هو الدنيا ، فهي لا
تزال تصاب بالنحول خوفا على الخبز .

- قائلة : عجبا !! ماذا سآكل في المستقبل ، ومن أين أطلب الدسم في الغد ؟
- لقد أكلت لسنوات ، ولم ينقص الطعام ، ودعك من التفكير في الغد ،
وانظري إلى الماضي .

٢٨٧٠- وتذكرى ما قد أكلت من لحم وشحم ، ولا تفكرى في المستقبل
البعيد ، وكفاك نواحا . (١)

(١) ج/١٢-٣٢٨:- فلتلق بقصة هذه البقرة جانبا ، وأرسل رسالة إلى ذلك الحمار وذلك الأسد
الفحل .

صيد الأسد لذلك الحمار ، وظميئ الأسد بعد افتراسه للحمه ، فذهب ليشرب من عين ماء
وحتى عودته كان الثعلب قد أكل القلب والكبد والكلى وهي ألد ما فيه ، فطلبها الأسد
ولم يجدها ، وسأل الثعلب : أين القلب والكبد ؟ فقال الثعلب : لو كان له قلب أو كبد
ثم رأى ذلك الرعب في ذلك اليوم ونجا بنفسه بألف حيلة ، فمتى كان سيعود
إليك؟ (لو كنا نسمم أو نعقل ، ما كنا في أصحاب السعير)

- لقد اصطحب الثعلب الحمار حتى الأسد ، ، فمزقه إربا ذلك
الأسد الهصور .

- وظميء من لحمه ملك الوحوش ، فذهب صوب النبع ليشرب الماء .
- فأكل الثعلب كبده وقلبه في تلك اللحظة ، عندما سنحت له
الفرصة .

- وعندما عاد الأسد من النبع إلى الطعام ، بحث في " جثة " الحمار
عن القلب ، فلم يجد لا قلبا ولا كيدا .

٢٨٧٥- فقال للثعلب : أين الكبد ؟ وماذا حدث للقلب ؟ فلا بد لكل حي من
وجود هذين !!

- فأجاب : متى كان سيعود إلى هنا ، إن كان له قلب أو كبد ؟
- كان قد رأى تلك القيامة والحشر ، وسقوطه من الجبل والهول والفرار ،
- فلو كان له كبد أو كان له قلب ، متى كان سيعود إليك ثانية ؟
- وعندما لا يكون نور في القلب ، لا يكون قلبا ، وعندما لا تكون روح ، ليس ثم
إلا طين .

٢٨٨٠- وتلك الزجاجاة التي لا تحتوى على نور الروح ، هي قارورة
بول ، لا تسمها قنديلا .

- ونور المصباح عطية من ذى الجلال ، وذلك الزجاج والخزف هو
صناعة الخلق .

- فلا جرم أن يكون التعدد موجودا في الآنيّة ، ولا يكون في اللهب والنور إلا الوحدة .

- ذلك أنه عندما تمتزج أنوار قناديل ستّة ، لا يكون في أنوارها عد أو حصر .

- لقد أشرك ذلك اليهودى لأنه " وقف " على الآنيّة ، لكن ذلك المؤمن رأى النور وأدركه .(١)

٢٨٨٥- وعندما يقع بصر الروح على الوعاء ، تراهما إثنين شيث ونوح عليهما السلام .

- والجدول الحقيقي هو الذى يحتوى على ماء ، والإنسان هو الذى يكون ذا روح .

-أما هؤلاء " الذين تراهم " فليسوا برجال ، إنهم صور ، فهم موتى الخبز وقتلى الشهوة .

حكاية ذلك الراهب الذى كان يطوف نهارا بمصباح وسط السوق

مما كان يعانيه من حال

- كان أحدهم يطوف بالسوق نهارا وهو يحمل مصباحا ، وقلبه مليء بالعشق والحرقّة .

- فقال له فضولي : هيا ، قل لي ، عم تبحث وتمضي صوب كل حانوت ؟

٢٨٩٠- هيا ، قل ، عم تطوف باحثا بالمصباح في رابعة النهار المضىء ، فأى بحث هذا ؟

(١) ج/١٢ - ٣٣٠: وعندما ينظر المرء إلى الروح ، يجدهما واحدا ، المصطفى والخليل عليهما السلام .

- قال : إنني أبحث في كل صوب عن إنسان ، يكون حيا بحياة تلك النفخة " الإلهية " (١)

- فهل ثم رجل ؟ فأجاب : هذا السوق مليء بالرجال آخرا أيها الرجل الحر
- قال : أريد رجلا على الجادة في طريقين ، إن وجد في طريق الغضب ، وإن وجد في طريق الشره والشهوة .

- فأين رجل عند الغضب وعند الشهوة ، إنني أسرع من حي إلى حي طالبا لرجل !!

٢٨٩٥- فأين رجل واحد في الدنيا إن وجد في هاتين الحالتين ، حتى أفديته بروحي اليوم .

- قال : إنك تبحث عن شيء نادر ، لكنك غافل عن الحكم والقضاء ، فانتبه .

- وأنت ناظر " إلى الفرع غافل " عن الأصل ، ونحن فروع ، والأصل هو أحكام القدر .

- والقضاء يجعل الفلك الدوار ضالا ، والقضاء يجعل من مائة عطارد بلهاء .

- ويجعل دنيا من الحيل شديدة الضيق ، ويجعل الحديد والصخر ماء .

٢٩٠٠- فيا من رسمت " وخططت " للطريق خطوة بخطوة ، إنك ساذج سذاجة شديدة .

- فما دمت قد رأيت دوران حجر الطاحون ، أنظر آخرا إلى ماء الجدول وتعال .

(١) ج/١٢*٣٣٣:- قال : لقد صرت باحثا عن إنسان ، ولا أجد إنسانا على الإطلاق ، وصرت حائرا .

- ورأيت التراب قد ارتفع في الهواء ، فانظر إلى الريح من بين التراب .
- وإنك لترى قدور الفكر وهي آخذة في الغليان ، فانظر أيضا إلى النار بوعي ويقظة .
- وقد قال الحق لأيوب عليه السلام " وهو يحدثه " عن مكرماته له : لقد أعطيتك صبورا بكل شعرة فيك .
- ٢٩٠٥- فانتبه ولا تنظر إلى صبرك هذا كثيرا ، لقد رأيت الصبر ، فانظر إلى عطاء الصبر .
- وحتام تنظر إلى دوران الساقية ، أطل برأسك ، وانظر أيضا إلى الماء المندفع .
- وأنت لا تفتأ تقول : إنني أراه ، لكن رؤيته ذات علامات وأمارات واضحة .
- ولما كنت قد رأيت شيئا من دوران الزبد ، فإن كنت تريد الحيرة ، فأمعن النظر في البحر .
- فذلك الذي رأى الزبد ، يكون متحدثا بالأسرار ، وذلك الذي رأى البحر ، يكون حائرا .
- ٢٩١٠- وذلك الذي رأى الزبد ينتوى النوايا ، وذلك الذي رأى البحر خاطر وتهور وأقدم .
- وذلك الذي رأى الزبد يكون مشغولا بالعدد ، وذلك الذي رأى البحر ، صار بلا اختيار .
- وذلك الذي رأى الزبد ، يكون في دوار وطواف ، وذلك الذي رأى البحر ، يكون صافيا لا كدرفيه . (١)

(١) ج/١٢-٣٣٤:- وذلك الذي رأى الزبد جعله عاطلا ، وذلك الذي رأى البحر حمله إلى المشقة .-
وذلك الذي رأى الزبد صار ثملا به ، وذلك الذي رأى البحر غرق في ذاته هو .- وذلك الذي رأى الزبد أخذ=

دعوة المسلم للمجوسي

- قال أحدهم لمجوسي : هيا يا فلان ، أدخل في دين الإسلام ، وكن من المؤمنين .

- قال : إن شاء الله أصير مؤمنا ، وإن زادني من فضله ، أكون أيضا موقنا .

٢٩١٥- فقال له : إن الله يريد إيمانك ، حتى يخلص روحك من بين براثن الجحيم .

- لكن النفس الشؤم وذلك الشيطان القبيح ، يجرائك نحو الكفران ونحو معبد النيران .

- فقال له : أيها المنصف : إذا كان هذان غالبين ، فلاكن رفيقا لمن يكون قويا .

- إنني أستطيع أن أكون رفيقا لذلك الذي يكون غالبا ، وأنضم إلى ناحيته فالغالب جاذب .

- فإذا كان الله يريد مني الصدق القوى العظيم ، فأى نفع لإرادته هذه إن لم تتقدم وتغلب ؟

٢٩٢٠- والنفس والشيطان قد أرادا ونفذا ، أما تلك العناية فقد هزمت وتحطمت ، وصارت بددا .

- و"هب" أنك قد بنيت قصرا شامخا ، وقمت بتزيينه بمئات الصور الجميلة .

- وقد أردت أن يكون ذلك المكان مسجدا للخير ، فجاء آخر وجعل منه ديرا

=في الحديث ، وذلك الذي رأى البحر ، فرغ من "أنا" و"نحن" .- وذلك الذي رأى الزبد صار مصفى " من الكدر" ، وذلك الذي رأى البحر ، إستراح من كل شيء .

- أو أنك نسجت كرباسا لتجعل منه قباءً تلبسه سعيدا ؛
- وكنت تريده قباء ، فجاء خصمك معاندا وجعل من الكرباس سروالا بالرغم منك ؛
- ٢٩٢٥- فما حيلة الكرباس يا روي إلا الاستسلام لذلك الرأي الغالب ؟
- وإذا كان الكرباس قد أرغم ، فما ذنبه ؟ ومن ذلك الذي لا يكون مغلوبا لمن يكون غالبا ؟
- وإذا كان أحدٌ قد هاجم أحدهم رغم إرادته ، وغرس أجمة شوك في منزله وفي ملكه ،
- ويكون صاحب الدار على هذه الدرجة من الضعف والذلة ، بحيث يجرى عليه هذا الأمر خلافا لرغبته ؛
- أصير أنا مهانا خلقا لمثل هذا الدليل حتى وإن كنت نضرا فتيا ؟!
- ٢٩٣٠- وما دامت رغبة النفس قد انتصرت ، فإن قولك " ما شاء الله كان " يكون سخرية .
- وأنا وإن كنت عارا على المجوس كافرا ، فلست بالذي أظن في الله هذا الظن .
- وهو أن يكون أحدٌ على غير مشيئته ورغبته نافذ الأمر في ملكه .
- وتقوم النفس بالاستيلاء على ملكه هذا ، ولا يستطيع خالق النفس أن ينبس بحرف .
- إنه يريد دفعه وهكذا ينبغي له ، لكن الشيطان يزيد له في الأحران في كل لحظة .
- ٢٩٣٥- فينبغي أن يكون المرء إذن عبدا للشيطان ، مادام الشيطان هو الغالب في كل محفل .

- وذلك حتى لا ينتقم الشيطان منى ، ولا كان ذلك ، وأى عون يسديه لي آنذاك ذو المنن؟!!

- وما دام ما يريده ذلك " الشيطان " يتحقق له ، فمن أى شيء إذن ينصلح حالي وأمرى ؟

مثل الشيطان على باب الرحمة

-حاشا لله ، بل ما شاء الله كان ، هو الحاكم " الفرد " في المكان واللامكان .

- ولا أحد يزيد في ملكه بمقدار طرف شعرة واحدة ، اللهم إلا كان هذا بأمره .

٢٩٤٠- فالملك ملكه ، والأمر له ، وذلك الشيطان هو أقل الكلاب على بابيه .

- ذلك أن التركماني إن كان له كلب على بابيه ، فإنه إنما ييمم وجهه ورأسه شطر هذا الباب .

- فيقوم أطفال الدار بشده من ذيله ، ويكون ذليلا بين أيدي أولئك الأطفال .

- لكن عندما يمر غريب بهذه الديار ، يهجم عليه وكأنه الأسد الهصور .

- إنه يعمل مصداقا لـ « أشداء على الكفار » ، إنه ورد على الولي شوك على العدو .

٢٩٤٥- ومن الماء بالدقيق أو النخالة الذى يطعمه إياه التركماني ، صار وفيا إلى هذا الحد وحارسا.

- ومن هنا فإن الكلب الشيطان الذى يخلقه الحق ، يجدل " في خلقته " مائة فكرة ومائة حيلة .

- ويجعل طعامه من ماء وجوه " البشر " ، حتى يريق ماء وجه الصالح والطالح
- والماء بالنخالة بالنسبة له هو ماء وجه العموم ، إذ يجد منه الكلب الشيطان
القوت والطعام .

- فكيف لا تكون روحه فداءً للحكم على باب مخيم القدرة ؟ ألا فلتخبرني .
٢٩٥٠- والحاكمون والمحكومون قطيعا قطيعا ، كالكلاب " على هذا الباب "
باسطو أذرعهم بالوصيد .

- إنه على باب كهف الألوهية كأنه الكلب ، ممثلاً للأمر بكل كيانه ، نافر
العرق " تحفزا " .

- ويا أيها الكلب الشيطان ، داوم على الامتحان ، حتى ترى كيف يضع
الخلق أقدامهم في هذا الطريق

- وداوم على الهجوم والمنع ، وانظر ، حتى يتميز الذكر من الأنثى في
الصدق .

- فمن أى شيء تكون " المعوذة " ؟ عندما يصبح الكلب من التوقع سريع
الهجوم .

٢٩٥٥- فإن المعوذة تعني : أيها التركي الخطائي ، استدع كلبك ، وافتح
الطريق .

- حتى آتي على باب مخيمك ، وأطلب حاجة من جودك ومن جاهك .
- وإذا كان التركماني عاجزا أمام سطوة الكلب ، فإن هذه " المعوذة " وهذا
الصياح لا يجوزان .

- وهل يقول التركي أيضا : إنني استعيز بالله من الكلب ، فإنني أيضا قد
ضقت ذرعا بالكلب في موطني ؟

- وإنك لا تجرؤ على المجيء إلى هذا الباب ، كما أنني لا أجرؤ على الخروج من نفس الباب .

٢٩٦٠- فلتحت التراب إذن على رأس التركي ورأس ضيفه ، ذلك أن كلبا يأخذ بخناقيهما .

- حاشا لله ، إن التركي ليصيح صيحة واحدة ، وماذا يكون الكلب بعدها ؟ إن الأسد الهصور ليقىء دما .

- وأنت يا من سميت نفسك أسد الله ، لقد مضت سنوات وأنت عاجز من كلب .

- وإذا كان هذا الكلب يقوم بالصيد من أجلك ، فكيف أصبحت صيدا للكلب على الملاء ؟

جواب المؤمن السني على الكافر الجبري ، وإيراده الدليل على إثبات الاختيار للعبد ، والسنة طريق سلكه الأنبياء عليهم السلام ، وعلى يمين ذلك الطريق صحراء الجبر التي لا ترى لنفسها اختيارا وتنكر الأمر والنهي وتقوم بتأويلهما ، وإنكار الأمر والنهي يستلزم إنكار الجنة والنار ، فإن الجنة هي جزاء مطيعي الأمر ، والنار جزاء مخالفين الأمر ، ولا أقول إلام يتطور الأمر فالعاقل تكفيه الإشارة ، وعلى يسار ذلك الطريق صحراء القدر التي تعتبر قدرة الخالق مغلوبة لقدرة الخلق ، ومن ذلك تتولد أنواع من الفساد يعدها ذلك المجوسي الجبري .

- قال المؤمن : استمع أيها الجبري إلى الخطاب ، لقد قلت ما عندك ، وآتيك عليه الآن بالجواب .

٢٩٦٥- ولقد رأيت لعبتك يا لاعبا بالشطرنج ، فانظر إلى لعبة خصمك نظرة شاملة متمعنة .

- ولقد قرأت كتاب اعتذارك ، فاقرأ كتاب السني ، ولأى شيء عجزت .

- لقد ذكرت نقطة عن القضاء كما يقول الجبريون ، فاستمع إلى سرها الآن ، فيما حدث .

- فإن لنا اختيارا دون أدنى شك ، وإنك لا تستطيع أن تتكر الحس ، عيانا بيانا . (١)

- فإن أحدا لا يقول للحجر تعال ، ومن مدر لا يطلب أحد الوفاء .
٢٩٧٠- ولا يقول أحد لإنسان : هيا ، طر ، أو تعال أيها الأعمى وانظر إلي .

- فقد قال الله : « ليس على الأعمى حرج » ، فمتى يضع على أحد حرجا رب الفرج ؟

- ولا يقول أحد لحجر لماذا تأخرت في المجيء ، أو يقول : أيتها العصا ، لماذا قمت بضربي ؟

- فهل يطالب أحد مجبرا بأشياء ، أو هل يلومن أحد معذورا أو يضربه ؟

- فالأمر والنهي والغضب والعقاب والثواب ، لا تكون إلا للمختار يا طاهر الجيب .

٢٩٧٥- وهناك اختيارات في الظلم والضييم ، وأنا الذي أردتهما من الشيطان والنفس .

- وهناك اختيارات كامن في باطنك ، ما لم ير مثيل يوسف ، لا يقوم بجرح اليد .

- كان الاختيار وكان الداعي موجودا في النفس ، رأى وجهه ففتح الجناح والقوادم .

(١) ج/١٢-٣٥٧: فانظر إلى اختيارك ولا تكن جبريا ، ولقد تركته فعد إليه ، ولا تمش باعوجاج .

- فالكلب قد نام وضاع منه اختياره ، وعندما رأى السقط بصيص بذنبه .
- والحصان يصهل عندما يرى الشعير ، والقطعة تموء عندما يتحرك اللحم .

٢٩٨٠- فالرؤية تحريك لهذا الاختيار ، كالنفخ يثير من النار الشرار
- ومن هنا فإن اختيارك قد تحرك ، عندما صار إبليس رسول غرام ، وأتاك برسالة من محبوبك .(١)

-وعندما يعرض الشيء المشتهى على امرئ ما ، فإن الاختيار النائم يتمطى وتتفتح أعطافه .

- ثم إن ملائكة الخير - برغم أنف الشيطان - تعرض هي الأخرى ما لديها وتقيم ضجة في القلب .

- حتى يتحرك اختيار الخير لذلك ، فقبل العرض ، تكون هاتان الخصلتان نائمتين داخلك .

٢٩٨٥- إذن فالملاك والشيطان كلاهما عارض عليك ، وذلك من أجل أن تتحرك عروق الاختيار فيك

- فمن أنواع الإلهام وأنواع الوسوسة ، يكون اختيار الخير والشر عندك ، بقدر ما يكون عند عشرة أشخاص .

- ومن هنا فعند ختم الصلاة أيها المليح ، ينبغي منك السلام على الملائكة .

- وكأنك تقول : إنه من دعائكم وإلهامكم الطيب ، كان اختياري لهذه الصلاة مشمولاً بالنفاز ،

- ثم إنك من بعد ارتكاب الذنب تلعن إبليس ، الذى صرت من وساوسه منحنيا هكذا .

(١) حرفيا : من ويس ، وويس هو محبوب رامين في القصة المشهورة .

٢٩٩٠- إن هذين الضدين يقومان بعرض " ما لديهما " عليك في الباطن ، جاء من حجاب الغيب عارضين عليك .

- وعندما يرتفع حجاب الغيب من أمامك ، فإنك ترى وجوه من يقومون باقتيادك
- وتعلم ثانية من كلامهم دون أدنى أذى أو ضرر ، أنهم هم الذين كانوا يتحدثون إليك في السر .

- فيقول لك الشيطان : يا أسير الطبع والجسد ، لقد كنت أعرض عليك ، ولم أجبرك .

- ويقول لك ذلك الملاك : لقد قلت لك أنك سوف تزداد حزنا من هذا السرور " الذي أنت فيه " .

٢٩٩٥- وألم أقل لك في يوم كذا أن طريقك إلى الجنان موجود من هذه الناحية ؟

- ونحن محبوبك بالروح ، ونحن الذين نطيل في عمرك ، ونحن الذين سجدنا بإخلاص لأبيك .

- ونحن الآن لا زلنا في خدمتك ، ونحن الذين ندعوك نحو السيد " العظيم "
- وتلك الجماعة كانت عدوة لأبيك ، وقد رفضت الخطاب الإلهي القائل «أسجدوا لآدم» .

- ولقد أخذت ما قدموا ، وتركت ما قدمناه ، ولم تعرف لنا حق الخدمة والاحترام .

٣٠٠٠- فانظر الآن عيانا إلينا وإليهم ، وأمعن النظر ، وتعرف من اللهجة والبيان .

- إنك عندما تستمع إلى سر في منتصف الليل من صديق ، تعرف من هو هذا الصديق عندما يتحدث عند انبلاج الصبح .

- وإذا جاءك شخصان بخبر بليـل ، فإنك تعرفهما في ضوء النهار عندما يتحدثان .

- لقد بلغ مسمعه زئير الأسد ونباح الكلاب في الليل ، لكنه لم ير شكل أيهما في الظلمة .

- وعندما انبلج الصبح ، وأطلق كل منهما صوته المعهود ، فإنه يعرفهما من الصوت ، ذلك الذكي الأريب .

٣٠٠٥- الخلاصة ، أنهما كلاهما الشيطان والروح عارضان ، كلاهما موجود من أجل إتمام الاختيار .

- وهناك اختيار في وجودنا مستتر غير ظاهر ، وعندما يرى موضوعين يزداد - والأساتذة يقومون بضرب الأطفال " تأديبا " ، ومتى يقومون بتأديب الحجارة السوداء هكذا ؟

- وإنك لا تقول أبدا لحجر : تعال غدا ، وإن لم تأت عاقبتك عقابا شديدا .

- فهل يضرب عاقل قط مدرا ؟ وهل يعاقب أحد قط حجرا ؟

٣٠١٠- والجبر في نظر العقل أكثر افتضاحا من القدر ، ذلك أن الجبري ينكر حسه .

- لكن القدرى ليس منكرا للحس ، إنه يقول : إن فعل الله لا يكون حسيـا يا بنى .

- والمنكر لفعل الإله الجليل ، هو قائم على إنكار المدلول الذى قام عليه الدليل .

- إنه - أى القدرى - يقول : هناك دخان ولا نار ، وهناك نور شمع ، دون شمع مضيء .

- أما هذا -أى الجبرى - فىرى النار جهارا نهارا ، ويقول أنها غير موجودة لمجرد الإنكار .

٣٠١٥- إن ثوبه يحترق ، ويقول : لا توجد نار ، وهو يخيظ ثوبه ، ويقول : لا يوجد خيظ .

- ومن ثم فدعوى الجبر هذه من قبيل السفسطة ، ومن هنا فهي أسوأ في هذه الناحية من دعوى القدر .

- والجبرى يقول : هناك عالم ، لكن لا رب ، وذلك لأنه يقول : يا رب ، ولا يستجاب له .

- والآخر يقول : الدنيا في حد ذاتها عدم وهباء ، فهو سوفسطائي في التواء واعوجاج .

- فالعالم بأجمعه مقر بالاختيار ، والأمر والنهي ، وافعل هذا ولا تفعل ذاك .

٣٠٢٠- وهو يقول بأنه لا أمر ولا نهى ولا اختيار ، وهذا كله هباء .

- والحيوان مقر بالحس أيها الرفيق ، لكن إدراك الدليل " بالنسبة له " دقيق .

- ذلك أن الاختيار محسوس لنا ، ويجمل أن يأتي عليه التكليف بالأمر .

في بيان أن الإدراك الوجداني كالاختيار والاضطرار والغضب والاصطبار والشبع

والجوع في محل الحس الذى يعلم الأصفر من الأحمر ويفرق بينهما ، والصغير

من الكبير والمر من الحلو والمسكر من البعر والخشن من الناعم بحس اللمس ، والجار

من البارد والمحرق من الفاتر واللين من الخشن ولمس الجدار من ملمس الشجرة

إذن فمنكر الوجدان هو منكر الحس ، ونزيد على ذلك بأن الوجدان أظهر من الحس

لأنه من الممكن قطع الطريق على الحس ومنعه من الإحساس ، وليس ممكنا قطع

الطريق على الوجدانيات ومدخلها ، والعقل تكفيه الإشارة

- إن الإدراك الوجداني يا عماء هو في موضع الحس ، كلاهما يجريان في جدول واحد .

- وبهذا يلطف الأمر والنهي والتكليف وما يجرى وما يقال .

٣٠٢٥- وقولك : أفعل هذا " الأمر " غدا أو ذاك الأمر هو دليل الاختيار أيها الوسيم الحسن .

- وذلك الندم الذي يعتريك أنك أكلت من ذلك " الطعام " السيء ، قد صرت مهتديا إليه باختيارك أيضا .

- وكل القرآن أمر ونهي و" وعد " ووعد ، ومن رأى حجرا من المرمر قد وجهه إليه أمر ؟

- ولا يوجد عالم أو عاقل قط يغضب من حجر أو مدر أو يحقد عليه .

- قائلا : لقد قلت لكم افعلوا هذا او افعلوا ذاك ، فكيف لم تقوموا بفعله ، أيها الموتى العجزة ؟

٣٠٣٠- ومتى يحكم العقل على الخشب أو الحجر ، ومتى ينشب الإنسان مخالبه في صورة مقلب ؟

- أو يقول : أيها الغلام المقيد اليد المبتور القدم ، هيا خذ الرمح وتعال صوب الوغى ؟

- والخالق الذي يخلق الكواكب والأفلاك ، كيف يقوم بأمر أو نهى يدل على جهل ؟

- لقد محوت احتمال العجز عن الحق ، ثم اعتبرته -جل وعلا - جاهلا ذاهلا سفيها .

- والعجز لا يكون من القادر وإن نسبته إليه ، وإن الجهل ليكون أقبح من العجز .

٣٠٣٥- والتركي يقول لضيفه من كرمه ، تعال إلى بابي بلا كلب ولا خرقه .

- وتعال من ناحية كذا بتؤدة وأدب ، حتى يصرف الكلب عنك أسنانه وفمه .
- وأنت تفعل عكس ما يقول وتمضي نحو الباب ، فلا جرم أن تجرح من عضه الكلب .

- كذلك فامض كما مضى الغلمان ، ليصبح كلبه حنونا مؤدبا .
- وإنك إن اصطحبت معك كلبا أو ثعلب ، فإن كل كلب يشور ويهيج من داخل كل خيمة .

٣٠٤٠- وإن لم يكن هناك اختيـار لغير الحق ، فكيف تغضب أنت على المجرم ؟

- وكيف تصر بأسنانك غضبا على العدو ، عندما ترى منه ذنباً وجرمًا ؟

- وإذا انكسر لوح خشب من سقف المنزل ، وسقط عليك وجرحك ؛
- فإنك لا تغضب أبداً على هذا اللوح من الخشب ، ولا تكون حياتك كلها وقفاً على الانتقام منه .

- وأنت تتساءل : لماذا سقط علىّ وكسر يدي ؟ لقد كان عدواً لي وخصماً لروحي .

٣٠٤٥- وكيف تضرب الأطفال الصغار ، ما دمت تنزه الكبار عن " ارتكاب الجرم " ؟

- ومن يسرق مالك ، تقول : اقبضوا عليه ، واقطعوا يده ورجله ، واسجنوه .

- ومن يقصد حريمك بالسوء ، يتفجر فيك عليه مئات الآلاف من أنواع الغضب .

- وإن أتى سيل وجرف متاعك ، فهل ينتقم عاقل قط من سيل ؟
- وإن هبت الريح واختطفت عما منك ، متى أبدى قلبك ضيقا من تلك الريح ؟

٣٠٥٠- لقد صار غضبك بيانا للاختيار ، حتى لا تقوم - كما يفعل الجبريون - بالاعتذار .

- وإن ضرب جمال" جملا ، فإن ذلك الجمال يهاجم الجمال الضارب .
- ولا ينصب غضب الجمال على العصا التي ضربته ، إذن فقد فهم البعير شيئا عن الاختيار .

- وهذا الكلب إن رميته بحجر ، فإنه ينثني عليك أنت بالهجوم .
- وإن أبدى بعض الغضب على الحجر ، فلأنك بعيد ولا تطولك يداه .
٣٠٥٥- وإذا كان عقل الحيوان قد فهم الاختيار ، فلا تقل هذا القول يا عقل الإنسان ، واخجل .

- وهذا شديد الوضوح ، لكن طمعا في السحور ، يغمض ذلك الأكل عينيه عن النور .

- ولما كان كل ميله منصبا على الطعام ، فإنه يتجه إلى الظلام ، قائلا :
لم يطلع النهار .

- وإذا كان الحرص يخفي الشمس ، فأى عجب أن يعطي ظهره للبرهمان ؟

حكاية في إثبات الاختيار أيضا ، وبيان أن القضاء والقدر

لا ينفيان الاختيار

- قال لص الشرطي : أيها العظيم (١) ، إن ما ارتكبتـه كان من حكم الإله .

٣٠٦٠- قال الشرطي : وما أفعله أنا أيضا " من عقاب " ، هو حكم الله أيضا يا نور عيني .

- فإن سلب أحدهم فجلة من حانوت ، على أن هذا هو حكم الحق عليه أيها العاقل ؛

- فإنك تقوم بلكمه على رأسه مرتين أو ثلاثة قائلا له : أيها الكريه ، هذا هو حكم الحق ، أعد ما سرقت .

- فإذا كان عذرك هذا لا يكون لدى البقال مقبولا في شأن فجلة أيها الفضولي ؛

- فكيف تعتمد على هذا الغدر ، وتحوم حول مواضع الأفاعي ؟
٣٠٦٥- ومن مثل هذا العذر أيها الساذج الوقح ، كيف تحل دماء الناس وأموالهم وأعراضهم ؟

- فإن كل إنسان إذن يقوم بنزع شعر شاربك ، ويعتذر لك بأنه مجبر على هذا الأمر .

- فإذا كان يجوز لك بأن تعتذر بأن الأمر هو حكم الحق ، علمني إذن إياه وافتي .

- فإن عندي مائة نزوة وشهوة ، لكن يدي معقودتان خوفا وهيبة " من الله " .

- فتكرم علينا إذن وعلمنا العذر ، وفك القيود عن أيدينا وأقدامنا .
٣٠٧٠- لقد قمت بحرفة ما طوعا واختيارا ، قائلا : إن لي اختياري وفكري

(١) حرفيا : أيها الملك .

- وإلا ، كيف اخترت تلك الحرفة من بين الحرف يا عينا من الأعيان .
- وعندما تأتي نوبة النفس والهوى ، يكون عندك اختيار بقدر ما يكون عند عشرين رجل .
- وعندما يبخسك رفيقك مثقال حبة ، فإن اختيار العراك قد تفتح في روحك .
- وعندما تحل نوبة شكر النعم ، فلا اختيار لك ، وتكون أقل من حجر .
- ٣٠٧٥- وبقينا أن الجحيم سوف يعتذر لك قائلا : أعذرنى في حرقى " إياك " هكذا .
- إن أحدا لن يعتذر بك بهذه الحجة ، ولن تبعدك هذه الحجة عن كف الجلاء .
- ومن ثم فإن الدنيا قد انتظم سلكها بهذا الحاكم ، ومنها صار حال الآخرة معلوما برمتة لك .

حكاية جوابا على الجبرى أيضا وصحة الأمر والنهى ، وبيان أن عذر الجبرى ليس مقبولا في أية ملّة وأى دين ، وليس موجبا للخلاص مما تم اقترافه من ذنوب ، مثلما لم ينج إبليس الجبرى بقوله (رب بما أغويتني) والقليل يدل على الكثير

- أخذ أحدهم يتسلق شجرة ، وأخذ خلصة يلقي بثمارها بشدة .
- فجاء صاحب الحديقة وقال : أيها الدنيء ، أين حياؤك من الله ؟ ماذا تفعل ؟
- ٣٠٨٠- قال : إذا أكل عبد الله الثمر (١) من حديقة الله ، فإن هذا هو عطاء الحق ، قد أعطاه إياه .

(١) حرفيا : البلع .

- فكيف تقوم بلومي هكذا بشكل عامي ؟ أثم بخل على مائدة الله الغنى ؟
- فنادى : يا أيبك ، هات ذلك الحبل ، حتى أجيب على حاوى المحاسن هذا .
- فأحكم شد وثاقه إلى الشجرة ، وأخذ يضربه بالعصا على ساقه وظهره ضربا شديدا .
- فقال له : إستحي أخرا من الله سبحانه وتعالى ، إنك تقتل هذا البريء صبورا .
- ٣٠٨٥- فقال : إن عبد الله يضرب عبده الآخر بعصا الله ، " يضربه " على ظهره سعيدا .
- إنها عصا الحق ، كما أن الظهر له ، والجنب له ، وأنا مجرد غلام له ، وأداة لتنفيذ أمره .
- قال : لقد ثبت عن الجبر أيها الماكـر ، هناك اختيار ، هناك اختيار ، هناك اختيار .
- واختياره هو الذى اختار كل أنواع الاختيار ، واختياره كالفارس " مخفي " في الغبار .
- واختياره هو الذى يقوم باختيارنا ، ومن ثم صار الأمر مستندا على الإختيار .
- ٣٠٩٠- والتسلط على صورة بلا اختيار ، موجود عند كل مخلوق عند قدرته عليها .
- حتى ليجر الصيد دون اختيار من هذا الصيد ، وحتى يسحب زيدا جارا إياه من أذنيه .
- لكن صنع الصمد يستطيع بلا آلة قط ، أن يجعل اختياره وهقا له .
- فإن اختياره يقيد زيدا هذا ، يصيده الحق دن كلب دن فخ .

- النجار يكون مسلطاً على الخشب ، وذلك المصور يكن حاكماً على الجمال " الذى صورته " .

٣٠٩٥- كما أن الحداد قيم على الحديد ، والبناء مسيطر على آلة عمله .

- العجيب أن كل هذه الاختيارات ، تسجد أمام اختياره كالعبيد .

- قدرتك على الجمادات في صراعك " مع الحياة " ، متى نفت الجمادية عن أى منها ؟

- ومن ثم فإن قدرته على المخلوقات المميزة ، لا تقم بنفي الاختيار عنها .

- فدام على القلب بأنها مشيئة الله على وجه الكمال ، فليس فيها نسبة الجبر أو الضلال .

٣١٠٠- ما دمت قد قلت إن كفرى هو مشيئته ، أعلم أن مشيئتك أيضاً موجودة .

- ذلك أن كفرى لا يكون دون مشيئة منك ، إن الكفر بلا مشيئة منك قول متناقض .

- فالأمر للعاجز قبيح وذميم ، والغضب " عليه " أقبح ، خاصة عندما يكون من الرب الرحيم .

- والثور الذى لا يقبل النير يتعرض للضرب ، لكن ثورا لم يحقر قط لأنه لم يطر .

- وإذا لم يكن الثور معذورا في فضول الفعل والقول ، فمن أى شيء يكون صاحب الثور الوقح معذورا ؟

٣١٠٥- وما لم تكن مريضاً ، لا تربط رأسك ، فالإختيار لك ، ولا تسخر من شاربك .

- وجاهد حتى تجد جرعة من كأس الحق ، فتصير آنذاك متجردا عن ذاتك بلا اختيار .
- وعندما تصبح تلك الخمر هي اختيارك الكلي ، تصير كالثلث معذورا على الإطلاق .
- وكل ما تدقه ، يكون مدقوقا بتلك الخمر ، وكل ما تكنسه يكون مكنوسا بها .
- ومتى يفعل ذلك الثلث إلا العدل والصواب ، فلقد شرب من كأس الحق الشراب .
- ٣١١٠- ولقد قال السحرة لفرعون : قف ، ليس عند الثلث اهتمامٌ باليد والقدم .
- إن أيدينا وأقدامنا هي خمر ذلك الواحد ، واليد الظاهرة مجرد ظل لا قيمة له . (١)

معنى ماشاء الله كان أي أن المشيئة مشيئته والرضا له ، فاطلبوا رضاه ، ولا تضيقوا برد الآخرين وغضب الآخرين ، وبالغم من أن كان فعل ماضٍ إلا أنه لا ماضٍ ولا مستقبل في فعل الله مصداقا لـ (ليس عند الله صباغ ولا مساء)

- إن قول العبد : ما شاء الله كان ، ليس من أجل أن تتكاسل على أساسه .
- لكنه تحريض على الإخلاص والجد ، أي زد في تلك العبادة وكن مستعدا .
- فإذا قيل لك : إن الأمر أمرك أيها العظيم ، والفعل فعلك ، " فقم به " حسب هواك .

(١) ج/١٢-٤٠٥:- وما دامت كأسه مليئة من خمره على الدوام ، فإنه يستولي على منزل القلب بأجمعه

٣١١٥- يجوز لك حينذاك أن تتكاسل ، فإن كل ما تريده وكل ما تقوله هو الذى يصير .

- وعندما يقال لك : ما شاء الله كان ، يعني أن الحكم حكمه تعالى وإلى الأبد .
- وإلا فلماذا أنت في ورده وذكره كمائة رجل ، وكيف لا تطوف بعبودية حول بابـه ؟

- فإذا قيل : إن كل ما يريده الوزير يكون له ، سواء في الأخذ أو في الرد ؛
- فهل تحوم حوله سريعا وبقوة مائة رجل ، حتى ينثر فوق رأسك الإحسان والجود ؛

٣١٢٠- أو تهرب من الوزير ومن قصره ؟ إن هذا لا يكون بحثا عن " عطائه " وعن نصره .

- لقد قلبت هذا الكلام وصرت كسولا ، وصرت معكوس الخاطر والإدراك
- " فالأمر أمر السيد فلان " ماذا تعني ؟ ، تعني : قلل الجلوس مع غيره .
- وطف حول السيد ما دام الأمر له ، إنه يقتل العدو ، وينجي روح الصديق
- وكل ما تريده سوف تجده على سبيل اليقين ، وقلل السير عبثا ، واختر محضره وخدمته .

٣١٢٥- أو .. لا .. ما دام حاكما لا تطف حوله ، حتى تصير أسود الكتاب مصفر الوجه . (١)

- إن التفسير الصحيح هو الذى يجعلك متحمسا ، ويجعلك مليئا بالنشاط والرجاء وذا حياء .

- أما إذا جعلك واهنا ، فاعلم حقيقة أنه تبديل ، ليس بتأويل " أو تفسير " .

(١) ج/ ١٢-٤١٢:- فما دام هو الحاكم ، إلزمه فحسب ، فليس لغيره حكم ولا منه عون .

- ولقد جاء هذا القول من أجل التشجيع ، وجعل المرء متحمسا ، وذلك حتى يأخذ بأيدي القانطين .

- فاسأل عن معنى القرآن من القرآن فحسب ، ومن ذلك الذى أضرم النار في هوسه ونزوته .

٣١٣٠- وصار للقرآن فداءً وأمامه ذليلا ، حتى صارت عين روحه قرآنا .

- والزيت الذى صار بأجمعه فداءً للورد ، سواءً عليك أن تشمه زيتا أو تشمه وردا . (١)

وأیضا [قد جف القلم] يعنى جف القلم وكتب لا تستوى الطاعة والمعصية لا تستوى الأمانة والسرقة ، جف القلم ألا يستوى الشكر والكفران ، جف القلم أن الله لا يضيع أجر المحسنين

- وهكذا أيضا تأويل قد جف القلم ، إنها من أجل التحريض على الشغل الأهم .

- إذن فقد كتب القلم أن لكل فعل ما يليق به من تأثير وجزاء .
- تسير معوجا ، يأتيك الاعوجاج ، جف بهذا القلم ، وإن أتيت بالصدق والاستقامة ، تتولد لك السعادة .

٣١٣٥- وإذا ارتكبت الظلم ، فأنت مدبر سيء الحظ ، جف القلم بهذا ، وإن عدلت ، فأنت ذو نصيب من الرحمة ، بهذا جف القلم .

- وعندما يسرق أحد ، فقد ضاعت يده ، جف القلم ، ومن يشرب الخمر يصير ثملا ، جف القلم .

(١) ج/١٢-٤١٣:- وإن كنت لا تعلم فابحث عن تأويله ، حتى تشرق " الحقيقة " على قلبك عيانا .

- فهل تجيز ، وهل يكون في الأصل جائزا أن يكون الحق معزولا عن حكمه الذي سبق ؟

- أو أن يقول لك : لقد خرج الأمر من يدي ، فلا تلجأ إليّ كثيرا وكفاك تضرعا لي ؟

- لكن معنى جف القلم أنهما ليسا عندي سيان : العدل والظلم .
٣١٤٠- ولقد فرقت ما بين الخير والشر ، كما فرقت أيضا بين السيء وما هو أسوأ .

- فإن كانت عندك ذرة من الأدب ، أكثر مما لدى رفيقك ، فإنما يعلمها فضل الرب .

- فيعطيك الزيادة بقدر هذه الذرة ، وتظهر هذه الذرة وكأنها جبل .
- والملك الذي لا يكون هناك فرق أمام عرشه بين الأمين وبين الظلوم " الخئون " ؛

- ولا يكون هناك فرق بين من يرتعد خوفا من أن يرد لديه ، وبين ذلك الذي يسخر حتى من جده " وإقباله " ؛

٣١٤٥- وكلاهما يكونان عنده سواء . لا يكون ملكا ، بل احث التراب الكدر على رأسه .

- فلو أن متقال ذرة تزيد في جهدك ، فإنها تكون موزونة في ميزان الله .
- وأنت أمام هؤلاء الملوك تقتلع الروح خدمة دائما ، وهم غافلون عن الغدر وعن الصفاء .

- وقول واحد من نمام واش يُدس لك ، يضيع ما قمت به من خدمة وطاعة لسنوات .

- وعند الملك الذى هو سميع وبصير ، لا يكون هناك موضع لقول
الوشاة .

٣١٥٠- وكل الوشاة عندما يياسون منه ، يأتون نحونا ، ويزيدون
لنا في القيود .

- إنهم يتحدثون بالسوء عن المليك أمامنا ، قائلين : إمضوا ، لقد جف القلم ،
كفاكم وفاء .

- فهل معنى جف القلم لأن يكون الأمر هكذا ؟ أن تكون أنواع الطاعة وأنواع
المعصية سواءً بسواء ؟

- بل إن الجفاء جزاءً على الجفاء ، جف القلم ، والوفاء ثواب على الوفاء ،
جف القلم .

- ويكون العفو ، لكن أين بهاء الرجاء ؟ وأن يكون العبد أبيض الوجه من
التقوى .

٣١٥٥- وإن اللص إن عفى عنه ينجو بروحه ، لكن متى يصير وزيراً
أو خازناً ؟

- فيا أمين الدين الرباني " أيها الإنسان " أقبل ، فمن الأمانة نبع كل تاج
ولواء .

- وإن ابن السلطان إن ارتكب الخيانة في حقه ، تفصل من جرائها رأسه
عن جسده .

- وإن أبدى غلامٌ هندی الوفاء ، فإن إقباله يعزف له لحن : طال البقاء .

- أى غلام وأى مملوك ؟ وإن كان على الباب كلب وفي ، يكون في قلب سيده
عليه مائة رضاء .

٣١٦٠- فإذا كان يقبل فم الكلب من هذا " الوفاء " ، فما بالك إن كان أسدا ، أى نصر يهبه اياه ؟

- اللهم إلا ذلك اللص الذى يقوم بكثير من الطاعات ، فيبتلع صدقه أساس القسوة والجفاء .

- مثل الفضيل قاطع الطريق ، الذى قامر بطهر ، ذلك أنه أسرع بقوة عشرة رجال نحو التوبة .

- ومثل سحرة فرعون ، أولئك الذين سودوا وجهه من الصبر والوفاء .

- وضحوا بأيديهم وأرجلهم قودا لجرمهم ، ومتى يصير " لامريء " ذلك بعبادة مائة عام ؟

٣١٦٥- وأنت الذى قمت بالخدمة والطاعة لمدة خمسين سنة ، متى حصلت على مثل هذا الصدق ؟

حكاية ذلك الدرويش الذى رأى هراة غلمان عميد خراسان المزدانين

على جباد عربية وفي أقبية مطرزة بالذهب وقلانس معرقة وغيرها

فسأل : من هؤلاء الأمراء والملوك ؟ فقبل له : ليسوا أمراء لكنهم

غلمان عميد خراسان ، فاتجه إلى السماء قائلا : يا الله ، تعلم

إكرام العبيد من العميد ، وهناك يسمون المستوفي عميدا

- كان أحدهم يمضي متسكعا في هراة ، فرأى غلاما لعظيم ؛

- يرتدى ثوبا من الأطلس ويسير متمنطقا بحزام ذهبي ، فاتجه إلى قبلة السماء ؛

- قائلا : يا الله ، كيف لا تتعلم معاملة العبيد من هذا السيد ذى العطايا والمنن ؟

- تعلم إكرام العبيد يا الله من ذلك الرئيس الذى اختاره مليكننا !!
- ٣١٧٠- كان محتاجا عاريا بلا زاد ، شديد الإرتعاد في الشتاء من " برودة " الجو .
- فأبدى بعض الانبساط ذلك الغائب عن نفسه ، وأبدى جرأة " على الله " من فجاجته .
- كان اعتماده على آلاف من المواهب التى وهبها الله له ، وعلى أنه صار نديما للحق وأهلا للمعرفة.
- فإذا أبدى نديم الملك بعض التوقع عليه ، لا تبدها أنت ، يا من ليس لك سند .
- لقد وهب الله الخاصرة ، والخاصرة أفضل من الحزام ، وإذا كان أحدهم قد وهب تاجا ، فقد وهب هو جل شأنه الرأس .
- ٣١٧٥- حتى حدث أن اتهم الملك ذلك السيد " العميد " ، ووضع يديه وقدميه في الأغلال .
- وأخذ في تعذيب أولئك الغلمان قائلا : هيا ، دلوني على دفائن سيدكم سريعا .
- هيا أيها الأخساء ، قوموا بإفشاء سره لي ، وإلا قطعت حلوقكم وألسنتكم .
- وعذبهم الملك لمدة شهر كامل ، كان التعذيب والعصر والألم يستمر ليل نهار .
- ومزقهم إربا ، لكن غلاما واحدا لم يفش سر السيد " العميد " من رعايته له وحبه له .

٣١٨٠- فقال هاتف للدرويش في النوم : تعال أيها العظيم وتعلم العبودية بدورك .

- وأنت يا من مزقت جلود أمثال يوسف عليه السلام وقمت باغتيالهم ، إذا مزقك الذئب ، فاعلم أن هذا من نفسك

- فالبس إذن مما تتسجبه طوال العام ، وتغذ مما تزرعه طوال العام .

- إن هذه الأحزان هي فعلك لحظة بلحظة ، وهذا هو معنى قد جف القلم

- فلن تجد لسنتنا تبديلا من الرشد ، فالخير يجازى بالخير ، والشر بالشر .

٣١٨٥- فهيا ، إعمل ، فإن سليمان عليه السلام لا يزال حيا ، وما دمت شيطانا ، فإن سيفه بتار .

- ولما كان الملاك قد صار آمنا من السيف ، فإنه لا يشعر من سليمان عليه السلام بأدنى خوف .

- فإن حكمه ماض على الشيطان لا على الملك ، والكدح فوق التراب ، وليس فوق الفلك .

- فاترك هذا الجبر ، فهو فارغ تماما ، حتى تعلم ما هو سر سر الجبر .

- واترك جبر جماعة الكسالى حتى تجد خبرا عن ذلك الجبر الذى هو كالروح .

٣١٩٠- واترك كونك معشوقا ، وكن أنت عاشقا ، يا من تخيلت أنك طيب وخير وفائق .

- ويا من أنت أكثر صمتا في " معرفة " المعنى من الليل ، حتام تبحث عن مشتر وطالب لكلامك .

- إنهم يحركون رؤوسهم " إعجابا " أمامك من أجلك ، وذهب عمرك هدرا هوسا بهم .

- وإنك تقول لي : لا تضر الحسد لي ، وأى حسد يحس به المرء إن فاته الهباء والعبث .

- وإن تعليم الأخساء أيها الوقح ، مثل نقش المنمنمات والصور على المدر .

٣١٩٥- فعلم نفسك العشق والنظر ، فإنه يكون كالنقش في جرم الحجر .

- وإن نفسك معك ، تلميذ وفي لك ، وقد فنى كل ما سواها ، فأين تبحث عنه ؟ أين ؟

- وما دمت تجعل من الغير حبرا وفاضلا ، فإنك تجعل من نفسك سيء الطبع وخاليا وفارغا .

- لكن إذا اتصل قلبك " ببحر " عدن ، هيا تحدث ، ولا تخش أن تصبح فارغا

- فالأمر يأتيه قائلا : أيها الصادق ، هيا قل ، لن يقل " علمك " فهذا هو البحر .

٣٢٠٠- وأنصتوا تعنى أن هذا بلاغ لماء " علمك " ، إنته ، قلل الإسراف ، فالبستان جاف الشفة ظمآن .

- وهذا الكلام لا نهاية له أيها الأب ، فاترك هذا الكلام ، وتدبر العاقبة .

- وإن غيرتي لا تسمح لي بأن " أراهم " يقفون أمامك ويسخرون منك ، فهم ليسوا بعشاق .

- وعشاقك من خلف حجاب الكرم ، أنظر إليهم صائحين " وجدا " من أجلك لحظة بلحظة .

- فكن عاشقا لعشاق الغيب أولاء ، وقلل من اكتساب العشاق الذين يدوم عشقهم خمسة أيام .

٣٢٠٥- فقد أكلوك من خداعهم وجذبهم لك ، ولم تر منهم مثقال حبة لعدة سنوات .

- وحتام تقيم محفلا على الطريق العام ، وقد أهكت الخطو ، ولم تحصل على رغبة واحدة .

- وفي وقت الصحة ، الكل رفاق وأحباء ، وعند الحزن والألم ، أين الأليف سوى الحق ؟

- وعند وجع العين والأسنان ، لأحد قط يأخذ بيدك ، إلا المغيث الفرد .
- فتذكر إذن نفس هذا الوجع والمرض ، واعتبر بالسترة الجلدية مثل إياز .

٣٢١٠- فالسترة الجلدية هي حالة مرضك هذه ، وهي التي استمسك بها إياز بكتا يديه .

جواب ذلك الكافر الجبرى ثانية على ذلك السني الذي كان يدعو إلى الإسلام ، وترك الاعتقاد بالجبر ، وامتداد المناظرة بين الطرفين ، إذ لا يقطع مادة الجدل والجواب إلا العشق الحقيقي الذي لا يهتم بذلك وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء

- وبدأ الكافر الجبرى في الجواب ، بحيث تحير ذلك الرجل المنطيق .
- لكنى إذا ذكرت كل الأسئلة والأجوبة ، فإنني أريد عن هذا المقال .
- وعندنا أقوال أهم ، ذلك أن فهمك يجد بها الدليل .
- لقد ذكرنا قليلا من ذلك النقاش أيها العتل ، ومن القليل يكون موجودا القانون الكل .

٣٢١٥- وهكذا يجرى النقاش حتى حشر البشر ، بين أهل الجبر وأهل القدر .

- فإن عجز كل منهم عن دفع خصمه ، لاختلفى مذهبه من الوجود .

- ولو لم يكن لهم من الجواب مخرج ، لفروا من ذلك الطريق ذى الخسران والتباب .

- ولما كان دوام ذلك المسلك مقضيا ، فإنه يعطيهم بعض الانتشار عن طريق الدلائل .

- حتى لا يصير الخصم ملزما من الإشكال ، وحتى يكون الخصم محجوبا عن الإقبال .

٣٢٢٠- وحتى تبقى هذه الإثنتان وسبعون فرقة في الدنيا على الدوام وحتى يوم الحشر .

- ولما كانت هذه هي أرض الظلمة والغيب ، فإنه يجب أن تكون هناك أرض من أجل الظل.

- فتبقى هذه الإثنتان وسبعون فرقة حتى القيامة ، ومن ثم لا تعوز المبتدع الدلائل .

- وعزة المخزن وقيمته ، إنما تتجلى عندما يكون عليه أقفال كثيرة .

- وعزة المقصد أيها الممتحن ، تكون في وعورة الطريق ووجود العقبات وقطاع الطرق فيه .

٣٢٢٥- وعزة الكعبة وتلك البادية ، من قطع الأعراب للطريق ، واتساع المهمة .

- وكل سلوك في طريق يكون محمودا ، لا بد أن يصادف عقبات وموانع وقطاع طرق .

- وهذا السلوك - أى الجبر - صار خصما لذلك السلوك - أى الاختيار - ، حتى يصبح المقلد حائرا بين طريقين .

- فيرى صدق كل مذهب في سلوكه الطريق ، ويرى كل حزب ، فرحا بما لديه .
- فإن لم يكن ثم جواب على كل مذهب يقطع الجدل ، لبقى الأمر على هذا الحال حتى يوم القيامة .
- ٣٢٣٠- وإن عظماءنا يعلمون هذا الجواب " المفحم " ، وإن اختفى عنا نحن وجهه الصواب .
- والعشق هو الذى يضع كمامة على فم الوسوسة ، وإلا فمتى سد أحد " طريق " الوسواس " الخناس "؟
- فهيا ، صر عاشقا ، وابحث عن حسناء جميلة ، وداوم على صيد طيور الماء من جدول إلى جدول .
- ومتى تأخذ رواءً من ذلك الذى يريق ماء وجهك ؟ ومتى تفهم من ذلك الذى يسلب فهمك ؟
- وإنك لتجد معقولات غير هذه المعقولات في العشق ذى البهاء والصولة .
- ٣٢٣٥- وهناك عقول للحق غير عقلك هذا ، تقوم بتدبير أسباب السماء .
- وإنك بهذا العقل تحصل على الأرزاق ، وبذلك العقل الآخر تجعل طباق السماء أرضا .
- وعندما تخسر العقل في عشق الصمد ، فإنه يعطيك عشرة أمثاله أو سبعمائة مثل .
- وأولئك النسوة عندما قامرن بالعقل ، حملن على رواق عشق يوسف عليه السلام .
- فسلب عقولهن لحظة واحدة ساقى العمر ، فملن من العقل باقى العمر .

٣٢٤٠- وجمال ذى الجلال أصل لجمال مائة من أمثال يوسف عليه السلام ، فيا أقل من امرأة ، كن فداءً لذلك الجمال .

- إن العشق هو الذى يقطع هذا الجدل فحسب ، إذ يكون مغيثاً من القيل والقال .

- فالعشق يصيب ذلك النطق بالحيرة ، فلا تكون لديه جرأة على الجدل .
- إذ يخاف إن فتح فاه ليعطي الجواب ، أن تسقط جوهرة من بين شذقيه خارجاً
- فيطبق شفتيه تماماً عن الخير والشر ، حتى لا يسقط الجوهر من هذا الفم
٣٢٤٥- مثلاً قال ذلك الصحابي : عندما كان الرسول ﷺ يقرأ علينا الفصول ؛

- كان ذلك الرسول المجتبى يطلب منا وقت العطاء الحضور والوقار الشديد .
- وكان على رأسك الطير ، فمن فوات ذلك العطاء ، تكون مرتعد الروح .
- فلا تستطيع أن تتحرك من مكانك ، حتى لا يطير طائرک الجميل في الهواء .
- ولا تستطيع أن تتنفس ، وتحبس السعال ، حتى لا يطير ذلك الطائر الهمايوني الميمون .

٣٢٥٠- وإن تحدث إليك " أحدهم " بخير أو شر ، فإنك تضع إصبعك على شفتيك بما يعني : أصمت .

- والحيرة هي ذلك الطائر الذى يسكتك ، يخلق عليك الإناء ، ويغليك جيداً .

سؤال الملك إيازا عامدا : حتام نتحدث بفرحك وحزنك إلى الحذاء والسترة

وهما جمادان ؟ حتى يدفم إيازا إلى الكلام

- يا إياز ، ما هذا الحب لحذاء قديم ؟ وما نتیجتـه ؟ كأنك عاشق لصنم .

- لقد جعلت من حذاء قديم ديناً لك ومذهباً ، كما جعل المجنون من وجه ليلي " دينه ومذهبه " .

- ولقد مزجت حب روحك بشيئين قديمين ، وعلقتهما كليهما في حجرتك .
٣٢٥٥- فحاتم تتحدث مع قديمين بالكلام الجديد ، وحاتم تنفت السر القديم في جماد ؟

- ومثل " الشاعر " العربي تطيل حديثك عن العشق مع الربع والأطلال يا إياز .

- فربع أى وزير عظيم كأصف حذاؤك هذا ؟ وكأن سترتك الجلدية هي قميص يوسف عليه السلام .

- مثل المسيحي الذى يعترف للقسيس بجرائم عام كامل من الزنا والغل والغش .

- حتى يتجاوز له القسيس عن تلك الذنوب ، فإنه يعتبر عفوه من عفو الإله
٣٢٦٠- ولا خبر لذلك القسيس عن الظلم أو العدل ، لكن العشق والاعتقاد أمران شديداً السحر .

- إن الحب والوهم ينسجان مائة في جمال يوسف عليه السلام ، وهما أشد سحراً من هاروت وماروت .

- وإنك لتخلق صورة ما على ذكراه ، وانجذابك بالصورة يدفعك إلى الحديث والكلام .

- وتتحدث إلى الصورة بأسرارك آلاف المرات ، مثلما يتحدث الحبيب إلى حبيبه .

- وفي حين أنه لا صورة هناك ولا هيكل ، قد انبعث منها مائة سؤال ومائة جواب . (١)

٣٢٦٥- مثل امرأة مسلوقة الفؤاد ، تكلى أمام قبر ولدها الذي مات حديثاً .

- إنها تتحدث إليه بالأسرار بجد واهتمام ، وذلك الجماد يبدو لها حياً .

- إنها تعتبر ذلك التراب حياً وحاضراً ، وترى للغثاء عينا وأذناً

- وعندها أن كل ذرة من تراب ذلك القبر ، لديها وعي ولديها أذن ، عند الوجد الذي يبدر منها .

- إنها تعتبر ذلك القبر مستمعا ، وذلك بشكل جاد ، فانظر إلى هذا العشق الساحر .

٣٢٧٠- وهي تتجه جادة إلى تراب قبره الحديث لحظة بلحظة ، وتضع وجهها الدامع عليه .

- بالرغم من أنها لم تتجه قط بهذا الشكل إلى ابنها الحبيب كأنه الروح ، عندما كان حياً .

- وعندما تمر عدة أيام على الحداد والسواد ، تسكن نيران وجدها وعشقها .

- فإن العشق للميت لا يبقى ثابتاً ، فاعشق الحي الذي يطيل في العمر ويزيد في الروح .

- فإنها من بعد ذلك من نفس ذلك القبر يأتيها النوم ، ويتولد لها جماد من جماد .

٣٢٧٥- ذلك أن العشق اختطف تعويذته ومضى إلى حال سبيله ، وعندما انطفأت النار المتأججة ، بقي التراب .

- وذلك الذي يراه الشاب في المرأة ، إنما يراه الشيخ في قطعة من المدر .

(١) حرفياً : مائى، ألسـت وبلى .

- والشيخ هو عشقك ، لا صاحب اللحية البيضاء ، فهو الآخذ بأيدي مئات الآلاف من القانطين .

- والعشق يخلق الصور في الفراق ، وعند اللقاء يبدو ما لم يدر في خلد وما لم يتصور ؛

- قائلا : إنني أصل أصل الصحو والسكر ، والذي كان على الصور هو إنعكاس حسنا .

٣٢٨٠- ولقد رفعت الحجب في هذه اللحظة ، ونشرت الحسن بلا واسطة

- ذلك أنك من كثرة ما اندمجت مع صورتني ، وجدت القوة على تجريد ذاتي .

- وعندما سيرت جذبتني من هذه الناحية ، لا يرى أن هناك جذبا بيننا .

- فيطلب المغفرة من الجرم والخطأ ، من وراء هذا الحجاب ، من لطف الله .

- وعندما ينفجر نبع من صخرة ، فإن الصخرة تتوارى في هذا النبع .

٣٢٨٥- ولا يسميها أحدٌ من بعد ذلك حجرا ، ذلك أنه قد فاض منها ذلك الجوهر .

- فاعلم أن هذه الصور مجرد أوعية ، وتأخذ قيمتها مما يصبه الحق فيها .

قول أهل المجنون له : إن حسن ليلى محدود وليس فائقا وأجمل منها كثيرات في

مدينتنا ، فلنعرض عليك واحدة واثننتين وعشرة منهن ، وخلصنا وخلص نفسك

وجواب المجنون عليهن

- قال البلهاء للمجنون جهلا ، إن حسن ليلى ليس طاغيا ، إنه أمر سهل يسير .

- فأجمل منها مئات الآلاف من الفاتنات ، كأنهن الأقمار في مدينتنا . (١)
- قال : إن الصورة كالوعاء والحسن خمر ، والله تعالى يسقيني الخمر من صورتها هي .
- ٣٢٩٠- وربما أعطاكم الله الخـل من وعائها ، حتى لا يكون عشقها جاراً لكم من الآذان .
- فمن وعاء واحد ، يعطي الله تعالى السم والعسل لكل إنسان .
- وإنك لترى الوعاء ، لكن الشراب ، لا يبدى وجهه لعين من ليس على الصواب .
- وقاصرات الطرف يكن لذة للروح ، لا يبدن أمارتهن إلا لمن خاصم نفسه " التي بين جنبيه " .
- وهذه المدام بمثابة قاصرات الطرف ، وحجب الأوعية بالنسبة لهن كالخيام .
- ٣٢٩٥- فالبحر خيمة ، فيها الحياة للبط ، لكنه ممات للغربان .
- والسم يكون للحية قوت وزاد ، ولغيرها يكون سمها آلاماً وموتاً .
- وصورة كل نعمة ، وصورة كل محنة ، هي لهذا جحيم ، ولذاك جنّة .
- إذن فكل الأشياء والأجسام التي تبصرونها ، فيها قوت أو سم لا تبصرونها .
- وكل جسد كأنه الوعاء أو كأنه الإناء ، فيه قوت وفيه أيضاً تعب وحرقة للقلب .
- ٣٣٠٠- فالوعاء ظاهر والرغد مختف فيه ، ويعلم طاعمه ما الذي يأكله منه .

(١) ج/١٢-٤٤٨:- هناك الآلاف أكثرقة منها وكأنهن الحور ، فاختر من بينهن - رفيقة جميلة - .
وخلص نفسك وخلصنا نحن أيضاً من هذا الهوس القبيح المريب .

- وكانت صورة يوسف عليه السلام مثل كأس طيبة ، منها يشرب أبوه الخمر الطروب .
- وكان لإخوته منها السم الزعاف ، الذى كان يزيد من غضبهم وحقدهم الدفين .
- ثم كان لزيخا منها الشهد والسكر ، فكانت تجذب منها أفيونا آخر للعشق .
- وغير ما كان ليعقوب من يوسف عليهما السلام ، كان منه الغذاء من نوع آخر لتلك الحسناء .
- ٣٣٠٥- إن الشراب متنوع والوعاء واحد ، حتى لا يبقى هناك شك في خمر الغيب .
- والخمر من الغيب ، والوعاء من هذه الدنيا ، والوعاء ظاهر والخمر شديدة الإستتار فيه .
- إنها شديدة الخفاء عن أبصار من لم يؤذن لهم ، لكنها ظاهرة للعيان لمن أذن لهم .
- " يا إلهي سكرت أبصارنا * فاعف عنا أثقلت أوزارنا -
- يا خفيا قد ملأت الخافقين * قد علوت فوق نور المشرقين .
- ٣٣١٠- أنت سر كاشف أسرارنا * أنت فجر مفجر " أنهارنا
- ياخفي الذات محسوس العطش * أنت كالماء ونحن كالرحى
- أنت كالريح ونحن كالغبار * تختفي الريح وغبراهما
- جهار . " (١)

(١) ما بين القوسين بالعربية في المتن الفارسي .

- فأنت ربيع ونحن كالبساتين النضرة ، وذلك أن الربيع مستتر وعطاياه ظاهرة .

- وأنت كالروح ، ونحن بمثابة اليد والقدم ، فالقبض والبسط يتأتیان لليد من تأثير الروح .

٣٣١٥- وأنت كالعقل ، ونحن بمثابة هذا اللسان ، وهذا اللسان له من العقل البيان .

- وأنت كالسرو ونحن الضاحكون ، فنحن نتيجة للسرو ومتهللون .

- وإن حركتنا في كل لحظة ناطقة بالشهادة ، هي شهادة على " وجود " ذى الجلال السرمدى .

- ودوران حجر الطاحون اضطرابا ، هو شهادة ناطقة بوجود الماء .

- فيا من أنت خارج أوهامنا وقالنا وقيلنا ، ليكن التراب على مفرقي ، وعلى الأمثلة التي أقدمها .

٣٣٢٠- فإن العبد لا يصبر عن صورتك الطيبة ، وكل لحظة يقول : لتكن روحي وطاء لك .

- مثل ذلك الراعي الذى كان يناجيك قائلا : يا الله ، تعال إلى راعيك ومحبك .

- حتى أخلى من القمل قميصك ، وأخصف نعلك ، وأقبل طرف ثوبك .
- لم يكن له قرين في الهوى والعشق ، لكنه كان عييا عن التسبيح والمقال .

- لقد نصب عشقه خيمة على الفلك ، وصار الروح كلبا أمام خيمة ذلك الراعي .

٣٣٢٥- وعندما جاش بحر عشق الإله ، أثر في قلبه ، بينما أثر على أذنك .

حكاية جحا الذي تنقب وجلس بين النساء أثناء الوعظ ، ثم قام بتصرف ما عرفت منه امرأة أنه رجل وصرخت

- كان هناك أحد الوعاظ ، وكان مفوها جدا في بيانه ، يجتمع الرجال والنساء أسفل منبره .

- وذهب جحا وتحجب وتنقب ، وتسأل خفية وجلس بين النساء .

- وسأل أحد الحاضرين الواعظ هامسا " على استحياء " : هل يكون شعر العانة منقصا " لأركان " الصلاة ؟

- وأجاب الواعظ : عندما يطول شعر العانة ، تكون منه كراهة عند الصلاة .

٣٣٣٠- فأزله بالنورة أو بالموسي ، حتى تتم أركان صلاتك ، وتكون كاملة طيبة .

- قال السائل : إلى أى حد ترى يكون طولها ، بحيث يكون فيه " خطر " نقص أركان الصلاة ؟

- قال : عندما يكون بقدر حبة شعير في الطول ، تكون الإزالة واجبة أيها السئول .

- فقال جحا " لجارته " : أنظري أيتها الأخت ، هل صار شعر عانتى بنفس ذلك الطول ؟

- ومن أجل رضا الله مدى يدك وتحسسي ، أترينه قد وصل إلى حد الكراهة ؟

٣٣٣٥- فمدت المرأة يدها في سروال الرجل ، فاصطدمت يدها بذكر الرجل .

- فصرخت على الفور صرخة عالية ، فقال الواعظ : لقد بلغ قلبي منها سويداء القلب . (١)

- قالت : لا ، لم يطرق القلب ، بل طرق اليد ، والويل كل الويل ، إن كان قد طرق القلب ، يا عظيم العقل .

- لقد طرق قلوب أولئك السحرة قليلا ، فصارت أيديهم والعصا شيئا واحدا .

- فإنك إن أخذت العصا من شيخ أيها المليك ، لتألم أكثر مما تألم أولئك السحرة عند فقدانهم الأيدي والأقدام .

٣٣٤٠- ولقد وصلت صيحاتهم بـ « لا ضير » إلى الفلك ، قائلين : هيا خذها ، فقد خلصت الروح من آلام النزع

- ولقد علمنا أننا لسنا هذا الجسد ، وأننا من وراء الجسد ، نحيا بالله " الواحد الأحد " .

- وما أسعده ذلك الذي عرف نفسه ، وبني قصيرا في الأمن السرمدى .
- والطفل يبكي من أجل الجوز والزبيب ، بينما يكون هذا أمرا هينا بالنسبة للعاقل .

- فالجوز والزبيب هما بمثابة الجسد بالنسبة للقلب ، ومتى يصل الطفل في المعرفة إلى مرتبة الرجال .

٣٣٤٥- وكل من هو محجوب ، هو طفل في حد ذاته ، والرجل هو من يكون بعيدا عن الشك .

(١) ج/١٢-٤٥٣:- هيا تعلموا الصدق من هذه المرأة ، فعندما أثر قلبي في قلبها صرخت هكذا .

- ولو كان الرجل رجلا بلحيته وخصيئته ، فإن لكل تيس لحيه وشعرا
كثا .

- وذلك التيس يكون قائدا خائبا من عجلته ، فيأخذ رفاقه حتى " حانوت "
القصاب .

- لقد مشط لحيته قائلا " بفخر " : إنني سابق " متفوق " ، أجل إنه سابق ، لكن
إلى الألم والحزن .

- فهيا اختر السلوك ، ودعك من اللحية ، واترك قولك " أنا ونحن "
وهذه الجلبة .(١)

٣٣٥٠- حتى تصبح مثل عبير الورود مع العاشقين ، قائدا ومرشدا إلى
رياض " الجنان " .

- وما هو عبير الورود ، إنها أنفاس العقل والنهى ، فهو مرشد طيب إلى
طريق ملك الأبد .

أمر الملك إياز مرة أخرى أن : إشرم سر الحذاء والسترة بوضوح حتى

يجد أترابك الموعظة من تلك الإشارة ، فالدين النصيحة

- بين سر الحذاء يا إياز ، وما هذه الضراعة الشديدة أمام حذاء ؟

- حتى يشرب " سنقر " و " بركيارق ، سر سر سترتك ونعلك .

- ويا إياز ، لقد وجدت العبودية منك النور ، وأسرع نورك منطلقا
من الحضيض إلى أوج الأفلاك

٣٣٥٥- فصارت العبودية حسرة للأحرار ، عندما وهبت أنت
العبودية الحياة .

(١) ج/١٢-٤٥٤: لقد جعلت من لحيتك مزرعة للضحك ، فكفاك دلالا أنك أثبت لحيه .

- والمؤمن هو ذلك الذى فى جزر " الحياة " ومدها ، يكون الكافر فى حصرة من إيمانه .

حكاية الكافر الذى قيل له فى زمن أبى يزيد : أدخل فى الإسلام

وجوابه

- كان هناك مجوسى فى زمن أبى يزيد ، فقال له أحد المسلمين ، وكان بشوشا ميالا إلى المزاح :

- ماذا يكون لو دخلت فى الإسلام ، حتى تظفر بالرياسة وترتقى كثيرا ؟

- فقال : إذا كان الإيمان أيها المريد ، هو ذلك الذى عند شيخ العالم أبى اليزيد ؛

٣٣٦- فلا طاقة لي عليه ، ولا قدرة لي على احتماله ، فهو فوق ما تقوم به مساعي الروح .

- وبالرغم من أنني غير مؤمن أو موقن بدين الإسلام ، لكنني معتقد جدا فى إيمانه .

- وعندى إيمان هو أعلى من كل هذا ، هو إيمان لطيف ذو ضياء وذو بهاء .

- إنني مؤمن بإيمانه فى سرى وباطنى ، بالرغم من أن هناك قفلا محكما على فمي .

- وإذا كان الإيمان فى حد ذاته هو ذلك الذى لديكم ، فليس عندى ميل إليه أو اشتها .

٣٣٦٥- وذلك الذى يكون لديه إلى الإيمان " بالإسلام " ، عندما يرى إيمانكم ، يفتقر ميله .

- ذلك أنه يرى اسما ولا معنى ، كما يطلق على الصحراء اسم المفازة .
- فيتجمد عشقه لإبداء الإيمان عندما يرى إيمانكم .

حكاية ذلك المؤذن قبيح الصوت الذي أذن في دار الكفر

وأهداه رجل كافر هدية

- كان أحد المؤذنين ذا صوت شديد القبح ، وقام بالأذان في دار الكفر . (١)
- فقالوا له وكرروا القول : لا تؤذن ، فقد تشب الحرب ويطول العداء .
- ٣٣٧٠- لكنه عاند ، وبلا أدنى احتراز ، قام بأداء الأذان في دار الكفر .

- وخاف الخلق من فتنة عامة ، لكن أحد الكفار جاء بنفسه يحمل ثوبا " كهديّة " .

- وأحضر كهديّة الشمع والحلوى وذلك الثوب الفاخر ، وأقبل كأنه "الرفيق" الأليف .

- وأخذ يتساءل : أين ذلك المؤذن ؟ إن نداءه وأذانه ليزيدان في الراحة " والسرور " .

(١) النص هنا عند نيكلسون ومن تبعوه شديد الغموض ، فلطالما فكرت : كيف يؤذن المؤذن في دار الكفر؟! وعند جعفرى "١٢-٤٦٠" تبدأ الحكاية بأحد عشر بيت توضح النص إلى حد كبير على النحو التالي :-

- استمع إلى هذه الحكاية يا شديد الذكاء ، دعك من صورتها واستمع إلى معناها . كان أحد المؤذنين ذا صوت شديد القبح ، كان طوال الليل يمزق حلقه بهذا الصوت . - وجعل النوم العميق حراما على الناس ، وأصيب بالصداع منه الخواص والعوام . - فالأطفال في خوف منه وهم في ثياب النوم ، والرجال والنساء في عذاب من صوته . - فاجتمعوا على الخلاص منه ، من أجل دفع إزعاجه وأذاه . - فاستدعوه في التو واللحظة ، وبذلوا له الأموال ، وقالوا : يا فلان :- إننا جميعا معجبون بأذنانك ، لقد أكرمتنا كثيرا ليل نهار أيها العظيم . - ولقد وصل لكل منا دولة وإقبال منك ، لكن النوم فارقنا منذ فترة . - فمن أجل راحتنا إعقد لسانك قليلا ، وفي المقابل فإن لدينا رحلة حج ، إصحبها . - وأخذت القافلة تسير نحو الكعبة بشوق ، فأخذ الأموال ، وسار مع القافلة . - وفي الليل نزل أهل القافلة للراحة في موضع ما بدار الكفر . - وذلك المؤذن الذي كان عاشقا لصوته ، أذن في ذلك الموضع بدار الكفر .

- ماذا؟! أية راحة في هذا الصوت القبيح؟! قال : إن صوته بلغ مسامعنا حتى الكنيسة .

٣٣٧٥- ولي ابنة لطيفة وذات بهاء شديد ، وكانت تشتت في الدخول في الإسلام .
- ولم تكن هذه الرغبة العارمة تفارق رأسها قط ، وكم كان ينصحها كثير من الكفار .

- لقد كان حب الإيمان قد نبت في قلبها ، وكان الحزن في قلبي كالمجمر وأنا عليه كالعود .

- كنت في آلام وعذاب ونصب وتعذيب ، فقد كانت تحرك السلسلة " نحو الإيمان " لحظة بلحظة .

- ولم أكن أعرف حيلة لهذا الأمر ، حتى " تفضل " ذلك المؤذن بذلك الأذان .
٣٣٨٠- فقالت البنت : ما هذا الصوت الكريه الذي صك مسمعي صكا شديدا؟!

- إنني لم أسمع قط طوال عمري مثل هذا الصوت القبيح ، سواء في الدير أو في الكنيسة .

- فقالت لها أختها : هذا هو صوت الأذان ، إنه إعلان المؤمنين بالإسلام وشعارهم .

- ولم تصدق ، فسألت أخرى ، فقالت لها الأخرى : أجل ، " هو هذا " ، يا " روح " أبيك .

- وعندما تأكدت من الأمر اصفر وجهها ، وفتر الحماس للإسلام في قلبها .
٣٣٨٥- ونجوت أنا ثانية من القلق والعذاب ، ونمت ليلة أمس نوما عميقا ، لا خوف فيه ولا قلق .

- لقد كانت راحتي هذه من صوته ، وأتيت له بهدية على سبيل الشكر ، فأين هذا الرجل ؟

- وعندما رآه ، قال له : تقبل مني هذه الهدية ، فلقد صرت لي مجيرا ومعينا .

- وما قدمته لي من إحسان وبر ، جعلني عبد " إحسانك " على الدوام .

- ولو كنت غنيا بالمال والثروة ، لمألت فاك هذا بالذهب .

٣٣٩٠- قال المجوسي " : وإيمانكم هذا هو احتيال وزيف ومجاز ، وهو قاطع للطريق مثل ذلك الأذان .

- لكن من إيمان أبي اليزيد وصدقـه ، أصيب قلبي وأصيبت روحي بالحسرات .

- مثل تلك المرأة التي رأت جماع الحمار ، فقالت : واحسرتاه ، ما هذا الفحل الفريد ؟

- إذا كان هذا هو الجماع فقد فازت هذه الحمير ، أما هؤلاء الرجال فيغوطون على فروجنا .

- ولقد أعطى بايزيد جملة الإيمان حقه ، وليكن الثناء الجم على مثل هذا الأسد الفريد .

٣٣٩٥- فلو أن قطرة من إيمانه قد مضت إلى البحر ، لغرق البحر في قطرته هذه .

- وكالنار ، لو أن شررا واحدا منها سقط في غابة ، لكان الفناء من هذا الشرر لتلك الغابة .

- مثل ظن واحد يطرق قلب الملك أو الجنود ، وقد جعل الخصوم بددا في القتال .

- ألم يبدُ نجم واحد هو نجم محمد ﷺ ، ففنى منه أصل اليهود والمجوس ؟ (١)
- وذلك الذى وجد الإيمان ، مضى فى أمان ، أما كفر الباقين ، فقد بقي قائما على الظن .
- ٣٤٠٠- وربما لم يبق ذلك الكفر المحض الذى كان عند الأولين ، فقد حل محله إما الإسلام وإما الخوف .
- إن هذا الإيمان هو مزج للزيت بالماء إحتيالا ، وهذه الأمثال تشبه الذرة ، ليست نورا .
- ولا أقصد بالذرة تلك التي تكون هباء متجسدا ، أو ذلك الشيء الذى لا يتفتت ولا ينقسم .
- فاعلم أن لدى مرادا خفيا من ذكرى للذرة ، لكن ليس مأذونا لك بالبحر ، فأنث زبدُ الآن .
- وإن الشمس النيرة لإيمان الشيخ ، لو أشرقت بوجهها من مشرق روح الشيخ ؛
- ٣٤٠٥- فإن كل الوهاد تحتوى على الكنوز حتى " قاع " الثرى ، وكل النجاء تظفر بالخلد الأخضر .
- فإن له روحا من النور المنير ، كما أن له جسدا من التراب الحقيقير .
- فواعجبا !! أهو هذا أو ذاك ، لقد عجزت عن " حل " هذه المشكلة يا عماه .
- فإذا كان هو الجسد يا أخي ، فما تكون تلك التي منها امتلأت السموات السبع بالنور ؟!

(١) ج/ ١٢ - ٤٦١ :- ولقد بزغت نجمة واحدة في محمد ﷺ ففنى بها كل الكفر في الشرق والغرب .

- وإذا كان هو تلك " الروح " فما هذا البدن أيها الصديق ؟ واعجباه !! من هو ؟
وأيهما يكون ؟!

**حكاية تلك المرأة التي قالت لزوجها : إن القطة أكلت اللحم ، فوضع الزوج القطة
على الميزان فوجد وزنها نصف من ، فقال : يا امرأة ، كان اللحم نصف من وأكثر
فإذا كان هذا هو اللحم ، فأين القطة ؟! وإذا كانت هذه هي القطة ، فأين اللحم ؟**
٣٤١٠- كان هناك رجل رب بيت ، وكانت له زوجة عيابة سليطة وقذرة
وطويلة اليد .

- وكل ما كان الرجل يحضره ، كانت المرأة تبده ، وكان الرجل مضطرا
إلى الاستسلام والسكوت .

- وأحضر ذلك المعيل لحما " ذات مرة " من أجل ضيف ، وحمله إلى المنزل
بعد جهد جهيد .

- فأكلته المرأة شواء مع الشراب ، وجاء الرجل ، فقدمت إليه عذرا واهيا .
- وسأل الرجل : أين اللحم ؟ فقد وصل الضيف ، وينبغي أن يقدم الطعام الدسم
للضيف .

٣٤١٥- فقالت المرأة : لقد أكلت هذه القطة ذلك اللحم ، فاشتر لحما آخر إن
وجد ، هيا .

- فصاح : يا " أيبك " ، هات الميزان ، وسوف أقوم بوزن القطة .
- ووزنها ، وكان وزن القطة نصف " من " ، فقال ذلك الرجل : أيتها المرأة
المحتالة :

- لقد كان اللحم يزن نصف " من " ويزيد رطلا ، والقطة نصف من يا سيدتى .
- فإذا كانت هذه هي القطة فأين ذلك اللحم ؟ وإذا كان هذا هو اللحم ، فأين
القطة ، إبحثي عنها .

٣٤٢٠- فإذا كان هذا هو بايزيد ، فما تلك الروح ؟ وإذا كان هو تلك الروح ،
فما هذه الصورة ؟

- إنها حيرة في حيرة أيها الصديق ، وليس هذا شأنك ، كما أنه ليس من شأني .
- إنه كلاهما معا ، لكن من محصول الزرع ، تكون البذور أصلا ، أما هذا
التبن والقش ففرع .

- وإن الحكمة قد جمعت هذه الأضداد معا ، وهذا القصاب يجمع معا ما حول
الفخذ وما حول الرقبة.

- والروح بلا جسد لا تستطيع العمل ، وجسدك بلا روح يكون باردا
متجمدا (١).

٣٤٢٥- وجسدك ظاهر ، أما روحك فخفية ، وبهذين كليهما صحت أسباب
الدنيا .

- وإنك لتقذف الرأس بالتراب فلا تشج ، وتصب الماء على تلك الرأس ، فلا
تشج أيضا .

- وإذا كنت تريد أن تشج الرأس ، فعليك أن تخلط الماء بالتراب .
- وعندما تشج الرأس يذهب ماؤها نحو أصله ، ويأتي التراب صوب
التراب يوم الفصل .

- والحكمة التي صارت للحق من هذا الازدواج ، قد حصلت من الحاجة ومن
الفراق واللجاج .

٣٤٣٠- وتكون حينذاك ازدواجات أخرى ، لا سمعت بها أذن ولا
أبصرتها عين .

(١) ج/١٢-٤٧٠:- والجسد بلا روح أقل من التراب أيها الحبيب ، والروح كاللب والجسد كالقشر .
والجسد بلا روح لا يتأتى منع عمل ، فجاهد حتى تحصل على روح أيها المحتال .

- وإذا كانت أذن قد سمعتها ، فمتى كانت تبقى أذنا ، أو من أين كان يتأتى لها ثانية ضبط الكلام ؟

- وإذا كان الثلج والبرَد قد أبصرا الشمس ، لقطعا من بعدها الأمل في طبيعة الثلج .

- ولصارا ماءً خاليين من العروق والعقد ، ولصنع داود الهواء والنسيم مجنا من ذلك الماء .

- ولصارا من بعدها دواءً لكل شجرة ، ولسعد جد كل شجرة من قدومهما .
٣٤٣٥- وذلك الثلج المتجمد قد بقي " منطويا " على نفسه ، وقد قرأ على كل شجرة « لاساس » .

- " ليس يَألف ، ليس يؤلف جسمه * ليس إلا شحـ نفس قسمه " . (١)

- إنه لا يذهب هدرا ، ومنه يستفيق الكبد ، لكنه لا يكون رسولا وسلطانا للنبات .

- يا إياز ، إن نجمك سامق الإرتفاع ، وليس كل برج قابلا لعبوره .

- ومتى تقبل كل وفاء همتك ؟ ومتى تصطفي كل صفاء صفوتك ؟ .

حكاية ذلك الأمير الذي قال للغلام : أحضر خمرا . فذهب الغلام ، وعندما كان عائدا بجرة الخمر ، كان هناك زاهد يمر بالطرق للأمر بالمعروف ، فخذف الجرة بحجر وكسرها ، وعلم الأمير ، وتوجه لعقاب الزاهد . وهذه القصة حدثت في زمن عيسى عليه السلام ، ولم تكن الخمر قد حرمت بعد ، لكن الزاهد كان ينتقز منها ويمنع التمتع بها

(١) ما بين القوسين بالعربية في المتن الفارسي .

٣٤٤٠- كان هناك أمير حلو الروح معاقر للخمر ، كان كهفا يلجأ إليه كل مخمور وكل مسكين .

- كان مشفقا مكرما للمساكين عادلا ، كان أصيلا واهبا للذهب ، قلبه كالبحر .

- كان ملكا للفتيان ، وأميرا للمؤمنين ، كان حافظا للطريق عالما بالسر ، ناظرا إلى الصديق .

- كان العهد عهد عيسى والأيام أيام المسيح ﷺ ، كان الخلق طيبي القلوب قليلي الأذى ، صبورين .

- فأتاه ضيف فجأة ذات ليلة، كان أميرا على شاكلته ، حسن المذهب .
٣٤٤٥- وكانت الخمر تلزمهما في نظم أمورهما ، فقد كانت الخمر في ذلك الوقت حلالا مسموحا بها .

- وقلت الخمر أمامهما ، فنادى : يا غلام ، امض واملا الإبريق ، وإيت لنا بالخمر ؛

- من فلان الراهب ، فإن عنده خمرا خاصة ، ومنها يجد الخواص والعوام الخلاص .

- وإن ما تفعله جرعة من خمر ذلك الراهب ، هو ما تفعله آلاف الجرار والدنان .

- ففي تلك الخمر مادة خفية ، مثلما يكون سلطان متخفيا في عباءة .

٣٤٥٠- فقل أنت النظر باستهانة إلى الخرق الممزقة ، فلقد سود ظاهر الذهب .

- ولقد صار منبوذا ومردودا من أجل عين السوء ، كما سود ظاهر ذلك الياقوت بالدخان .
- ومتى تكون الكنوز والجواهر داخل الدور ؟ إن الكنوز توجد دائما في الخرابات .
- وعندما دفن كنز آدم في خرابة الجسد ، صار جسده تعويذة لعين ذلك اللعين .
- كان ينظر إلى الطين باستهانة شديدة ، وكانت الروح تقول له : إن طيني سد أمام عينيك .
- ٣٤٥٥- وأخذ الغلام الجرة وأسرع راضيا ، وفي لحظة وصل إلى دير الرهبان .
- ودفع الذهب ، وأخذ خمرا كأنها الذهب ، لقد أعطى حجرا وأخذ عوضا عنه جوهرا .
- "أخذ" خمرا لو أنها صعدت إلى رؤوس الملوك ، لوضعوا تاج الذهب على مفرق الساقبي .
- ولأثارت الفتن وألوان الشغب ، ولاختلط العبيد بالسادة .
- ولمضت العظام وصارت كلها أرواحا ، ولتساوى في تلك اللحظة العرش مع لوح الخشب .
- ٣٤٦٠- فهما وقت الصبحو كالماء والزيت ، وهما وقت السكر كالروح في الجسد .(١)

(١) ج/١٢-٤٧٥:- مثل الهريسة ، اللحم والبُر ممتزجان معا ، لا يسبق أحدهما الآخر ، ولا فرق بينهما .

- وعندما صارا كالهريسة ، لم يعد ثم فرق ، فلا فرق هناك ، إذ ليس ثم غرق .

- كان ذلك الغلام لا يزال يحمل خمرا كهذى ، نحو قصر الأمير ، حسن السمعة

- فتقدم منه زاهد محزون متعصب ، متيبس اللب ، متلفع بالبلاء ؛

- قد أذاب الجسد في ميزان القلب ، وأخلى الدار من كل ما سوى الله .

٣٤٦٥- و" تعرض " لأذى المحن دون توقف ، والجراح فوق الجراح ، بحيث تبلغ الآلاف .

- خبرها قلبه كل لحظة من الجهاد " في الطريق " ، فقد كان عاكفا ليل نهار على هذا الجهاد .

- ولقد تمرغ في الدم والتراب لسنوات ، وفر منه الصبر والحلم فجأة ، في منتصف الليل . (١)

- فقال الزاهد : ما هذا الذى فى الجرار ؟ قال الغلام : خمر ، قال : لمن ؟

- قال : إنها لفلان الأمير الأجل ، قال : أمثل هذا العمل يكون للطالب ؟

٣٤٧٠- أكون طالبا لله ثم قصف ولهو ؟ وخمر الشيطان تكون لمن عنده نصف وعى ؟

- إن وعيك بلا خمر ذابل هكذا ، وهناك الباب ينبغي أن تكون مرتبطة بلبك هذا .

- فماذا يكون وعيك عند السكر ؟ يا من صرت مثل طائر سقط فى فخ السكر .

(١) ج/١٢-٤٧٥:- فرأى فى الليل غلاما حسن الخطى ، يطوى الأرض طيا من سرعته .

حكايبة ضياء دلق الذي كان مفرطا في الطول وأخيه شيخ الإسلام تاج بلخ الذي كان شديد القصر ، وكان شيخ الإسلام هذا يشعر بالعار من أخيه ضياء . ودخل ذات مرة إلى درسه ، وكل صدور بلخ حاضرون ، فحياه ضياء ومر ، وهم له شيخ الإسلام بالقيام بلاء اهتمام؛ فقال له : نعم ، أنت طويل جدا ، اختلس قطعة من طولك - كان ضياء دلق هذا حاضر البديهة ، وكان أخا لشيخ الإسلام تاج بلخ. (١)

- أما تاج ، فكان شيخ الإسلام في الحاضرة بلخ ، كان قصير القامة ضئيلا وكأنه فرخ .

٣٤٧٥- وبالرغم من أنه كان فاضلا فحلا حاويا للفضائل ، فقد كان ضياء يبرزه في الظرف .

- كان قصيرا ، بينما كان ضياء مفرطا في الطول ، وكان شيخ الإسلام يتسم بكبر وفخر شديدين .

- وكان يشعر بالعار من هذا الأخ ، في حين أن ضياء كان واعظا أيضا ذا هدى .

- وفي يوم المحفل دخل ضياء ، وكانت الحضرة مليئة بالقضاة والأصفياء .

- ومن كبريائه الشديد ، قام شيخ الإسلام نصف قومة لهذا الأخ الرشيد .

٣٤٨٠- فقال له : حقا ، إنك مفرط الطول ، فمن أجل الأجر والثواب ، اختلس جزءا من قوامك السروى .

(١) ج/١٢-٤٨٠: ومن أجل العلم، كان خلق يفدون إليه على الدوام يلزمون درسه .

- ومن ثم ، فأى لب وأى عقل لك بحيث تشرب الخمر يا عدوا للمعرفة .

- وإن كان وجهك مليحاً ، فضع عليه قدرا من النيلـة ، فالنيلة على وجه الحبشي تكون أضحوكة .

- ومتى حل فيك نور" أيها الغوى ، حتى تصبح باحثا عن الغيبوبة والظلام ؟

- والقاعدة هي البحث عن الظل في النهار ، فهل تصير باحثا عن الظل في الليل الملبد بالسحب ؟

٣٤٨٥- فإذا كانت قند أحلت قوتا للعوام ، فإنها قد حرمت على طالبي الحبيب .

- وخمر العشاق هي دماء قلوبهم ، وعيونهم تكون على المنـزل والطريق .

- وفي مثل هذا الطريق لهذه الصحراء المهولة ، هذا العقل المرشد ذو مائة غياب وكسوف .

- وإنك لتحثو التراب في وجوه المرشدين ، وتجعل القافلة هالكة ضالـة .

- وحقا إن خبز الشعير يكون حراما وتريدا ، فضع أمام النفس خبز النخالة .

٣٤٩٠- وأذل عدو طريق الله ، ولا تضع اللص على المنبر ، بل ضعه على المشنقة .

- وأولى باللص أن تقطع يده ، وإن عجزت عن القطع ، فقيد تلك اليد .

- فإن لم تقيد يده ، قيد هو يدك ، وإن لم تكسر قدمه ، كسر هو قدمك .

- فهل تعطي العدو الخمر وقصب السكر ؟ لماذا؟ ، فلتضحك ضحكة مسمومة ، ولتقل له : كل التراب .

- لقد قذف الزاهد من غيرته الجرة بالحجارة ، فتحطمت ، فألقى بها الغلام ، وفر من الزاهد .

٣٤٩٥- وذهب إلى الأمير ، فسأله : أين الخمر ؟ فقص له ما حدث بالتفصيل .

ذهاب الأمير غاضبا لمعاقبة الزاهد

- صار الأمير كالنار ، ونهض واقفا ، وقال : أخبرني أين دار ذلك الزاهد .

- حتى أدق رأسه بهذه الهراوة الثقيلة ، تلك الرأس الخالية من المعرفة ، ابن الخاطئة ؟

- أى علم له بالأمر بالمعروف ؟ أمن طبيعته الكلبية ؟! إنه طالب للصيت والشهرة .

- حتى يجعل لنفسه مكانة بهذا النصب والاحتيال ، حتى يظهر نفسه ، ويشهرها بشيء ما .

٣٥٠٠- وهو لا يملك فضلا سوى هذا ، وهو أن يتعرض متطعا لهذا وذاك - فإن كان مجنوننا مشعلا للفتنة ، فإن دواء المجنون هو قضيب الثور " السوط " .

- حتى يخرج الشيطان من رأسه ، وكيف يسير الحمار دون وخز من الحمارين ؟

- وانطلق الأمير خارجا والهراوة في يده ، وجاء في منتصف الليل إلى الزاهد وهو نصف ثمل .

- وكاد من " شدة " غضبه أن يقتل الزاهد ، فاخفى الزاهد تحت غطاء من الصوف .

٣٥٠٥- كان الزاهد يسمع ذلك من الأمير ، بينما هو مختف تحت صوف بعض الغزالين .

- وقال لنفسه : المرأة التي قسا وجهها فحسب هي التي تستطيع أن تبرز قبح المرء في وجهه .

- وينبغي وجهٌ في صلابه وجه المرأة ، ليقول لك : انظر إلى وجهك القبيح .

حكاية غلبة المهرج لسيد شاه ترمذ في الشطرنج

- كان سيد شاه ترمذ يلعب الشطرنج مع المهرج ، فهزمه المهرج سريعا ، وغضب سيد شاه غضبا شديدا .

- فما إن قال : مات الملك ، مات الملك ، حتى أخذ ذلك الشاه المتكبر يضربه بقطع الشطرنج قطعة قطعة فوق رأسه .

٣٥١٠- قائلا : هاكه فخذهُ، ملكك أيها الديوث ، فصبر ذلك المهرج وقال : الأمان أيها الملك .

- وأمر الأمير بأن يلعبا دورا آخر ، فكان " المهرج " مرتعدا وكأنه العريان في الزمهرير .

- وخسر الأمير الدور ، ومات ملكه ، وجاء دور قول " مات الملك " وأوانه

- فقفز ذلك المهرج وذهب إلى ركن ، ووضع سريعا ستة من اللباد فوق جسده

- وتحت الوسائد واللباد الستة ، اختفى نائما ، لكي ينجو من ضرب الأمير .

٣٥١٥- فقال الأمير : ماذا فعلت ؟ وما هذا ؟ فقال : الملك .. الملك .. الملك مات ، أيها الملك المختار .

- فمتى يمكن قول الحق إلا تحت اللحاف ، معك " بالذات " أيها الغاضب نارى الطبع .

- فيا من هزمت أنت ، ومت أنا من ضربات الملك ، ها أنا أقول لك : مات الملك .. مات الملك ، وأنا تحت ثيابك .

- لقد امتلأ الحى بصيحات الأمير " الآخر " ورفسه الأبواب بالأقدام ، والشد والجذب .

- ونهض الخلق خارجين من دورهم من على اليسار واليمين ، قائلين : أيها المقدم ، هذا هو أوان العفو والرضا .

٣٥٢٠- إن ذهنه متيبس ، وعقله في هذه اللحظة أقل من عقول الأطفال وأفهامهم .

- والزهد والشيخوخة صارا ضعفا فوق ضعف ، وهو على زهده ذاك ، ليس على سماحة وبسط .

- ولقد تجرع الآلام ، ولم ير نفعا من رفيق ، وقام بأعمال كثيرة ، ولم ير نتيجة أو أجرا من عمله .

- فإما أن عمله هذا لم يكن من أجل " العمل " ذاته ، أو أن حين الجزاء لم يحن بعد .

- أو أن سعيه هذا كان مثل سعي اليهود ، أو أن الجزاء مرهون بوقته .
٣٥٢٥- ويكفي الرجل ألما ومصيبة أنه بلا أهل في هذا الوادى المليء بالدم - لقد قبع في ركن من داره شديد وجع العينين ، وقد عبس بوجهه ، وأرخی شديقه .

- فلا كحال يعتني به " ويعالجه " ، ولا عقل له ليسعى في أثر علاج وكحل .

- وهو يجتهد على الوهم والظن ، وأمره قائم على احتمال التحسن .
- ومن هنا فطريقه حتى رؤية الحبيب بعيداً ، ولا مجال للبحث عن الرئاسة في رأسه . (١)
- ٣٥٣٠- فهو حيناً مع الله في عتاب ، قائلاً : إن نصيبي كان العناء من هذا الحساب .
- وحيناً مع حظّه في جدال ، " قائلاً " : الجميع مخلوقون ، وأنا مقطوع الجناح .
- وكل من هو سجين للون والرائحة ، حتى ولو كان الزهد ، يكون ضائقاً تماماً .
- وما لم يخرج من هذا الجو الضيق الكئيب ، لن يصير طيب الخصال واسع الصدر .
- وعندما يكون الزاهد منفرداً بنفسه ، ينبغي ألا يُعطى نصلاً أو موسياً من قبل أن يحدث البسط .
- ٣٥٣٥- فإنه ضجراً يمزق بطنه ، حزناً على ما أصيب به من خيبة وأحزان .
- هم المصطفى ﷺ بإلقاء نفسه من جبل حراء خوفاً من تأخر نزول جبريل عليه السلام ، وإظهار جبريل عليه السلام نفسه له قائلاً : لا تلق بنفسك ، فأمامك ألوان من الإقبال**
- عندما امتد الهجر وفراق " جبريل " للمصطفى ﷺ ، كاد أن يلقي بنفسه من فوق الجبل .
- حتى قال له جبريل عليه السلام : حذار ، لا تفعل ، فإن لك دولة عظيمة من أمر " كن " .

(١) الشطرة الثانية عند جعفرى " ١٢-٤٩٠ " : لم يبق له مخ من عشقه للقشور .

- فكان المصطفى ﷺ ينصرف عن إلقاء نفسه ، ثم كان الفراق يهاجمه مرة ثانية .

- فكان يهم بإلقاء نفسه مرة أخرى منقلباً من الجبل ، وذلك من شدة الحزن والهم .
٣٥٤ - فكان جبريل عليه السلام يظهر له مرة أخرى قائلاً له : لا تفعل ، أيها الملك الذي لا يبدل له .

- وهكذا ظل الأمر حتى كشف الحجاب ، وحتى وجد جوهـره ، من داخله هو .

- وإذا هم الناس بقتل أنفسهم عند كل محنة ، فماذا هم فاعلون في النفس التي هي أصل كل المحن ؟

- وإني لفي عجب وحيرة من توضيـحة الناس ، وكل منهم يضحي من أجل سيرة ما .

- وما أسعد ذلك الذي ضحى بالجسد ، من أجل ذلك الذي يستحق الفداء والتضحية .

٣٥٤٥ - ولما كان كل امرئ مضحياً من أجل شيء ما ، فهو صارفٌ فيه العمر ، مستعد أن يقتل من أجله ؛

- مستعد للقتل مستقبـله ذات شروق أو ذات غروب ، فلا مشتاق يبقى بعدها ، ولا موضع شوق .

- اللهم إلا هذا المقبل المضحي من أجل هذا الفن ، تكون له مائة حياة في القتل .

- فهو عاشق ومعشوق وعشقه في دوام ، وهو حسن السمعة في الدارين ، ذو نصيب .

- " يا كرامي ، ارحموا أهل الهوى * شأنهم ورد النوى بعد النوى " (١)

٣٥٥- فاعف أيها الأمير عن حديثه وغلظته، وانظر إلى آلامه وشقائه .

- حتى يعفو الله بدوره عن ذنوبك ، ويجازيك على ذلك بالمغفرة .

- ولقد حطمت أنت جرارا كثيرة من الغفلة ، ومع ذلك فقد رجوت العفو من أعماق قلبك .

- فاعف حتى تجد العفو عند الجزاء ، فإن القدر يدقق كثيرا عند الجزاء . (٢)

جواب الأمير على المتشفعين للزاهد وجيرانه قائلا : لماذا توقم وكسر جرتنا ؟

لن أقبل شفاعتي في هذا الأمر، فلقد أقسمت على عقابه

- فقال الأمير : من يكون هذا حتى يقذف جرتنا بحجر ويكسرها ؟
٣٥٥- والأسد الهصور عندما يمر من الحي الذي أسكن فيه ، يمر بوجل شديد وبحذر . (٣)

- ولماذا ضايق غلامنا وآذاه ، وأخجلنا أمام ضيوفنا ؟
- وأراق شربة هي أفضل من دمه ، ثم هرب الآن منا كالنساء .
- لكنه لن ينجو بروحه مني ، حتى ولو صار طائرا وحلق في الأعالي .

(١) البيت بالعربية في المتن الفارسي .

(٢) ج/١٢-٤٩٣:- وكن في وعيك بالنسبة لمن يدققون في أمور القدر ، واستمع إلى قصتنا جيدا . - واستمع إلى سيرة الأمراء الآخرين ، حتى تجد من الحكاية مائة خبر .

(٣) ج/١٢-٤٩٦:- بل إنه ليفقد مخلصه رعبا مني ، والأفعى أمام قهري تتحول إلى نملة .

- فإنني أرميه بسهم غضبي الذي يصمي جناحه ، وأقتلع جناحه وقوادمه
الحقيرة .(١)

٣٥٦٠- ولو مضى إلى قلب صخرة صماء ، فإنني بجهدى أخرجه في التو
من قلب الصخرة .(٢)

- ولسوف أوجه ضربة منى إلى جسده ، بحيث يكون عبرة لكل القوادين .(٣)
- ومع كل هذا الاحتيال .. ومعنا أيضا !! فلسوف أعطيه حقه ومائة من أمثاله
الآن .(٤)

- ولقد صار غضبه السفاك في قمته ، وكانت النيران لا تفتأ تخرج من
فمه .

قيام المتشفعين للزاهد وجيرانه بتقبيل يد الأمير وقدمه والتضرع

إليه مرة أخرى

- ومن أنفاسه المعرودة ، أخذ أولئك الشفعاء يقبلون يديه وقدميه
كثيرا .

٣٥٦٥- قائلين : يا أيها الأمير ، إن الانتقام لا يليق بك ، وإذا كانت الخمر قد
أريقت ، فأنت طيب بلا خمر .

- وإن الخمر لتستمد مادتها من لطفك ، ولطف الماء يتحسر من أجل لطفك
أنت .

(١) ج/١٢-٤٩٦:- ولو صار سمكة في ماء ، رعبا مني يتقلب ظهرا لبطن .

(٢) ج/١٢-٤٩٦:- لن ينجو بروحه من سيفي ، ولو قام بمائة حيلة وتدبير وفن .

(٣) ج/١٢-٤٩٦:- وإن عمله هو الاحتيال والشعوذة والغش ، وهدفه نيل الشهرة .

(٤) ج/١٢-٤٦٩:- سوف أدق رأسه تماما بهذه الهراوة الثقيلة ، بحيث يغادر جسده كنز الروح .

- فزاول الملوكية ، واعف أيها الرحيم ، أيها الكريم ابن الكريم .

- فكل شراب عبد لهذا القد ولهذا الخد ، وكل السكارى حساد لك .

- ولست محتاجا إلى الخمر الوردية على الإطلاق ، فاترك تلك الوردية ، أيها المورد .

٣٥٧٠- يا من وجهك الذي كالزهرة شمس الضحى ، ويا من يتسول منك اللون الوردى ، كل ما هو وردى اللون .

- والخمر التي تغلى في الدن خفيفة ، إنما تغلى شوقا إلى وجهك .

- ويا من أنت بأجمعك بحر ، بماذا يجديك الطل ؟ ويا من أنت بأجمعك وجود ، أى عدم تبحث عنه وتطلبه ؟

- ويا أيها القمر المنير ، ماذا تريد أن تفعل بالغبار ؟ يا من يكون القمر أمامك مصفر الوجه .

- إنك طيب وجميل ومعدن لكل جمال ، فلماذا تمتن لهذه الخمر ؟

٣٥٧٥- وإن تاج « كرمناس » موجود على مفرق رأسك ، وطوق « أعطيناك » قلادة فوق صدرك .

- إن الإنسان جوهر ، والفلك عرض بالنسبة له ، وكلها فروع وأسباب وهو الغرض .

- ويا من غلمانك العقل والتدابير واللب ، لماذا تبيع نفسك هكذا رخيصة ؟

- إن خدمتك واحترامك أمران مفروضان على الجميع ، فكيف يطلب جوهر النجدة من عرض ؟

- وإنك لتبحث - وا أسفاه - عن العلم من الكتب ، وتبحث - وا أسفاه - عن اللذة من الحلو .

٣٥٨٠- وبحر من العلم قد اختفى في قطرة طل ، وفي جسد مساحته ثلاثة أذرع ، أضمر عالم " بأسره " .

- فماذا تكون الخمر ؟ أو السماع ؟ أو الجماع ؟ حتى تبحث عن طريقها عن السرور والارتفاع ؟!

- لقد صارت شمس " طالبة قرضاً من ذرة ، وكوكب الزهرة طالبا للكأس من جرة .

- والروح التي لا كيفية لها صارت حبيسة للكيفية ، والشمس حبيسة لعقدة !!
يالها من خسارة !!

جواب الأمير عليهم مرة ثانية

- قال : لا ، لا ، فأنا خدن لتلك الخمر ، ولست قانعا بلذة تلك السعادة " التي تتحدثون عنها " .

٣٥٨٥- إنني أريدها بحيث أصير كالياسمين ، أتمايل حيناً ذات اليسار وحيناً ذات اليمين.

- متخلصاً من كل خوف ومن كل ألم ، أتمايل في كل صوب ، وكأنني أشجار الصفصاف .

- مثل غصن الصفصاف ، أتمايل ذات اليمين وذات اليسار ، فله من الرياح ، ألوان من الرقص .

- وإن كل من اعتاد على سرور الخمر ، متى يقبل هذا السرور " الذي تذكرون " ؟ هه ... أيها السيد.

- وكون أن الأنبياء قد استثنوا من هذه اللذة ، فذلك لأنهم امتزجوا بلذة الحق .

٣٥٩٠- ذلك أن أرواحهم كانت قد رأت تلك اللذات ، فأصبحت هذه اللذات عندهم لهوا ولعبا . (١)

- وعندما صار المرء رفيقا لمحبوب حي ، كيف يقوم بمعانقة ميت ؟! (٢)
تفسير هذه الآية (وإن الدار الآخرة لهي الحيوان لو كانوا يعلمون) فالأبواب والجدران في ذلك العالم وساحته ومائه والقصور فيه والثمار والأشجار كلها حية متحركة مستمعة ، ومن هنا قال عليه السلام [الدنيا جيفة وطلابها كلاب] وإن لم تكن للآخرة حياة ، لكانت جيفة بدورها ، والجيفة تسمى جيفة لأنها ميتة ، لا من أجل رائحتها النتنة وقذارتها

- لما كانت ذرات ذلك العالم ذرة ذرة من الأحياء العالمة بالنكات الدقيقة والمتحدثة ؛

- فلا راحة لها في عالم الموتى ، فإن هذا العشب ليس لائقا إلا بالأنعام .
- وكل من تكون له الرياض محفلا ووطنا ، متى يشرب الخمر في مستودع القمامة ؟

٣٥٩٥- وموضع الروح الطاهرة هو عليين ، ويكون دودة ذلك الذى يجعل البعر موطناً له .

- والكأس الطهور من أجل السكران بالله ، والماء المالح من أجل هذه الطيور العمياء .

(١) ج/١٢-٥٠٣:- وكل من أسفر له النور الحقيقي عن وجهه ، متى يصير قانعاً بالظلمة والدخان ؟- وكل من أكل في جوعه طعام الله ، متى يحمل هم الخبز والحساء ؟ وكل من نام في الرياض ، متى يميل إلى مستودع القمامة كالبلهاء ؟ وكيف يتجنب المصاب بالاستسقاء الماء ؟ وكيف يبتعد المغمور عن الشراب ؟ ولا يشبع عاشق قط من الحبيب ، ولا يمل المريض قط من الطبيب . ولا يكون العاشق نفورا من المعشوق ، إذ يرى به كل الكون والمكان . ولا أحد قط لم يصر عاشقا لغير الحق ، ولم يصر أحد واقفا على ذلك السر إلا الحق .

(٢) ج/١٢-٥٠٣:- وربما يعانق أحدٌ ميتا ، إن لم يكن له علم بدنيا الروح .

- وكل من لم يبذ له عدل عمره ، يكون الحجاج السفاح عادلا في رأيه .
- وإنهم ليعطون البنات الصغيرات دمية جامدة ، إذ ليس لديهن علم باللعب الحية .
- وعندما لا يكون للأطفال من الفتوة يد قوية ، يكون السيف الخشبي أفضل بالنسبة لهم.
- ٣٦٠٠- والكفار قد صاروا قانعين بصور الأنبياء ، التي صوروها على جدران الأديرة .
- ولما كانت لنا نوبة الضياع من هؤلاء العظماء ، فليس لدينا أدنى اهتمام بنقوش الظلال .
- لقد بقيت صورة أحدهم في الدنيا ، لكن الآخر صورته كالقمر في كبد السماء .
- وهذا فمه يتحدث بالنقاط الدقيقة مع الجليس ، وذاك يتحدث مع الحق ، وهو له جليس .
- وأذن جسده مسجلة لهذا الكلام ، وأذن روحه تجذب الأسرار من قائل " كن "
- ٣٦٠٥- وعين الجسد ناظرة إلى حلية البشر ، وعين السر حائرة في (ما زاغ البصر) .
- وقدم الظاهر مصطفة في صف المسجد ، وقدم المعنى في طواف فوق الفلك .
- وهكذا فعدد أعضائه عضوا عضوا على هذا النسق ، هذه داخل الوقت ، وتلك خارج الحين .
- وما هو في وقت يكون حتى الأجل ، لكن أعضاء المعنى رفيقة للأبد ، قرينة للأزل .
- وإن " أحدهم " ليسمى ولي الدولتين ، ويوصف الآخر بأنه إمام القبلتين .

٣٦١٠- فلا تلزمه خلوة ، ولا تلزمه أربعينية ، فلا غيم قط يستطيع أن يحجبه .

- فإن قرص الشمس هو منزل خلوته ، فكيف يحجبه الليل الغريب ؟
- ولقد انتفت عنه العلة والخشية ، ولم يبق بُحران ، صار كفره إيماناً ، ولم يبق ثم كفران .

- صار متقدماً كالآلف من استقامته ، وهو لا يملك شيئاً من أوصاف نفسه
- وصار منفصلاً عن كسوة طباعه ، وصارت الروح عارية إلا من ذلك الذى يطيل العمر .

٣٦١٥- وعندما مضى عارياً إلى ذلك المليك الفرد ، كساه المليك ثوباً من الأوصاف القدسية .

- ولبس خلعة من أوصاف المليك ، وحلق من حضيض البئر ، إلى إيوان الجاه
- هكذا مثلما صفا ماءً كدر ، فصعد من قاع الطست إلى أعلى الطست .
- فبالرغم من أنه ملوث بالكدر من قاع الطست ، ومن شؤم امتزاجه بأجزاء البدن ؛

- والرفيق السوء قد عقد جناحه وقوادمه ، إلا أنه كان في الأصل مبرزاً .
٣٦٢٠- وعندما وجهوا إليه العتاب بـ " اهبطوا " ، علقوه منكساً كهاروت .
- لقد كان هاروت من ملائكة السماء ، وعقاباً صار معلقاً هكذا .
- ولقد نكس ، لأنه ابتعد عن الرأس ، وجعل نفسه رأساً ، وساق " مركبه " منبتاً .

- وتلك السلة عندما رأت نفسها مليئة بالماء ، استغنت وانفصلت عن البحر .
- فلم تبق على كبدها قطرة واحدة من الماء ، فأشفق عليها البحر ، واستدعاها إليه .

٣٦٢٥- إنها رحمة بلا علة ، " ولا تسبقها " طاعة ، تأتي من البحر في ساعة مباركة .

- قائلة : ناشدتك الله ، طوفي حول شاطئ البحر ، بالرغم من أن أهل السواحل يكونون صفر الوجوه .

- حتى يأتي لطف العطاء ، ويحمر الوجه الأصفر من الجوهر " الإلهي " .
- إن اصفرار الوجه هو أفضل الألوان بالنسبة له ، ذلك أنه يكون في انتظار هذا اللقاء .

- لكن اللون الأحمر على ذلك الوجه الذي يكون لامعا ، كان هكذا لأن روحه قانعة .

٣٦٣٠- فإن هذا الطمع يصيب بالنحول والاصفرار والذلة ، ولا يكون هذا بسبب الأبدان العلية .

- وعندما يرى أحد وجهها أصفر بلا سقم ، فإن جالينوس نفسه يصاب منه بالحيرة .

- وما دمت قد طمعت في أنوار " هو " ، فإن المصطفى ﷺ يقول في أمثالك [ذلت نفسه] .

- والنور بلا ظل لطيف وعال ، وذلك " الظل " المشبك هو ظل الغربال .
- والعشاق يريدون الجسد عاريا ، وعند المصابين بالعنة ، سواء الثوب والبدن .

٣٦٣٥- وذلك الخبز ، وتلك المائدة يكونان للصائمين ، وسواء عند الذبابة الحساء والقدر .

استدعاء الملك لإياز مرة أخرى قائلاً له : فسر لنا عملك ، وهل مشكلة

المنكرين والطاءعنين ، فليس تركهم في هذا اللبس من المروءة

- إن هذا الكلام يفوق الحد والحصر ، فيا إياز ، تحدث الآن عن أحوالك .
- فإن أحوالك هذه نابعة من منبع جديد ، ومتى تصير أنت راضيا بهذه الأقوال ؟

- هيا ، وقص علينا " طرفا" من تلك الأحوال الطيبة ، وليكن التراب على
أحوال العالم المحسوس (!) ودرسه .
- وإذا كان حال الباطن لا يتأتى في مقال ، فإنني أشرح لك حال الظاهر
أزواجا وأفرادا .

٣٦٤٠- فمن لطف الحبيب تصير مرارتنا على الروح أحلى من سكر النبات .
- ولو أن ذرة واحدة من ذلك السكر تمضي إلى البحر ، لتحولت ملوحة البحر
كلها إلى حلاوة .

- وعشرات الآلاف من الأحوال قد وردت هكذا ، ثم عادت إلى الغيب أيها
الأمين .

- وحال كل يوم ليس شبيها بحال الأمس ، مثل جدول في جريانه ، إن لم يكن ثم
سدود .

- وسرور كل يوم من نوع جديد ، ولفكرة كل يوم تأثير آخر .
تمثيل جسد الإنسان بدار ضيافة وأفكاره المختلفة بمختلف الضيوف ، والعرف
في رضاه بتلك الأفكار المحزنة والمفرحة مثل المكرم للضيف المتلطف مع
الغريب كالخليل ﷺ ، فإن باب الخليل كان مفتوحا دائما لإكرام الضيف ، سواء
كان كافرا أو مؤمنا أمينا أو خائنا ، وكان يبش في وجه كل ضيف

(!) حرفيا : عالم الحواس الخمسة والجهات الستة .

٣٦٤٥- إن هذا الجسد أيها الفتى كأنه دار ضيافة ، يأتيه مسرعا كل صباح ضيف جديد . (١)

- هيا ولا تقل لقد بقي كلاً على (٢) ، فإنه لن يلبث حتى ينطلق طيرانا نحو العدم .

- فكل ما يأتي من عالم الغيب ، هو ضيف في قلبك فأكرمه .

حكاية ذلك الضيف الذي قالت عنه ربة الدار : لقد انهمر المطر

وبقي الضيف في رقابنا

- نزل ضيف على أحدهم فجأة ، فجعله كالطوق في العنق " إكراما " .
- ومد السماط وأبدى له أنواع الإكرام ، وفي تلك الليلة كان هناك حفل في حيه .

٣٦٥٠- وأسّر الرجل إلى زوجته قائلاً : أعدى فراشين الليلة أيتها السيدة .
- ومدى فراشنا إلى جوار الباب ، أما فراش الضيف فمديه في الناحية الأخرى .

- فقالت المرأة : بكل احترام وبكل سرور ، سمعا وطاعة يا نور عيني .
- ومدت المرأة الفراشين ومضت إلى حالها ، نحو حفل الختان ، وبقيت هناك .
- وبقي الضيف العزيز مع زوجها ، وقد وضعاً بينهما النقل من أخضر ومجفف .

٣٦٥٥- وتسامرا بما شاء لهما السمر من خير ومن شر حتى منتصف الليل .

(١) ج/ ١٢-٥١٦ :- لا ، لقد أخطأت ، إنه يأتي لحظة بلحظة ، ذلك الضيف الجديد ، والفكرة السارة والفكرة المحزنة . - فكن مضيفاً متهللاً الوجه كالخليل عليه السلام ، ولا تغلق الباب ، وقف منتظراً في الطريق .
(٢) حرفياً : بقي في رقابنا .

- ثم إن الضيف غلبه النوم وتعب من السمر ، فمضى إلى الفراش الذى عند الباب .

- ولم يقل له الزوج شيئاً حياءً ، لم يقل له : إن موضع نومك في الجهة الأخرى أيها العزيز .

- أو : لقد مددت لنومك فراشا يا ذا الكرم في الناحية الأخرى .

- وبُدل ذلك الترتيب الذى كان قد رتبته مع زوجته ، وراح الضيف في النوم على الفراش الآخر .

٣٦٦٠- وفي تلك الليلة انهمر المطر مدرارا ، بحيث تعجبت السحب نفسها من شدته .

- وجاءت المرأة ظانة أن الزوج قد نام إلى جوار الباب ، وأن الضيف قد نام في الناحية الأخرى .

- وذهبت كالعروس عريانة تحت اللحاف ، ومنحت الضيف عددا من القبلات برغبتها .

- وقالت : كنت أخشى أيها الرجل العظيم ، وما خشيته قد حدث ، ما خشيته قد حدث !!

- كنت أخشى أن يحبس الطين والمطر ذلك الرجل الضيف ، ويبقى لاصقا بك كأنه الصابون السلطاني .

٣٦٦٥- فمتى " يمكنه " أن يذهب في هذا المطر والوحل ، وسوف يبقى غرما على رأسك وروحك .

- فقفر الضيف على وجه السرعة وقال : دعيني أيتها المرأة فلدى حذاء" برقبة ، ولا يهمنى الطين .

- إنني ذاهب إلى حال سبيلي ، ولكم الخير ، ولا أراح الله الروح من السفر لحظة واحدة .

- حتى تمضي بأقصى ما تستطيع من سرعة نحو معدنها ، فإن هذا التوقف في السفر ، يكون قاطعا للطريق .

- فندمت المرأة على قولها السخيف ، عندما نفر ذلك الضيف الفرد ، ومضي إلى حال سبيله .

٣٦٧٠- وأخذت المرأة تردد : الخلاصة أيها الأمير ، لقد كنت أمزح ، فلا تدقق .. من طبيبتك .

- لكن سجود المرأة وضراعتها لم تجد فتية ، ومضى و قد تركهما في حسرة .

- ولبس الرجل وزوجته من بعدها ملابس الحداد ، عندما رأيا وجهه كالشمع ، بلا حوض " يوضع فيه "

- لقد أخذ يمضي ، والصحراء من نور شمعته ، تحولت إلى جنة ، وانفصلت عن ظلمة الليل .

- وحول " الرجل " منزله إلى دار ضيافة ، من حزنه لما حدث وخجله منه .

٣٦٧٥- وفي داخل كليهما ، وفي كل لحظة ، ومن طريق خفي ، كان خيال الضيف يحدثهما قائلا :

- لقد كنت رفيقا لكما وكأنتي الخضر عليه السلام ، وكنت سأنثر عليكما مائة كنز من الجود ، لكن لم يكن من نصيبكما .

**تمثيل الفكر التي تحل كل يوم بالقلب بالضيف الجديد الذي يحل بالمنزل في
أول النهار ، ويبدى لرب الدار التحكم وسوء الفصال وفضيلة إكرام الضيف
وتحمل دلاله**

- في كل لحظة تحل فكرة كأنها الضيف العزيز بصدرك ، وفي كل يوم
أيضا .

- فاعتبر الفكرة أيها العزيز بمثابة الشخص ، ذلك أن المرء له من فكره
القدر والروح .

- والفكرة الحزينة وإن قطعت أسباب السرور ، فإنها تقوم بإعداد الأسباب من
أجل الأفراح .

٣٦٨٠- إنها تقوم بكنس المنزل على وجه السرعة من الغير ، حتى يحل سرور
جديد من أصل الخير .

- وتقوم بنفض الأوراق الصفراء من غصن القلب ، حتى ينمو الورق
الأخضر على الدوام .

- وتقوم باقتلاع جذور السرور القديم ، حتى تتبخر لذة جديدة قادمة مما وراء
"المحسوس" .

- وإن الحزن ليقطع الجذر المعوج المهترىء ، حتى يطل بوجهه ذلك الجذر
المختفي .

- وكل ما يريقه الحزن من القلب أو يسلبه ، فإنه يعوضه بما هو خير منه
٣٦٨٥- وبخاصة لمن يكون متيقنا من هذا الأمر ، أن الحزن يكون عبدا لأهل
اليقين .

- فلو لم يعبس السحاب والبرق بوجهيهما ، لاحترق الكرم من ضحكات "ابنة
"الشرق" .

- والسعد والنحس كلاهما ضيف على قلبك ، كأنهما الكواكب ينتقلان من منزل إلى منزل .

- وذلك الزمان الذى يكون فيه مقيما في برجك ، كن مثل طالعه ، حلوا نشطا .

- حتى يقوم بشركك أمام سلطان القلب ، وحتى يصير متصلا بالقمر .

٣٦٩٠- ولسبع سنوات ، كان أيوب عليه السلام سعيدا في البلاء بصبر ورضا ، لأنه كان ضيفا من الحق .

- وذلك حتى يؤدى ذلك البلاء الشديد شكره أمام الله ، عندما يحول وجهه عنه .

- قائلا : إنه لم يحول وجهه بعبوس عنى أنا قاتل الأحبة لحظة واحدة .

- ومن وفائه وحيائه وعلمه بالله ، كان مع البلاء ، كأنه اللين مع العسل .

- فتأتي فكرة إلى الصدر أولا بأول ، تكون أنت ضاحكا مستبشرا أمامها .

٣٦٩٥- وتقول " أعذني خالقي من شرها ، لا تحرمنى أنل من برها .

- رب أوزعني لشكر ما أرى ، لا تعقب حسرة لي إن مضى " (١)

- فحافظ على ذلك الضمير العبوس ، واعتبر ذلك العبوس حلوا كالسكر .

- وإذا كان السحاب عابس الوجه في الظاهر ، فإنه هو الذى ينبت الرياض ، ويقتل البوار .

- فاعلم أن الفكرة العابسة على مثال هذا السحاب ، ولا تعبس على هذا النحو في من يعبس أمامك .

٣٧٠٠- فلعل ذلك الجوهر يكون في يده ، فجاهد حتى يمضي عنك راضيا .

- وحتى إن لم يكن جوهرًا ولم يكن غنيا ، فإنك تزيد من عاداتك الطيبة

(١) ما بين القوسين بالعربية في المتن ومن شره بدلا من من شرها وبره بدلا من برها .

- وتتفع عادتك هذه في موضع آخر ، وتُقضى حاجتك فجأة ذات يوم .
- والفكرة التي تمنعك من السـرور ، إنما تكون بأمر الصانع وحكمته .
- فلا تستهن بها ، ولا تعتبر أنه لا قيمة لها أيها الفتى ، فلعلها نجمة سعد وصاحبة قران .

٣٧٠٥- ولا تقل إنها فرع واعتبرها أصلا ، حتى تكون دائما مسلطا على المقصود .

- وإنك إذا اعتبرتها فرعا ، واعتبرتها أمرا مضرا ، تكون عيناك منتظرتين أصلها .

- والانتظار ذو مذاق كمذاق السم ، ودائما ما تكون معاشا الموت من هذا السلوك .

- فاعتبرها أصلا ، وقم بمعانقتها ، فالانتظار يفتح الطريق للموت دائما .

إكرام السلطان لإياز

- يا إياز ، يا كثير الضراعة ، يا مليئا بالصدق ، إن صدقك أكثر " سعة " من البحر وثباتا " من الجبل .

٣٧١٠- فلا عثار لديك عند الشهوة ، بحيث يصير عقلك الذي كالجبل ، وكأنه قشة .

- ولا في وقت الغضب والانتقام تهن أنواع صبرك ، فهي مستقرة ذات ثبات
- وهذه هي الرجولة ، وليست باللحية والذكر ، وإلا كان فحل الحمير هو سيد الرجال .

- ومن هم هؤلاء الذين أطلق عليهم الحق في القرآن رجالا ، ومتى يكون لهذا الجسم مجال " هنا " .

- وأي قدر للروح الحيوانية أيها الأب ؟ ألا فلتعبر سوق القصابين آخر .

٣٧١٥- فهناك مئات الألوف قد وضعوا رؤوسهم على بطونهم ، وقيمتهم أقل من الإلية وأقل من الذيل .(١)

- والبغي هي التي من حركة الذكر ، يكون عقلها فارا وشهوتها كالأسد .(٢)

وصية أب لابنته قائلة : احتاطي لنفسك حتى لا تحملي من زوجك

- كان هناك أحد السادة ، وله ابنة ذات خد كالزهرة ووجه قمرى وصدر فضي - ووصلت سن البلوغ فزوجها ، ولم يكن الزوج كفؤا لها .

- وعندما تتزوج الدابوقة تمتليء بالماء ، فإن لم تشقها تتلف وتهلك .

٣٧٢٠- فزوج الفتاة لغير كفؤها للضرورة وخوفا عليها من الفتنة .
- وقال للبنت : حذار ، وإياك أن تحملي من زوجك هذا .

- فقد كان تزويجك لهذا الشحاذ من قبيل الضرورة ، ولا وفاء عند هذا الغجري .

- فهو يمضي فجأة إلى حال سبيله تاركا الجميع ، ويبقى طفله مظلمة عليك - قالت الفتاة : سمعا وطاعة يا أبي ، إن نصحك مقبول عندي وغنم .

٣٧٢٥- وكل يومين أو ثلاثة ، كان ذلك الأب يقول للبنت : الحذر الحذر .
- وحملت الفتاة منه فجأة فقد كان كلاهما شابا ، وكانا زوجا وزوجة .

- وأخذت تخفي الأمر عن أبيها ، حتى بلغ حملها خمسة شهور أو ستة .
- وصار ظاهرا ، فقال الأب : ما هذا ؟ ألم أمرك أن تبتعدى عنه ؟

- لقد ضاعت نصائحي كلها هباء ، ولم يجدك نفعا نصحي ووعظي .
٣٧٣٠- قالت : يا أبي كيف أتجنبه ؟! والرجل والمرأة كالقطن والنار لاجدال .

(١) ج/١٢-٥٢٩:- فلا تكن عبدا للشهوة ما استطعت ، ولا تجعل روحك رهنا في أثر الشهوة . - وإلا اقتلعت الشهوة دارك ومالك ، ولوضعتك حيا في قبر أسود .

(٢) ج/١٢-٥٢٩ :- فلاذكر لك حكاية في هذا المعنى ، حتى أمجو الشهوة من قلبك .

- وأى حذر للقطن من النار ؟ وأى احتياط أو تقى من النار ؟
- قال : وهل قلت لا تقريبيه ؟ إن كل ما قلته لا تقبلي منيه .
- فعند ذروة اللذة والإنزال والمتعة ، ينبغي أن تتحي نفسك عن طريقه .
- قالت : وكيف أعلم متى يكون إنزاله ؟ إن هذا أمر خفي جدا وبعيد الغور .
- ٣٧٣٥- قال : عندما يختلط بياض عينه بسوادها ، افهمي أن هذا يكون وقت إنزاله .

- قالت : في ذلك الوقت الذى يختلط فيه بياض عينه بسوادها ، تكون عيناى الجريئتان هاتان قد عميتا . (١)
- وليس كل عقل حقير يكون ثابتا ، عند الحرص وعند الغضب وفي معمة المعركة .

وصف ضعف قلب صوفي منعم ووهنه ، إذ لم يجاهد ولم يذق ألم العشق وحرقته واغتر بتقبيل العوام يده ونظرهم إليه باحترام وإشارتهم إليه بالبنان قائلين : إنه صوفي العصر ، فمرض بالوهم ، مثل ذلك المعلم الذى قال له الأطفال إنك مريض . واعتمادا على وهمه بأنه مجاهد وأنه يعتبر بطلا في هذا المجال ذهب مع الغزاة للغزو قائلا : لا بد من هذا الأمر ، فأنا في الجهاد الأكبر من الأفذاذ المستثنين فما قيمة الجهاد الأصغر عندي ؟! لقد رأى خيال أسد ، فأبدى ألوان الشجاعة ، وصار ثملا بهذه الشجاعة ، واتجه إلى الغابة للقاء الأسد "الحقيقي"

فقال الأسد بلسان الحال : (كلا سوف تعلمون ، ثم كلا سوف تعلمون)

- ذهب أحد الصوفية مع الجند للغزو ، وفجأة حل أوان قعقة السلاح و " ضجة " الوغى .

(١) هكذا في نسخة جعفرى "١٢-٥٣١" وهي تبدو أصح من عيناى العمياوان التى وردت عند نيكلسون "

- وبقي الصوفي مع المؤن والخيام والضعاف ، بينما اتجه الفرسان إلى المصاف .

٣٧٤٠- وبقي الذين اثاقلوا إلى الأرض في أماكنهم ، أما السابقون السابقون ، فقد حملوا وهاجموا .

- وقاتلوا أشد القتال وانتصروا ، وعادوا بغنائم نافعة .

- وجاءوا إلى الصوفي أيضا " ببعض الغنائم " هدية له قائلين : هي لك أيها الصوفي أيضا ، فألقى بها خارج الخيمة ، ولم يأخذ شيئا .

- فقالوا له : لماذا الغضب ؟ فقال : لأنني بقيت محروما من الغزو .

- ولم يرض الصوفي قط بهذا العطاء ، لأنه لم يسلم خنجره في ميدان المعركة .

٣٧٤٥- فقالوا له : لقد جئنا بعدد من الأسرى ، فخذ واحدا منهم ، واقتله .

- واقطع رأسه بدورك ، لتكون أيضا غازيا ، فسعد الصوفي قليلا ، وقوى قلبه .

- وقال : إذا كان في الوضوء بالماء مائة نور ، فالتيمم واجب إن لم يوجد " هذا الماء الطهور " .

- وأخذ الصوفي ذلك الأسير المغلول ، و " مضى " إلى ما وراء الخيام ، وذلك لكي يقوم بالغزو .

- وتأخر الصوفي هناك مع الأسير ، فقال القوم : لقد تأخر الفقير .

٣٧٥٠- إن الكافر مغلول اليدين ومقتول لا محالة ، فما السبب يا ترى في تأخره في ذبحه ؟

- وذهب أحدهم متفحصا في أثره ، فرأى الكافر فوق " صدره " .

- لقد حط ذلك الأسير كالأسد فوق ذلك الفقير ، وكأنه ذكر يعتلى أنثى .

- وأخذ يعض حلق الصوفي وهو مغلول اليدين ، وقد امتلأ بالغضب والحقده عليه .

- أخذ ذلك المجوسي يعض حلقه بأسنانه ، وقد سقط الصوفي تحته فاقد الوعي .
- ٣٧٥٥- وقام ذلك المجوسي مغلول اليدين بجرح حلقه دون حربة ، وكأنه القط .
- وكاد الأسير أن يقتله بأسنانه ، وكانت لحيته قد خضبت بالدماء من حلق ذلك الصوفي .

- مثلك أنت ، من غلبة النفس مغلولة اليدين ، صرت دنيـا بلا وعي مثل ذلك الصوفي .

- ويا من صار مذهبك عاجزا أمام تل ، إن مئات الآلاف من الجبال " لا تزال " أمامك .

- ومن تل بهذا الحجم قد مت من الخوف ، فكيف تمضي على مرتفعات كأنها الجبال ؟!

- ٣٧٦٠- وقام الغزاة بقتل الكافر بالسيف حمية وفي نفس اللحظة ، دون إمهال .

- ورشوا وجه الصوفي بماء الورد ، حتى عاد إلى وعيه من إغمائه ونومه .

- وعندما عاد إلى وعيه ، رأى أولئك القوم ، فسألوه : كيف جرى ما جرى ؟
- ناشدناك الله ، ما هذا الحال أيها العزيز ، ومن أى شيء صرت فاقد الوعي هكذا ؟

- أمن أسير نصف قتيل مغلول اليدين ، سقطت هكذا ذليلا فاقد الوعي ؟
- ٣٧٦٥- قال : عندما اتجهت إلى رأسه بغضب ، نظر إلى نظرة عجيبة ذلك الوقح .

- لقد فتح عينيه عن آخرها في وجهي ، ودور حدقتيه ، فغاب الوعي عن جسدي .

- ولقد أبدى دوران عينه لي عسكرا ، لا أستطيع أن أصف ما كان عليه من هول .

- ولأقصر القول ، فمن تلك العين ، غبت عن وعيي على هذا النحو وسقطت على الأرض .

نص المبارزين له قائلين : بهذا القلب وبهذه الجراءة بحيث يغمى عليك من

نقاليب كافر لعينيه ، ويسقط الخنجر من يدك ، فالحذر الحذر ، إلزم مطبخ

التكية ، ولا تمض إلى الحرب ، حتى لا تفتنضم

- قال له القوم : لا تحم حول الوغى والقتال ، يمثل هذه المرارة " المسكينة " التي لديك . (١)

٣٧٧٠- وما دمت من عين ذلك الأسير مغلول اليد ، قد تمزقت سفينتك وتحطمت ؛
- فمن ثم ، عند هجوم الأسود الكواسر ، التي تصير الرؤوس بسيوفهم كالكرات ؛

- متى تستطيع أن تسبح في الدم ، ما دمت جاهلا بحرب الرجال ؟!
- ومن الأصوات التي تصاحب قطع الرقاب ، تكون الأصوات التي يحدثها القصارون عند دق الثياب ، أصواتا محتملة . (٢)

- وكثير من الأجساد التي لا رؤوس لها في اختلاج ، وكثير من الرؤوس التي لا أجساد لها كأنها الحباب فوق الدم .

(١) ج/١٢-٥٣٨:- والزم المطبخ داخل التكية ، حتى لا تصير مفتضحا ثانية في الجيش .

(٢) ج/١٢-٥٣٨:- ومن أصوات تتابع السهام التي تسلب الروح ، يخجل سحاب الربيع " الممطر " عندما يقرن بها .

٣٧٧٥- وتحت أقدام الخيول وقوائمها في ميدان المعركة ، مئات من الأبطال القتلة قد غرقوا في الفناء .

- ومثل هذا اللب الذي فر من فأر ، كيف سيتحمل السيف في ذلك النزال .
- إنه صراع وقتال وليس وليمة صوفية (١) ، حتى تشمر الأكمام كما تشمرها للطعام .

- ليس بأكل للصوفية (٢) هنا ، وانظر إلى السيف ، فإن " حمزة " هو الذي يلزم لهذا الصف الحديدي . (٣)

- وليس القتال بعمل كل رقيق قلب ، يفر كالخيال ، عندما يرى خيالا .
٣٧٨٠- إنه عمل " صناديد " الترك ، لا عمل النساء (٤) ، ومكان النساء هو المنزل ، فعد إلى المنزل (٥)

حكاية العياضي رحمه الله ، وكان قد شهد سبعين غزوة عارى الصدر على أمل الشهادة وعندما بيئس من نيلها ، اتجه من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر واختار الخلوة ، وفجأة سمع طبل الغزاة ، فأخذت النفس تمزق الأغلال من الداخل لنتجه إلى الغزو ، واثمامه لنفسه في هذه الرغبة

- قال العياضي : لقد أتيت تسعين مرة " إلى الغزو " عارى البدن ، على أن أصاب بطعنة .

-
- (١) حرفيا : أكل الجرجير عند الصوفية وفي ترجمة أخرى أكل حساء البرغل .
(٢) حرفيا : أكل الجرجير ، ولعب هنا بكلمتي حمزة أى الجرجير وحمزة بن عبد المطلب ﷺ
(٣) ج/١٢-٥٣٨: ليس بالطعام الدسم ، إنه السيف والخنجر ، نبغي المغامرة فيه بالرأس ، فما قيمة الرأس ؟
(٤) في النص تركان وهو من الأسماء الشائعة للنساء .
(٥) ج/١٢-٥٣٨:- أى غزو تستطيع القيام به ومن تلك العين ، وضعت هكذا وسقطت على الأرض .

- كنت أواجه السهام عارى الجسد ، حتى أصاب بسهم نافذ .
- ذلك أن تلقي سهم في الحلق أو في مقتل ، أمرٌ لا يجده إلا كل شهيد مقبل .
- وليس على جسدی موضع واحد بلا جرح ، وأصبح هذا الجسد من السهام ، كأنه الغربال .
- ٣٧٨٥- لكن السهام لم تصبني في مقتل ، وهذا أمر من الحظ ، لاجلد ولا دهاء .
- ولما لم تكن الشهادة رزقا لروحي ، فقد أهرعت إلى الخلوة للقيام بأربعينية .
- وألقيت بالبدن في الجهاد الأكبر ، وفي ممارسة الرياضة " الصوفية " وإنحاله " بالعبادة " .
- فوصل قرع طبول الغزاة إلى مسمعي ، منبئا بأن الجيش المجاهد يمضي سعيدا .
- فنادتني النفس من الباطن ، بحيث سمعتها بأذن الحس في الصباح ؛
- ٣٧٩٠- قائلة : انهض ، لقد آن أوان الغزو ، فامض ، وأشغل النفس بالغزو .
- قلت : أيتها النفس الخبيثة عديمة الوفاء ، أين منك الميل إلى الغزو ؟
- أصدقيني القول أيتها النفس ، فإن هذا احتيال ، وإلا فإن النفس الشهوانية بريئة من القيام بالطاعات .
- وإن لم تصدقيني القول ، حملت عليك حملة شديدة ، وأثقلت عليك في الرياضة، فوق ما أفعل .
- فصاحت النفس تلك اللحظة من باطنه بفصاحة ودون فم وبدأت في الملق والوسوسة .
- ٣٧٩٥- إنك تقتلني هنا كل يوم ، وتؤذى روحي ، وكأنها روح المجوس .

- وليس عند أحد علم بحالــي ، وأنت تقتلني بمنع الطعام والنوم عني .
- وفي الغزو ، أقفز بطعنة واحدة خارج البدن ، ويرى الخلق شجاعتى وإيثارى .
- قلت : أيتها النفس الحقيرة ، لقد عشت في نفاق ، وها أنت تموتين أيضا على النفاق .. فماذا تكونين ؟
- لقد كنت مرائية في الدارين ، وهكذا كنت في الدارين بلا جدوى ولا فائدة.
- ٣٨٠٠- وقد نذرت ألا أطل برأسي من الخلوة ، ما دام هذا البدن حيا .
- وذلك أن كل ما يفعله هذا الجسد في الخلوة ، إنما يفعله لا من أجل وجوه الرجال والنساء .
- فحركته وسكونه في الخلوة ، ونيته لا تكون إلا من أجل الحق .
- وهذا هو الجهاد الأكبر ، وذاك هو الجهاد الأصغر ، وكلاهما من أعمال أمثال رستم وحيدر .
- وليس ذلك الذى يفر لبه ووعيه من جسده ، عندما يتحرك ذيل فأر .
- ٣٨٠٥- وينبغي على مثل هذا الإنسان ، أن يبتعد كالنساء عن الحرب والسنان .
- وهذا صوفي ، وذاك صوفي ، ويا للخسارة ، لقد قتل ذاك بإبرة ، وهذا هو طعنة السيف .
- إنه يكون صورة لصوفي ولا روح ، لقد ساءت سمعة الصوفية من هؤلاء الصوفية .
- فعلى باب الجسد المعجون من الطين وجداره ، رسم الحق من غيرته صورا لمائة صوفي .

- ومتى تتحرك تلك الصور من السحر ، ما دامت عصا موسى عليه السلام مختفية .

٣٨١٠- وتلك الصور يبتلعها صدق العصا ، وعين فرعون " راغمة " مملوءة بالتراب والحصى .

- وهناك صوفي آخر ، دخل إلى ميدان الحرب عشرين مرة ، من أجل الطعن والضرب .

- كان مع المسلمين على الكفار عند الكر ، لكنه لم يعد مع المسلمين عند الفر .

- لقد جرح ، لكنه ربط جرحه ، وحمل مرة أخرى " على العدو " قائلاً :

- حتى لا يموت الجسد بطعنة واحدة موتاً رخيصاً ، وحتى يصاب بعشرين طعنة في المصاف .

٣٨١٥- كان يشعر بالخسارة أن يسلم الروح نتيجة لطعنة واحدة ، وإن الروح لتتجو بيسر من يد صدقة .

حكاية ذلك المجاهد الذي كان يلقي كل يوم بدرهم من كيسه في الخندق على

مرات لمكافحة المرض ورغبة النفس ووسوستها وهي تقول : لماذا تلقي "

بالدراهم " في الخندق على مرات ، ألقها دفعة واحدة ، حتى أنتهي ، لأن اليأس إحدى

الراحتين ، فقال: حتى هذه الراحة لا أهبها لك

- كان مع أحدهم أربعون درهماً ، فكان يلقي كل ليلة بواحد في اليم ،

- حتى يكون ذلك صعباً على النفس المجازية ففي الثاني يكون ألم نزع الروح طويلاً . (١)

(١) نسخة نيكلسون - والتي أخذت عنها أغلب النسخ - مضطربة هنا تماماً لأن البيت التالي لهذا البيت تكرر للبيت ٣٨١١ والأبيات التالية له مرتبطة بالموضوع السابق ولا علاقة لها

- وكانت النفس تصيح به كل ليلة والمسكينة تعاني من القلق والحمى
قائلة :

- لماذا لا تلقي بالدراهم دفعة واحدة ؟ لقد قتلتني من الحزن وانعدام الحيلة .
- ٣٨٢٠- من أجل الحق ، أد الدين للنفس دفعة واحدة ، فاليأس إحدى الراحتين .
- لكنه لم يلتفت إلى النفس ، وأخذ هكذا يقوم بقتلها مشقة وعناء .

عودة إلى حكاية ذلك المجاهد في القتال

- مثل ذلك الصوفي عند القتال ، لقد ضيق كثيرا على النفس من أجل الحق .
- فعند الكر ، كان يمضي سريعا مع المسلمين ، وعند الفر لم يكن يعود معهم سريعا .
- وطعن طعنة أخرى ، وجرح ، فربطه أيضا ، ولعشرين مرة انكسر رمحه وسهمه .
- ٣٨٢٥- وبعد ذلك لم تبق لديه طاقة " على الثبات " ، فسقط في المقدمة ، في مقعد الصدق ، من صدق عشقه .
- فالصدق هو بذل الروح فهيأ سابقوا ، واقرأ من القرآن آية « رجال صدقوا » .
- إن كل هذا ليس بموت ، إنه موت الصورة ، وهذا البدن للروح مثل الآلة .

= بهذا الموضوع ومن ثم اعتمدنا في ترجمة هذا الموضوع على نسخة جعفرى " ١٢-٥٤٤ " حتى نهاية الحكاية ، والعنوان الجديد ليس موجودا أيضا في نسخة نيكلسون ولا البيت الذى بعده وهما أيضا من نسخة جعفرى " ١٢-٥٤٧ " وبعد ذلك يتفق النصان بزيادة خمسة أبيات على نسخة نيكلسون في المتن العربي .

- ورب ساذج سفك دمه ، لكن نفسه الحية ، أهرعت إلى تلك الناحية .

- كسرت آتته ، وبقي قاطع الطريق حيا ، والنفس حية بالرغم من أن المطية قد قتلت .

٣٨٣٠- قتلت المطية ، ولم يصبح طريقه مطروقا ، ولم يصبح إلا ساذجا قبيحا مضطربا .

- ولو صار شهيدا كل من سفك دمه لكان الكافر القتل في مقام " أبي سعيد " !!

- ورب نفس شهيد معتمد ، ماتت في الدنيا وهو يمضي كالأحياء .

- ماتت النفس قاطعة الطريق ، والجسد الذي هو سيفها ، بقي في كف ذلك الغازي .

- فالسيف هو ذلك السيف ، والرجل ليس ذلك الرجل ، لكن هذه الصورة مثار دهشة بالنسبة لك .

٣٨٣٥- وعندما تبدل النفس ، يصير سيف البدن هذا ، موجودا في يد صنع ذي المنن .

- فهذا رجل قوته كله من الألم ، وهذا رجل آخر أجوف كأنه الغبار .
وصف أحد الوشاة لجارية ، وإظهاره صورتها في ورقة لخليفة مصر ، وعشفه إياها وإنفاذ الخليفة لأمير مع جيش إلى جبال الموصل ، وقيامه بالقتل والتخريب لهذا

الغرض

- قال أحد الوشاة لخليفة مصر ، إن عند أمير الموصل جارية كأنها من الحور العين .

- إن بين " أحضانه " الآن جارية ، لا مثيل لحسنها في العالم .
- وحسنها بلا حد ، لا يصفه بيان ، وهذه هي صورتها في هذه الورقة .

٣٨٤٠- وعندما رأى ذلك الملك الصـورة ، دار رأسه ، وسقط الكأس من يده .

- وعلى الفور أرسل أحد الصناديد إلى الموصل على رأس جيش لـجب .
- وقال له : إن لم يسلمك هذا القمر المنير ، فاخلع باب بلاطه وجدرانه من الأساس ؛

- وإن أعطاك إياها ، فدعه لحال سبيله ، وهات الحسناء ، حتى أعانق القمر وأنا على الأرض .

- فمضى البطل إلى الموصل مع الجيش ، مع الآلاف من أمثال رستم ، والطبل والعلم .

٣٨٤٥- وكأنهم الجراد المنتشر حول حقل بلا عد ولا حصر ، ومضى لإبادة أهل تلك المدينة .

- وفي كل ناحية من المدينة ، نصب منجنيقا كأنه جبل قاف وأخذ في قصفها ؛
- " واستعرت " ضربات السهام والرمي بالمنجنيق والسيوف في الغبار لامعة كالبرق " الخاطف " .

- وقام بهذه المذبحة المهولة لأسبوع كامل ، وصار برج المدينة الحجري واهنا كأنه الشمع اللين .

- ورأى ملك الموصل القتال المرير ، فأنفذ إليه رسولا من داخل المدينة .
٣٨٥٠- قائلا له : ماذا تريد من دماء المؤمنين الذين يقتلون في هذه الحرب الضروس ؟

- فإذا كان مرادك هو 'ملك الموصل' ، ليكن لك دون أن تقوم بهذه المذبحة .

- وسوف أخرج من المدينة الآن فادخلها ، حتى لا يحقق بك " جرم " دماء المظلومين .

- وإذا كان مرادك المال والذهب والجواهر ، فهذا أمره أيسر من ملك المدينة . (١)

إيثار صاحب الموصل الخليفة بتلك الجارية حتى لا يستمر القتل في المسلمين

- وعندما جاء الرسول إلى البطّل ، أعطاه الورقة التي تحتوى على الصورة والأمانة . (٢)

٣٨٥٥- " وقال " : انظر في هذه الورقة ، وهيا ، أعطنى صاحبتها ، وإلا فأنا غالب لكم الآن (٣)

- وعندما عاد الرسول ، قال ذلك الملك الشجاع : دعك من التمسك بالصورة ، وخذها إليه سريعا .

- فلست في عهد الإيمان بعابد للصنم ، فالصنم أولى بذلك الوثني . (٤)

- وعندما أتى الرسول بها ، وقع ذلك البطّل من فوره في عشق جمالها .

- والعشق بحر ، والسماء من فوقه زبد ، وهناك مائة زليخا في هوى يوسف ٣٨٦٠- فاعلم أن دوران الأفلاك من العشق ، وإن لم يكن ثم عشق ، لتجمد الكون .

- ومتى كان الجماد ينمحي في النبات ؟ ومتى كان النبات يصبح فداءً للروح ؟

- ومتى كانت الروح تصير فداءً لذلك النفس الذي من نفخته حملت مريم ؟

(١) ج/١٢-٥٥٠:- وكل ما يلزمك من فضة أو ذهب ، أرسله لك ، فما هذه الفتنة والشر ؟

(٢) ج/١٢-٥٥٢:- وقال له : انظر في هذه الورقة صورة من تكون ، وأرسل صاحبتها سريعا لتتجو أرواحكم ويسلم ملككم .

(٣) ج/١٢-٥٥٢:- وعندما عاد الرسول وقص الأحوال ، سلم الورقة ، وأبدى تلك الصورة .

(٤) ج/١٢-٥٥٢:- وأعطاه الجارية داعيا له بالبركة ، فأخذها من فوره وعاد بها إلى المعسكر .

- وإذن لتجمد كل واحد في مكانه كأنه الثلج ، ومتى كان يصير محلقا ومنتشرا كالجراد ؟

- إن عشاق ذلك الجمال يسرعون ذرة بذرة نحو العلو ، وكأنهم الغصن " الشامخ " .

٣٨٦٥- وإن (سبح لله) هي سرعتهم ، إنهم يقومون بتتقية الجسد من أجل الروح .

- ولقد ظن البطل البئر كالطريق ، وأعجبه الأرض البور ، فألقى فيها بالبذور .

- وعندما رأى ذلك النائم خيالا في النوم ، اجتمع به ، وسال منيه .

- وعندما ذهب النوم ، وصحا سريعا ، رأى أن تلك الحسناء لم تكن في اليقظة .

- فقال : لقد أسلت مني على هباء ، وآسفاه ، وتجرعت إغراء تلك اللعوب ، وآسفاه .

٣٨٧٠- كان بطلا بالنسبة للجسد ، ولم تكن عنده رجولة " الطريق " ، فأراق بذور الرجولة في مثل هذا الرمل .

- ولقد مزقت مطية عشقه مائة زمام ، فأخذ يصيح " لا أبالي بالجمام ؛

- ايش ابال بالخليفة في الهوى ، استوى عندي وجودي والنوى " (١)

- فلا تزرع هذه الحرقه ، ولا تنهور أخرا ، واستشر أحد الحكماء .

- وأين المشورة ؟ وأين العقل ، وسيل الحرص قد أنشب مخالبه في " أرض خراب .

(١) ما بين القوسين بالعربية في المتن الفارسي .

٣٨٧٥- فمن بين الأيدي سد ، ومن الخلف سد ، فهو قليلا ما يرى قدامه ووراءه ، ذلك المفتون بالخد .

- لقد اتجه سيل أسود قاصدا الروح ، حتى يقوم الثعلب بإسقاط الأسد في البئر .

- لقد أبدى من البئر خيالا معدوما ، حتى يلقي في قاعه بأسود كالجبال .
- فلا تجعل أحدا قط أمينا على النساء ، فهما معا على مثال القطن والشرر .

- وينبغي أن تطفأ النار بماء الحق ، فيكون المرء مثل يوسف عليه السلام ، معتصما في رهوقه .

٣٨٨٠- لقد سحب نفسه من زليخا لطيفة الوجه والقد ، وكأنه الأسد . (١)
- لقد عاد ذلك البطل من الموصول وأخذ يسير في الطريق ، حتى نزل في غابة ومرج .

- وكانت نار عشقه قد زادت أوارا ، بحيث لم يعد يدرى أرضا من سماء .
- فاتجه إلى تلك الحسناء في خيمتها ، فأين العقل ؟ وأين الخوف من الخليفة ؟
- وعندما تفرع الشهوة طبولها في هذا الوادي ، ماذا يكون عقلك أنت ، أيها الضعيف ابن الضعيف ؟! (٢)

٣٨٨٥- ومائة خليفة قد صاروا أقل " قدرا " من ذبابة ، أمام عينه النارية في تلك اللحظة .

- وعندما خلع سرواله ، وقعد بين ساقَي المرأة ، ذلك العابد للمرأة ؛

(١) ج/١٢-٥٥٣:- ومتى يمكن أن تنتصر على نفسك ، إلا بمعونة عقل ذكي ذي فنون . - فهي اسق المركب نحو إتمام القصة ، فهذا الكلام لا نهاية له أيها البطل .

(٢) حرفيا : يا فجلة ابن فجلة .

- وبينما كان يمضي مستقيماً نحو المستقر ، قامت ضجة شديدة في المعسكر .

- فقفز عارى المؤخرة نحو صف القتال ، وسيفه في كفه وكأنه النار .

- فرأى أسدا هصوراً أسود ، قد هاجم المعسكر من تلك الغابة ،

٣٨٩٠- وانطلق مهاجماً كل حظيرة وكل خيمة ، وكأنه شيطان .

- وأخذ ذلك الأسد يندفع قافزاً من طريق خفي في الهواء ، وكأنه موج البحر ، ولعشرين ذراعاً .

- وواجه البطل ذلك الأسد بشجاعة وبلا حذر ، وكأنه الأسد الهصور الثمل ؛

- وضربه بالسيف ضربة شقت رأسه ، ثم أسرع نحو خيمة الحساء

- وعندما أظهر نفسه لتلك الحورية ، كان ذكره لا يزال منتصباً .

٣٨٩٥- لقد اشتبك في قتال مع ذلك الأسد ، لكن ذكره بقي منتصباً لم يرتخ

- فتعجبت تلك الحساء حلوة اللقاء قمريّة الوجه ، من رجولته .

- فاقتربت به برغبة وميل في تلك اللحظة ، واتحدت هاتان الروحان ، برهة من الزمان .

- ومن اتصال هاتين الروحين معاً ، تتضم إليهما من الغيب روح أخرى .

- وتظهر عن طريق الميـلاد ، إن لم يكن هناك قاطع طريق يمنع تعلقها واتصالها .

٣٩٠٠- وكل اثنين يجتمعان على حب أو على بغض ، فلا بد أن يلحق بهما ثالث ، على سبيل اليقين .

- لكن تلك الصـور تتولد في الغيب ، وعندما تمضي إلى تلك الناحية تراها عياناً .

- " وتذكر " أن تلك النتائج قد تولدت من قراناتك ، فانتبه ، ولا تسر سريعا من كل قرين .

- وابق منتظرا ذلك الميقات ، واعلم أن إلحاق الذريات مبدأ صادق .
- فقد جعلوا لكل امرئ من العمل والعلل ، صورة ونطقا وطللا .

٣٩٠٥- وتصل أصواتهم من ربات الحجال ، منادية إياك ، يا غافلا عنا ،
على وجه السرعة ، إلينا تعال ،

- وأرواح الرجال والنساء منتظرة في الغيب ، فما تلكؤك هذا ، جد في السير .

- ولقد ضل الطريق من ذلك الصبح الكاذب ، وسقط في إناء المخيض كأنه
الذبابـة .

ندم ذلك القائد على الخيانة التي ارتكبها وأخذه الأيمان على

تلك الجارية بألا تنفي الأمر للخليفة

- ولقد ظل عدة أيام على ذلك النحو ، ثم صار نادما على ذلك الجرم
البشع . (١)

- وأخذ عليها الموائيق ، وقال : يا من وجهك كالشمس ، لا تتحدثي بشيء مما
حدث إلى الخليفة . (٢)

٣٩١٠- وعندما رآها الخليفة ، صار ثملا ، وسقط طسته هو الآخر من فوق
السطح .

(١) ج/١٢-٥٥٩:- أخذ عليها الموائيق قائلا : أيها البدر المنير ، كوني على حذر ، ولا يعلمن الملك شيئا .

(٢) ج/١٢-٥٥٩: ولأقصر القول ، فإن ذلك البطل قد حمل الجارية إلى ملك العالم .

- فلقد رآها أضعاف أضعاف ما وصفت له ، ومتى تكون الرؤية في حد ذاتها مثل السماع ؟

- إن الوصف " مجرد " تصوير من أجل عين الوعي ، واعلم أن الصورة تكون من أجل العين لا من أجل الأذن . (١)

- لقد سأل أحدهم أحد الفصحاء سؤالا : قل لي ما هو الحق وما هو الباطل يا حسن المقال .

- فأمسك بأذنه وقال له : هذا هو الباطل ، والعين هي الحق ، إذ يحصل منها اليقين .

٣٩١٥- إن الأذن باطلة بالنسبة للعين ، وهذا أمر نسبي ، وأغلب الأحكام نسبية أيها الأمين .

- فإذا كان الخفاش قد احتجب عن الشمس ، فإنه لا يكون محجوبا عن خيال الشمس .

- وإن مجرد خيال لا يزال يخوفه ، وخياله ذلك يسوقه نحو الظلام .

- وذلك الخيال لا يفتأ يخوفه من النور ، ويلصقه بليال الظلمات .

- ومن خيال العدو وصورته " التي في ذهنك " اعلم أنك قد التصقت بالرفيق والصديق .

٣٩٢٠- ويا موسى ، إن كشفك قد نشر اللمع فوق الجبل ، وذلك المقيم على الخيال ، لا قدرة له على تحقيقك .

(١) ج/ ١٢-٥٦٠:- عنوان " سؤال لأحد العظماء عن الفرق بين الحق والباطل " ثم بيت زائد :

- إنني سأضرب لك مثالا فاستمع إليه الآن ، وافهم الأمثال وع معناها .

- فهيا - ولا تصر مغرورا بأنك قابل لخياله ، وأنتك واصل" من هذا الطريق .

- فمن خيال الحرب - لا يهلع أحد ، فلا شجاعة قبل الحرب ، اعلم هذا فحسب .
- والمخنث على خيال الحرب مقيم" على الفِكَر ، إنه يقوم " في خياله " بمائة كر وفر كرستم .

- وصورة رستم تلك التي تكون في الحمام ، تكون مقترنة بفكر كل جلف ساذج ،
٣٩٢٥- وخیال السمع هذا عندما يتحول إلى بصر ، ماذا يكون المخنث ؟
إنه يتحول إلى رستم عاجز .

- فجاهد حتى تمضي من " مجال " أذنك إلى " مجال " عينك ، وما كان باطلا يصبح لك حقا .

- ومن ذلك الوقت فصاعدا ، تصير أذنك في نفس طبع العين ، وتصبح جوهرا تلك الأذنان اللتان تشبهان الصوف .

- بل إن كل الجسد يصير كالمرآة ، يصير له عينا وجلاء للصدر .
- فإن الأذن تثير الخيال ، وذلك الخيال ، هو الواسطة لوصال ذلك الجمال .
٣٩٣٠- فجاهد حتى يصير هذا الخيال زائدا ، حتى يصير واسطة تقود المجنون .

- وذلك الخليفة المخدوع نال أيضا " السعادة" فترة من الزمن ، وتحامق سعيدا مع تلك الجارية .

- فالملك لك ، فخذ أنت ملك الغرب والشرق ، وما دام لا يبقى لك ، فاعتبره من قبيل البرق .

- والمملكة التي لا تبقى إلى الأبد ، اعتبرها حلما ، يا من نام قلبك .

- فحتم تقوم أنت بهذا النفاق والكبرياء ؟ حتى يأخذ بحلقك ، وكأنه الجلال !!

٣٩٣٥- وحتى في هذا العالم، اعلم أن هناك مأمّن، وقلل الاستماع إلى المنافق ، فلا قول له .

حجة منكرو الآخرة ، وبيان ضعف تلك الحجة ، لأن مجتهدهم تعود

إلى قولهم : لا نرى غير هذا

- إن الحجة التي يقدمها منكر البعث ، ويقولها في كل لحظة ، إذا كان هناك شيء غير هذا لرأيته .

- وإذا كان الطفل لا يرى العقل ، فلا يعنى هذا ألا ينقل العاقل عن العقل أبدا .

- وإن لم ير العاقل أحوال العشق ، فإن قمر العشق المقبل لن ينقص .

- وأبصار إخوة يوسف عليه السلام لم تر حسنه ، وما الذى خفي منه عن قلب يعقوب عليه السلام ؟

٣٩٤٠- وعين موسى عليه السلام رأت العصا خشبة ، أما عين الغيب فقد رأتها أفعى وفتنة .

- وعين الرأس في قتال مع عين السر ، لكن عين السر غلبت وأبرزت الحجة .

- وعين موسى عليه السلام رأت يده مجرد يد ، لكنها كانت نورا طاهرا أمام عين الغيب .

- إن هذا الكلام لا نهاية له في الكمال ، وهو أمام كل محروم يكون كالخيال .

- وما دامت الحقيقة أمامه هي الفرج والحلق ، فقلل الحديث أمامه عن أسرار الحبيب .

٣٩٤٥- والفرج والحلق عندنا من قبيل الخيال ، فلا جرم أن الروح تبدي لنا كل لحظة جمالها .

- وكل من جعل الفرج والحلق طبعاً له وطريقة ، أقول له : من أجل هذا نزلت ﴿ لكم دينكم ولي دين ﴾ .

- ومع إنكار كهذا ، أولى بك أن تقصر الكلام ، وقل الحديث يا أحمد مع من شاخ على المجوسية .

مقاربة الخليفة لتلك الحسناء من أجل الجماع

- لقد جمع الخليفة رأييه ، وأزمع أمراً ، ومضى نحو تلك المرأة ليجامعها .

- ولقد ذكرها ، وجعل ذكره ينتصب ، واتجه لجماع تلك التي تزيد الحب .

٣٩٥٠- وعندما قعد بين ساقى تلك السيدة ، حم القضاء ، وقطع طريق متعته .

- ووصل إلى سمعه صوت خشخشة من فأر ، فارتخى ، وهدأت شهوته تماماً .

- لقد كان خائفاً من أن يكون هذا الصرير ، من حية تتحرك بين الحصير .

ضحك تلك الجارية من ضعف شهوة الخليفة وقوة شهوة ذلك الأمير

وفهم الخليفة " شيئاً " من ضحك الجارية

- ورأت المرأة وهنه هذا ، ومن دهشتها قهقهت وغلبها الضحك .

- وذكرت رجولة ذلك البطل ، الذى قتل الأسد ، وعضوه على حاله .

٣٩٥٥- وطال استغراقها في الضحك ، وهي تجاهد " لتكتمه " ، لكن الشفة لم تغلق .

- أخذت تضحك بشدة ، وكأنها من مدمني المخدرات ، غلب الضحك " عندهم " على النفع والضرر .

- وكلما فكرت وتذكرت زاد الضحك ، وكأن سداً أمام سيل قد فتح فجأة .

- والبكاء والضحك ، وسرور القلب وحزنه ، اعلم أن لكل منهما معدنا مستقلا .

- ولكل منهما خزانة ، اعلم أيها الأخ ، أن مفتاحها في يد الفتاح .
٣٩٦٠- ولم يكن يبدو أنها سوف تقلع عن الضحك ، فتطير الخليفة ، واستشاط غضبا .

- فأسرع بسل سيفه من غمده ، وقال لها : تحدثي عن سر هذا الضحك ، هيا أيتها الدنسة .

- لقد وقر في نفسي ظن ما من هذا الضحك ، فتحدثي بالصدق ، فلن تستطيعي خداعي .

- وإن تحدثت إلى مخادعة بغير الصدق ، أو سقت لي حجة واهية مكشوفة ؛
- فإنني سوف أعرف ، فهناك نور في قلبي ، فينبغي أن تقولي لي ما هو جدير بالقول .

٣٩٦٥- واعلمي أن في قلوب الملوك قمرا ساطعا ، وإن كان بين الحين والآخر، يصير من الغفلة مخفيا بالغمام .

- وهناك مصباح في القلب عند الطواف ، وعند الحرص والغضب ، يختفي تحت الطست .

- وأنا أحس أن هذه الفراسة توجد معي الآن ، وإن لم تقولي الحق الذي ينبغي أن يقال ؛

- فسوف أضرب عنقك بهذا السيف ، فلن يجدى تعللك بالأعذار . (١)
- وإن تحدثت بالصدق ، فسوف أعتقك ، وأسعدك ، ولن أنقض عهدي أمام الله .

(١) ج/١٢ - ٥٦٩:- أفتلك في هذه اللحظة بلا أدنى شك ، ومد إليها السيف قائلا : هيا ، الآن .

٣٩٧٠- ووضع سبعة مصاحف حينذاك فوق بعضها ، وأقسم عليها ، على ما قاله لها .

إفشاء تلك الجارية ذلك السر للخليفة خوفا من الضرب بالسيف

وإصرار الخليفة على أن تقول له السبب في هذا الضحك وإلا قتلها

- عندما أسقط في يد المرأة تحدثت بالأحوال ، وقصت عن رجولة ذلك الذي يشبه مائة رستم وكثيرين من أمثال زال .

- وأعادت على مسامع الخليفة ما جرى في تلك الخلوة التي حدثت في الطريق بتفصيله .

- وقتل ذلك الأسد ، والمجيء نحو الخيمة ، وذلك الذكر المنتصب وكأنه قرن الكركدن . (١)

- ثم وهن هذا المجاهد في هتك الأعراض ، الذي همد عندما استمع إلى خشخشة فأر .

٣٩٧٥- إن الحق سبحانه وتعالى يقوم بهتك الأسرار ، فلا تزرع بذور السوء ، مادامت سوف تنمو .

- فالماء والسحاب والحرارة وهذه الشمس ، تقوم باستخراج الأسرار من باطن التراب .

- وهذا الربيع الجديد النضر من بعد تساقط الأوراق ، برهان لك على وجود القيامة .

(١) ج/١٢-٥٧٢: - وأنه كان بهذه القوة ، ومن صيد الأسد ، لم يتغير فيه شيء وبقي على ما هو عليه . - "وقالت " : وعندما رأيت ذاك منه وهذا منك ، ضحكت ، وهذا هو السبب يا ملك العالم .

- ففي الربيع تظهر تلك الأسرار " على الملأ " ، وكل ما أكلته هذه الأرض ،
يفتضح " أمره " .

- وينبثق ذلك من فمها ومن شفيتها ، حتى يظهر للعيان ضميرها
ومذهبها .

٣٩٨٠- وسر جذر كل شوكة ومأكلاها ، يظهر كله على رأسها .
- وكل حزن تكون متأذى القلب منه ، هو من خمار تلك الخمر التي
شربتها .

- لكن كيف تعلم من أى خمر شربتها قد بدى الآن ألم الخمار ؟
- إن هذا الخمار هو برعمة تلك البذرة ، وهذا يعلمه كل من هو أريب وذكي
- والغصن والبرعمة لا يشبهان البذرة ، فمتى تشبه النطفة جسد رجل ؟
٣٩٨٥- وهما لا يتساويان معا : الهيولى والأثر ، ومتى تكون البذرة
شبيهة بالشجر ؟

- والنطفة " من نتاج " الخبز " والطعام " ، فمتى شابحت الخبز ، والناس من
النطفة ، فمتى يكونون مثلها ؟

- والخبز من النار فمتى يشبه النار ؟ والسحاب من البخار ، ولا يكون
كالبخار .

- ومن نفس جبريل عليه السلام تمثل عيسى عليه السلام بشرا سويا ، فمتى كان شبيها له
في الصورة أو ندا له ؟

- والإنسان من التراب ، فمتى شابه التراب ، وهل يوجد عنب يشبه
الكرمة ؟

٣٩٩٠- ومتى يكون لص على شكل المشنقة ؟ ومتى تكون الطاعة كالجنة
الخالدة ؟

- ولا يوجد أصل قط يشبه الأثر ، ومن ثم لاتعلم أصل التعب ووجع الرأس .
- لكن هذا الجزاء لا يكون بلا أصل ، وكيف يعذب الله بلا ذنب ؟
- وما هو أصل لهذا الشيء ويجذبه ، هو منه ، وإن لم يشبهه .
- إذن فاعلم أن ألمك هو نتيجة زلة ، وآفة هذه الطعنة فيك من هذه الشهوة .
- ٣٩٩٥- وإذا كنت لا تعرف ذلك الذنب من العبرة ، فادخل في التضرع سريعاً ، واطلب المغفرة .
- واسجد مائة مرة ، وقل دائماً : يا الله ، إن هذا الحزن الذى بي ليس إلا جزاء ، حاق بي عن استحقاق .
- ويا من أنت سبحانه مبرأ من الظلم والجور ، متى تصيب الروح بلا جرم بالألم والغم ؟
- وأنا لأعرف لنفسى ذنباً معيناً ، لكن لا بد أن لكل ذنب حزناً " يصاحبه " .
- وما دمت قد سترت السبب للاعتبار ، فاستر ذلك الذنب والجرم على الدوام .
- ٤٠٠٠- فإن الجزاء يكون إظهاراً لجرمى ، ومن العقاب تبدو لصوصيتي .(١)

عزم الملك عندما عرف تلك الخيانة على أن يسترها ويعفو ، ويهبه الجارية وعلمه أن تلك الفتنة كانت جزاء تعديده وظلمه لصاحب الموصل ، مصداقاً لقوله تعالى « ومن أساء فعليهما » وقوله « إن ربك لبالمرصاد » وخوفه من أن يحل به الانتقام إذا انتقم ، كما حاق به جزاء الظلم والطمع

- عاد الملك إلى وعيه ، واستغفر ، وذكر جرمه وزلته وإصراره .

(١) ج/١٢-٥٧٣:- فلأعد صوب الحديث عن توبة الملك ، حتى تصير أسرار الضراعة معلومة لديك .

- وقال في نفسه ، ما فعلته بالناس ، إنما فعلته بنفسي ، وقد حاق جزاؤه بروحي .

- ولقد تعديت على أعراض الآخرين بجاهي ، وحق ذلك بي وسقطت في " نفس البئر " .

- ولقد قرعت باب منزل شخص آخر ، فلا جرم أنه أيضا قد قرع باب داري .

٤٠٠٥- وكل من صار طالبا للفسق مع حريم الناس ، اعلم أنه " في نفس الوقت " قواد لأهله .

- ذلك أن الجزاء من جنس العمل ، فجزاء سيئة سيئة مثلها .
- وعندما هيأت أسباب الفسق ، فقد جذبت إلى نفسك مثله ، ومن ثم أنت ديوث وأكثر .

- ولقد غصبت الجارية من ملك الموصـل ، فغصبت مني أيضا على وجه السرعة .

- ولقد كان "ذلك القائد " أمينا لي ومن أتباعي ، لكن خياناتي جعلت منه خائنا .

٤٠١٠- وليس هذا وقت الثأر والانتقام ، فأنا الذي ارتكبت بيدي فعلا ساذجا ليس بناضج .

- وإن قمت بالانتقام من ذلك الأمير والمرأة ، فإن عاقبته سوف تحيق بي أيضا .

- وكما أنني قد جوزيت على فعلي الأول وجربته ، فليس عليّ أن أجرب المجرب .

- ولقد حطم الألم الذي أحس به صاحب الموصل عنقي ، فلن أجرؤ على توجيه ضربة إلى هذين .

- ولقد أنبأنا الحق علما عن الجزاء ، وقال ما معناه " إن عدتم به عدنا به " (١)
٤٠١٥- ولما كان التزيد هنا عديم الجدوى ، فلا شيء محمود هنا غير الصبر والمرحمة .

- رب إننا ظلمنا " أنفسنا " وجرى علينا السهو ، فارحمنا يا عظيم الرحمات
- ولقد عفوت ، فاعف أنت عني يا الله ، وتجاوز عن الذنب الجديد والزلات القديمة .

- ثم قال : الآن ، أيتها الجارية ، لا تتبسي لأحد بحرف واحد مما قد سمعت منك .

- فسوف أزوجك من أميرك ، فناشدتك الله لا تتحدثي إلى أحد بما حدث .
٤٠٢٠- حتى لا يكون هو خجلا أمامي ، فلقد ارتكب إساءة واحدة ، وقدم إلى مائة ألف حسنة .

- ولقد قمت بامتحانه عدة مرات ، وأمنت على من هن أجمل منك .
- فوجدته شديد الأمانة ، لكن هذا الذي قضى به الحق ، من فعلي أنا .
- ثم استدعى ذلك الأمير إلى حضرته ، "بعد" أن قتل في نفسه الغضب الذي يفكر في الانتقام .

- وتعلل له بحجة مقبولة ، وقال : لقد صرت نفورا من هذه الجارية .
٤٠٢٥- فإن " أم الولد " شديدة الغضب والاحتجاج غيرة من هذه الجارية وحقدا عليها .

- ولأم الولد حقوق كثيرة ، وهي لا تستحق مثل هذا الجور والجفاء .

(١) ما بين القوسين بالعربية في المتن الفارسي .

- وهي تشقى كثيرا من إحساسها بالحسد والغيرة ، وتحس بمرارة شديدة من هذه الجارية .

- وما دمت سوف أهب هذه الجارية لأحد ، فأنت أولى بها ، فخذها ، أيها العزيز .

- فلقد أبديت شجاعة وفداية من أجلها ، ولا يجل أن توهب لسواك .
- ٤٠٣٠ وعقد للأمير عليها ، وحطم غضبه وحرصه .

في تفسير (نحن قسمنا) أي أنه تعالى يقسم لأحدهم شهوة الحمير

وقوتها ولاحر كياسة الأنبياء والملائكة وقوتهم :

إن إمالة الرأس هوى من الرئاسة * وترك الهوى قوة نبوية

والبذور التي لا تلقى شهوة * لا يكون ثمرها جديرا إلا بيوم الدين

- إن ذلك السلطان وإن كان متصفا بالوهن فيما يختص بفحولة الحمير ، فقد كان متصفا برجولة الرسل .

- ذلك لأن ترك الغضب والشهوة والحرص ، يعد رجولة ، وعرقا من عروق النبوة .

- فقل ، لا كانت فحولة الحمير هذه تجرى " في عروقه ، فإن الحق يدعو عظيم أمرائه .

- وأن أكون ميتا " أظفر " بنظرة الحق ، أفضل من أكون حيا ومبعدا ومطرودا .

٤٠٣٥- فاعلم أن هذا هو لب الرجولة ، أما هذه الشهوة فهي قشرها ، وهذه الشهوة تقود إلى الجحيم ، أما لب الرجولة فيحمل إلى الجنان .

- فقد ورد أن الجنة قد حفت بالمكاره ، واتضح أن النار قد حفت بالهوى .

- فيا إياز، يا أسدا هصورا ، يا قاتل الشيطان ، قلل من التزيد في رجولة
الحر ، وزد في رجولة اللب .

- فإن ما لم يدركه مائة من الصدور والعظام ، كان بالنسبة لك لعب
أطفال ، فهلكم الرجل .

- ويا من أدركت لذة الأمر " الصادر " مني ، وأودعت الروح وفاءً تلبية
لأوامري . (١)

٤٠٤ - واستمع الآن إلى قصة تذوقه للأمر ولذته به ، في هذه البيانات
المعنوية .

إعطاء الملك وهو وسط الديوان والمحفل جوهرة لأحد الوزراء وسؤاله :

كم تكون قيمتها ؟ ومبالغة الوزير في تقدير قيمتها وأمر الملك

له قائلاً : إكسرها الآن ، وقول الوزير : كيف أكسر هذه الجوهرة

إلى آخر القصة

- ذهب الشاه " محمود " ذات يوم إلى الديوان ، فوجد كل أركان الدولة
موجودين فيه .

- فأخرج جوهرة ذات ضياء شديد ، ووضعها على الفور في كف
الوزير .

- وسأله : كيف تراها ؟ وكم تساوى هذه الجوهرة ؟ قال : إنها
تساوى ما يزيد على مائة حمل حمار من الذهب .

- فقال له : إكسرها ، قال : كيف أكسرها ؟! وأنا الراغب في الخير لمالك
وخزانتك .

٤٠٤٥ - وكيف أوافق على إهدار هذه الجوهرة التي لا تقدر بثمن ؟

(١) ج/١٢-٥٨٤ :- ويا من أنت على علم بأمر تعظيمه، استمع إلى هذه الحكاية إن كنت والها .

- فقال : لتسعد ولتهنأ ، وخلع عليه ، وأخذ منه الجوهرة ذلك الملك
الفتى .

- وأثر ملك الجود ذلك الوزير بكل لباس وحلة كان يرتديها ، وخلعها عليه .
- وشغلهم بالحديث ساعة من الزمن ، عما استحدث من أمور ، وما كان قديما
منها .

- ثم أعطاها إلى أحد الحجاب قائلًا : كم تساوى هذه الجوهرة لطالبها ؟
٤٠٥٠ - قال : إنها تساوى نصف المملكة ، ألا فليحفظها الله من التهلكة
- فقال له : إكسرها ، قال : يا من سيفك في ضياء الشمس ، قال : إن في كسرها
خسارة شديدة .

- دعك من قيمتها ، أنظر إلى تلألؤها ولمعانها ، لقد صار ضوء النهار
تبعًا لها .

- فكيف تتحرك اليد قاصدة كسرها ؟! ومتى أكون عدوا لخزانة الملك ؟!
- فخلع عليه الملك ، وزاد في راتبه ، ثم انطلق في مدح عقله .
٤٠٥٥ - وبعد ساعة أخرى وضع الدرة في يد أمير العدل قائلًا له : قم
بامتحانها .

- فقال نفس القول ، وكرر كل الأمراء نفس القول ، فوهب كل واحد منهم
خلعة ثمينة .

- وأخذ الملك يزيد في رواتبهم ، وحمل أولئك الأخساء من الطريق إلى
البئر .

- هكذا قال خمسون أو ستون أميرًا ، كلهم واحدًا بعد الآخر ، تقليدا
للوزير .

- وبالرغم من أن التقليد هو عماد العالم ، إلا أن كل مقلد يفتضح عند الإمتحان (١).

وصول الجوهرة من يد إلى يد إلى إياز في نهاية الدور ، وكياسة إياز وعدم تقليده إياهم ، وعدم انخداعه بإعطاء الملك للكيل والمال وزيادة الرواتب والخلع ومدحه لعقول المخطئين ، إذ لا يجوز أن يعتبر المقلد مسلماً ، ويكون نادراً أن يثبت المقلد على ذلك الاعتقاد ويفرج من هذه الامتحانات سالماً ، فليس لديه ثبات المبصرين ، إلا من عصمه الله ، لأن الصواب واحد ، وله أضداد كثيرة توقع في الخطأ وعندما لا يعرف المقلد ذلك الضد ، لا يعرف الصواب لذلك ، ولكن لأن الحق يرعاه مع جهله هذا ، فإن هذا الجهل لا يؤذيه

٤٠٦- يا إياز ، ألا تقول لي كم تساوى هذه الجوهرة وهي بهذا اللعنان والفن ؟

- قال : " ثمنها " أكثر مما أستطيع أن أقول ، فقال : الآن حطمها إلى قطع صغيرة .

- كانت في كفه حجارة ، فحطمها على وجه السرعة . وكان ذلك هو الصواب في رأيه (٢).

- أو أنه كان قد رأى ذلك فيما يرى النائم ، ووضع حجرين تحت إبطه .
- مثل يوسف عليه السلام الذي كشفت له عاقبة أمره وهو في قاع البئر بأمر الله .
٤٠٦٥- وكل من ترأسل معه الفتح والظفر ، يتساوى عنده الظفر والحرمان .

(١) ج - ٥٨٦/١٢ - ٥٨٧ :- عندما امتحنهم الملك جميعاً ، وخلع عليهم جميعاً خلعا بلا حد . - هكذا دارت الجوهرة من يد إلى يد ، حتى وصلت يد إياز صاحب البصيرة ووضعها الأخير في يد إياز ، قائلاً له : أيها الرفيق قوى البصيرة . - لقد رأى الجميع واحداً بعد الآخر هذه الجوهرة ، فانظر إلى إشعاعها بإيمان أيها المحترم .

(٢) ج/١٢ - ٥٨٩ :- ومن اتفاق طالعه مع إقباله ، فقد حدثت في تلك اللحظة حكمته النادرة .

- وكل من صارت عاقبته وصل الحبيب ، أى خوف يعتريه من الهزيمة والقتال ؟

- فما دام قد تيقن من أنه منتصـرفي آخر دور " الشطرنج " ، فإن ضياع الحصان والفيل ، يكون من قبيل الترهات .

- فإن سلب جواده كل من هو باحث عن جواد ، فقل له : إمض ، أليس هو المقدم " لا الجواد " ؟

- وأية قرابة تكون للرجل مع الجواد ؟ إن عشقه للجواد يكون من أجل أن يكون سباقا .

٤٠٧٠- فلا تتحمل هذه المشقة والنصب من أجل الصـور ، وخذ المعنى دون صداد الصورة وكدرها .

- والزاهد يحمل هم عاقبة أمره ، وماذا يكون من أمره يوم الحساب .

- أما العارفون فقد صاروا واعين من البدايـة ، فارغين من الهم وأحوال الآخرة .

- وعند العارف أيضا نفس هذا الخوف والرجاء ، لكن علمه بما سبق قضى على خوفه ورجائه .

- وذلك الذى قد سبق أن زرع القيطاني ، يعلم ماذا يكون طعم حبوبها
٤٠٧٥- إنه عارف ، فرغ من الخوف والرجاء ، وصيحات وجدته شقها سيف الحق إلى نصفين .

- كان عنده خوف من الحق ورجاء فيه ، وفنى الخوف ، وبقي الرجاء فى الله عنده عيانا . (١)

(١) ج/١٢-٥٨٩:- لقد طوى الخوف ، وصار بأجمعه رجاء ، صار نورا تابعا للشمس . - كان إياز عالما بامتحان الملك ، ولم يتجرع إياز خديعة الملك . - ولم تجعله الخلع والرواتب يحيد عن الطريق ، فحطم الجوهرة بأمر الملك وجعلها بددا

- وعندما كسر الجوهرة الخاصة في تلك اللحظة ، ارتفعت من أولئك
الأمراء ضجة شديدة وصراخ .

- وقالوا : أية جرأة هذه ؟! إنه كافر والله ، ذلك الذى يحطم جوهرة بهذا
الضياء .

- وتلك الجماعة كلها من الجهل والعمى ، حطمت جوهرة أمر الملك .
٤٠٨٠- فكيف خفيت الجوهرة القيمة " أى أمر الملك " وهي نتيجة الحب
والود على أمثال تلك الخواطر ؟

تشنيع الأمراء على إياز " وسؤالهم " إياه عن سبب

كسرها ، وجواب إياز عليهم

- قال إياز : أيها العظماء المشاهير ، هل أمر الملك أعلى قيمة
أو هذه الجوهرة ؟

- وبحق الله ، قولوا لي : هل أمر السلطان أولى عندكم أو هذه
الجوهرة القيمة ؟

- ويا من أنظاركم مثبتة على الجوهرة لا على أمر الملك ، إن قبلكم غول
الصحراء " لا جادة الطريق .

- وأنا لا أحول نظري عن الملك ، ولا اتجه إلى حجر كالمشرك .
٤٠٨٥- وهي بلا أصل تلك الروح التي تختار حجرا ملونا وتمارى
الملك .

- فأدر ظهرك إلى اللعبة وردية اللون ، واجعل العقل حائرا في خالق
الألوان .

- وادخل إلى الجدول ، وحطم الجرة ، وأضرم النار في الروائح
والألوان .

- وإن لم تكن في طريق الدين من قاطعي الطريق ، لا تعبد الألوان والروائح كالنساء . (١)

- ولقد طأطأ أولئك الأمراء رؤوسهم ، وأخذوا يعتذرون عن ذلك السهو والنسيان " من أعماق " أرواحهم .

٤٠٩٠- وأخذت الآهات الحرة ترتفع من صدر كل منهم في تلك اللحظة إلى عنان السماء .

- وأشار الملك إلى جلاده العتيق قائلاً : أبعد هؤلاء الأخساء عن صدارة مجلسي - فأية لياقة عند هؤلاء الأخساء بصدر مجلسي ، أولئك الذين يكسرون أوامري من أجل حجر ؟!

- ومن أجل حجر ملون صارت أوامرنا ذليلة غير ذات قيمة عند أمثال هؤلاء من أهل الفساد .

هم الملك بقتل الأمراء وتشغم إياز أمام عرش السلطان

قائلاً : العفو أولى

- فنهض إياز زائد المودة ، وأسرع إلى عرش ذلك السلطان العظيم .
٤٠٩٥- وسجد سجدة ، ثم أخذ بحلقه قائلاً : يا عظيمًا يحار الفلك فيك .
- أيها الطائر الملكي الذي تأخذ منه طيور الملك بركتها ، ويستمد منك كل سخي سخاءه .

- يا كريمًا تتمحي ألوان الكرم في العالم أمام إيثارك الخفي .
- ويا لطيفًا أبصرته الورود الحمراء ، فمزقت أكماتها خجلًا .

(١) ج/١٢-٥٩٤:- لقد كان الجوهر هو أمر الملك أيها الأخساء ، ولقد حطمتوه عيانًا بيانًا .
وعندما أفشى إياز السر ، صار كل الأمراء أذلاء مضطربين .

- ويا من من غفرانك ، شبع الغفران والتسامح ، ومن عفوك تسلطت الثعالب على الأسود .

٤١٠٠- وكل من تجرأ على أمرك ، أى سند كان له سوى عفوك ؟

- وغفلة هؤلاء المجرمين ووقاحتهم ، هي نتاج وفور عفوك يا ملاذ العفو .

- والغفلة دائما ما تنتج عن الوقاحة ، كما يسلب الرمد التعظيم من العين .

- والغفلة والنسيان عند من أسيأت تربيته ، إنما تصوير محترقة بنار التعظيم .

- ثم إن هيئته تمنحه اليقظة والفتنة ، فينطلق السهو والنسيان خارج قلبه .

٤١٠٥- وفي وقت الغارة ، لا يطرق النوم جفن أحد ، حتى لا يسرق منه أحد حاجياته .

- وإذا كان النوم يفر من أجل ثوب خلق ، فمتى يكون نوم النسيان عند الخوف من الذبح .

- لقد صارت « ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا » شاهدا علينا ، بحيث يكون النسيان ذنبا من وجه ما .

- ذلك أن " الناسي " لم يقم بتعظيمه تماما ، وإلا ما سيطر عليه النسيان .

- وبالرغم من أن النسيان لا بد منه ولا محيص عنه ، فإن المرء مختار في مزاولة الأسباب " التي أدت إليه " .

٤١١٠- إذ أنه تهاون في تعظيم " الإله " كما ينبغي ، حتى تولد من ذلك النسيان والسهو والخطأ .

- وذلك كالسكران الذى يرتكب الجرائم والأخطاء ، ويقول : كنت معذورا غائبا عن نفسي .

- فيقال له : لكن السبب يا قبيح الفعل كان منك ، وكان الاختيار منك أنت في جريانه عليك .

- والغيبة عن الوعي لم تحدث من تلقاء نفسها ، بل دعوتها ، ووعيك لم يمض عنك من تلقاء نفسه ، بل طردته .

- فلو كان هذا السكر قد حدث دون اختيار منك ، لكان ساقى الروح قد حفظ عهدك .

٤١١٥- ولكان ظهيرا لك ومعتذرا عنك ، وأنا غلام لزلة السكر بالله .

- والعفو الموجود في كل الكون مثقال ذرة ومجرد انعكاس لعفوك يا من منك كل نفع .

- وإن أنواع العفو لتنتهي على عفوك ، « ولم يكن له كفوا أحد » يا أيها الناس اتقوا .

- فهبهم أرواحهم ولا تطردهم عنك ، فهم من حليت أفواههم منك ، أيها الموفق .

- وارحم ذلك الذى قد شاهد وجهك ، وتصور كيف سيتحمل فراقك المر .

٤١٢٠- وإنك لتتحدث عن الفراق والهجر ، فافعل ما تشاء ، لكن لا تفعل هذا . (١)

- فإن مئات الآلاف من أنواع الموت المضاعفة ، لا تساوى فراق وجهك .

(١) ج/١٢-٥٩٩:- فلا يوجد في الدنيا ما هو أسوأ من هجر الحبيب ، واستمع إلى هذا الكلام من عاشقك

- فأبعد مرارة الهجر عن الذكور والإناث ، أبعدها يا من أنت للمجرمين الخاطئين الغيـاث .

- فالموت على أمل وصلك يكون حلوا ، ومرارة هجرك تكون أفضـع من النار .

- وإن المجوسي ليقول وهو في سقر ، أى حزن عندي ، مادام قد نظر إليّ .
٤١٢٥- فإن تلك النظرة تجعل الآلام حلوـة ، وهي دية لأيدى سحرة " فرعون " وأقدامهم .

تفسير قول السحرة لفرعون عند توقيـم العقاب عليهم

« لا ضير ، إنا إلى ربنا منقلبون »

- لقد سمعت السماء قوله « لا ضير » ، فصار الفلك كرة في أثر ذلك الصولجان .

- أى : لا ضير لنا من ضربة فرعون ، فإن لطف الحق غالب على قهر من سواه .

- فلو أنك تعلم سرنـا أيها المضل ، فإنك في الحقيقة تخلصنا من ألمنا يا أعمى القلب .

- هيا ، وأقبل من تلك الناحية حتى تسمع الأرغنون ، يعزف لحن « يا ليت قومي يعلمون » .

٤١٣٠- ولقد وهبنا الحق فرعونية ، ليست فانية كفرعونيتك وملكك .

- فأطل برأسك ، وانظر إلى الملك الحي الجليل ، يا من صرت مغرورا بمصرونهر النيل .

- وإنك إن تركت هذه الخرقـة النجسـة ، فإنك تجعل النيل غارقا في سيل الروح.

- هيا، وانفض يافرعون يدك عن مصر ،ففي وسط مصر الروح ،مائة قطر ومصر .

-إنك تقول للجميع (أناربكم الأعلى) ،وأنت غافل عن ماهية هذين الإسمين ٤١٣٥- فمتى يكون الرب مرتعدا من عابده ؟! ومتى يكون العارف بذاته في قيد الجسم والروح؟

-والآن فإن تلك الـ "أنا" التي تخصصنا قد نجت من أنيتها ، ومن تلك الـ "أنا" المليئة بالعناء والبلاء.

- وتلك الـ "أنا" التي كانت شؤما عليك أيها الكلب ،كانت بالنسبة لنا دولة محتومة.

-فلو لم تكن لك الـ "أنا" المنتقمة ، متى كنت تجلب لنا هذا الإقبال والسعد؟

- والشكر لله أننا نخلص من هذه الدار الفانيـة، وأننا على رأس هذه المشنقة نوجه لك النصائح .

٤١٤- ومشنقة قتانا هي براق رحلتنا، ودار ملكك غرور وغفلة .

-وهذه حياة مستترة وخفية في صورة الموت ،وما أنت فيه موت خفي في غلاف حياة.

- فإنها تبدى النار نورا والنور نارا، وإلا فمتى كانت الدنيا "توصف" بأنها دار الغرور .

-فهيّا ، لاتتعجل ، وصر عندما من البداية ، وعندما تغرب ،
اطلع من مشرق الضياء.

-فمن "أنيّة" الأزل، صارالقلب حائرا ،وهذه الـ "أنا" صارت
باردة سخيفة وصارت عارا.

٤١٤٥-ومن تلك الـ "أنا" التي بلا "أنا" سعدت الروح،صارت هاربة من
الدنيا ومن أنية الدنيا .

- وعندما نجت من الـ "أنا" صارت فحسب تعد أنيّة ، فلتكن أنواع
الثناء على الـ "أنا" التي لاعناء فيها .

-فهي هاربة والذات في أثرها ، وهي تسرع عندما تراها في
أثرها .

- وأنت طالب لها ،ولا تكون هي طالبة لك، وعندما تموت ، صار
طالبك مطلبالك.

-وأنت حي ، فمتى يقوم غاسل الموتى بغسلك ؟ وأنت طالب ، فمتى يبحث
عك مطلوبك؟

٤١٥٠- ولو كان العقل مبصرا للطريق في هذا المبحث ، لكان فخرالدين
الرازي عالما بسر الدين .

- لكن لما كان "من لم يذق لم يدر" ، فإن عقله وأوهامه وخيالاته قد
زادت في حيرتك .

- فمتى كان الكشف من تفكر هذه الـ "أنا" ،وتلك الـ "أنا" تكشفه بعد
عناء ؟!

- وتسقط هذه العقول من افتقادها "للكشف" في مغارة الحلول والاتحاد.

- فيا إياز الذي صرت فانيا من القرب ، كأنك الكوكب في أشعة الشمس

٤١٥٥- بل كالنطفة قد بدلت إلى جسد ، لا عن طريق الإتحاد
ولا عن طريق الحلول .

- أعف ، يا من يكون العفو في خزانتك " أنت " ، وأنت سابق في اللطف ،
والكل مسبوق منك .

- فمن أكون أنا حتى أقول لك أعف ، يا من أنت سلطان ،
وخلاصة الأمر بكن فيكون .

- ومن أكون أنا حتى أقترن بأنيتك ، يا من أخذت كل الأنبيات بطرف رداك .

اعتبار إياز نفسه مجرما في هذا التشفع ، والاعتذار عن هذا الجرم

واعتبار نفسه مجرما في هذا الاعتذار . وهذا الإنكسار ينبع من

معرفة عظمة الملك ، مصداقا لقوله عليه السلام [أنا

أعلمكم بالله ، وأخشاكم لله " ولقوله تعالى (إنما يخشى

الله من عباده العلماء)

- ومتى أثير أنا الرحمة في قلب الغاضب ؟ أو أبدى طريق الحلم للمزدان
بالعلم ؟

٤١٦٠- إننى أستحق لهذا آلاف الصفعات ، إذا كنت أنت الذى تعرضني
للصفع .

- فما هذا الذى أقوله وأعلنه أمامك ، أو أعلمك أو أذكرك بشروط الكرم .

- وما هو هذا الذى لا يكون معلوما لك ؟ وما هو الذى يعزب عن علمك في هذا
الكون ؟!

-ويا من أنت منزّه عن الجهل وعلمك منزّه عنه ، بحيث يكون الخفي
منسيا عنده .

- لقد اعتبرت من ليس بشخص قط شخصاً ،ورفعتـه بالنور وكأنه الشمس .

٤١٦٥- وما دمت أنت الذى جعلتني إنسانا ، استمع إلى شكواى من كرمك ، عندما أشكو .

-ذلك أنك عندما رفعت الحجاب عن صورتى ، أنت نفسك الذى جعلت هذه الشفاعة لي .

- والآن ، وقد خلا هذا الوطن من كل أسبـابي وحاجياتي ، "اتضح" أن أخضر الدار ويابسها ليس ملكا لي

-حتى الدعاء أجريته أنت مني وكأنه الماء ، فامنحه الثبات " يا إلهي " واجعله مستجابا .

- إنك أنت في البداية الآتي بهذاالدعاء ، فكن المرتجى في الإجابة في نهاية الأمر .

٤١٧٠- حتى أثرثر أنا قائلاً :إن ملك العالم ، من أجلي قد عفا عن المجرمين .
- وكنت ألما بأجمعي أنا المغرور المعجب بنفسه ، فجعل منى الملك دواءً لكل متألم .

- وكنت جهنمياً مليئاً بالفتنة والشر ، فجعلتني يد فضله كوثرًا .

- وكل من تحرقه النار قودا ، أنبت أنا جسده مرة ثانية .
- فما هو عمل الكوثر ؟ أن كل محترق يصبح منه نابتاً متراكماً .

٤١٧٥- وكل قطرة منه منادية بالكرم ، قائلة: إنني أعيد كل من أحرقه الجحيم.(١)

(١) ج/١٢-٦١٢:- إنني كالمرهم على كل جرح عفن ، ف " ينبت لحماً جديداً خالصاً".

- إن النار مثل رياح الخريف ، والكوثر كأنه الريح ، أيتها
الروضة (١).

-والنار كأنها الموت وتراب القبر ، والكوثر مثله مثل نفخ
الصور .

-فيا من احترقت أجسامكم في الجحيم ، إن الإكرام لا يفتأ
يجذبكم نحو الكوثر .

- ذلك أن لطفك قد قال أيها القيوم الحي " خلقت الخلق كي يربح
عليّ

٤١٨٠- لا لأن أربح عليهم " (٢) ، وهذا هو جودك، الذي منه يجبر كل
كسير ، ويتم كل ناقص .

- فاعف عن هؤلاء العبيد ، عبدة الجسد ، والعفو أولى من بحر
العفو .

- وعفو الخلق كأنه الجدول وكأنه السيل ، تسوق خيلها كلها نحو ذلك
البحر .

- وألوان العفو كل ليلة ، تأتي من فلذات القلوب هذه ، "طائرة " إليك كالحمام
أيها المليك.

- فتردها طائرة مرة ثانية عند الفجر ، وتجعلها محبوسة
في هذه الأبدان حتى الليل .

٤١٨٥- ثم تطير مرة ثانية عند العشاء خافقة بأجنحتها ، عشقا
لذلك الإيوان والسقف " الأعلى " .

(١) ج/١٢-٦١٣:- والنار كأنها الموت والفناء ، والكوثر هو نفخ الصور من الكبرياء .

(٢) ما بين القوسين بالعربية في المتن الفارسي .

- حتى تقطع خيوط الوصال مع الأجساد ، وتقبل نحوك ، لأن لها الإقبال منك ؛

- خافقة بأجنحتها ، آمنة من العود المنقلب ، محلقة في الهواء قائلة (إنا إليه راجعون).

- فيهتف بها هاتف من الكرم أن " تعالوا " ، وبعد تلك الرجعة لا يبقى حرص ولا غم .

- فكم من غربة تكبدتموها في الدنيا ، فكونوا عارفين بقدرى أيها العظماء .

٤١٩٠- ومدوا سيقانكم مستريحين تحت ظل هذه الشجرة ثملين بالكرم .

- تلك السيقان التي عانت كثيرا في طريق الدين ، فهيا كونوا إلى جوار الحور ، وفي أحضانهم خالدين

- والحور يكن حنونات يغمزن لبعضهن بأعينهن قائلات : لقد عاد هؤلاء الصوفية من السفـر .

- الصوفية الأصفياء كأنهم نور الشمس ، كانوا قد سقطوا فترة فوق التراب وفوق القدر .

- وعادوا بلا أثر من التراب طاهرين من القدر ، مثل نور الشمس صوب القرص العالي .

٤١٩٥- وهذه الطائفة من المجرمين أيها المجيد ، قد دقوا رؤوسهم جميعا بالجدار .

- ولقد وقفوا على ذنوبهم وعلى جرائمهم ، وبالرغم من أنهم قد هزموا في لعبة نرد الملوك.

- إلا لأنهم توجهوا إليك الآن متأوهين، يامن لطفك لايزال يجذب المجرمين .
- فعجل في إعطاء الطريق ،العجل ،إلى فرات العفو ، وعين المغتسل.
- حتى يغتسلوا من هذا الجرم الممتد ، ويذهبوا إلى الصلاة في صف الأطهار .
- ٤٢٠٠- وفي تلك الصفوف هناك من لا يمكن حصرهم وعدهم ، غارقون في نور « لنحن الصافون » .
- وعندما وصل الكلام إلى وصف هذه الحالة ، تحطم القلم ، وتمزقت الأوراق .
- فهل وسع البحر قط إناء فخارى ، وهل ظفر قط حمل بأسد ؟
- فإذا كنت في حجاب ، فاخرج عن الاحتجاب ، حتى ترى ذلك الملك العجاب .
- وإذا كان السكارى قد حطموا كأسك ، فاعذر لمن هو ثمل بك .
- ٤٢٠٥- فإن سكرهم بالجأه والمال ، لا من خمرك يا حسن الفعال .
- واعلم أيها المليك أنهم السكارى بك ، فاعف عن الثمل بك أيها العفو .
- وإن لهجة تخصيبك "لهم " عند الخطاب ، يتأتى منها ما لا يتأتى من مائة دن من الشراب .
- وما دمت أنت الذى أسكرتني ، لا تقم على الحد ، فالشرع لا يحد السكارى " أثناء سكرهم " .

- وعندما أفيق ، أقم على الحد آنذاك ، ومن ثم ، فلن أصير مفيقا أبدا .

٤٢١٠- وكل من شرب من كأسك يا ذا المنن ، نجا إلى الأبد من الوعي ومن التعرض للحد .

- إنهم " خالدون في فناء سكرهم ، من تفانى في هواكم لم يقم ". (١)

- فلا يزال فضلك يقول لقلوبنا : امض ، يا من صرت رهنا في مخيض عشقنا .

- لقد سقطت ، كما سقطت الذبابة في المخيض ، فلست ثلثة أيتها الذبابة ، أنت الخمر نفسها .

- ولقد صار النسور ثملين منك أيتها الذبابة ، عندما تسوقين مطيتك نحو بحر العسل .

٤٢١٥- والجمال تصير كالذرات ثلثة بك ، والنقطة والفرجال والخط في يدك .

- والفتنة التي ترتعد منه مرتعدة منك وكل جوهر غال الثمن رخيص عندك .

- ولو كان الله قد وهبني خمسمائة فم ، لقت ببيانك آنذاك يا روح العالم .

- وإن لي فمًا واحدًا ، ومن ثم ، فأنا منكسر خجلا منك يا عالما بالسر .

(١) مابين القوسين بالعربية في المتن الفارسي .

- لكنى لست أكثـرانكسـارا في الأصل من العدم ، ومن فمه انبتت كل هذه الأمم .

٤٢٢٠- وهناك مئات الآلاف من الآثار الغيبية في انتظار أن تخرج منك بلطف وبر .

- وإن رأسي لتكون دائرة من طلبك إياي ، يا من أكون أناميتا أمام هذا الكـرم .

- ومجرد رغبتنا هذه من طلبك أنت ، وجذبة الحق سارية في كل مكان .

- ومتى يصعد التراب إلى أعلى دون رياح؟! وهل تسيـر سفينة في طريقها دون بحر ؟

- وأمام ماء الحياة لم يمت أحد وإلى جوار مائك ، يكون ماء الحياة كدرا .

٤٢٢٥- وماء الحيوان هو قبلة أرواح الأحباب ، ومن الماء يكون البستان أخضر نضرا ضاحكا .

- لكن من يشربون الموت أحياء من عشقه ، قد صرفوا قلوبهم عن الروح وماء الروح .

- وعندما لحق بنا ماء عشقك ، صار ماء الحيوان غير ذي قيمة عندنا .

- ولكل روح البعث والجدة من ماء الحياة ، لكنك ماء ماء الحياة .

- وإنك لفي كل لحظة تهبني موتا وحشرا ، حتى أرى غلبة ذلك الكـرم .

- ٤٢٣٠- وصار هذا الموت بالنسبة لي كأنه النوم ، وذلك من شدة تقتي في البعث من الله .
- والبحار السبعة إن أصبحت كلها سرايا ، فإنك تأتي بها جارا إياها من آذانها يا ماء الماء .
- والعقل مرتعد من الأجل ، وذلك العشق متجرؤ " عليه " ، ومتى يخشى الحجر من الماء كما يخشاه المدر ؟
- وهذا هو الخامس من صحف المثبوى ، إنه في بروج فلك الروح كأنه الأنجم .
- ولا تجد كل حواس الطريق إلى الأنجم ، اللهم إلا " حواس " ذلك الملاح العالم بالنجوم .
- ٤٢٣٥- وليس للآخرين من نصيب إلا النظر ، وهم غافلون عن السعود والقرانات .
- فتعرف طوال الليل وحتى الأصباح ، على مثل تلك الأنجم محرقة الشيطان .
- وكل منهم في دفع الشيطان القاصد بالسوء ، كأنه الرامي بالنفط من قلعة السماء .
- والنجوم مع الشيطان كأنها العقرب ، ولأرباب السعادة كأنها الولي الأقرب .
- فالقوس وإن كان يصمي الشيطان بسهم ، فهناك الدلو وهو مليء بالماء للزرع والثمر .
- ٤٢٤٠- والحوث وإن كان يحطم سفيينة الغي ، فإنه يزرع للولي وكأنه الثور .

- والشمس وإن كانت تمزق الليل وكأنها الأسد ، للياقوت منها خلعة من الأطلس . (١)

- وكل وجود أطل برأسه من العدم ، هو لأحدهم سم ، لكنه للآخر شهد .

- فصرحيبا وبرا من الطبع السيء ، لتتال السكر حتى ممن هو في الصورة سم .

- ومن هنا لم يُصب الفاروق ^١ أذى من السم ، فقد كان ذلك السم سكرًا بالنسبة لترياقه الفاروقي . (٢)

تمت ترجمة الكتاب الخامس بحمده تعالى وتليها الشروح بإذنه تعالى

(١) ج ١٢/٦١٥-٦١٦:- وإذا كان شكل العقرب معوج السير ، فإن هيئة الميزان على عكسه .- وإذا كان عمل المريخ هو سفك الدماء ، فهو مسكين أمام ذلك الذي يشرق من تبريز .- وإذا كان تأثير النحاس يتأتى من زحل ، فإنه من ناحية العمل تتأتى منه دقة الفكر .- وإذا كانت السمكة تضرب بكفيها الشمس ، فليس للزهرة جراءة على الحديث عنها .- بل إن عطاردا ليفقدن منزلته ، ومن جنونه يقوم بكسر الجوزاء .- وترتعد يد المشتري ويخفق قلبه ، ويقع القمر على وجه الماء كأنه السلال .- والنسر الطائر يفقد ريشه من الخجل ، ومن الطمع يصبح التتين في ليونة الشمع .- وبنات النعش يحملن ويجتمعن ويصفقن .- دعك من هذه الرموز فهذا ليس وقتها ، ودرب التبانة امتلاً بالتبن من السنبلة .- لقد أطلت الشمس من الجبل فاتقوا ، لكن هذا الحديث يصبح مرا عليكم .- إنك عدو ومن العدو الشهد واللبن ، يصبح بلا تكلف سما في الفم

(٢) ج ١٢/٦١٦:- فهيا ، ابحث عن ترياق الفاروق أيها الغلام ، حتى تصبح فاروق زمانك . والسلام .

شروع وهوامنشن

المقدمة :

يرى يوسف بن أحمد (٢/٥) أن هذا الدفتر من دفاتر المثنوى يشتمل على أصول الشريعة ومسائل الطريقة وأسرار الحقيقة . والواقع أن كل علوم الصوفية تدور حول هذه المصطلحات الثلاثة : الشريعة و الطريقة والحقيقة . ولعل أول من تناول هذه المصطلحات بشكل مفصل هو سنائي الغزنوى في منظومته التى كانت مصدرا من مصادر المثنوى " حديقة الحقيقة وشريعة الطريقة " (انظر ترجمتها العربية لكاتب هذه السطور - دار الأمين - القاهرة ١٩٩٥) والكيمياء المذكورة هنا هى كيمياء التبدل ، وتبدل النحاس إلى ذهب رمز إلى تبدل الإنسان المخلوق من طين إلى ملائكى وربانى عن طريق الرياضة الصوفية ، أما عبارة " طلب الدليل بعد الوصول إلى المدلول قبيح وترك الدليل قبل الوصول إلى المدلول مذموم " فتنسب إلى أبى الحسن الحوارى ، كما أن عبارة لو ظهرت الحقائق بطلت الشرائع ، تنسب إلى الكرامية (كشف المحجوب - الترجمة العربية لكاتب هذه السطور وآخرين - ص ٤٦٥) . وينسب الصوفية إلى الرسول ﷺ حديثا نصه { الشريعة أقوالى والطريقة أفعالى والحقيقة حالى } (انقروى ٣/٥) .

أما الآيات القرآنية الواردة في المقدمة فهى :

﴿ منيبين إليه واتقوه ، وأقيموا الصلاة ولا تكونوا من المشركين ، من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا كل حزب بما لديهم فرحون ﴾ (الروم ٣١-٣٢) .

﴿ قيل ادخل الجنة ، قال يا ليت قومى يعلمون بما غفر لى ربى وجعلنى من المكرمين ﴾ (يس ٢٦-٢٧)

﴿ ويوم يعرض الظالم على يديه ﴾ ﴿و يقول الكافر يا ليتنى كنت ترابا ﴾ (النبأ ٤٠) .

﴿ وأما من أوتى كتابه بشماله فيقول يا ليتنى لم أوت كتابيه ولم أدر ما حسابيه ، يا ليتها كانت القاضية ، ما أغنى عنى ماله ، هلك عنى سلطانيه ﴾ (الحاقة ٢٥-٢٩) .

﴿ قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلى أنما إليكم إله واحد فمن كان يرجوا لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا ﴾ (الكهف ١١٠) .

ويقول محمد معصوم الشيرازى في كتابه طرائق الحقائق : " قال بعض المحققين أن الشريعة والطريقة والحقيقة أسماء صادقة على حقيقة واحدة هي حقيقة الشرع المحمدى باعتبارات مختلفة ولا فرق بينها إلا باعتبارات المقامات ، لأنه عند التحقق الشريعة كاللوزة المشتملة على القشر والللب وللب اللب فالقشرة الشريعة والللب كالطريقة وللب اللب كالحقيقة ، فهي باطن الباطن واللوزة جامعة لكل ويظهر ذلك في مثل الصلاة فإنها خدمة وقربة ووصلة ، فالخدمة مرتبة الشريعة والقربة مرتبة الطريقة والوصلة مرتبة الحقيقة . واسم الصلاة جامع لكل ومن هنا قيل : الشريعة أن تعبده والطريقة أن تحضره والحقيقة أن تشهده ، وقيل : الشريعة أن تقيم أمره والطريقة أن تقوم بأمره والحقيقة أن تقوم به . وهذا المعنى هو المذكور في الحديث ، فإن الأقوال هي التي تجب إقامتها ، والأفعال هي الأمر الذي يقام به الأقوال والأحوال هي التي تتصف بها فالمرتبة الأولى علم اليقين والثانية عين اليقين والثالثة حق اليقين . وكذلك الإسلام والإيمان والإيقان ، وكذلك الظاهر والباطن وباطن الباطن والعام والخاص وخاص الخاص ، والمبتدئ والمتوسط والمنتهى . فالشريعة عند التحقيق تصديق قول الأنبياء والرسل وأوصيائهم والعمل يوجب طاعة وانقياد . والطريقة التحقق بأفعالهم اتفاقا واتصافا والقيام بها عملا وعلما والحقيقة مشاهدة أحوالهم ومقاماتهم كشفا وذوقا والقيام بها حالا ووجدانا فإن كل واحد من الأولى بمثابة الشريعة ومن الثانية بمثابة الطريقة ومن الثالثة بمثابة الحقيقة والحقيقة واحدة ، لو سميت بألف اسم جاز " (عن محمد تقى جعفرى ، تفسير ونقد تحليل مثوى جلال الدين محمد بلخى ، ج ١١ ، ص ١١٠ - ١١١ ، الطبعة ١١ ، ١٣٦٧ طهران - فيما يعد يكتفى باسم جعفرى) . أما القول " لو ظهرت الحقائق بطلت الشرائع " فلا يعنى أن الوصول يسقط العبادة بقدر ما يعنى أن الطريق إلى الحق لا بد وأن

يكون قائماً على أساس من الشريعة كما ورد في الحديث الذي يروى عن الرسول ﷺ وعلى ﷺ في وقت واحد : " لو كشف الغطاء ما ازددت يقيناً " . وفي قول علي عليه السلام " ما شككت في حق مذ رأيتة " . وفي تفسير لنجم الدين كبرى عن العمل الصالح المذكور في الآية الكريمة ، قال : " هو متابعة النبي ﷺ والتأسي بسنته ظاهراً وباطناً فأما سنته الظاهرة ، فترك الدنيا واختيار الفقر ودوام العبودية ، وأما سنته الباطنة ، فالتبذل إلى الله تبتيلاً وقطع النظر عما سواه كما فعل (إذ يغشى السدرة ما يغشى ما زاغ البصر وما طغى) وهذا تحقيق قوله : " (ولا يشرك بعبادة ربه أحداً) ، أي ما أشرك في طلب اللقاء شيئاً من الدنيا والآخرة ولهذا (لقد رأى من آيات ربه الكبرى) وبلغ المقصد الأعلى (فكان قاب قوسين أو أدنى) (مولوى ٦/٥) .

(١ - ٣) : بالنسبة لحسن حسام الدين وحياته وموقعه من مولانا جلال الدين الرومي ودوره في تأليف المثنوى ينظر : مقدمة الترجمة العربية للكتاب الأول لكاتب هذه السطور ، ويرجع أيضاً إلى الكتاب الأول الأبيات : ٢٩٤٧-٢٩٥٠ والكتاب الثاني الأبيات ٣ و ١١٢٧ و ٢٢٩٠ والكتاب الثالث أيضاً البيت ٢١١٠ والرابع الأبيات ١ و ٧٥٤ و ٢٠٧٥ و ٣٤٢٣ و ٣٨٢٤ والكتاب السادس الأبيات ١٨٣ و ١٢٠٢ و ١٩٩١ و ٢٠١٠ .

(٥ - ٧) : مزج الماء بالزيت كناية عن إخفاء لباب الحقيقة في قشور الكلام، والسجناء هم سجناء الحس والطبع والنفس البهيمية .

(١٧) : ما لا يدرك كله لا يترك كله ، قول سائر ، منسوب في تمهيدات عين القضاة إلى أبي بكر الصديق رضي الله عنه .

(٢٤) : استفادة المرید من الشيخ شرطها الأدب والتعظيم الشيخ . قال أبو عثمان : " إذا صحت المحبة تأكد على المحب ملازمة الأدب " . وقال أبو علي الدقاق ، إنما قال أيوب عليه السلام : (أنى مسنى الضر وأنت أرحم الراحمين) ولم يقل ارحمنى لحفظ الأدب في الخطاب . وقال عيسى عليه السلام : (إن تعذبهم فإنهم عبادك) ولم يقل لا تعذبهم وقال أيضاً : (إن كنت قلتة فقد

علمته) ولم يقل : لم أقل لحفظ الأدب ، ومولانا يدق كثيرا على نقطة أن المستمع الواعى المنتبه المتيقظ القائم بشرط التعظيم هو الذى يمكن له أن يستفيد من المرشد وأن يجعل النقاط العظيمة تنهمر من فم المرشد بعكس المستمع البليد الذى يجعل حافظة الشيخ تنام . انظر مثنوى ٣/٣٦٠٤ وما بعده .

(٣٠) : إشارة إلى الآية الكريمة : ﴿ وإذ قال إبراهيم رب أرنى كيف تحيى الموتى ، قال أولم تؤمن ، قال : بلى ولكن ليطمئن قلبى ، قال فخذ أربعة من الطير فصرهن إليك ثم اجعل على كل جبل منهن جزءاً ثم ادعهن يأتينك سعياً واعلم أن الله عزيز حكيم ﴾ (البقرة / ٢٦٠) . وتناول مولانا جلال الدين لتفسير الآية وجعله الطيور رموز الصفات أقرب إلى ما ورد فى تفسير نجم الدين كبرى : " إنك محجوب بها عنى فأنت بحجاب صفاتك عن صفاتى محجوب، وبحجاب ذاتك عن ذاتى ممنوع، فإن مت عن صفاتك تحيا بصفاتى، وإذا فنيت عن ذاتك بقيت ببقائى، فخذ أربعة من الطير وهى الصفات الأربعة التى تولدت منها العناصر الأربعة التى خمرت طينة الإنسان منها وهى التراب والماء والنار والهواء ، فتولدت مع ازدواج كل عنصر مع قرينه صفتان ، فمن التراب وقرينه هو الماء تولد الحرص والبخل وهما قرينان حيث وجد أحدهما وجد قرينه ، ومن النار وقرينها هو الهواء تولد الغضب والشهوة وهما قرينا يوجدان معا ، ولكل واحد من هذه الصفات زوج خلق منها ليسكن إليها كحواء وآدم، ويتولد منها صفات أخرى، فالحرص زوجة الحسد والغضب زوجة الكبر، وليس للشهوة اختصاص بزوج معين بل هى كالمعشوقة بين الصفات يتعلق بها كل سفيه، فمن كان الغالب على صفته فيها يدخل النار بذاك الباب، فأمر الله خليله بذبح هذه الصفات وهى الطيور الأربعة فلما ذبح الخليل بسكين الصدوق وحده هذه الطيور، وانقطعت منه متوالداتها ما بقى له باب يدخل به النار (مولوى ٥/١١) . وفى رواية أبى الفتوح الرازى أن المفسرين اختلفوا فى أمر هذه الطيور ، فقال عبد الله بن عباس : هى الطاووس والنسر والغراب والديك ، وقال مجاهد

وعطاء وابن يسار وابن جريج هي الغراب والديك والطاووس والحمامة ، وقال أبو هريرة : هي الطاووس والديك والحمامة وطائر يقال له الفرنوق (الغرنوق؟). وقال عطاء الخراساني: أوحى له تعالى أن يأخذ أربعة طيور : بطة خضراء وغرابا أسود وحمامة بيضاء وديكا أحمر ، وقال أهل الإشارة أن هذه الطيور حددت لأن الطاووس طائر جميل والغراب طائر حريص والديك شهواني والنسر طويل العمر والحمامة أليفة (هي الآن خمسة !!) قالوا اخذ هذه الطيور الأربعة بمعانيها واقتلها وبقتلها يقتل هذه المعاني الأربعة في نفسك : اقتل النسر واقطع الطمع في طول العمر واقتل الطاووس واقطع الطمع في زينة الدنيا، واقتل الغراب واقطع حلق الحرص، واقتل الديك تقتل من طائر الشهوة الجناح والقوادم واقتل الحمامة واقطع الألفة من الدنيا كلها . (عن مأخذ قصص وتمثيلات مثنوى ، بديع الزمان فروزانفر ، ص ١٥٩) ، كما وردت الفكرة في حديقة الحقيقة لسنائي ، إن الطباع الأربعة في البدن طيور أربعة فاقطع رؤوسها كلها من أجل الدين ثم أصمها هي الأربعة بإيمان العشق ودليل العقل ، مثلما فعل الخليل (حديقة / الأبيات: ١١٣٧٠-١١٣٧٥) . كما وردت الفكرة في مرصاد العباد لنجم الدين بن الدايه (الباب الرابع) عن طيور إبراهيم الأربعة وبتفسير مشابه عن مراتب النفس (استعلامي ٢١١/٥ - تهران ١٣٧٠ هـ.ش) .

(٣٥) : مال الشارحون إلى اعتبار البيت موجهها إلى حسن حسام الدين ، لكن البيت موجه إلى الإنسان عموما ، فهو الشكل ، وهو العالم الكبير ، وكل هذه أجزاء منه عليه أن يتخلص منها . (٦٠ - ٦٣) : ﴿ الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلا والله واسع عليم ﴾ (البقرة / ٢٦٨) .

(٦٣) : الحديث النبوي الشريف : { المؤمن يشرب في معي واحد والكافر يشرب في سبعة أمعاء } ، وورد في الجامع الصغير (١٨٤/٢) أحاديث مثنوى ، ص ١٤٥ (٦٤) : أصل هذه الحكاية الرواية التالية :

بلغنى عن أبى سعيد المقبرى عن أبى هريرة ، أنه قال : خرجت خيلٌ لرسول الله ﷺ فأخذت رجلاً من بنى حنيفة لا يشعرون من هو حتى أتوا به رسول الله ﷺ فقال: أتدرون من أخذتم؟! هذا ثمامة بن أثال الحنفى ، أحسنوا أساره ورجع رسول الله ﷺ إلى أهله فقال : أجمعوا ما كان عندكم من طعام فابعثوا به إليه وأمر بلفحته أن يغدى إليه بها ويراه فجفل لايقع من ثمامة موقفاً ويأتيه رسول الله ﷺ فيقول : أسلم يا ثمامة فيقول : إيهأ يا محمد ، إن تقتل تقتل ذام دم ، وإن ترد الفداء فسل ماشئت ، فمكث ما شاء الله أن يمكث ثم قال نبي الله يوماً : أطلقوا ثمامة، فلما أطلقوه خرج حتى أتى البقيع فتطهر فأحسن الطهور ، ثم أقبل فبايع النبی ﷺ على الإسلام ، فلما أمسى جاءوه بما كانوا يأتوه به من طعام فلم يأكل إلا قليلاً ، وباللغة فلم يصب من حلابها إلا يسيراً ، فعجب المسلمون من ذلك ، فقال رسول الله ﷺ حين بلغه ذلك : مم تعجبون ، أمن رجل أكل أول النهار في معاء كافر وأكل آخر النهار في معاء مسلم ، الكافر يأكل في سبعة أمعاء وإن المسلم يأكل في معى واحد ، (ابن هشام ٤/٣١٥-٣١٦) . وجاء في نواذر الأصول : " عن أبى صالح السمان قال قدم ثلاثون راكباً على رسول الله ﷺ من غفار منهم رجل يقال له أبو بصيرة مثل البعير ، فقال رسول الله ﷺ بددوا القوم وجعل الرجل يقيم الرجل والرجل يقيم الرجلين على قدر ما عنده من الطعام حتى تفرق القوم غير أبى بصيرة ، فقال : وكل القوم يرى أن ليس عنده ما يشبعه ، فلما رأى رسول الله ﷺ ذاك قام واستتبعه فتبعه فلما دخل دعا له بطعام فوضعه بين يديه فكأنما لحسهن ثم دعا بقدر فجعل فيه مشربه حتى حلب له في سبعة أقداح فشربها ، فبات عند رسول الله ﷺ يعرض عليه الإسلام فتكلم منه بشئ فلما خرج رسول الله ﷺ إلى صلاة الغداة واستتبعه فتبعه فصلى معه الغداة ، فلما سلم رسول الله ﷺ أقبل على القوم بوجهه فقال : علموا أخاكم وبشروه ، فأقبل القوم بنصح يعلمونه وألقى عليه رسول الله ﷺ ثوباً حين أسلم ثم قال ، فاستتبعت فتبعه ، فلما دخل دعا له بطعام فوضعه بين يديه ، فلم يأكل إلا يسيراً ، حتى قال : شبع ، ثم دعا له بقدر فحلب فيه ، فلم

يشرب إلا يسيراً حتى قال رويت ، فضرب رسول الله ﷺ على منكبه ، فقال : أشهد أن لا إله إلا الله ، وأنى رسول الله ، إنك كنت أمس كافراً وإنك اليوم مؤمن وإن الكافر يأكل في سبعة أمعاء ، وأن المؤمن يأكل في معي واحد . كما وردت رواية مشابهة في موطأ مالك ، ومسند ابن حنبل ، (عن مآخذ / ١٦٠ - ١٦١) .

(٧٣) : الناس على دين ملوكهم ، حسب إلى الرسول ﷺ . وفي شعر الشاعر (المتنبى) :

وإنما الناس بالملوك وما تفلح عرب ملوكها عجم

(٧٨) : أبو قحط عوج بن غز : بالطبع أبو قحط كنية ساخرة وعوج بن غز تحريف عن عوج بن عنق ، والغز هم الترك ويضرب بهم المثل في الإغارة وعوج بن عنق كما ورد في قصص الأنبياء للثعلبي ، " كان طول عوج ثلاثون وعشرين ألف ذراع وثلثمائة وثلثين ذراعاً بالذراع الأول ، وكان عوج يحتجز السحاب ويشرب منه الماء ويتناول الحوت من قرار البحر فيشويه بعين الشمس يرفعه إليها ويأكله ، ويروى أنه أتى نوحاً أيام الطوفان فقال له : احملنى معك في سفينتك ، فقال : اذهب يا عدو الله فإنى لم أؤمر بك ، فطبق الماء الأرض من سهل ومن جبل وما جاوز ركبتيه وعاش ثلاثة آلاف سنة حتى أهلكه الله على يد موسى ، وكان لموسى عسكر فرسخ في فرسخ فجاء عوج ونظر إليهم ثم جاء إلى الجبل وقد منه صخرة على قدر العسكر ثم حملها ليطبقها عليهم ، فبعث الله عليه الهدد ومعه الطيور فجعلت تنقر بمناقيرها حتى تورت الصخرة ، وانتقبت فوقعت فى عنق عوج بن عنق فطوقه فصرعته ، فأقبل موسى وطوله عشرة أذرع وطول عصاه عشرة أذرع وقفز إلى فوق عشرة أذرع فما أصاب منه إلا كعبه وهو مصروع فى الأرض ، فقتله ، قالوا فأقبل جماعة كثيرة ومعهم الخناجر فجهدوا حتى حزوا رأسه ، فلما قتل ، وقع على نيل مصر فحسره سنة " . وعنق هى أمة بنت آدم عليه السلام (عن هوامش الكتاب الثانى من المثوى ، كفاى ، ص ٥١٧ - ٥١٨) .

(٨٨ - ٨٩) : فكرة أن الذي يمتلئ فكره بشئ ما في اليقظة يحلم به أثناء النوم ، وردت في كتاب ابن سيرين ، كما أثبتتها علم النفس الحديث .

(٩٣) : ﴿ لا تدعوا اليوم ثبورا واحدا وادعوا ثبورا كثيرا ﴾ (الفرقان / ١٤) .

(١٠١) عن صبغة الله انظر الكتاب الأول البيتين : ٧٦٩-٧٧٠.

وصبغة الله هي صنع الله في خلقه البعيد عن الروائح والألوان وعما درج عليه الناس من ربط الأشياء بالأسباب أو ما فسرته نجم الدين كبرى في تفسير الآية الكريمة ﴿ صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة ونحن له عابدون ﴾ (البقرة / ١٣٨). كما أن للكف صبغة فللدين صبغة، فليس العبرة فيما يتكلفه الخلق وإنما العبرة فيما يتصرفه الحق فتصيب الأشباح من صبغة الله توفيق القيام بالأحكام وحظ القلوب منها تصديق المعارف بالعوارف وكفل الأرواح منها شهود الأنوار وكشف الأسرار والمراد أيضاً بصبغة الله دينه الذي فطر الناس عليه (مولوى ٢٠/٥) .

(١٠٦) : بالنسبة للهدم الذي هو تعمير ، انظر تفصيلات في الكتاب الرابع ، الأبيات ٢٣٤١ - ٢٣٥٠ وشروحها .

(١١٢) : من أنواع التكريم الذي خص به الله سبحانه وتعالى نبيه محمداً ﷺ أنه أقسم به وبحياته ، فقال عز من قائل : ﴿ لعمر ك إنهم لفي سكرتهم يعمهون ﴾ (الحجر / ٧٢) . والبيت ١١١ يشير إلى إيمان مولانا بأن جسم رجل الحق لا يعرفه جسد مادي آخر ، انظر بيت ٣٠ من الكتاب الثالث (استعلامى ٢١٤/٥) .

(١٢٢) : ﴿ إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله ، يد الله فوق أيديهم ﴾ (الفتح / ١٠) .

(١٢٣ - ١٣١) : عندما رأى الكافر أن رسول الله ﷺ هو الذي يغسل ملابسه بنفسه ، تجلى له كفره على أسوأ صورة ، فأصابته حالة من الوجد بحيث حذر الناس من الاقتراب منه ، لقد تجلت له حقارته التي لا نهاية لها إلى جوار العظمة التي لا نهاية لها المتمثلة في تواضع الرسول ﷺ ، ومولانا جلال الدين يرى أن حالات السكر والوجد قد تطرأ على الكافر ، ربما كان مثالها الواضح في المثنوى ما ورد في قصة ذلك الشيخ من قوم فرعون الذي طلب من

زاهد من قوم موسى أن يملأ له ماء النيل ليشرب دون أن يتحول إلى دم (الأبيات ٣٤٩٥ وما بعدها وشروحها من الكتاب الرابع) .

(١٣٤ - ١٤٣) : يدق مولانا جلال الدين على فكرة أن الله سبحانه وتعالى عندما يرضى على عبده يهبه البكاء والضراعة . ومن البكاء والضراعة تجيش الرحمة الإلهية ، مثلما يفور ثدى الأم باللبن لبكاء رضيعها . فكان بكاء الرضيع هو الذي جلب اللبن ، مثلما يجلب بكاء التائب الرحمة ، ومن هنا فقد قال الله تعالى في كتابه الكريم ﴿ فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا جزاء بما كانوا يكسبون ﴾ (التوبة / ٨٢) . ليس هذا فحسب بل إن عماد الدنيا كلها البكاء والحرقة ، ومع السحاب وحرقة الشمس ، فكأن العالم بأكمله وحدة واحدة ، تتجلى في مظاهر الطبيعة مثلما تتجلى في نفس العبد ، وفي علاقته مع ربه ، وفي علاقته بالبشر ، والبكاء هو آية إظهار الخضوع . والفكرة هنا تكرر لما ورد في الكتاب الثاني (الأبيات ١٦٥٩-١٦٦٩) وفسر شيخنا كفاي الحرارة بأنها حرارة القلب ، والماء بأنه دموع الخوف والرجاء والبستان بأنه عالم الروح (ثان ٤٨٩) . وسيأتى تفسير آخر للبكاء والدمع في نفس هذا الكتاب في الأبيات ١٢٧١ وما بعدها فلتطلب في موضعها من النص والشرح .

(١٤٦) : إشارة إلى الآية الكريمة ﴿ وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وأقرضوا الله قرضا حسنا ﴾ (المزمل / ٢٠) .

(١٤٧) : إشارة إلى الحديث القدسي : (أعددت لعبادي الصالحين المتطهرين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر) " .

(١٤٩) : إشارة إلى الآية الكريمة ﴿ إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا ﴾ (الأحزاب / ٣٣) . ومن تعليق ليوسف بن أحمد : فإن رسول الله ﷺ طهر ثوب الضيف بيده وأشار بهذا الصنيع إن الذي لا يتجنب كثرة الأكل والشرب لا ينجو من النجاسة ولا يتخلق بأخلاق أهل البيت (مولوى ٢٦/٥) .

(١٥٣): إشارة إلى حديثين نبويين : { نفسك مطيتك فارق بها } و { أعط كل بدن ما تعودته } .

(١٦١) : عن الحزم وعدم التردد ، انظر الكتاب الثالث ، الأبيات ٢٨٨٤ - ٢٨٤٩

وشروحها .

(١٦٤) : { حفت الجنة بالمكاره والنار بالشهوات } حديث نبوي ، (جامع ١/١٤٨) .

(١٦٧): إشارة إلى الآية الكريمة ﴿ والذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة وأمرهم شورى

بينهم ومما رزقناهم ينفقون ﴾ (الشورى / ٣٨) . وعن رفقة العقل لعقل صديق ، انظر الكتاب

الرابع ، الأبيات ١٩٧٠ وما بعده وشرحها .

(١٧٤ - ١٨٢) : الدهليز في رأى للسبزواري هو عالم الطبيعة شبه بالدهليز لضيقه (شرح

مثنوى ٣٣٣) و " ألتست " و " بلى " إشارة إلى العهد والميثاق الوارد في الآية الكريمة ﴿ وإذ

أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألتست بربكم قالوا بلى شهدنا

أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين ﴾ (الأعراف / ١٧٢) أي قلنا في عالم الأرواح

بلى فأرسلنا إلى محكمة الدنيا لنشهد ، وحملنا هذه الأمانة ، فعلينا أن نؤديها قبل أن تغرب

شمس الروح ، هذا العهد وهذه الأمانة هي الالتزام الإنساني الأول ، وهذا العهد هو جذور

الإنسان كما ورد في الأبيات (١١٦٦ - ١١٧٠) من الكتاب الذي بين أيدينا وسوف يرجع

إليها في موضعها .

(١٨٣ - ١٩٥) : مثلما يكون الإنسان شاهدا على وجود الإله وشهادته هذه هي العهد

الموجود بينه وبين الله تعالى منذ يوم الميثاق فإن أعمال الإنسان نفسها شهود عليه . إنها كلها

تدل على باطنه وعلى ما في هذا الباطن من جواهر أصيلة تترجم إلى أعمال وعلى إجابته

بالإيجاب في يوم العهد ، وهذه الشهادة إن أدت رياء وسمعة فهي تخرج من محكمة عدل

الإله ، فضلا عن أنها تطعن في صوم الصائمين وزكاة المزكين بإخلاص ، لكن بالرغم من

هذا تظل رحمة الله سابقة غضبه ، وتمنح هذا الاعوجاج نورا إليها فينقلب إلى استقامة ،

ويعتبر العمل الذي أدى رياء وسمعة عملاً من البر والإخلاص ، وأعمال الإنسان تصديق على إيمانه والإيمان هو ما وقر في القلب وصدقه العمل.

(٢٠٠ - ٢١٥) : الأعمال تغسل الذنوب ، ثم يغسلها الله سبحانه وتعالى تماماً كالماء ينزل طهوراً من السماء ، فيتكدر ، فيرفعه الله سبحانه وتعالى ، ليعود طاهراً مطهراً ينادى أولئك الذين دنستهم الأفعال الشيطانية والتسويلات النفسانية . هذا الماء الطهور هو الفيض الإلهي هو الرحمة الإلهية (وهو فيض الله الذي لا ينقطع ونور الله الذي لا يافئ) . (سبزواري ٣٤٣- وانظر ١٢٧٥/٣) وكما أن الماء لا يلزم إن لم يوجد الدنس . فالرحمة لا توجد إن لم توجد المعصية ، هذه هي سعة روح مولانا جلال الدين وسعة أفقه ، فلا يلزم أن يكون الإنسان ملاكاً ، لكي تدركه رحمة الله ، بل هي أولى بالعصاة (انظر الكتاب الرابع ، شرح الأبيات ٨١-٩٤) .

(٢٢١ - ٢٢٣) : يفسر مولانا جلال الدين ما هو المقصود بهذا الماء ،.إنه أرواح الأولياء ، (انظر الكتاب الرابع ٣٣٥٨/٤ وما بعدها) هي التي تغسل ما لحق بالنفوس الإنسانية من كدر ، ثم تعود إلى مولانا فيطهرها ، وهذا العود عروج معنوي لا مكاني وعن زيد بن علي ابن الحسن رضي الله عنهم أجمعين ، قال : قلت يا أبت أليس الله جل ذكره لا يوصف بمكان ، فقال : بلى : تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً ، فقلت : فما معنى قول موسى ﷺ لرسول الله ﷺ (في المعراج) : ارجع إلى ربك ؟ فقال رضي الله عنه : معناه قول إبراهيم ﷺ {إني ذاهب إلى ربي سيهدين} ومعنى قول موسى ﷺ { وعجلت إليك رب لترضى } ومعنى قوله عز وجل : { ففروا إلى الله } يعنى فحجوا إلى بيت الله ، يا بني إن الكعبة بيت الله فمن حج البيت فقد قصد إلى الله والمساجد بيوت الله فمن سعى إليها فقد سعى إلى الله وقصد إليه ، والمصلى ما دام في صلاته فهو واقف بين يدي الله عز وجل (جعفرى ١٥٧/١١-١٥٨) .

(٢٢٤ - ٢٢٦) : معراج العودة إلى الله إذن هو الصلاة ، ومن ثم كان ﷺ إذا أهمه أمر قال :
أرحنا بها يا بلال ، فهي معراج المؤمن ، ومن هنا فعند الخروج منها يسلم المؤمن دليلاً على
عودته من معراجه .

(٢٢٧ - ٢٣٤) : وهذه كلها مجرد وسائل وإلا فإن لطف الله سبحانه وتعالى ينصب على
عباده دون واسطة ، ودون مساعدة من أحد ، المرید فحسب هو الذي يحتاج إلى المرشد يأخذ
بيده ، لكن المرشد نفسه في غنى عن الواسطة ، والعوام هم الذين يتعلقون بالوسائل والأسباب
(عن الأسباب ، انظر الكتاب الثالث البيت ٣١٥٥ وما بعده) ، البيت ٢٥١٦ وما بعده ،
والسمندل في المثال المذكور كناية عن أهل الله ، الخليل هو الذي يدخل النار فتكون عليه
برداً وسلاماً ، وأهل الله هم الذين يشبعون دون خبز ، واللفظ من الحق وإن كان الناس
يلتمسونه في الرياض والبساتين . (انظر حكاية الصوفي المراقب في الرياض في الكتاب
الرابع ، الأبيات ١٣٥٨ وما بعدها) . لكن أهل الله والأنبياء يجدون هنا الأمور مباشرة ودون
واسطة أو علة أو كسب .

(٢٣٥ - ٢٤٠) : وردت الأفكار الواردة هنا في الكتاب الثالث ، انظر الأبيات ٢٧٠٢ وما
بعدها وشروحها ، وفي الكتاب الرابع ، انظر الأبيات ١٧٩٤ وما بعدها وشروحها .
(٢٤٨ - ٢٥٠) : إن ما يصاحب العبادات من حركات وتصرفات هي بمثابة العرض ،
والعرض ما هو إلا مظهر لجوهر ما ، وقد تناول مولانا جلال الدين هذه الفكرة في الكتاب
الثاني (الأبيات ٩٤٨-٩٧٠ وانظر أيضاً ٨٠٩/٤) . ولقد سكت مولانا هنا عن قول الغلام أي
بحشر الأعراض ، لكنه في الأبيات التي بين أيدينا يوحى بقوله بعدم حشر الأعراض ، بل إن
حصادها من بقاء جوهر الروح الذي هو الدليل يوم الحساب على أن هذه الأعراض قد تم
القيام بها .

(٢٥٥ - ٢٦٠) : يشير مولانا جلال الدين إلى هذا المرض المستشري ، التناقض الشديد بين
القول والفعل ، يعشق الإنسان العدالة ومع ذلك يمارس الظلم ، يتحدث عن الأمانة ويخون ،

يعشق العلم ويستخدمه كأداة للوصول إلى المال والجاه والمنصب ، ينطلق في الحديث عن التصوف وأعلامه دون أن يحاسب نفسه أدنى حساب . هذا التناقض بين الأقوال والأفعال هو الذي تعبر عنه الآية الكريمة ﴿ إن سعيكم لشتى ﴾ (الليل / ٤) . أى متعدد الطرق والمسالك متناقض الأهداف ، أفعالك وأقوالك غير مقبولة ، حياتك لا تدور حول محور واحد لا يبالى بك الله في أى واد هلك ، ولا يأبه بك أصحاب القلوب ولا بأقوالك أو أفعالك ، بل هم ما دمت في عنادك وفي جدلك هذا ، يعاندونك ، وما دمت في مكرك يمكرون بك (جعفرى ١١/١٦٧-١٦٨) . وفي البيت الأخير إشارة إلى الآية الكريمة ﴿ فأعرض عنهم وانتظر إنهم منتظرون ﴾ (السجدة / ٣٠) .

(٢٦٧ - ٢٧٢) : إشارة إلى الآيتين الكريمتين : ﴿ قال اذهب فمن تبعك منهم فإن جهنم جزاؤكم جزاء موفورا ، واستغفر من استطعت منهم بصوتك وأجلب عليهم بخيلك ورجلك وشاركهم في الأموال والأولاد وعدهم وما يعدهم الشيطان إلا غرورا ﴾ (الإسراء / ٦٣ - ٦٤) .

(٢٧٣) : إشارة إلى حديث نبوى ، قاله الرسول ﷺ لسيدنا على ؓ ما معناه : إذا لامست أهلك فقل اللهم جنبني الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتني ، فإن رزقت بولد لم يصبه ضرر . (عن انقروى ٥/٧٨ ، وجليبارلى ٥/٥٥) .

(٢٧٥ - ٢٧٦) : إشارة إلى أن عازر الذي أحياه سيدنا عيسى عليه السلام بأمر الله وفي الأنجيل أنه كان امرأة (عن جليبارلى ٥/٥٦) وتقول الروايات إن عازر أو اليعازر مات لتوه مرة أخرى بعد أن أحياه سيدنا عيسى عليه السلام .

(٢٨٩ - ٢٩٠) : ينقل جعفرى هنا حديثا ليس موضعه هو : ما بعث الله رسولا إلا وفي وقته شيطانان يؤذيانه ويفتانه ويضلان الناس بعده (١١/١٧٤) لكن الحديث هنا " لكل امرئ شيطان ، لكن شيطاني أسلم " .

(٢٩١ - ٢٩٢) : أي إيمان وأية عقيدة لا يمكن أن يقضى عليها إلا إيمان آخر وعقيدة أخرى ، والعشق الإلهي هو قمة الإيمان وفوق أية عقيدة ، بل إن ظاهرة الإيمان نفسها هي من قبيل العشق ، والشيطان نفسه لو أنه ذاق قطرة من منزل سر اليقين ، لتغير حاله وتبدل .

(٣٠٠ - ٣٠٤) : من مناجاة سيدنا علي ؑ الواردة في نهج البلاغة " سبحانك خالقاً ومعبوداً بحسن بلائك عن خلقك ، خلقت داراً وجعلت فيها مأدبة ، مشرباً ومطعماً ، أقبلوا على جيفة افتضحوا بأكلها واصطلحوا على حبها ، من عشق شيئاً أعشى بصره وأمرض قلبه " (عن جعفرى ١٧٩/١١) .

(٣٠٥) : قال نجم الدين في تفسير « لقد أترك الله علينا » بالطلب والصدق والشوق والمحبة والوصل « وإن كنا لخاطئين » في الإقبال على استيفاء الحظوظ الحيوانية والإعراض عن الحقوق الربانية .

(٣٠٧) : عن الرائحة والجرعة التي أنزلها الله تعالى من لطفه كنموذج لهذه اللطف في الدنيا حتى يطلب الناس أصلها ومنشأها (انظر الكتاب الذي بين أيدينا ، الأبيات ٣٧٥ وما بعدها) .

(٣٠٩) : عن الدعاء الذي يستجاب دون أن يقال ، انظر الكتاب الثالث : في بيان أن عين دعائك هو قول الحق لبيك ، الأبيات ١٨٩ وما بعده .

(٣١٠ - ٣١٥) : لقد صور الله سبحانه وتعالى صوراً جميلة من العدم ، لكنه جعلها كالحروف ، وعن طريق قراءة هذه الحروف يمكن للمرء أن يقرأ كتاب الجمال الكلى ، وإلى مثل هذا ذهب الشيخ الشبستري :

كل ما هو موجود عياناً في الكون	كانعكاس شمس ذلك العالم
والدنيا كالجديلة والخط والخال والحاجب	كل شئ فيها حلو في مكانه

(عن استعلامى ٢٢٥/٥)

ومن هنا فخليق بالأفكار والعقول أن تتجه إلى العدم ، فمن العدم يتأتى الوجود ، فكأن العدم هو أساس الوجود وهو مصنعه ، ووردت الفكرة في ٣/٣٧٧ ولتفصيل هذه الفكرة ، انظر الكتاب الرابع ، الأبيات ٢٤٤١ - ٢٤٦٨ وشروحها .

(٣١٧ - ٣٢٧) : لا يزال يفصل فكرة أن منشأ الموجودات كلها من العدم ، فالعقول النورانية تقرأ كل يوم من اللوح المحفوظ حظها ، أي تكون كل اهتماماتها من لدن الحكيم الخبير ، فعقل المعاد هو الذي يخط حروفا على صفحات القلوب بلا بنان ، لكن أرباب الشهوات في حيرة من هذه الخطوط ، لأن كلا منهم مرتبط بخيال ما قد عكف عليه ، وكل إنسان تتفرق به السبل ، ما دام قد انصرف عن البحث عن قبلة الروح ، هذا الخيال من بحث عن الذهب أو الدر أو الزهد والتزهد أو قطع الطريق ، أو الطبابة ، كل إنسان وما ينبعث من باطنه ، ذلك أنه إذا اختفت قبلة الروح أو الهدف الأسمى فإنما يبحث كل إنسان عن شفاء لعليل نفسه في ناحية ما .

(٣٣٥) : الساهرة المراد بها يوم الحشر إشارة إلى الآيات الكريمات ﴿ يقولون أعنا لمردودون في الحافرة ، أنذا كنا عظاما نخرة ، قالوا تلك إذا كرة خاسرة ، فإنما هي زجرة واحدة ، فإذا هم بالساهرة ﴾ (النازعات ١٠-١٤) .

(٣٣٦) : الشموع الموجودة في الدنيا كناية عن الخيالات والاهتمامات الموجودة في الأبيات من ٣١٧ - ٣٢٧ .

(٣٣٨ - ٣٣٩) : النار الموسوية الإقبال : هي تلك النار الإلهية التي شاهدها موسى ﷺ على الجبل ، والتي نودي عندها ، وهي رمز للشهود الإلهي والدخول إلى الحقيقة .

(٣٤١) : شمع الظفر كناية عن معرفة الله سبحانه وتعالى بنور الله ، وكلما أفنى المرء نفسه فيه تحقق وجوده تحققا أكثر ، وظفر بالوجود الخالد .

(٣٤٢) : شمع السوء كل ما شغل عن الحق من اهتمامات وخيالات مذكورة أنفا ، وكل ما شغلك عن الحق هو طاغوتك .

(٣٤٤ - ٣٤٥) : احتراق الشموع غير الحقيقية كناية عن فناء كل ما يشغل الإنسان عن الهدف الأسمى .

(٣٥٠) : الأعزاء هم الصوفية ، والا صوب أو اللا مكان هو ما لا تحده جهات الدنيا .
(٣٥٣) : ديدن الصوفية هو على غير ما تعارف عليه أهل الدنيا ، والصوفى لا يمزق القباء إلا وجداً ، والوجد هو قمة الشعور والإحساس الصوفى ، فكأنه يبلغ بالتمزيق ما لا يبلغه غيره بالرتق .

(٣٥٤ - ٣٥٥) : الحكاية المذكورة هنا واردة في مقالات شمس الدين التبريزى: مزق جبته ، وقال : وافرجاه فسميت الجبة الممزقة فرجية (مقالات شمس ، ص ٢٩٥ من طبعة محمد على موحد طهران ١٣٦٩هـ - ش، مأخذ / ١٦١) وربما يمزق الصوفى قباءه وجداً ، ومن ثم شاع لبس الجبة الواسعة ذات الأكمام الواسعة والتي لا ياقة لها والرسم السائد عند المولوية أن يلبس الشيخ خرقة ذات أكمام ، أما المريد فجبة بلا أكمام . ثم سميت فيما بعد بالخرقة (جلبنارلى 72-73/5) .

(٣٥٦) : ثم يعود مولانا ويقول إنه لا حاجة للصوفية بالألفاظ والألقاب والرسوم ، فكلها كدر ، والصوفى لا يهتم إلا الصفاء .

(٣٦٢) : الجبة هنا هي الوجود ، وهي الجسد ، وهي النفس فبدون تمزيقها لا يتأتى الصفاء الحقيقى .

(٣٦٣ - ٣٧٠) : إياك أن تظن أن التصوف هو الخرقة وما إليها ، إنك إن ارتديت الخرقة هادفاً ذلك الصفاء الذي ينبغي أن يتميز به الصوفى . يجمل بك ذلك ، لكن إذا انتقلت سريعاً من الخيال والوهم، إلى الحقيقة لم تعكف على الانتقال من خيال إلى خيال ومن وهم إلى وهم

وكل وهم يسد الطريق أمامك ويقول لك : قف هنا ، إنك قد وصلت ، فتظن أنك وصلت من حيث وصلت . والملك الحقيقي هو الذي لا تسيطر عليه هذه الخيالات والأوهام ، إنه يبدى هيئة الملك وينطلق في طريقه وهو يعرف هدفه تماما .

(٣٧٢ - ٣٨٩) : ترى ما هو سر الجمال وسر العظمة الموجودة في هذا العالم ، الذي نسميه عالم الوجود ، ما الذي فيه ويجذبنا إليه كل هذا الانجذاب ؟! يجيب مولانا جلال الدين على هذا السؤال إجابات مختلفة ، ففي الكتاب الثالث ، يرى أن كل سعادة نابغة من القلب ، لطف اللبن والعسل ، إنما ينبع من القلب ، ومن ثم ، فالقلب هو الجوهر ، والعالم كله عرض بالنسبة له ، هو الحقيقة وكل ما سواه ضلال (انظر جعفرى ٧ في شرح الكتاب الثالث الأبيات ٢٢٤٦ وما بعدها) . الإجابة الثانية هي ما يوجد بالأبيات التي بين أيدينا، إنها جرعة من كأس الجمال الإلهي صبت على هذا التراب القبيح كما يصب الكرام جرعة على الأرض :
شربنا وأهرقنا على الأرض جرعة
وللأرض من كأس الكرام نصيب

ومن هذه الجرعة التي تبلغ عشر معشار الجمال الحقيقي يوجد كل ما في عالم الكون من جمال ، مجرد صدى من الجمال الحقيقي انعكاس نور الشمس على الجدران الصماء ، كما ورد في الكتاب الثالث ، وعند سعدى الشيرازي يظل معدن الجمال هو الإله نفسه ، وهو معنى تكرر عند مولانا جلال الدين أيضاً يقول سعدى :

إننى سعيد من الدنيا لأنها تتضررت من هو وأنا عاشق لكل العالم لأن كل العالم منه
(عن جعفرى ١١/١٩٦ - ١٩٧)

(٣٩٠ - ٣٩٢) : جرعة الجمال التي صبت على الحمأ المسنون هي كما هو واضح الروح ، والجرعة الأخرى هي التوفيق الإلهي للخلاص من تبعات الحمأ المسنون .

(٣٩٥) : الطاووس ذو اللونين هو رجل الجاه والمال والدنيا يتجلى بمظهره فيخلب اللب وينظر إلى باطنه فإذا هو كساق الطاووس .

(٤٠٠ - ٤١٠) : وهناك من البشر من هم على مثال الطاووس ، إنهم يهتمون بظواهرهم ، فظاهرهم خلاب ، كلامهم سلس ولين ، ودودون ، إن كل هذه شباك يصيدون بها الخلق ويمضى عمرهم ، ويقترب من نهايته ، وهم مغترون بأن " معارفهم كثر " ، وأصدقاءهم (فى كل مكان) ، فما فائدة صيد الخلق ، إنك إنما ألقيت بنفسك في شباكهم ، ولم تصد في النهاية شيئاً ينفع ، إنه أشبه بصيد الخنازير ، لقد رببت في نفسك الكبرياء ، الناس مخدوعون بك ، وأنت مخدوع بنفسك .

(٤١١ - ٤١٧) : لقد صرفك غرامك بصيد الخلق عن الاهتمام بصيد العشق ، لكن العشق لا يصاد ، بل يصيد ، فدع كونك صيادا إذن وانقلب إلى صيد، والملوكية الحقيقة في العبودية لله والملوك الحقيقيون هم أولئك الذين ملكوا أنفسهم وسيطروا على شهواتهم فوجدوا الملك الإلهى أما ملوك الدنيا فما أشبههم بقبور الكفار ، ظاهرها جميل ، لكن في باطنها غضب الله عز وجل ، نفس الأبيات التى ذكرها محمد إقبال وهو يصور الحضارة الغربية ، (كبرياء وعنجهية وتسلط وظاهر خلاب ثم قهر الله عز وجل) .

(٤٢٢ - ٤٢٣) : النار هنا هى نار الطاعات والمجاهدات وترك الأهواء على فحوى حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات ، ونهر الكوثر هنا ، رمز للشهوات تطير في عيون أهل الدنيا كأنها مياه الكوثر فيعرضون عن الطاعات وهى في الحقيقة الكوثر ويرغبون في الشهوات التى هى في الحقيقة نار ، وهذا هو اللعب المعكوس (مولوى ٦٨/٥) وهذا أشبه بقول ابن الفارض :

فإحياء أهل الحب موت نفوسهم وموت قلوب العاشقين مصارع

وربما استند هنا مولانا على قول منسوب للإمام على ؑ : " سبحان من اتسعت رحمته لأوليائه في شدة نقمته واشتدت لأعدائه نقمته في سعة رحمته " (انقروى ١١٩/٥) وقوله تعالى ﴿ الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا ﴾ (الملك ٢) .

(٤٥١) : إشارة إلى الآية الكريمة ﴿ وقد مكروا مكرهم وعند الله مكرهم وإن كان مكرهم لتزول منه الجبال ﴾ (إبراهيم / ٤٦) .

(٤٥٤) : في النص " خوش جواز " وقد ترجمتها " أحل الطيبات " ، أي اجازها . وروى استعلامي حديثاً هو : قال رسول الله ﷺ : كان من خلقى الجواز " (٢٣٤/٥) أما عن العقل : عن عائشة رضى الله عنها قالت : سألت رسول الله ﷺ : بم يتفاضل الناس في الدنيا؟ قال ﷺ : بالعقل ، قلت : وفي الآخرة ؟ قال : بالعقل ، قلت : أليس ما يجزون بأعمالهم ؟ قال : يا عائشة وهل عملوا إلا بقدر ما أعطاهم الله من العقل ، وبقدر ما أعطوا من العقل كانت أعمالهم وبقدر ما عملوا يجزون ، وقال ﷺ : إن الرجل ليدرك بحسن خلقه درجة الصائم القائم ولا يتم لرجل حسن خلقه حتى يتم عقله فعند ذلك تم إيمانه وأطاع ربه ، وعن أبى سعيد الخدرى ، قال ﷺ : { لكل شئ دعامة ودعامة المؤمن عقله بقدر عقله تكون عبادته } (انقروى ١٢٦/٥) .

(٤٥٩) : بشأن مناقشة قضية تفاوت العقول من الفطرة انظر الكتاب الثالث الأبيات من ١٥٤٠ وما بعدها وشروحها .

(٤٦٧ - ٤٧٥) : ليس المقصود بالأمر أمر إقبال وحظ وأن الأمور تجرى بالمصادفة بل الأمر كله من عطاء الله ومن توفيقه ، فليس عليك أن تعتمد على عظمة عقلك الجزئى ، فهذه العقول الجزئية لا قيمة لها إلى جوار العقل الكلى ، والحل هنا هو التواضع والتسليم ومعرفة أن قدرة الخلق مهما عظمت إلى حدود ، وأن مكر الإنسان لا يساوى شيئاً إلى جوار مكر الله ، وإن الأمر منوط بالدعاء والضراعة والدموع ، فقل اعتبار القوة هنا ذات فعل أو أثر .

(٤٦٩) : المقصود بأن تجد النبوة في الأمة ، أن تجد المشيخة ورتبة الإرشاد ، فالشيخ في قومه كالنبي في أمته .

(٤٧٧) : الحكاية التى تبدأ بالبيت من الحكايات المشهورة في التراث العربى ، ولم يلتفت إليها فروزانفر في "مأخذ قصص وتمثيلات مثنوى" ، ونظمها شاعر مصرى معاصر . والبيت المذكور لأبى المهوش الأسدى ورد في الميدانى (٢١٦/٣) من تحقيق أبى الفضل إبراهيم ،

دار الجبل . والشاعر المعاصر المصرى الذي نظمها هو حافظ إبراهيم وأشار إلى أنها مثل ، ولم أجد هذا المثل على طول ما بحثت عنه ، يقول حافظ في قصيدته في الدعوة إلى الجامعة المصرية :

ودونكم مثلاً أوشكت أضربه .. فيكم وفي مصر إن صدقا وإن كذبا
سمعت أن امرءاً قد كان يألفه .. كلب فعاشا على الإخلاص واصطحبا
فمر يوماً به والجوع ينهشه .. نهشاً فلم يبق إلا الجلد والعصبا
فظل ييكى عليه حين أبصره .. يزول ضعفاً ويقضى نحبه سغباً
ييكى عليه وفي يمناه أرغفة .. لو شامها جائع من فرسخ وثباً
فقال قوم وقد رقوا لذي ألم .. ييكى ، وذو ألم يستقبل العطبا
ما خطب ذا الكلب ؟! قال الجوع يخطفه .. منى ، وينشب فيه النار مغتصبا
قالوا وقد أبصروا الرغفان زاهية .. هذا الدواء فهل عالجته فأبى
أجابهم ودواعى الشح قد ضربت .. بين الصديقين من فرط القلى حجباً
لذلك الحد لم تبلغ مودتنا .. أما كفى أن يرانى اليوم منتحبا
هذى دموعى على الخدين جارية .. حزناً وهذا فؤادى يرتعى لهباً

(ديوان حافظ إبراهيم ، ص ١٦١ - ١٦٢ ، ج ٣ ، المطبعة الأميرية ، مصر ١٩٤٨ ، تحقيق

أحمد أمين ، أحمد الزينى ، إبراهيم الابيارى).

كما علق عليها شاعر قديم ببیت شعر جرى مجرى الأمثال :

لا ألفينك بعد الموت تتدبنى .. وفي حياتى ما زودتنى زادى

والحكاية تبين نوعاً من البشر يوجد في كل زمان ومكان ، ذلك الذي لا يتجاوز تعاطفه الكلمات الرنانة وذرف الدموع وإعطاء الكلام حقه والتفجع ما ينبغى له ، لكنه لا يتجاوز هذا الأمر نحو أي نوع من الفعل ولو كان قادراً عليه ، فرسان الكلام وأبطال المقال هؤلاء كانوا

يثيرون مولانا جلال الدين ويشحذون مقدرته على السخرية ، وهؤلاء لا يكذبون على البشر
فحسب بل يكذبون على أنفسهم قبل أن يكذبوا على الخلق .

(٤٨٦ - ٤٩١) : هذا الصنف من الناس مستعد لكل ما ليس من شأنه أن يجعله ينفق شيئاً أو
يبدل جهداً ، إنه يظن من خسته أن الدمع أرخص من لقمة الخبز ، مع أن الدمع هذا دم تحول
إلى ماء ، إن الدمع الحقيقي والبكاء الحقيقي يجعل السماء نفسها تبكي معه ، تتضرع إلى الله
سبحانه وتعالى أن يقبل ضراسته ويقبل بكاءه مصداقاً للحديث النبوي : { بكت السموات السبع
ومن فيهن ومن عليهن والأرضين السبع ومن فيهن ومن عليهن لعزير ذل ، وغنى افتقر } ،
لكن الذي لا يبدل وجوده في سبيل الله هو من قال الله في شأنه : ﴿ فما بكت عليهم السماء
والأرض ﴾ .

(٤٩٢ - ٤٩٥) : النحاس العابد للهمة هو الإنسان عندما يدرك جوانب نقصه ويحس
بالانكسار ويعرض نفسه على كيمياء التبديل فيتضرع تاركاً جوانب المكر والاحتيال ، والحوار
والطول مسلماً نفسه لكل ما تأمر به الإرادة الإلهية .

(٤٩٩ - ٥٠٠) : جناح طاووسك هو عجبك وكبرياؤك وحوالك وقوتك وما يبدو أنه وسائل
في يدك وهو ما تراه جميلاً في وجودك جديراً بأن ينظر إليه الناس ، بل انظر إلى القدم من
هذا الطاووس إلى ألوان قبحك وضعفك واحتياجك وانكسارك ولتخش على الأقل وأنت تعرض
جوانب القوة فيك من نظرات الحاسدين ، واقرأ الآية الكريمة ﴿ وإن يكاد الذين كفروا
ليزلقونك بأبصارهم لما سمعوا الذكر ويقولون إنه لمجنون ، وما هو إلا ذكر للعالمين ﴾ (القلم
٥١/٥٢) . قال البيضاوي : والمعنى أنهم لشدة عداوتهم ينظرون إليك شذراً بحيث يكون
يزلقون قدمك ويرمونك من قولهم نظر إلى نظراً يكاد يصرعني ، أو أنهم يكادون يصيبونك
بالعين ، إذ روى أنه كان في بنى أسد حاسدون فأراد بعضهم أن يعين رسول الله ﷺ أي
يصيبه بالعين ، فنزل ، وفي الحديث : إن العين لتدخل القبر والجمل القدر .

(٥١٢ - ٥١٤) : والأمور كلها موكولة إلى القضاء لكن الأمر يكون في حاجة إلى سبب ، فالعين حسودة تصيب مثلما تكون الساقية ، ظاهرة في دوران الماء لكن الماء هو الذي يديرها. ومن الممكن أن تقف عين المرشد الطيبة أمام العين الحسودة ، فالعين الطيبة من الرحمة ، والعين الحسودة من النقمة .

(٥١٧ - ٥٢٤) : عودة إلى قصة سيدنا إبراهيم عليه السلام فحرص البط حرص إلى الطعام ، وحرص الطاووس حرص إلى الزينة والشهرة والكبرياء ، والعجب والتفاخر ، وهذا المقصود، بإضعاف الحرص إلى الطعام ، وإذا كنت تريد مثالا لزلّة البطن والباه فانظر إلى آدم، إن زلته تنزل وليست كبرياء إنها مرض لكنها ليست كزلة إبليس ، كبرياء وعجب وحرص على الرئاسة ، وفي الحرص على الرئاسة أنواع من الأمراض النفسية تزيد على هذا الأمر زيادة كبيرة ، إنه يصل إلى مرحلة الشيطنة نفسها ، بل قد يزيد ويصبح طامعا في مقام الألوهية ، فالمال حية والجاه أضر منها .

(٥٢٦ - ٥٣٠) : إن عشق الجاه والسلطة ليس مجرد شهوة بسيطة إلى الطعام أو إلى النساء، لا تلبث أن تطفأ ، لكنها شهوة لا تشبع ، إذ لا نهاية لها ، إن كل متجبر جبار ، يكون كالنار تأكل كل شيء ، والطاغية يكون دائما في حاجة إلى وقود لناره هذه ، ومن هنا فهو يفتك بكل من يتصور أن ينازعه حتى لو كان ابنه ، ومن هنا قيل : " الملك عقيم " ، ويمضي مولانا مع سيكولوجية الطغيان إلى نهايتها ، فالطاغية كالنار والنار تأكل نفسها إن لم تجد ما تأكله .

(٥٣١ - ٥٣٤) : إن من العصمة ألا تجد " في طلب البسطة لا تجتهد " هكذا قال مولى المتقين على كرم الله وجهه ، فما دمت لا تملك شيئا ، ولا تتصدر وتبدي رأسك فلن تصير هدفا للسهام ، إن جباري الأرض لا ينتبهون إلا إلى أولئك الذين ينتظرون منهم الخطر ، وما دمت متواضعا فلن تثير خوفا من طاغية ، (انظر أيضاً شروح الأبيات ٧٧٨ - ٧٨٩ من الكتاب الثالث) .

(٥٣٦) : الحكاية التى تبدأ بهذا البيت كما قال فروزانفر مأخوذة من أبيات للشاعر سعد الدين

شرف الحكماء كافى البخارى :

رأيت طاووساً يقتلع جناحه ، قلت له : لا تفعل فإن جناحك جميل ذو بهاء .

فبكى بكاء مرا وقال لى : أيها الحكيم ألسنت عالما بأن عدوى اللدود هو جناحى هذا ؟! (مأخذ

/١٦١-١٦٢) . والواقع أن الفكرة تكاد تكون عامة وشائعة ، وقد تناولها مولانا بشكل أقل

تفصيلاً في الكتاب الأول : (الأبيات ٢٠٩-٢١٢) نعم ، إن مقتل المرء في موضع الجمال فيه

وفي موضع القوة فيه ، وإلا فمن الذي يقصد الضعفاء بسوء ، وأقوى عضو في الإنسان هو

الذي يصاب بأخطر الأمراض .

(٥٤٢ - ٥٤٨) : يقابل مولانا جلال الدين بين سلوكين في الطريق ، سلوك الدلال ، وهو

مستهجن ، لأنه فيه يكمن الخطر ، فمهما كنت معززا مكرما عند المليك ، فإنه يريد منك

الضراعة وشكر النعمة ، لا التدلل ، والخروج عن هذه النعمة ، فإن هذا من الكفران ، الله لا

يقول لك : اخرج عن النعمة التى انعمتها عليك ، بل يقول لك إياك أن تخرجك هذه النعمة عن

طورك ، فأين العفة إن لم يكن ثم إغراء ، وأين الإتفاق إن لم يكن ثم كسب ، وأين الاعتصام

إن لم يكن ثم إغواء ، وأين الجهاد إن لم يكن ثم حرب (انظر الأبيات ٥٧٤ - ٥٨٢ من هذا

الكتاب) .

(٥٤٩ - ٥٥٢) : ﴿ إن الله فالق الحب والنوى يخرج الحى من الميت ومخرج الميت من

الحى ذلكم الله فأنى تؤفكون ﴾ (الأنعام /٩٥) إذا كانت الأشياء تخرج من أضدادها ، والوجود

يخرج من العدم ، فكن ميتاً لتحيا وعندما لتصبح موجوداً ، تواضع لكى تجد الرفعة ، فكيف

ينبتق منك النهار دون أن تكون ليلاً ، والربيع دون أن تكون في البداية شتاء ، وفي تفسير

صوفى لنجم الدين كبرى : يخرج القلب الحى بنور الله من النفس الميتة عن صفاتها وأخلاقها

الذميمة إظهاراً للطفه ورحمته ، ويخرج القلب الميت من الأخلاق الحميدة الروحانية من النفس

الحية بالصفات الحيوانية الشهوانية إظهارا لقهره ويحيى الأرض بعد موتها ، وكذلك تخرجون من العدم إلى الوجود، (مولوى ٨٧/٥)، ويضيف السبزواري "على ما جاء في قول أفلاطون : مت بالإرادة تحيا بالطبيعة" (سبزواري / ٣٤١) .

(٥٥٧ - ٥٥٨) : ليس المقصود بالطبع النهي عن الفكر على أساس أنه هو الذي يخرج النفس المطمئنة عن اطمئنانها، بل الخواطر الفاسدة والفيهقة والتزيد والتقطع وتصنع الفكر ومناقشة ما لا يناقش ، كلها أمور تعكر صفو النفس المطمئنة هذا هو الجدل فيما نهى عن الجدل فيه، إنها كلها كأنها أظافر مسمومة ، ووجه الروح الجميل يخمش منها بعمق ، ويروى يوسف بن أحمد حديثا: " إياكم والتعمق في الدين، فإن الله تعالى قد جعله سهلا فخذوا منه ما تطيقون " . والحديث المروى هو : { إياكم والغلو في الدين فإنما هلك من كان قبلكم بالغلو في الدين } . (٨٩/٥) والنفس المطمئنة في تعريف لنجم الدين الرازي هي نفوس الأنبياء والأولياء وهي في الصف الأول في عالم الأرواح (مرصاد العباد ٣٦٩)

(٥٥٩ - ٥٧٠) : إن كل هذه العقد والمشاكل التي تطرحها الفلسفة لكن تطرح لها الحلول لا طائل من ورائها إلا تضييع العمر ، إن العقدة الحقيقية والمشكلة الأولى التي ينبغي أن يطرحها الإنسان على نفسه ، هي : هل هو شقي أو سعيد ؟ هذا هو المشكل الوحيد حقيقة ، فالفكر المجرد ، والمشاكل المجردة التي تطرحها الفلسفة وإن أثرت تاريخ الفكر الإنساني ، إلا أنها حقيقة لم تسهم بدور يذكر في حل المشاكل الحقيقية التي تواجه البشرية ، إنها حرب تدور في مخايل المفكرين والفلاسفة حول مشاكل مجردة حول الوجود والماهية وما إلى ذلك (جعفرى ٢٣٦/١١) إن كل الأعيان والأعراض ذات حدود معلومة ، لكن أي حد يمكن أن يستوعب روح الإنسان التي جاوزت كل الحدود ، أليست في النهاية روحا ربانية " وليس هناك شأن ليس فيه شأنه " ، (سبزواري / ٣٤١) ، فالموجود المطلق هو الموجود بوجود الله وبإيجاد الله والباقي المطلق هو الباقي ببقاء الله وبإبقاء الله ، وهو القادر على الوصول إلى اللامحدود أي

مرتبة " لى مع الله وقت لا يسعنى فيه ملك مقرب ولا نبي مرسل " ، وأين من هذا طوائف المشتغلين بالدليل ، والقياس والاستتباط ، والأسباب والوسائط والاستدلال بالصنع على وجود الصانع ؟ كل هذا من قبيل الجهل الذي يدفع الجاهل إلى البحث عن الشمس الساطعة على أضواء الشموع (سبزواري / ٣٤٢) والصفى يمضى إلى لب الحقيقة دون وسائط (عن الفرق بين أسلوب الفلسفي وأسلوب الصفى ، انظر الكتاب الأول ، الأبيات ٢١٦٢ و ٣٢٩١ و ٣٢٩٦ وشروحها والكتاب الرابع الأبيات ٢٨٣٤ وما تلاه وشروحها) .

(٥٧٤ - ٥٨١) : عن أنس قال : توفى لعثمان بن مظعون رضى الله عنه ابن ، فاشتد حزنه عليه حتى اتخذ من داره مسجداً يتعبد فيه ، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقال له : يا عثمان إن الله تبارك وتعالى لم يكتب علينا الرهبانية ، إنما رهبانية أمتى الجهاد في سبيل الله " ، ليس في الإسلام عفة بخصى ، أو جهاد بغير عدو ، وكيف يمكن معرفة صمودك أمام الإغواء ، إن لم يكن إغواء ؟! إنما يكون الجهاد بقدر ما يكون العدو ، ويكون الانتصار بقدر مرارة الحرب ، وكيف يبين الإنسان الصبر إن لم يكن هناك ما يصبر عليه أو يتصبر عنه ؟! وكيف يمكن معرفة صدق المرء إن لم يتعرض للابتلاء ؟! وبقدر المشقة يكون الجزاء . ليس المطلوب أن تقتلع الطبيعة من نفسك بل أن تقاومها !!

(٥٨٦ - ٥٩٩) : من الحديث القدسي : " من عشقنى عشقته ومن عشقته قتلتة ومن قتلتة فعلى ديته ومن على ديته فأنا ديته " (سبزواري / ٤٤٣) . أورده فروزانفر (أحاديث مثوى / ١٣٤) من أحبني قتلتة ومن قتلتة فأنا ديته ، عن المنهج القوى ٣٩٨/٤ . وعن العشق عد إلى الكتاب الثالث ، الأبيات ٣٨٣٠ وما بعده وشروحها وثمة فرق شاسع بين تعبيره هناك وتعبيره هنا ، وبقدر الوجد يكون التعبير عن العشق ، إنه يعبر هنا عن أفكار شديدة المباشرة ، فالعشق نار يحرق كل ما سواه ، وسيف " لا " في عبارة " لا إله إلا الله " ، هو الذي يحرق كل شئ ويقضى على كل شئ ، فلا يبقى " إلا الله " ، وكل أنواع الحسن في العالم انعكاس

للحسن الإلهي ، بل إن الحسن الإلهي هو بمثابة الروح لأنواع الحسن أو بتعبير ابن الفارض :

وكل مليح حسنه من جمالها معار له بل حسن كل مليحة

(انقروى ١٥٩/٥) . وما تفرق الناس خلف كل لذة يظنونها إلا لأنهم ابتعدوا عن هذا الجمال

الحقيقي ، ولم لا ، إن أي جمال بالنسبة له كالدخان بالنسبة للنار ، ومن لم ير عدالة عمر بن

عبد العزيز يظن الحجاج بن يوسف عادلا ، والطائر أو الروح التي لم تعرف العشق الخالص،

إنما تطوف حول العشق المجازي وهو بمثابة الماء المالح بالنسبة للماء العذب .

(٦٠٠ - ٦٠٣) : ومن هنا فأنت في هذه الدنيا حتى تعرف قيمة الجنة والدار الآخرة وهي

الحيوان لو كنت تعلم وما حياتك فيها عندما تدرك ما وراءها إلا كالقائم بنخل التراب عسى أن

يجد فيه فتات رزق ، وأنت هلوع من الموت نفور من ذلك العالم الطاهر ، لازلت متمتعا في

السجن مع أنك تدعى الإيمان ، وما الدنيا إلا "سجن للمؤمن" .

(٦٠٥) : قال السيوطي في كتاب بشرى الكئيب بقاء الحبيب ، أخرج النسائي عن عبادة بن

الصامت قال : قال رسول الله ﷺ : " ما على الأرض نفس تموت ولها عند الله خير تحب أن

ترجع إليكم ولها نعيم الدنيا وما فيها " (مولوى ٩٨/٥) . ونقل جعفرى عن انقروى (ولم أجدها

عند انقروى) ما من أحد يموت إلا ندم ، إن كان محسنا ندم ان لم يكن ازداد (؟) وإن كان

مسيئاً ندم ألا يكون نزع " (جعفرى ١١/٢٤٨) .

(٦١٢ - ٦١٩) : عودة إلى حوار الطاووس مع الحكيم ، لقد اقتنع الطاووس بقول الحكيم ،

وهنا هو يحار جوابا فيبكي بكاء مرأ ، إنه بكاء ذلك الذي فصل من حيث أراد الوصل وأبعد

من حيث أراد القرب ، وهو البكاء الجدير بأن يثير بكاء الأرض وبكاء السماء ، والعقول

والقلوب تبكي لأنها منسوبة إلى العرش ، ومن ثم فهي من معدن الرحمة .

(٦٢٠ - ٦٢٤) : يتكرر مثال هاروت وماروت كثيرا في مثوى مولانا (الكتاب الأول :

الأبيات ٣٣٣٤ وما بعده ، الكتاب الثانى ، الأبيات ٢٤٧٥ وما بعده والكتاب الثالث الأبيات ٧٩٦

- ٨٠٢) . ويدق مولانا على الموضع على أساس أن الإنسان يستطيع أن يتفوق على الملائكة مع أن الشهوة مركبة فيه ، لأن الملائكة أنفسهم لو ركب فيهم ما ركب في البشر ما استطاعوا مقاومته والمثال هاروت وماروت وتوضح هذه الفكرة فيما ورد في الكتاب الأول .

لقد كان حبس هاروت وماروت في جب بابل أشبه بحبس الروح والعقل في بئر الجسد والطبيعة ، ويتناول مولانا هنا تعلمهما السحر ، لقد كان تعلمهما إياه على سبيل الفتنة والامتحان ، ومع ذلك فهما يعلمانه للخلق لكن بعد تبصيره بأنه فتنة ، وهكذا فليس كل علم مما يتعلم لأى إنسان (انظر حكاية اسم الله الأعظم في الكتاب الثانى ، وحكاية تعلم لسان الطير والكلام في الكتاب الثالث)، «وما يعلمان من أحد حتى يقولوا إنما نحن فتنة فلا تكفر» .

ويعارض الانقروى بعض أجزاء الرواية الخاصة بوقوعهما أي الملكين على امرأة تسمى زهرة ، وإنها صعدت معهما إلى السماء فتعلمت السحر إلى آخره ، فهذا نقلا عن القاضى البيضاوى مروي عن اليهود أي أنه من الإسرائيليات ، كما نقل عن الفخر الرازى ، إن هذه الرواية فاسدة مردودة ليس في كتاب الله ما يدل عليها بل فيه ما يدل على خلافها من وجوه ،

الأول : ما فيه من الدلائل الدالة على عصمة الملائكة من كل المعاصى وثانيها : أن قولهم أنها خيرا بين العذابين ممنوع إذ كان الأولى أن يخيرا بين التوبة والعذاب لأن الله تعالى خير بينهما من أشرك طول عمره ، فكيف ييخل عليهما بذلك ؟ وثالثهما : أن من أعجب الأمور قولهم إنهما يعلمان السحر حالة كونهما معذبين أما الإمام السيوطى فقد اعترف بصحة الرواية ، ويفرغ الانقروى إلى مثل ما علق به أحدهم على حاشية البيضاوى ، وهو - أى المعلق - بالتأكيد ذو مشرب صوفى وتفسيره أقرب إلى تفسيرات نجم الدين كبرى على القرآن الكريم ، المراد بأحد الملكين الروح الإنسانى وبالملاك الآخر العقل ووجه التعبير بالملكين إنهما مصدران لكل خير وهبوطهما إلى الأرض نزولهما من عالم الأنوار إلى عالم الطبيعة وبالمرأة المسماة بالزهرة هى النفس الأمارة بالسوء وتعشق الملكين بها ابتلاء الروح والعقل بالنفس

الأمانة بأنهما انقادا لأمرها بالشرور وبكونهما محبوسين في بئر بابل ابتلاء الروح والعقل بجب البدن الترابي وبكونهما معذبين في البئر إلى يوم القيامة عبارة عن ابتلائهما بالكدورات البشرية إلى الموت فإنهما يتجردان عند خراب البدن فيعودان إلى عالم الأنوار (انقروى ١٦٧/٥ - ١٦٨) وواضح أن مولانا في المثنوى طابق هذا التفسير تماما .

(٦٢٥ - ٦٤٠) : انعدام الوسيلة خير بالنسبة لمن لا يستطيع المقاومة ، والخير والشر كلاهما كامن في النفس البشرية ، وكلاهما مستعد للحركة عند الدعوة ، والفكرة تتكرر عند مولانا بشكل أو بآخر ، (مثلها الأكثر وضوحا في الكتاب الثالث ، حكاية صياد الحيات والحية التي ظنها ميتة لكنها كانت متجمدة حركتها شمس الفراق ، وهي رمز للنفس المتجمدة التي لا تجد الوسيلة لكنها إن وجدتتها فهي أسد هصور) وهذه النفس هنا مثال الكلاب النائمة الهامدة ، لأنه ليس هناك ما يحرك شهوتها ، حتى إذا نفق حمار في الحارة استيقظت فيها كل صفاتها السبعية ، أو كالبزة عندما تخاط عينها فلا تفتح إلا على الصيد ، أو كشهوة المريض إلى الطعام ، عظيم ، إن كنت قادرا فتعرض للامتحان ، ولكن إن لم تكن قادرا ، فأولى بك أن تترك كلاب البدن نائمة .

(٦٤٧) : روى عن ابن عمر في الجامع الصغير أنه ﷺ قال : ثلاث مهلكات وثلاث منجيات وثلاث كفارات وثلاث درجات ، فأما المهلكات فشح مطاع وهوى متبع وإعجاب المرء بنفسه ، وأما المنجيات فالعدل في الغضب والرضا والقصد في الفقر والغنى ، وخشية الله في السر والعلانية ، وأما الكفارات فانتظار الصلاة بعد الصلاة وإسباغ الوضوء في السرات (الغدوات الباردات) ونقل الأقدام إلى الجماعات وأما الدرجات فإطعام الطعام وإفشاء السلام والصلاة بالليل والناس نيام " (مولوى ١٠٣/٥) ، جامع ١٣٨/١ .

(٦٥٠ - ٦٦٠) : إن لم تكن متقيا ، وإن لم تكن آمنا أنك في حفظ الله ، فدعك من الآلة ، وتخل عنها ، وهذا الجناح هو الآلة ، آلة عجبك وتيهك وغرورك ، إنه سلاح في يد طفل أو

في يد ثمل فانزع هذا السلاح ، وإلا وقع سلاحك في يد خصمك وقضى به عليك ، نعم : القوة لمن يستطيع أن يسيطر عليها لا لذلك الذي تسيطر عليه والسلطة كذلك .

(٦٧٠ - ٦٧٢) : هكذا يكون من خصمه نفسه التي بين جنبيه ، من يحمل بين جوانحه سلاحا يقضى عليه ، إنه يكون في هلع دائم ، ومن هنا كان ﷺ يقول : { اللهم إني أعوذ بك من شر نفسي } إن هذه النفس العدو تكون تابعا للمرء كأنها ظله ، وهل يستطيع الإنسان أن يهرب من ظله ؟! والنفس ظل في مقابل العقل والقلب اللذين هما بمثابة النور .

(٦٧٢ - ٦٨٢) : صاحب الفناء الذي اختار الفقر على الغنى والضعف على القدرة يكون نورا خالصا كمحمد ﷺ الذي كان نورا خالصا ومن ثم لم يكن لجسده ظل (جلبنارلى - 128/5) وهكذا لأنه ﷺ افتخر بالفقر فقال : " الفقر فخرى " وبه افتخر على كل الأنبياء ، صار نورا للدين وشمعا لليقين ، فهل هناك ظل للشمع ، الشمع بأجمعه نور ومن ثم فلا ظل له ، واللهيب محترق في الشمع ، والشمع محترق في اللهيب ، أي شمع وأى لهيب ؟ إننى أقصد هنا شيئا آخر فإياك أن تتصور الشمع الظاهري ، إننى أقصد شمعا آخر هو شمعة الجسد التي تحتوى على نور الروح داخلها ، وكلما ذابت تجلى شعاع الروح كأعظم ما يكون التجلى ، ولا ظل للروح ، فمتى يكون النور الخالص ظل ؟!

(٦٨٣ - ٦٩٥) : ولأضرب لك مثلا آخر : من السحاب والقمر ، السحاب له ظل والقمر لا ظل له ، صحيح أن السحاب قد يغطي القمر لكن السحاب نفسه يظل قابسا من ضوء القمر ، فانظر إلى لطف القمر بالرغم من أن السحاب عدو له إلا أنه متمتع بنوره ، بالرغم من أنه حجاب عليه إلا أنه ينال نصيبا من نوره ، وهكذا رجل الله ، لا يمنع فيضه حتى عن العدو ، فهو لا ينقص لفيضه هذا ، لأن هذا الفيض يستمد من البحر الذى لا ينفد ، هذا النور الذى لا ينفد تستمد منه كل الموجودات نورها وإن كان النور أصيلا في القمر (النبي-الولى-المرشد) فهو عارية على كل من يستمد منه هذا النور .

(٦٩٦ - ٧٠١) : وفي القيامة ، تعلم أصل النور ، تعلم أن الشمس واسطة والقمر واسطة ، وتعلم أن كل ما تظنه أصلاً إنما هو في الحقيقة عارية أظهرت الجمال الإلهي فترة من الزمن على هذه الموجودات الصماء الخالية من الجمال ، وأن معدن الجمال الحقيقي هو السبب في كل هذه الأنوار وهو أصلها ﴿ فإذا برق البصر ، وخسف القمر ، وجمع الشمس والقمر ، يقول الإنسان يومئذ أين المفر ، كلا لا وزر ، إلى ربك يومئذ المستقر ﴾ (القيامة / ٧-١٢) . حينئذ يضع الإنسان يده على الأم الحقيقية ، ويعلم أن الملك لله الواحد القهار ، وأن كل هذه التي كان يظنها في الدنيا " أمهات " هن مجرد حواضن مستأجرات من أجل نور مستعار ومن أجل حنان بالأجر . وشتان ما بين الحاضنة والأم (عن الحاضنة والأم انظر أيضاً الكتاب الثاني الأبيات ٢٩٨١-٢٩٨٣) .

(٧٠٢ - ٧٠٥) : الوسائط تزيد في الوسائط ، إن طلب النور من الأصل ، أو طلب اللبن من الأم لا من المرضعة هو أطيب بالنسبة للمريد السالك ، ويعتبر المولوية أن الوسائط هي بمثابة (انتظار القلب) فاطلب لطفه من لطفه ورحمته من رحمته ، ودعك من الوسائط فإنها حجب (جلبنارلى 129-130/5) .

(٧٠٥ - ٧٠٩) : ألا تصدق إنه من الممكن أن يكون مطر (رحمة) بلا سحب (وساطة) . عد إذن إلى ما ورد في الكتاب الأول قصة عائشة رضى الله عنها وسؤالها المصطفى ﷺ قائلة إن السماء أمطرت اليوم عندما ذهبت إلى المقابر فلماذا لم تبطل ثيابك ؟! (البيت ٢٠٢٣ وما بعده) أما السقاية من مطر ولا سحب فانظر الكتاب الثالث ، الأبيات ٣١٣٠ وما بعدها وشروحها) ، وهكذا الأجساد إن استمدت النور من معدن النور بلا واسطة تنتفى عنها صفات الأجساد .

(٧١٠ - ٧١٨) : يقول الطاووس إن جناحي متعة للغير ، ورأسي هي من أجلي أنا ، فيها سمعى وفيها بصرى ، فكيف يضحى المرء برأسه من أجل متعة الغير ، إن هذا كفر مطلق ، كيف تزين نفسك وتجعل نفسك كالسكر ، من أجل أن تأكلك البيغاوات ؟! لماذا تجعل نفسك كالجيفة يمدحها الكلاب بينما هم يلتهمونها ، لا ، فلتكن نفسك مرا للحم حتى لا يأتى الصيادون نحوك ، اعبس أيها الشيخ حتى لا يجتمع إليك كل عاطل من أجل الاستمداد منك (انظر الكتاب الرابع ، الأبيات ١٠٢٥ وما بعده وشروحها) .

فهمت إذن لماذا خرق الخضر السفينة ؟! ولماذا فخر أحمد عليه السلام بالفقر ؟! ولماذا توضع الكنوز في الخرابات ؟! إذا كنت لا تستطيع أن تقتلع عوامل قوتك وغرورك وعجبك فابتعد عن الناس إذن حتى لا يأكلوك ويمزقوك بددا ، وتصبح بين مخالبيهم كالجيفة بين مخالبي الكلاب .

(٧١٩ - ٧٢٥) : عن أن كل العالم آكل ومأكول ، انظر مقدمة الكتاب الثالث ، الأبيات ٣٧ وما بعده وشروحها . والمثال هنا عن اللص والمتاع والطويثر الذي يأكل الدود مكرراً بنصه . (٧٢٦) : إشارة إلى الآية الكريمة ﴿ قل أغير الله أتخذ وليا فاطر السموات والأرض وهو يطعم ولا يطعم قل إني أمرت أن أكون أول من أسلم ولا تكونن من المشركين ﴾ (الأنعام ١٤/) .

(٧٢٩ - ٧٣٤) : بل إن الأفكار والأوهام ، والخيالات في داخلك تنقسم بدورها أيضاً إلى آكل ومأكول ، فكل فكرة تتغذى على فكرة أخرى وكل خيال يتغذى على خيال آخر ، وفكرة أن الأفكار كالنحل ، والنوم كالماء ، تفسير لفكرة سبق ورودها في الكتاب الرابع (الأبيات ٤٣٥ وما بعده وشروحها) . هذه الخيالات والأوهام التى تطوف حولك كالنحل أو الذباب وتشتك وتفرق خاطرك ، هي أقل الآكلين ، فدعك منها ، واهرب من أفكارك وخیالاتك إلى الله ، ولتجعل همك هما واحدا حتى يخلصك مصداقاً لقوله تعالى ﴿ إن ربى على كل شئ حفيظ ﴾ (هود / ٥٧) وقوله ﴿ فالله خير حافظاً وهو أرحم الراحمين ﴾ (يوسف / ٦٤) .

(٧٣٥ - ٧٤٥) : إن لم يكن ثم عقل ، وإن لم تكن تستطيع أن تعرف الطريق إلى أرحم الراحمين ، فعليك بمن وجدوا الحفظ ، ضع يدك في أيديهم ، فهذه هي بيعتك في زمانك ، وسوف تكون بعدها من أهل البيعة التي وردت في القرآن الكريم ﴿ إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم ، فمن نكث فإنما ينكث على نفسه ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه أجرا عظيماً ﴾ (الفتح : ١٠) بهذه البيعة تكون قد حضرت على نبي زمانك ، تكون قد حضرت الحديبية ، وتكون من العشرة المبشرين بالجنة ، هنا تتحقق لكل المعية " فالمرء مع من أحب " كما يقول ﷺ ، وتقال الدنيا والآخرة معا . فمن تشبه بقوم فمنهم ومن أحب قوما حشر في زمرةهم .

(٧٤٨ - ٧٥٣) : وإذا كنت تريد أن تتعظ وتعلم النهاية فانظر إلى مصارع الفجار ، وكفى بموت الجار واعظا ، إنك لا ترى يد الله التي فوق كل الأيدي ، إذن فاعلم أن الله سبحانه وتعالى يهلك بلا يد ، ويقمع بلا آلة ، وغدا يا منكر لوجوده ، تقر أثناء العذاب أنه موجود ، ويا من تقول أنه بعيد ، تجأ بصوتك مناديا إياه مستجداً قائلاً " يا قريب " .

(٧٦١ - ٧٦٤) : لقد بقيت في الذنب واقعا في الفخ بحث إنك عندما فكرت أن تتجو ، كان الفخ قد التصق بك والتصق بجناحك ، فماذا أفعل ؟! وماذا ينبغي أن تفعل أنت إلا أن تستغنى عن هذا الجناح ، هيا ضح بالجناح من المال والجاه والمكنة والثروة كما يضحى الثعلب بذيله من أجل أن يظفر بالخلاص ، وينجو . ها أنا أحدثك على قدر عقلك ، وإلا فإن هناك وسائل كثيرة ، لكنك لن تفهمها ، وربما تسئ فهمها ، فيزداد ضياعك ووقوعك في الفخ ، هيا اقطع الحبال التي أحاطت بك ، حبال الحرص والحسد ، فحول نفسك الأمانة التي تشبه زوج أبي لهب في جدلها وحقدتها وحسدتها ، حبل من مسد ، فحطم هذه الحبال وانج .

(٧٦٨ - ٧٧٥) : إشارة إلى الآية الكريمة ﴿ قال فاهبط منها فما يكون لك أن تتكبر فيها فأخرج إناك من الصاغرين ، قال انظرني إلى يوم يبعثون ، قال إناك من المنظرين ، قال

فبما أغويتني لأقعدن لهم صراطك المستقيم ﴿ (الأعراف / ١٣ - ١٦) . إن أتباع إبليس يطلبون العمر الطويل لا لطاعة الله بل للانغماس في المعصية ، فكأنهم يطلبون زيادة ذنوبهم ، لقد خلقت لهم قرنى اعتداء ، وبدلاً من أن يطلبوا من الله أن يخفف من ذنوبهم ، يطلبون إضافة قرنين آخرين ، وبدلاً من أن ينادوا ﴿ قالوا ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين ﴾ (الأعراف / ٢٣) يطلبون العمر الطويل ، وليتهم يطلبون التوبة أو القرب أو حتى الموت حتى لا يزدادوا انغماساً في المعصية ، وتزداد ذنوبهم .

(٧٨١) : قال السبزواري : تبديل الأعيان الثابتة من الثبوت إلى الوجود وتبديل الماهيات من اللبس إلى الأيس ومن الظلمة إلى النور وتبديل الذوات في التكميلات من الطبع إلى النفس ومن النفس إلى العقل ومن العقل إلى المحو في الحق والطمس والمحق فيه (سبزواري / ٣٤٨) .

(٧٨٤) : ﴿ ووجدك ضالاً فهدى ﴾ .

(٧٨٥) : تجعل من المخلوقين من التراب سكان سماء من أمثال الأنبياء والأولياء ، والنجوم في الأرض هم الأنبياء والأولياء والمرشدين ، مصداقاً للحديث النبوي ﴿ أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم ﴾ .

(٧٨٦) : كلما ازداد تمتع المرء بطيبات الحياة الدنيا ، كان الموت أسرع إليه ، حقيقة ازدادت ثباتاً أخيراً ، فكأن المرء وهو منصرف إلى لذائذ الدنيا بنهم وهي أشبه بالسم أو بالمخدر ، يكون أسرع إلى هدم قواه وأسرع إلى الموت .

(٧٨٨ - ٧٩٨٥) : كون فناء الإنسان رقى له ، انظر الكتاب الثالث الأبيات ٣٩٠٢ - ٣٩٠٧ وشروحها ، الكتاب الرابع ، الأبيات ٣٦٨٧ وما بعدها وشروحها حيث يدق مولانا على هذه الفكرة كثيراً إن الإنسان يفنى من حيث يريد البقاء ويبقى من حيث يظن الفناء ، وكلها خلق

من بعد خلق دون واسطة وعليك أن تبقى حائرًا فالحيرة هي الطريق إلى المعرفة ، ومن هنا قال بعض الصوفية " يا دليل المتحيرين زدني تحيرا " (انظر عن الحيرة الكتاب الثالث ، الأبيات ١١١٦ وما بعدها وشروحها) .

(٨٠٢ - ٨٠٦) : إنك على وعى تام بهذه المراحل وتحسها فيك ، فأنت جامع الجماد والنبات والحيوان (انظر ناصر خسرو ، جامع الحكمتين ، الترجمة العربية لكاتب هذه السطور ، ص ٣٧٧ وما بعدها ، وانظر الكتاب الرابع - مقدمة الترجمة العربية لكاتب هذه السطور) لكن إلى مرحلة معينة، إلى البر ، إلى عالم الخلق ، لكن بداية من مرحلة عالم الأمر تبدأ منازل البحر الذي لا يدرك ساحله ، فبحر الحقيقة أو بحر الوحدة ليس فيه علامة أو مرتبة أو منزل ، أصل منازلها ليست على نسق منازل الأرض ذات السقوف والأبواب ، ولا أسماء لها ، ولا علامات فيها ، فالأسماء والعلامات والأوصاف كلها أمور جدرة بعالم الخلق ، إن المنزل الواحد فيها بكل المنازل التي قطعناها بين مرحلة النماء ، ومرحلة تحوّلك إلى عين من الأعيان ، فتخيل إذن قيمة ما لا تعرف بنظرتك إلى ما تعرف وعجبك به على قلته .

(٨٠٩) : كل سنة جديدة أفضل لك من ثلاث سنوات قديمة يعنى أن عطاء المبدل الذي يخلع عنك القديم يعوضك عنه بجديد يفوق هذا القديم في كل شيء ، خلقا من بعد خلق ، في أحسن تقويم ، فانظر دائما إلى الأمام ، ولا تنظر إلى الماضي وإلى الخلف ، فعطاي الله سبحانه وتعالى في ازدياد كما ، وفي تحسن كيف ، وإن لم تكن لتصدق ، فانظر إلى ماذا كنت وكيف أصبحت ، لكى تستطيع أن تتخيل إن سرت على نفس الجادة ، إلام ستصير !!؟

(٨١٧ - ٨٢١) : ليست هذه قيمتك ، وليس هذا مكانك ولا يليق بك أن ترضى بما أنت عليه من قبح ، لست قبيحا لكنك من معدن الجمال ، لست من الأرض بل من الجنة ، فلا تقنع بالأرض وليكن سعيك إلى تمام الدائرة ، وطى قوس الصعود ، حتى تتم الدائرة ، وإلا فأنت في عذاب حقيقي ، عذاب لوجودك في غير بيتك ، وفي غير المحيط الجدير بك ، وفي غير

الجو الحقيقي الذي ينبغي أن تعود إليه ، ومن هذه أنت جدير بالرحمة والشفقة .

(٨٢٢ - ٨٣٢) : نعم أنت جدير بالرحمة والشفقة على موجب الحديث الشريف ارحموا ثلاثا ، عزيز قوم ذل وغنى قوم افتقر وعالما لعبت به الجهال (أي استهزءوا عليه) انظر أحاديث مثوى ١٥٦ وفي رواية انه من أقوال الفضيل بن عياض) . وهو أشد الغرباء ، قال ﷺ أحب العباد إلى الله تعالى الغرباء قالوا من الغرباء يا رسول الله ؟! قال : الفرار بدينهم يجتمعون مع عيسى بن مريم يوم القيامة . قال شيخ الإسلام : الغريب حالا هو رجل صالح في زمان فاسد بين قوم فاسدين أو عالم بين قوم جاهلين أو صديق بين قوم منافقين وهذا من الغرباء الذين طوبى لهم على موجب قوله ﷺ (إن الدين بدأ غريباً وسيعود كما بدأ فطوبى للغرباء) قال شيخ الإسلام غربة العارف هي غربة القربة لأنه غريب في الدنيا والآخرة (مولوى ١٢٨/٥) وعن علي عليه السلام : ثلاثة يُرحمون عاقل يجرى عليه حكم جاهل، وضعيف في يد ظالم قوى ، وكريم قوم احتاج إلى لئيم . (جعفرى ٢٩٥/١١) . والأوصاف كالأجساد من اتصف بشيء غير مشهور في مجتمعه نبذ من هذا المجتمع ، ومن فقد صفة من صفته فكأنما فقد عضوا من جسده ، ونحن جميعا نعانى ، لقد شربنا كأس الميثاق ومعاهدة الله على العبودية، وكلنا يعانى من خمار تلك الخمر التى شربها في ذلك اليوم في المحضر الإلهى ، آفتنا الأولى أننا بشر ، من نفخة السلطان ، وأبناء الخليفة ، لو كنا من أصل سئ لاسترحنا ، فهل بحث كلب أو قط عن السلطنة إنه ابن آدم وحده الذي يعيش في غربة غريبة يعز به أنه أصبح في الأسمال والملابس الخلقة ، بينما هو في داخله يطمح إلى السيادة والسلطنة .

(٨٣٣) : حكاية أخرى من الحكايات التى تجاهلها فروزانفر ولم يذكرها في المآخذ وتبدو الحكاية من الأمثلة التى يضربها مولانا جلال الدين ، المهتم اهتماما خاصا بقضية المتجانس ضرب عليها الأمثلة كثيرا من عالم الحيوان وعالم البشر وعالم النبات .

(٨٤٥) : ذكر فروزانفر أن الحكاية مأخوذة عن معجم البلدان لياقوت عند ذكر قم ، كما نقل

القاضي نور الله الشوشترى في كتابه مجالس المؤمنين هذه الحكاية وقال أن نظيرها مذكور بالنسبة لمدينة سبزوار ، وهناك أيضاً حادثة تاريخية ذكرها عطا ملك الجوينى في الجزء الثانى من كتاب تاريخ جهانكشاي عن حصار للسلطان لسبوزار حتى تشفع أحد شيوخها ويسمى أحمد البديلى (استعلامى ٢٥٥/٥) ، وواضح أن مولانا كون من الحادثة التاريخية ومن رواية ياقوت حكاية تشبه هذه (عن مآخذ/١٦٢-١٦٣) وقد حكم محمد خوارزمشاه من ٥٦٨ للهجرة وكان هجومه على سبزوار سنة ٥٨٢ للهجرة .

(٨٨٧) : قتل : اسم مدينة في ما وراء النهر .

(٨٦٩) : { إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم } (حديث نبوى) جامع ٧٤/١ .

(٨٧٢) : قال أبو يزيد البسطامى : لو كان العرش وما حوله في زاوية من زوايا العارف ما أحس به ، وورد في الحديث النبوى : ما وسعتنى أرضى وسمائى ولكن وسعنى قلب عبدى المؤمن (انقروى - ٢١٩/٥) .

(٩١٩) : قال يوسف بن احمد " روحانية أهل الله لا تزول بصورة الفقر " (١٤٠/٥) .

(٩٢٥) : انظر شرح الأبيات ٨٢٢ - ٨٣٢ من نفس هذا الكتاب .

(٩٢٦ - ٩٣١) : تبدأ غربة الإسلام بقول مولانا جلال الدين عندما ينفر منه أهله يتركونه ويضيعونه أو يمسخونه ويأخذون الصورة التى يروجها أعداؤه عنها ، يؤولونه ويتركون أسسه ، يجردونه من السلطة ليظل مجرد شعائر وعبادات، يشوّه العدو في أعيننا ونتقبل نحن هذا التشويه ، يزاح من قلوبنا بعد أن أزيح من حياتنا ثم من عقولنا، يأتى العدو ويسلط عليه بعض المنتسبين إليه بالاسم ، فيقولون ما لا يجرؤ العدو على قوله ، هذه هى غربة الإسلام الحقيقية عندما يصبح غريبا بين أهله ، موضع كراهيتهم وقتالهم ، تظل منه صورة خالية من الطعم والرائحة ، مجرد صورة ، نتبجح على أساسها ونقول " ماذا حدث للإسلام ،

ألسنا مسلمين؟! وبالتالي نظل في الضياع والتهيه والفرقة والتبعية الثقافية والاقتصادية ، وحتى أغنياؤنا يظلون تبعا ، ولا يدري أحد أن هذا التيه وهذا الضياع لأننا فرطنا في أساس وجودنا وكرهنا سبب حياتنا ، ونفرنا من عنصر عزنا ، فأصبح فينا غريبا ، وأصبحنا مجرد أبقار منذ أن وضع أسد الإسلام في إهاب بقرة (حقيقة ليست مجازا) وإلا أفلا نبصر يوميا الأبقار التي ترعى وهي تتشدد بالإسلام ، يقول مولانا : أجل تشدق أيتها الأبقار بالإسلام ، ولكن حذار ، فعندما ينشق إهاب البقرة الذي ركب على الإسلام سيسفر ذلك الإهاب عن أسد يفترس الأبقار السمان ، أو على الأقل يخرج منها طبيعة الأبقار ويجعلها في طبيعة الأسود .

(٩٣٢) : ﴿ وقال الملك : إني أرى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر وآخر يابسات ، يا أيها الملأ أفتوني في رؤياى إن كنتم للرؤيا تعبرون ﴾ (يوسف / ٤٣) . فالسمان هي الصفات البشرية السبع وهي التي بها القلب محبوس والكبر يأكلهن سبع عجاف وهي القناعة والسخاء والعفة والغبطة والشفقة والحلم والتواضع، فإذا أراد الله أن يخلص القلب من سجن صفات البشرية يذهب الذي هو ملك مصر القلب ويقول : أيها الأعضاء والجوارح والقوى أفتوني فيما رأيت في الملكوت إن كنتم للرؤيا تعبرون (مولوى ٤٢/٥) .

(٩٤٢) : الرواية هنا مأخوذة مما ورد في إحياء علوم الدين للغزالي : " وقال أبو أمامة إن رسول الله ﷺ قال إن إبليس لما نزل إلى الأرض قال يا رب انزلتني إلى الأرض وجعلتني رجيمًا فاجعل لي بيتًا ، فقال : الحمام ، قال : اجعل لي مجلسًا ، قال : الأسواق ومجامع الطرق ، قال : اجعل لي طعامًا ، قال : طعامك ما لم يذكر اسم الله عليه ، فقال اجعل لي شرابًا : قال : كل مسكر ، قال اجعل لي مؤذنا : قال المزمارير ، قال اجعل لي قرآنا ، قال : الشعر ، قال اجعل لي كتابا ، قال : الوشم ، قال : اجعل لي حديثًا : قال : الكذب ، قال : اجعل لي مصايد : قال النساء ، (عن مأخذ / ١٦٤) . وفي الحديث القدسي ، " ما جعلت

فتنة أضر على الرجال من النساء " ، كما فسر مولانا في الكتاب الأول الحديث النبوي (إنهن يغلبن العاقل ويغلبهن الجاهل) ، (الكتاب الأول الأبيات : ٢٤٤٤-٢٤٤٨) .

(٩٦٠) : أي تجل للجمال يشاهده العارف كمظهر من مظاهر الجمال الإلهي أو كما قال ابن الفارض :

وما ذاك إلا أن بدت بمظاهر فظنوا سواها وهي فيهم تجلت
وتظهر للعشاق في كل مظهر من اللبس في أشكال حسن بديعة

(انقروى - ٢٣٩/٥ - ٢٤٠)

(٩٦١) : ﴿ والتين والزيتون وطور سينين وهذا البلد الأمين ، لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم ، ثم رددناه أسفل سافلين إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم أجر غير ممنون ﴾ (التين / ١-٦) . ﴿ ومن نعمه ننكسه في الخلق أفلا يعقلون ﴾ (يس / ٦٨) . والحسن المذكور في الأبيات ، إما أن يكون الحسن المجرد ، أو الحسن الذي كان في آدم عليه السلام بالطاعة وبالعلم ، والذي نزع عنه وطرد من الجنة بذل المعصية والاستماع إلى الشيطان .

(٩٦٥ - ٩٦٧) : تساقط الحل إشارة إلى الآية الكريمة ﴿ يا بني آدم قد أنزلنا عليكم لباسا يواري سوءاتكم وريشا ولباس التقوى ذلك خير ، ذلك من آيات الله لعلهم يذكرون ، يا بني آدم لا يفتننكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوءاتهما ﴾ (الأعراف / ٢٦ وجزء من ٢٧) . والعز هو عز الطاعة بالطبع والذل هو ذل المعصية .

والشيخوخة مآل كل حي ، لكن شتان ما بين شيخوخة وشيخوخة ، بين شيخوخة تشرف على عمر من الطاعة والنضج العقلي والفكري ، وتقف على أرض صلبة مما تكون أثناء فترة الشباب والعمل ، وشيخوخة قضى صاحبها شبابه في لذات الجسد ، فلما ضاعت عنه ولم يعد قادرا عليها ضاع منه كل شيء ، الأول جميل ذو عز في شيخوخته مثلما كان في شبابه والثاني هو الذي ينكس ولا يكون له من وقار الشيخوخة وجمالها شيء بل خرف وانهيار وذل

ومسكنة .

(٩٧٤) : إنه نور الله هو الذي ينقذ المرء من أن يرتد إلى أسفل سافلين ، هو الذي يجعله ﴿ إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم أجر غير ممنون ﴾ ، إن قوته ليست من الجسد ، إنها قوة الروح وقوة الإيمان ، وإن كان واهن الجسد يكون قوى الروح ، وليست قوة الروح لأى إنسان ، ورب شيخ مهدم كانت شيخوخته هى قمة العطاء في عمره وفي حياته ، ألم يبدأ آية الله الخميني كفاحه وهو في الحادية والستين من عمره وتوجه وهو في السابعة والسبعين من عمره ، وكان حتى آخر لحظة من حياته صاحب القول الفصل فيما يعن لأمته من مشكلات !! أليس هناك شيوخ عديدون قادوا أممهم وهم في غروب العمر ، هذه شيخوخة ، لكن قوة الإيمان ووضوح الطريق ووضوح الهدف والعمل من أجل الله والناس معا ، كل ذلك يجعل الشيخوخة الجسدية تعوض بشباب الروح ، فالروح لا تشيخ ولا تعجز ولا تسقط ، إنها ليست جسداً يجرى عليها ما يجرى على الجسد .

(٩٨٤ - ٩٩١) : ليت كل جميل يعلم أن جماله عارية ، وأنه مجرد انعكاس بسيط لشمس الحسن على جدار يعكس النور لكنه لا يبعثه (انظر الكتاب الثالث حيث جاء المثال بنصه ، الأبيات ٥٥٢ وما بعده وشروحها) أتدرى ما الذي يجعلك ذاهلاً كل هذا الذهول أمام الحسان ؟! إن قبس النور قد ضوعف ويكون من خلال زجاج ملون ، هذا هو فحسب ، لكن ليتك تعتاد على مشاهدة النور دون مشاهدة هذا الزجاج (ارجع إلى الأبيات ٣٧٢ - ٣٧٩ من هذا الكتاب حيث الحديث عن جرعة الحسن) .

(٩٩٢ - ٩٩٩) : أتدرى ما هو النور أيضاً من خلال الزجاج ، إنه العلم المكتسب ، وليس العلم الذي وقر في القلب من لدن الله سبحانه وتعالى ، وهذا العلم المكتسب معرض للنسيان ، إنه مصباح مستعار ، لكنك إن نسيت ، فاشكر الله سبحانه وتعالى لأنه سوف يعوضك عن هذا النسيان بالأضعاف المضاعفة ، بالنور الذي يقذفه في القلب ، إن شرط

الشكر ، ﴿ ولئن شكرتم لأزيدنكم ﴾ ، ﴿ الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله أضل أعمالهم والذين آمنوا وعملوا الصالحات وآمنوا بما نزل على محمد وهو الحق من ربهم كفر عنهم سيئاتهم وأصلح بالهم ﴾ (محمد / ٢١) ، إن إضلال الأعمال ألا يحس الكافر بود أو شكر أو صلة قرابة ، إنه لا يحس بنصر إن بلغ أمله ، يظل طوال حياته يسرع في أثر رغباته ، ولا يحس أنه بلغ واحدة منها .

(١٠٠٨) : تمزيق الخرقه عند الصوفية : إشارة إلى ما يقوم به الصوفي عندما يبلغ به الوجد مداه في مجلس السماع فهو يمزق خرقته إربا ، ومن القطع الممزقة من الخرقه يصنع سجادة فمن المعيب أن ترتق خرقه مزقت عشقا (وخرقة الجسد إن مزقت في سبيل العشق كان ذلك علو شأن الروح) (جلبنارلى 181/5-182).

(١٠١٦ - ١٠٢٥) : عن أن العدم هو مصدر الوجود ، انظر الأبيات ١٩٦٠ وما بعدها ومن هذا الكتاب وشروحها ، والأبيات ٣٠٩٦ و ٣٦١٧ وما بعدها من الكتاب الثالث وشروحها . وعرف السبزواري الإبداع بأنه إيجاد الشيء دون أن يسبق بمادة أو بمدة (سبزواري ٣٥٦/ .

(١٠٣٠) : عن الكلام الظاهر والفكر المستتر ، انظر ١٨٩٧/١ و ١٢٨٤/٢ .

(١٠٣٧ - ١٠٣٨) : عن هذا السر انظر ١١٦٤/٣ .

(١٠٤٥ - ١٠٥٠) : { يتبع الميت ثلاثة فيرجع اثنان ويبقى واحد ، يتبعه أهله وماله وعمله فيرجع أهله وماله ويبقى عمله } (إحياء علوم الدين للغزالي ، ج ٢ ، ص ١٤٣) ونقل فروزانفر روايات عديدة عن هذا المعنى عن الشيخ الصدوق وعن حلية الأولياء وعجائب نامه وفرائد السلوك (مأخذ / ١٦٤ - ١٦٨) وكلها مجرد حكايات معتمدة على الحديث النبوي المذكور عالياً ، والحديث الذي جاء في العنوان الذي تلاه .

(١٠٧٢) : ﴿ هو الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش ، يعلم

ما يلج في الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو معكم أين ما كنتم والله بما تعملون بصير ﴿الحديد/٤﴾ .

(١٠٧٧ - ١٠٧٨) : الجواد هو الروح ، يقوم كيان المرء بها ولا يزال يتساءل أين هي .
(١٠٨٠ - ١٠٨٢) : ما أقرب هذه المعاني كلها إلى ما عبر عنه حافظ الشيرازي في بيتين
اثنين :

لسنوات والقلب يطلب منا كأس جمشيد

وما فتئ يتمنى من الآخر ما هو موجود لديه

إن تلك الجوهرة التي خرجت من صدفة الكون والمكان

تطلب (الأشياء) من التائهين على شاطئ البحر

(جامع نسخ حافظ غزل ٢٠١ ، ص ١٦٣)

(١٠٨٤) : (من جعل الهموم هما واحدا كفاه الله سائر همومه ومن تفرقت به الهموم لا يبالى الله في أى واد منها هلك) ، ورد في الأحياء مثيله (٢١٤/٤) : (من أصبح وهمه الدنيا شئت الله عليه وفرق عليه ضيعته وجعل فقره بين عينيه ولم يأت من الدنيا إلا ما كتب له ومن أصبح وهمه الآخرة جمع الله همه وحفظ عليه ضيعته وجعل غناه في قلبه وأتته الدنيا وهي راغمة) .

(١٠٨٦ - ١٠٨٨) : الغصن السيئ كناية عن الأفكار السيئة النابعة من النفس الأمارة بالسوء ، والغصن الحسن كناية عن الأفكار الحسنة النابعة من القلب وقد عبر مولانا عن نفس هذه الفكرة في الكتاب الثالث ، في جذور الأحران في القلب التي تثبت الأشواك وجذور البسط التي تهتدي إلى الأحباب ، (انظر الكتاب الثالث ، الأبيات ٣٦٠ - ٣٦٤ وشروحها) .

(١٠٨٩ - ١٠٩٤) : لعله من أبسط التعريفات عن العدل : وضع الشيء في موضعه ،

وبالتالى فالظلم وضع الشيء في غير موضعه، ومن هنا فمن الظلم أن تضع أحمال البلاء على الروح ، لأنها هي الجديرة بكل نعم الله المعنوية .

(١١٠٤ - ١١٠٨) : ذكر جليبنارلى أن الرباعية المذكورة في العنوان من رباعيات مولانا جلال الدين ووردت في الديوان الكبير (جليبنارلى 197/5) لكن لم أعثر عليها في نسختي من الديوان الكبير ، ويقول مولانا جلال الدين إن على المرء أن يتحرك ويحاول، وإن لم يكن الطريق ظاهراً له فإن الحركة هي التي تكشف الطريق ، ﴿والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا﴾ (العنكبوت : ٦٩) ، المهم من المرء الحركة ومن الله البركة ، وزليخا قد تكون هنا رمزا للنفس الأمارة بالسوء ويوسف رجل الحق ، وقد غلقت زليخا الأبواب ، إلا أن يوسف وجد النجاة من الحركة .

(١١٠٩ - ١١١٣) : يدق مولانا على فكرة سبق الحديث عنها في الكتاب الثالث ، الأبيات ٣٢٩٢ وما بعده وشروحها) والكتاب الرابع (الأبيات ٣٠٦٠ وما بعده وشروحها) كما عاد إليها بعد العنوان التالى وهى أن الإنسان قطع مراحل قوس النزول من الجمادية إلى النباتية إلى الحيوانية ثم إلى الإنسانية دون أن يدري ما هى المنازل التى قطعها وما هى طبيعتها ، وهو في مرحلة ما بين المرحلتين هذه كأنه في النوم ، وإذا بدأ قوس الصعود بالموت فسوف ينتقل أيضاً في منازل لا يعلم عنها شيئاً ، فهل درى من أين جاء حتى يدري إلى أين سيمضى ؟!

(١١١٤ - ١١١٨) : إنك إن أغلقت عينيك ترى في النوم من الأماكن والمدن ما لا يخطر لك على بال ، ثم إنك إن أغمضت عينيك عن هذه الدنيا سوف تفتحها على ما لم لا يخطر لك ببال ، لكنك لا تريد أن تغمضها ، إن هناك آلاف الأشياء التى تنتظر إليها ، أهمها جاء الدنيا وإقبال البشر (المشتريين) الذين تتوقعهم وتجذبهم إليك ، إنك لا تهتم إلا بالجاء والناس مثلاً تنتهم بومة النحس بالخرائب ، وبضاعتك هباء ، ولا قيمة لها ، ولو كان عندك قوت من النور

الإلهي لما اهتمت أدنى اهتمام بإقبال الناس عليك .

(١١١٩) : بهذا البيت تبدأ قصة أخرى من القصص التي تجاهل فروزانفر البحث عن أصولها ، والقصة من التراث الشهير جدا بحيث انتقلت إلى الأدب الشعبي والخليفة المذكور في الروايات الشعبية هو هارون الرشيد .

(١١٢٥ - ١١٢٩) : انظر شروح الأبيات ١١٠٩ - ١١١٣ من نفس هذا الكتاب .

(١١٣٥) : دار السلام قد تكون بغداد وقد تكون الجنة وهو الأرجح على أساس أن الإنسان هبط من الجنة ، وعلى أساس أن ما يقابلها بالفعل دار الملام أي الأرض .

(١١٥٥ - ١١٥٩) : المثال هنا يشبه الحديث إلى الجنين الوارد في الكتاب الثالث (الأبيات ٥٤ وما بعده وشروحها) والمنقول بدوره من إحياء علوم الدين للغزالي: " فنسبة عموم القيامة الكبرى إلى خصوص القيامة الصغرى كنسبة سعة فضاء العالم إلى سعة فضاء الرحم، ونسبة العالم الذي يقدم عليه العبد بالموت إلى سعة فضاء الدنيا كنسبة فضاء الدنيا إلى الرحم بل أوسع وأعظم ، فقس الآخرة بالأولى فما خلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة . (إحياء علوم الدين ٦٤/٤) .

(١١٦٥ - ١١٧٠) : تناول مولانا هذه الفكرة بشكل مبسط في الكتاب الذي بين أيدينا (الأبيات ١٧٤ - ١٨٢) ويعود إليها هنا على أساس أن العهد بالنسبة للإنسان هو بمثابة الجذر بالنسبة للشجرة ، وإن كانت الشجرة خضراء وجذرها فاسد فسرعان ما يختفي ، وربما إذا فسرنا هذا الأمر بلغة معاصرة نقول أن معيار الإنسانية بالشعور بالالتزام تجاه الخالق والرسالة الملقاة على عاتق الإنسان ، بأن يسعى إلى ربه سعيا فيلقيه ، وأن يكون في الأرض جديرا بالنفس الإلهي الذي نفخ فيه ، وإن لم يحس الإنسان أنه مسئول أمام من هو أعلى ، فإن طبيعته النزاعة إلى الشر سوف تجره إلى أسفل ، بل وتصير كل مجهوداته حتى العظيم والمتعالى منها مجرد غطاء لا جدوى منه ، قشور ، فإن التزام الإنسان أمام الله في سره وجهره وفي

العلم الذي يقوم به و في سعيه يمنح الإنسان تعاليا وتساميا في أهدافه ، ويهذب كثيرا من النفس البشرية النزاعة إلى الهوى وإلى الدم ، ويمنح كثيرا من نشاطاته جانبا يجعلها أكثر رأفة ورحمة بالإنسانية ، هذا الجانب في الالتزام الإلهي خصيصة إسلامية يسيطر على كل مناحي الحياة الإسلامية حتى الفكرية والاقتصادية منها (انظر جعفرى ١١/٤١٠-٤١٨) .

(١١٧١ - ١١٧٩) : إذا كنت تريد أن ترى نموذجا حيا على فوائد الوفاء بالعهد ومضار الغدر فانظر إلى جزاء من أوفوا ، وإلى الشياطين الذين غدروا ، والوفاء بالعهد من صفات الله سبحانه وتعالى (انظر الكتاب الثالث ، الأبيات ٣٢٤ وما بعده وشروحها) . وليكن اعترافك بالعهد مقرونا بالصمت ، فالأمر أمر عمل لا أمر شقشقة باللسان " فمن قل كلامه كمل عقله " كما قال الإمام على عليه السلام ، أو كما قال جعفر الصادق عليه السلام " قلب الأحمق في فمه وفم الحكيم في قلبه " (جعفرى / ١١-٤٣٢) .

(١١٨٠) : يقول مولانا الحسد عصيان ، لأنه تدخل في ملكوت الله وفي عطائه ، وكان أول الحاسدين إبليس ، وجرد حسده إلى الشرك وإلى العصيان ، لأنه حسد آدم ، فأبى السجود واستكبر وطرده من ملكوت الله .

(١١٨١ - ١١٨٤) : وفاء العبد يقابله وفاء الحق ﴿ وأوفوا بعهدى أوف بعهدكم وإياى فارهبون ﴾ (البقرة / ٤٠) ، وللفكرة أكثر تفصيلا ، انظر الكتاب الثالث ، الأبيات ٣٢٤ وما بعده وشروحها) .

(١١٨٨ - ١١٩٢) : دعك من الدعاء باللسان وازرع في مزرعة الدنيا ما بقى من مالك ومن أعمالك وابذرهما وانثرهما في سبيل الله تعالى ، فإن كل بذرة تتطلب أن تكون شجرة ودعاؤك وتضرعك يهبك أشجار العناية الإلهية وحتى وإن لم تكن عندك بذورها ، فمتى تقف العناية الإلهية والقدرة الإلهية عند الأسباب ، مثل مريم البتول لقد كان لها الرطب الجنى لأنها هزت النخل اليابس بأمر الله ، وألم يكن سبحانه وتعالى قادرا على أن ينزل عليها الرطب بلا

نخل ولا هز؟! كان قادرا سبحانه وتعالى لكن الضراعة والألم ذات تأثير عظيم في استئزال
رحمة الله سبحانه وتعالى (انظر البكاء وتأثيره في استجلاب الرحمة في هذا الكتاب الأبيات
١٣٥ وما بعده وشروحها) .

(١١٩٦ - ١١٩٩) : هناك من الأمور من يجب الثبات عليه ، ويكون الثبات عليه أمرا
صعبا ، ولا يدعو مولانا جلال الدين هنا الله بأن يهب الثبات في كل أمر ، بل في ما يجب
من أمور : السلوك والطريق ، والعكوف على العلم ، والزهد في المادة في عالم أصبح يقيس
كل شيء بالمادة ، والسير في طريق يراه الآخرون " غير مجز " ، و " غير مجد " ، ينظر
الآخرون إليه بعجب ، ودهشة يحاولون إثناءه عن هذا الطريق الذي لا خير فيه ، في حين أن
الإنسانية لم تتقدم إلا بأولئك الذين ساروا في طرق غير مسلوكة ، وعكفوا على تنمية النور
الذي وضعه الله في القلب وفي العقل وفي الذهن ، وتحملوا سخرية الآخرين الذين يسيرون
في الطرق المأهولة الموصلة إلى الغنى والثروة ويغيرونها كلما اسدعت الحاجة ، أو كلما
نزعت النفس إلى الهوى ، أولئك الذين يرون " الدنيا تجارة " ، فهم يغيرون معروضات
محلاتهم طبقا " لرغبات الجماهير " ، و " آخر الواردات " ، هؤلاء الرجال " المعارض " ،
لا يتأتى منهم جديد ، انهم ينتظرون الجديد فحسب .

(١٢٠٠ - ١٢٠٧) : إن هذا التنقل والتغير وتغيير مجال العمل وأسلوب الحديث (وأحيانا
الأسرة والمعارف والأصدقاء) منشؤه الأصلي هو الحسد ، يتحاسد الناس في سبيل ماذا؟!
السلطة والثروة والنساء ، فهل هي أمور ثابتة أو دائمة ؟ هل دامت لأحد ، هل تدوم السلطة
أو الثروة ، وهل تدوم لحظات متعة الشهوة والجسد ، حتى أولئك الذين سارت الركبان
بقصص حبهم وعشقهم ، يس ومعشوقته رامين وخسرو ومعشوقته شيرين ، أين هم الآن ،
فنوا وفنى حبهم وعشقهم ومعشوقهم ، فما كان عشقهم عشقا وما كان معشوقهم بالذي يستحق
كل هذا ، ضعف الطالب والمطلوب ، وفنى العاشق والمعشوق . وكلهم عدم عاشق لعدم ،

وما جعل الله العدم عاشقاً للعدم ، إلا لكي يضرب العدم ببعضه ، فيحمي سوق الدنيا القائم على الغفلة ، وينقلب العدم إلى وجود ، فهذا التحاسد هو الوقود الذي يجعل هذه الدنيا تبدو ذات وجود حقيقى .

(١٢١٠ - ١٢١٦) : لولا أن جعل الله من الشريعة عامل تلطيف في هذه الدنيا ، لفنى الناس تحاسدا وتباغضا ، ولاشتعلت نيران الحسد في كل مكان ، ولاعتدى القوى على الضعيف ولأكل الغنى الفقير ولانقلب المجتمع إلى غابة ، والشريعة واضحة ، من خلالها يعلم كل إنسان حقه ، ولا محيص له من قبول ما تحكم به الشريعة لأنها من لدن لطيف خبير يعلم من خلق ، وليست من وضع إنسان ، يعرضها كل لحظة للتغيير والتبديل ، والذي لا يقبل الشرع يبقى شيطانا حسودا يملأ هذه الجيفة القبيحة المسماة بالدنيا حسدا وحقدا .

(١٢١٦ - ١٢٢٤) : هكذا عندما تغيب الشريعة عن مجتمع ما ، فإن الذي يسطر على هذا المجتمع شياطين الجن وشياطين الإنس ، فمن اليسير الاحتيال على قوانين الأرض ، لكن متى كان الاحتيال على قوانين السماء ، ويستوى شياطين الجن وشياطين الإنس في جعل الأرض على هذه الدرجة من السوء والتدنى والتباغض والتحاسد والتقاتل ، وسرعان ما تطبع الشياطين بنى آدم بطابعها الذي يغلب عليه الحقد والحسد ﴿ وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الإنس والجن يوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا ﴾ (الأنعام/١١٢) ، وانظر إلى مجتمع غابت عنه الشريعة ، وترك الناس ينطلقون وفق أهوائهم وغرائزهم دون ضابط أو رابط ، كلهم ساقطون في حبال الشيطان ، يستعين بهم الشيطان يجعل منهم المحتال والنصاب والقواد والديوث ، ينقلب المجتمع إلى قطعة من جهنم حيث لا قيم ولا أخلاق ولا فضيلة ولا علم ولا فن ، بل تدن وسقوط وانهايار ، وغيبة للعقل والمنطق والوعى ، وسقوط للبشر يوما بعد يوم ، بحيث يحتاج بقاء المرء نظيفا إلى قوة فوق قوى البشر .

(١٢٢٦ - ١٢٣٥) : عودة إلى قصة الخليفة ومدعى النبوة ، فالخليفة يسأله عن وحيه وعما

نزل به هذا الوحي عليه ، ويجب الرجل إجابة خليفة حقا بالعقل وبالإنسان ، ولعلها إجابة جلال الدين نفسه ، لتعرض أن الوحي النازل على محمد بن عبد الله ﷺ قد انقطع بوفاته ، فهل يوجد إنسان بلا وحي ؟! هل الإنسان أقل من النحل ؟! الذي نزل فيه ﴿ وأوحى ربك إلى النحل أن اتخذي من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون ﴾ (النحل / ٦٨) ، أيكون الإنسان الذي نزلت فيه آية ﴿ ولقد كرّمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا ﴾ (الإسراء / ٧٠) ، أيكون مثل هذا المخلوق أقل من النحل بحيث يوحى إلى النحل ولا يوحى إليه ؟! وكيف تقرأ ﴿ إنا أعطيناك الكوثر ﴾ ، وتبقى ناظرا لنفسك على أنك أقل من أن يوحى إليك ؟! أليس هذا الكوثر هو الخير مجموعا كله ، وهو أصل الخير ، وهل يمكن أن يختص محمد ﷺ بالخير ، دون محبيه وتابعيه والمؤمنين بالنور الذي نزل عليه ، وهل يكون النص منقطعاً ؟ لا بل إن كل من ترى في وجهه سيماء الإيمان ونضرة الاتباع لابد أنه نال نصيبا من هذا العطاء سواء كان القرآن أو حوض الكوثر أو الخير الكثير (شرح المثنوى للسبزواري ٣٦١/٥ - جعفرى ٣٤٨/١١) وإذا كان المرء مع من أحب ، وكان فيه صفة الإيمان (والمؤمن إذا أحب أحب لله وإذا أبغض أبغض لله) (انقروى ٣٠٣/٥) ، ليس هذا فحسب ، وأنت إذا آمنت بالنبوة وحزت شرفها ووصلت إلى مرتبة ﴿ ولقد كرّمنا ﴾ ، صار قلبك محل الوحي الإلهامى والإلهام إفهام القلب وما يلقى في الروح بطريق الفيض الإلهى فهناك بلا شك تقارب في المعنى ، قال جامى : " اعلم أن الفيوضات من الحق تعالى على قلوب كل عباده على نوعين منها ما يفيض عليهم بواسطة الملك بعبارات محفوظة عن التغيير مرادة تلاوتها وهو القرآن المنزل على نبينا ﷺ ومنها ما يفيض عليهم بغير واسطة وهى معانى صرفة وهذا النوع ليس مخصوصاً بالأنبياء بل يعم الأولياء وصالحى المؤمنين (مولوى ١٧٨/٥) .

(١٢٣٦ - ١٢٤١) : إذا أردت هذا الوحي ، فكن طالبا للكوثر ، وأين يطلب الكوثر إلا من

محمد بن عبد الله ﷺ وإلا عند من سبقوك إلى شرب هذا الكوثر ، لكن إن وجدت إنساناً لم يشرب من هذا الكوثر فاهرب منه ، إنه كالموت وإنه كالحمي ، يصيبك الجهل الذي عنده بموت الروح وهو أشد موت وإن كان الجسد حياً ، فر من مثل هذا الإنسان ولو كان أباك ، ولك في إبراهيم عليه السلام أسوة حسنة ﴿ وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعدها إياه فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه إن إبراهيم لأواه حليم ﴾ (التوبة ١١٤) ، وأنت دون علم بهذا الطريق ما لم توف سر "لا وإلا" أى "لا إله إلا الله" أى سر التوحيد ، فالتوحيد أفراد لله سبحانه وتعالى عما سواه أو فيما ذهب إليه السبزواري وأن "لا" نفى للتعينيات وسلب للماهيات والسرابات وإلا إثبات للذات وماء الحياة (شرح مثوى ٣٦١/٥) وهذا هو المنهاج الواضح لهذا الطريق وسره الأول .

(١٢٤٢) : العنوان الوارد قبل البيت يحتوى على الآية الكريمة ﴿ تتجافى جنوبهم عن المضاجع ﴾ (السجدة ١٦) وجرجيس عليه السلام أحد الأنبياء ظهر في الفترة بين بعثة عيسى وبعثة محمد ﷺ وورد في دائرة المعارف التركية أنه قد ولد في الرملة وتوفي سنة ٣٠٣ ميلادية في نيقوميديا ، وكان مأموراً بدعوة حاكم الموصل ، واستشهد أربع مرات تحت تعذيب هذا الحاكم " وفي رأى لاستعلامي ٢٧٦/٥ سبعين مرة" ويسمى عند المسلمين سان جورج ، ولجرجيس بالذات وجود في المأثور الشيعي فقد وردت عنه حكايات كثيرة في بحار الأنوار للمجلسي ، وفي المأثور الشعبي الفارسي هناك مثل يقال عند تعرض المرء للكوارث دائماً " وكان نبيه من بين الأنبياء هو جرجيس" (انظر جلبنارلي ٢٢٣-٢٢٢) ورد فروزانفر الحكاية إلى ما ورد في إحياء علوم الدين " رأيت رجلاً متعلقاً بكم صبي وهو يتضرع إليه ويظهر له المحبة فالتفت إليه الصبي وقال له إلى متى هذا الالتفات الذي تظهره لي؟! فقال: حتى تعلم الله أني صادق فيما أورده حتى لو قلت لي مت لمت، قال إن كنت صادقاً فمت قال : فتحنى الرجل وغمض عينيه فوجده ميتاً" (إحياء ٣٤٠/٤) ، كما ورد

ما يشبه هذا في ألف ليلة وليلة وقائع الليلة السابعة بعد الأربعمئة (مأخذ ١٦٩) وما أشبه هذا بما ورد عند ابن الفارض :

وجانب جناب الوصل هيهات لم تكن * وها أنت حي ، إن تكن صادقاً فمت .
(انقروى ٣٠٧/٥).

(١٢٤٧ - ١٢٥١) : المفروض أن العاشق لا يتحدث كثيراً عن عشقه فهذا أمر بالعمل والفعل وليس بالكلام ، فضلاً عن أن لغة العشق هي الإشارة والإيماء ، لكن العاشق مع ذلك لا يمل الكلام عن عشقه ومعشوقه خاصة إذا كان هذا المعشوق مستحقاً لهذا العشق وليس من قبيل العشق الذى تكون عاقبته عاراً ، والعاشق لا يتحدث لكى يعدد أياديه على المعشوق ، بل لأنه بمجرد الحديث (انظر عن الحديث أو الصمت فى العشق الأبيات ٤٧١٠ وما بعده من الكتاب الثالث وشروحها) والنار الموجودة فى داخل العاشق ولا يمكن التعبير عنها أشبه بما يقوله حافظ الشيرازى :

لا أدري من يوجد فى داخلى أنا المتعب القلب

فأنا صامت لكنه هو فى صياح وعويل

لعله السر الذى العاشق انه اصبح متواجداً به بحيث يصبح معه واحداً (حافظ نامہ لبہاء الدین خرمشاہی ١٩٨/١) .

(١٢٦٥) : الحكاية الواردة هنا ذات تشابه بما ورد عن محمد بن على بن الحسن بإسناده عن منصور بن يونس أنه سأل الصادق رضى الله عنه عن الرجل يتباكى فى الصلاة المفروضة حتى يبكى فقال قره عين والله وقال إذا كان ذلك فاذكرونى عنده" وبرواية أخرى عن أبى حنيفة قال سألت أبا عبد الله عن البكاء فى الصلاة يقطع الصلاة فقال إن بكى لذكر جنة أوفى فذلك هو أفضل الأعمال فى الصلاة، وإن كان ذكر ميتاً له فصلاته فاسدة .

(١٢٧١) : زويت لى الأرض : إشارة إلى الحديث النبوى { إن الله زوى لى الأرض أى

جميعها فرأيت مشارقتها ومغاربها وسيبلغ ملك أمتي إلى ما زوى لي منها { (انقروى ٣١٣/٥) ولم يتناول فروزانفر أصل الحكاية ، والواقع أنها ليست حكاية بالمعنى المفهوم ، بل مجموعة من الأفكار الصوفية وضع لها مولانا شخصاً ، والأبيات تتناول مفهوماً شائعاً عن الوجد والتواجد ، فالوجد صفة الشيوخ ، والتواجد صفة المريدين ويصوره إبراهيم بن المستملى البخارى بصورة أدبية رائعة حيث إن التواجد يبدو فى ظاهره كأنه السيل المندفِع لكنه عندما يصل إلى البحر يضيع فى خضمه ومن ثم فالتواجد صفة السالكين وعندما يصل السالك إلى الوطن لا يبقى التواجد (شرح التعرف ٣١/٤) والوجد خاص بكبار المشايخ لأنه بشارات الحق بالترقى إلى مقامات مشاهداته ، ومن ثم يكون التقليد من المريِد مذموماً (شرح التعرف ٢٦/٤) وعند الهجویری " من شعر بالوجد فإما أن يكون مضطرباً بالشوق المحرق فى حال الحجاب ، أو مستكيناً بالمشاهدة فى حال الكشف ، إما زفير وإما نفير ، إما حنين وإما أنين ، إما عيش وإما طيش ، إما كرب وإما طرب ، والتواجد هو تكلف الوجد بملاحظة نعم الله تعالى وآياته بالقلب والفكر فى الاتصال والرغبة فى أعمال الصالحين ، وبعضهم يتواجد على حسب الرسم ويقلدونهم بحركاتهم الظاهرة ، ومثل هذا التواجد حرام لكن بعضهم يفعلونه رغبة فى الوصول إلى أحوال كبار الصوفية ومقاماتهم ومن تشبه بقوم فهو منهم ، (كشف المحجوب : الترجمة العربية ٤٩٩-٥٠١) والوجد هو أول درجات الخصوص وهو ميراث الصديق بالغيب فى قول لأبى سعيد الأعرابى وأشبهه بما ورد هنا ما روى عن ذى النون المصرى من أنه سمع أبياتاً من الشعر فقام وسقط على وجهه ثم قام رجل آخر فقال ذو النون : الذى يراك حين تقوم ، فجلس ذلك الرجل وكان ذاك إطلاعاً من ذى النون على قلبه انه متواجد متكلف (إحياء علوم الدين ٢/٢٩١) وواضح من السياق هنا أن مولانا جلال الدين لا يحبذ التكلف فى إظهار الوجد من قبل المريدين الذين يقلدون الشيوخ تقليداً ، فإن الأمر هنا ليس بالتقليد بل بالذوق وعلى المريِد أن يقتبس من نور الشيخ وألا يجد فى نفسه القابلية

على تقليده حتى فى الأمور الظاهرة .

(١٢٧٤ - ١٢٨٢) : يقدم مولانا عدداً من الأمثلة والصور لكى يبين كيف أن المرید الساذج يظن وهو لا يزال فى أول الطريق أنه قد بلغ مرحلة تتیح له أن يفعل ما يفعله الشيخ، وما ذاك إلا لأن شعاعاً من الشيخ قد سطع علیه وهو يظن أن هذا الشعاع من نفسه هو ، إن هذا الذى يظن أن الشعاع منه هو قد يزل وقد يطغى وقد يلقي به غروره هذا فى مهاوى النفاق والكفر ، فهو كالأصم الذى لا يسمع ما يقال ويرى القوم يضحكون فيضحك مثلهم ، وهو كالسلة فى الماء تظن الماء فيها وهو خارجها ، وكالمشكاة التى يتلأأ فيها ضوء القمر ، وقد وردت هذه الفكرة فى الكتاب الأول (الأبيات ٣٢٣٧-٣٢٤٠) .

ويبين مولانا فى نفس الموضع قصة كاتب الوحي ، الذى كان شعاع الرسول ﷺ ينعكس علیه ، فتجرى فى بواطنه أنهار الحكمة التى يأتى بها الوحي ، فظن أنه يوحى إليه ، إلى هذا الحد قد يدير نفسه من يظن لنفسه جناحاً قبل أن ينبت له ريش .

(١٢٨٤ - ١٢٩٦) : هناك مرحلتان لا بد وأن يمر المرید بهما المرحلة الأولى هى مرحلة الوهم والظن والخيال والتقليد، وهو فى هذه المرحلة يميل إلى النقاش والفيهقة فى الحديث والتعاليم، وما أشبهه فى هذه المرحلة بالطفل الميال إلى الصخب الذى يظن بامتطائه الأعواد أنه يمتطى الخيول ويملاً حجره بقطع الفخار ويعتبرها ذهباً (انظر كليات ديوان شمس غزل رقم ١٣٥٣ ، ص ٥٢٥) وعندما يصل إلى محفل الرجال ينظر إلى حياته الماضية نظرة إشفاق وسخرية ، ويدرك أنه مهما كان ماهراً فإنه عندما يصل إلى أولئك الذين يعيشون فى البحار والمحيطات يدرك أن قدمه التى كان يسرع بها على البر كانت وسيلة متواضعة جداً وأن علمه المدعى كان يبتعد به عن العلم الحقيقى .

(١٣٠٠ - ١٣١٢) : مقابلة أخرى بين عالم المرید وعالم الشيخ ، وبين بكاء المرید وبكاء الشيخ ، وشتان ما بين هذين النوعين من البكاء، فالمرید قد يبكى لكن بكاءه قد يكون من

حزن وقد يكون من فرح، ولا يعلم أن هناك أسباباً أخرى قد يبكي منها الشيخ الذي قد يكون بكاءه وقد يكون ضحكه لأسباب لا تدور للمريد في خلد ، إن بكاءه مثله تماماً لا بد وأن يكون من نوع آخر ، هذه العين التي تبصر ما لا يبصره الآخرون كيف يكون دمعها نابعاً من أسباب كالأسباب التي يبكي منها الآخرون؟ وكيف يمكن للمريد بوسائله القاصرة أن يدرك بكاءً لا هو بالعقل ولا هو بالحواس وكيف يقيس نفسه به؟ كيف يقاس الليل بالنهار والبعوضة بالرياح؟! (انظر الكتاب الثالث الأبيات ٤٦٣٠ وما بعده وشروحها) .

(١٣١٦ - ١٣٣٢) : كم تتشابه أشياء كثيرة في المظهر لكنها في المخبر متباعدة ويوجد فيما بينها بعد المشرقين ، تتشابه كل الحروف ، لكن متى كانت كل الحروف ذات تأثير كتلك الحروف التي تجيء في فواتح السور ؟ ألم يقل ابن عباس إن لكل شيء لباباً ولباب القرآن الحواميم ؟ وألم يقل الشيخ الأكبر في الفتوحات حاء الحواميم سر الله في السور أخفى حقيقته عن رؤية البشر (انقروى ٣٢١/٥) لقد أخفى سر هذه الفواتح عن جبريل نفسه، وإنما كان الله سبحانه وتعالى يريد أن يعلم الرسول ﷺ شيئاً لا يريد أن يعلمه جبريل نفسه ، وقد روى في الأخبار أن جبريل عليه السلام لما نزل بقول الله تعالى كهيعص فلما قال كاف قال قال النبي ﷺ علمت، فقال ما فقال علمت، فقال يا فقال علمت، فقال عين فقال علمت، فقال ص فقال علمت، فقال جبريل كيف علمت ما لم أعلم (مولوى ٢٠٠/٥ وانظر أيضاً تفسير كهيعص في الدفتر الرابع) هذا التفسير من الصوفية لفواتح السور يلتقى مع تفسيرهم للمعراج والمرحلة التي وقف عندها جبريل وتقدم الرسول ﷺ هذا الاصطفاء ميراث من الرسول ﷺ للأولياء والمشايخ المرشدين ، فإياك أن تظنهم مثلك ويشبهونك ولا تقم بقياس حالك على أحوال الأطهار ، فهناك فرق شاسع بين كلمتي "شير" بمعنى أسد و "شير" بمعنى لبن وإن كانت يكتبان في صورة واحدة وهذا من أوائل الموضوعات التي تحدث عنها مولانا جلال الدين في المثنوى ولا يفتأ يعود إليها بين الآن والآخر (انظر الكتاب الأول الأبيات : ٢٦٤ -

٢٧٧ وشروحها) .

مثل هذا الدق الشديد على هذا الموضوع بين طبيعة نظرة مولانا جلال الدين التى تحاول أن تعرى النفاق والتقليد والوقوف على الظاهر والتظاهر ، إن الناس ينظرون نظرات سطحية ، يحبون ويغضون ، يوافقون ويعترضون ، وفى موقف الاعتراض ، تضع كثير من الأمور الدقيقة التى لا يدركها كل إنسان، إنها فى حاجة إلى ذوق ، وإلى مرشد ، وإلى معلم ، وكم من المصائب والكوارث يقع فيها الإنسان الذى يظن أنه أصبح كبيراً على المرشد وعلى المعلم ويريد أن يتظاهر بالإرشاد والتعليم ، فيورد نفسه موارد التهلكة .

(١٣٣٣) : بهذا البيت تبدأ واحدة من أكثر حكايات مثنوى مولانا جلال الدين إثارة للنقاش والاستهجان بحيث قال محمد تقى جعفرى صراحة أن مثل هذا الحديث ومثل هذا الأسلوب لم يكن منتظراً من مولانا ولا كان يصح أن يصدر عنه (محمد تقى جعفرى مثنوى ١١/٤٧٥) ، ومن ثم لم يشرح الحكاية ولم يعلق عليها والحكاية من الحكايات الشائعة فى المأثور الشعبى ، ويقوم عليها مثل يقول "كيرديدى كدو نديدى" "رأيت الذكر ولم تر القرعة" لمن يرى محاسن الشيء دون أن يرى مخاطره ، وذكر استعلامى أن الحكاية لا مثيل لها قبل جلال الدين والواقع أنها موجودة فى المأثور الشعبى المصرى بكل تفصيلاتها وأذكر أننى سمعتها منذ وقت بعيد كما ذكر زرین كوب "سرنى ، جلد ١ ، ص ٣٢٥ ، ط ٣ ، تهران علمى ١٣٦٨" نقلاً عن نيكلسون أن القصة تذكر فى بعض تفصيلاتها بالقصة اليونانية المسخ القائمة على ممارسة امرأة للجنس مع حمار كان إنساناً ومسخه أحد السحرة. والواقع أن ثورة شراح المثنوى من المعاصرين على هذه الحكاية ليس له ما يبرره ، فأمثال هذه الحكايات عند مولانا تضرب للتمثيل ولشرح معان سامية ، وطالما قلنا أن المثنوى نص متعدد المستويات ، وهو نص تعليمى فى المقام الأول ، ووجود الحكايات ذات المدلول الجنسى منه ضرورة كان العصر يتقبلها ، وكل موسوعات الفكر الإسلامى التراثى تحتوى على أبواب كاملة تتحدث

صراحة عن الأمور الجنسية ، فلم يكن القوم ينظرون إليها نظرة الحرج التى ينظر بها المعاصرون ، وطالما دق سنائى ودق جلال الرومى على أن هزلها ليس هزلاً إنه تعليم ، ومستويات المريدين متفاوتة ، وقوة التعبير فى هذه الموضوعات تستلزم قدراً من الصراحة ، والموقف كله موقف شاذ ، موقف المرأة التى تمارس الجنس مع حمار ، وفى ألف ليلة وليلة هناك جارية تمارس الجنس مع دب ، وحكايات هذه العلاقات الشاذة جزء من التراث الإنسانى نظر إليها الإسلام نظرته إلى موضوعات عادية جداً وطبيعية جداً وجزء من النفس البشرية وضعفها والتوائها وسقوطها ، وهذا النص "القضاء الذين ينادمون الوزير المهلبى ويجتمعون عنده فى الأسبوع ليلتين على اطراح الحشمة والتبسط فى القصف والخلاعة وهم ابن قريعة وابن معروف والقاضى التتوخى وما منهم إلا أبيض اللحية طويلها وكذلك كان المهلبى ، فإذا تكامل الأنس وطاب المجلس ولذ السماع وأخذ الطرب منهم مأخذه ، وهبوا ثوب الوقار للعقار ، وتقلبوا فى أعطاف العيش بين الخفة والطيش ، فإذا أصبحوا عادوا إلى عاداتهم فى التزمت والتوقر والتحفظ بأبهة القضاء وحشمة المشايخ الكبراء" (ياقوت الحموى معجم الأدباء ١٤/١٦٦ عن الإسلام والجنس تأليف عبد الوهاب بو حديبة ترجمة هالة العورى ص ١٩٠ القاهرة مدبولى ١٩٨٧) والنص التالى أيضاً من مسامرة أبى حيان التوحيدى للوزير أبى عبد الله العارض ومحادثته فى شتى صنوف المعرفة الإنسانية التى امتدت إلى أربعين ليلة ، ولنلق نظرة على الموضوع الذى تناولته الليلة الثامنة عشرة "وقال مرة: تعال حتى نجعل ليلتنا هذه مجونية ونأخذ من الهزل بنصيب وافر ، فإن الجد قد كدنا ونال من قوانا وملأنا قبضاً وكرباً ، هات من عندك ، قلت : قال حسنون المجنون بالكوفة يوماً وقد اجتمع إليه المجان يصف كل واحد منهم لذات الدنيا فقال : أما أنا فأصف ما جربته فقالوا : هات فقال : الأمن والعافية وصفع الصلع الزرق وحك الجرب وأكل الرمان فى الصيف والطلاء فى كل شهرين وإتيان النساء الرعن والصبيان الزعر ، والمشى بلا سراويل بين يدي من لا تحتشمه ،

والعريضة على الثقيل ، وقلة خلاف من تحبه والتمرس بالحمقى ومؤاخذة ذوى الرفاء ، وترك معاشر السفلة" ومتن المؤانسة فى هذه الليلة لتغطى عشر صفحات من المجون ، ويعلق الناشر الذى علته حمرة الخجل "ويلاحظ أن المؤلف قد أتى فى هذه الليلة ببعض المجون الساقط والنوادر المبتذلة ولولا الأمانة العلية والإخلاص للتاريخ لحذفنا أكثرها واكتفينا بما لطف ورق ولم ينب عن الذوق" (الإسلام والجنس ١٨٦-١٨٧) نعم قد ينفر الذوق الغربى أو المستغرب الذى ينظر إلى الجنس فى الأصل كخطيئة وليس كجانب طبيعى من جوانب الحياة ، أو على الأقل كنوع من الضعف كما نظر إليه مولانا ، ومن هنا ترجم نيكلسون بعض أبيات الحكاية إلى اللاتينية لكى تكون فى متناول بعض خاصة المتقنين فحسب ، وهذا الموقف ناشئ عن اختلاف النظرة واختلاف التراث ، فالأدب الجنىسى يمتد فى تراثنا الإسلامى عبر ألف عام منذ الجاحظ وحتى حسن خان (مؤلف عثمانى فى القرن التاسع عشر) وقد أورد ابن النديم فى الفهرست قائمة بمائة رسالة ونيف لم يبق منها إلا القليل (يرجع إلى عرض ما تبقى منها فى الكتاب القيم الإسلام والجنس من ص ٢٠٣-٢٢٢) فلم يكن جلال الدين بدعاً لا فى تيار الآداب الإسلامية على وجه العموم ولا فى تيار الأدب الفارسى ، فقد كان معاصره الشيخ سعدى الشيرازى حكيماً لا يشق له غبار ومع ذلك كتب الخبائث والهزليات والمضحكات وهو مؤلف الكلستان والبستان ومن قبله كان سنائى ذلك الأستاذ الجهم ومع ذلك فقد ضمن حقيقة الحقيقة حكايات لا تقل ابتذالاً "فى مفهومنا" عن هذه الحكاية، ومن بعده كان عبيد الزاكاني أعظم شعراء الفرس فى فن السخرية ، ومعهم وقبلهم كان سوزنى وأبو العلاء الكنجوى ، وعندما سقط بعض هذا التراث فى شعر الشاعر المعاصر ايرج ميرزا جلال الممالك قامت الدنيا ولم تقعد على كل حال كان مولانا جلال الدين بهذه الحكاية يحاول أن يشرح لنا بشاعة الشذوذ والجهل معاً ، والجهل المركب الذى يأخذ من الأمور بطرف لكنه يتكبر عن السؤال فتكون النهاية المفجعة بمفاد "كل ناقص ملعون" وهو حديث نبوى .

(١٣٤٢) : "من طلب شيئاً وجد وجد" ومن قرع باباً ولج ولج" حديثان منسوبان إلى الرسول ﷺ (انقروى ٣٢٧/٥) .

(١٣٦٣ - ١٣٦٤) : فسر استعلامى (٢٨٢/٥) البيتين بأنها صارت سعيدة سعادة من صار ماعزه الفأ ، وهذا تفسير خاطئ فالحديث حقاً عن شهوة الماعز ، وعن أن الماعز تصاد لإسراعها خلف الذكر من جبل إلى جبل بحيث إن الصيادين يكمنون بين جبلين عارفين بأن الماعز سوف تقفز إلى الذكر من جبل إلى آخر ، وتصور لها الشهوة أن المسافة بين الجبلين قصيرة للغاية فتسقط (من شهوتها) فريسة سهلة للصيادين (أنظر الكتاب الثالث من مثوى جلال الدين الأبيات ٨٠٧-٨١٧ وشروحها) .

(١٣٦٧) : من أجل الانجذاب والتحول انظر الكتاب الثالث من مثوى جلال الدين الأبيات ٤٧٢٢-٤٧٢٥ وشرحها) .

(١٣٧٣-١٣٨٢) : نفس التفسير النبوى لقوة الشهوة ، إذا أمر الرسول ﷺ بالصوم ، ويدق مولانا فى مواضع كثيرة من المثوى على قلة الطعام اتباعاً للصوفية الذين قالوا "أم الشهوات شهوة الطعام" وفى هذا الجزء من المثوى تفسير للحديث النبوى { المؤمن يأكل فى معنى واحد والكافر يأكل فى سبعة أمعاء } (وينظر أيضاً الأبيات ١٦٣١-١٦٥١ و ١٩٧٢ من الكتاب الأول) لكن مولانا يلجأ إلى التوسط والاعتدال ، ولا يأمر بقمع الشهوة قمعاً كاملاً أو تجاهلها ، فلا رهبانية فى الإسلام وينصح بالزواج ، والقط يرمز إلى هوى النفس وكثيراً ما استخدم مولانا هذا التعبير ، أما الشحمة فهى التقوى وسلامة الروح ، وسرقة القط للشحمة مثل فارسي سائر ، وقد ربط نيكلسون بين هذا البيت وقصة الرجل النفاج الذى كان يدهم شاربته بالشحمة الواردة فى الكتاب الثالث (البيت ٧٥٨ وما بعده) ولا علاقة بينهما ، والحمار الذى يبرطع هو الشهوة ، والقدر والنار والحساء كلها رموز جنسية لا تخفى ، والمقصود كله كبح جماح الشهوة وإلا أحرقت صاحبها بنارها .

(١٣٩١): عذاب الخزى هو الواردة فى الآية الكريمة ﴿ فأرسلنا عليهم ريحاً صرصراً فى أيام نحسات لنذيقنهم عذاب الخزى فى الحياة الدنيا ولعذاب الآخرة أخزى وهم لا ينصرون ﴾ (فصلت ١٦) .

(١٣٩٢ - ١٣٩٩) : المستفاد من هذه الحكاية أن هذا الحمار ما هو إلا النفس البهيمية ، وما الخاضع للنفس البهيمية إلا مثل تلك المرأة العجوز التى هلكت هلاكاً مقترناً بالفضيحة والعار ، وهكذا فإن الناس فى القيامة يحشرون على صورة نفوسهم ويحشرون على صورة الحيوانات التى تمثلها نفوسهم (انظر الكتاب الرابع ٣٦٦٤) والنار ولا العار صورة تكررت فى الكتاب الثالث (انظر البيت ٣٩٤) ، لكن هذا العار كله من نار الشهوات ونار الكفر ونار العناد ، ونار الحرص التى جعلت تلك المرأة تأكل لقمة أكبر من حلقها فغض حلقها بلقمة الموت المقترن بالعار والفضيحة ، الموت السيئ المستقب ، والحشر المفتضح ، إن كان مشغولاً فى الدنيا بالمأكل يحشر على موجب حظ نفسه سكران ، وإن كان ناماً وفتاناً يحشر بشكل القردة وإن كان مكاراً وغدار ومتغلباً على الخلق لأجل حظ نفسه يحشر بشكل الجعل ، وإن كان ديوثاً أكلاً للمال الحرام يحشر بشكل الخنزير ، وإن كان مؤذياً للمؤمنين جافياً يحشر بشكل الحيات والعقارب (مولوى ٣١٠/٥) .

(١٤٠٠ - ١٤٠٣) : إن الله سبحانه وتعالى عندما خلق كل شئ خلقه كما ينبغى وجعل للميزان لساناً حتى يميز الأوزان من نقص وزيادة ، وأقرأ من سورة الرحمن ﴿ والسماء رفعها ووضع الميزان ألا تطغوا فى الميزان وأقيموا الوزن بالقسط ﴾ (الرحمن ٧-٩) فلا ميل بالهوى إلى إفراط أو تفريط فلتقم لنفسك ميزاناً عند كل أمر ، ولا تترك الميزان من حرصك ، فمن الحرص والطمع تحيد عن العدل وعن القسط وعن حقائق الأمور والحريص طالب لكل شئ فاقد لكل شئ ، فلا أحد يريد كل شئ ويظفر به ، وكل شئ فى هذا العالم وضع بالقسط ووضع بالميزان ، وإن رغبت أنت فى كل شئ ، فإنك فى الوقت نفسه تفقد

كل شيء ، فإياك والحرص أيها الحقير التافه الذى ولدت من حقير تافه لم يعلمك أن تكون مقسطاً فى مطالبك ، وإلا فكل حريص محروم والحرص يوقع المرء فى الفقر كما قال الإمام على ؑ .

(١٤٠٤-١٤١٧) : إن الجارية تتعى سيدتها وتتقدها وتقدم الدرس المستفاد من الحكاية هذا الدرس الذى يقول أن كل من يظن نفسه استاذاً ويستتكف عن السؤال عما لا يفهم فإنه فى الحقيقة يقوم بعمل أخرق وأهوج يعود بالسوء عليه هو نفسه قبل كل الناس، ومستويات هذا الدرس عديدة بداية من ذلك الذى يأخذ من استاذ حرفته علماً ناقصاً ، ثم يبدأ فى الاستقلال عنه فلا يكون مثله ، إلى ذلك المتعلم المستفيد الذى يظن نفسه استاذاً قبل الأوان، إلى ذلك المريد الذى يظن نفسه قد أصبح شيخاً وفى غنى عن إرشادات الشيخ فهو يضرب فى كل بيداء على الشبهة وعلى الظن الذى يعتبره علماً ، وما أشبههم جميعاً بهذا الطائر الذى ترك البيدر وطار فى أثر كل حب فسقط فى الشراك وأخذ الشراك بعنقه، وأكل العاقل لنعم فى مقابل تجرع الجاهل للأحزان وحمل هموم الدنيا من أفكار سنائى الغزنوى (الأبيات ٥٤٩٩-٥٥٠٢ من حديقة الحقيقة) والشراك هو الطمع والتقاط الحب يعنى طلب القوت من غير موضعه "أو طلب العلم من حيث لا ينبغى" أو طلب الإرشاد من مرشد مزيف أو من لا مرشد على الإطلاق ، إن هذا يكون أشبه بالطائر الذى يلتقط الحب وهو فى الشراك ويكون فى هذا الحب موته ، وهكذا شراك الدنيا وشهواتها، وهكذا العوام فى شراك الدنيا وشهواتها من أموال وأولاد وجاه ومنصب و... إلى آخره ، إنهم لا يزالون يراعون كالبهائم حتى تأخذهم سكين الأجل ، وماتوا وهو فى شراك الدنيا بعكس الطيور الذكية التى ابتعدت عن هذه الشباك ، والعاقبة أن الطيور البلهاء أصبحت لحومها طعاماً للنار ، أما الطيور الذكية فهى فى غناء وتغريد، وصاحب الشباك هو الله الواحد القهار ، وهو بشباكه التى يضعها فى الدنيا يستطيع أن يميز بين طيوره الذكية وطيوره الغبية .

(١٤٢٣ - ١٤٢٩) : هنا مستوى ثان من مستويات هذه الحكاية ويتناول أولئك الذين يقتربون من الطريق فيعتبرون أن المشيخة هي مجرد المظهر ولبس الصوف ، وهناك أيضاً من لم يحترف في طريق الرجال إلا فترة قصيرة ، لكنه لم يتعلم من ملوك الطريق إلا قشور الكلام دون لباب المعنى ، تراك تظن أن كل عصا هي عصا موسى عليه السلام وأن كل نفخة هي نفخة عيسى عليه السلام إياك أن تظن هذا أو تدعيه وإلا تعرضت لامتحانات عسيرة يضعها الحى الباقي كل يوم أمام المدعين "انظر عن المدعين وامتحانات المدعين الكتاب الثالث الأبيات ٧٤٣-٧٤٦ وشروحها" ، ولا بد أنك سوف تسألنى وما الدليل الذى أستطيع به أن أميز بين شيخ مزيف وشيخ حقيقى ، فلتسأل الأستاذ الباقي "الله سبحانه وتعالى" فلا أحد يستطيع أن يدلك على الطريق سواءه فان كل حريص أعمى وأخرس ، ولقد تركت هذا الأستاذ الباقي وأسرعت فى أثر هذا وذاك ، وطلبت كل سبل الطريقة دون أستاذ، فتخلفت عنها جميعاً ولم تظفر منها بشئ ، وبدلاً من أن تتبع شيخاً أو أستاذاً صادتك الذئاب والبشرية التى تقتات على لحمك وعلى دمك ، تراك تستطيع أن تكون ترجماناً وأنت لم تتقن بعد لغة المشايخ والكاملين ؟ ما أشبهك ببغاء تردد الألفاظ دون أن تدرى لها معنى .

(١٤٣٠) : يفسر مولانا في هذا المثال أنه كما يتعلم الببغاء النطق عن طريق مرآة يرى فيها صورته هو ويحدثه إنسان دون أن يظهر فى المرآة فإن البشر أيضاً يتعلمون وحى الحق عن طريق الأنبياء والأولياء والكاملين من المشايخ الذين تكون عندهم طاقة تلقى عطايا الحق وتستطيع أرواحهم أن تتحمل هذه العطايا مباشرة ، ومن هنا فإن المريد الممتلى جهلاً لا يرى من مرآة الولي (جسد الولي) إلا نفس هذا الحديث (دون أن يدرك لبابه) فضلاً عن عدم إدراكه أنه ليس حديثه فى الأصل لكنه حديث الحق على لسانه ، وفيض العقل الكلى يتجلى فى بيانه ، والآية القرآنية المذكورة ﴿ لا تحرك به لسانك لتعجل به ﴾ * إن علينا جمعه وقرآنه * فإذا قرأناه فاتبع قرآنه * ثم إن علينا بيانه ﴿ (القيامة ١٦-١٩) فإذا كان الله سبحانه وتعالى

طلب من الرسول ﷺ نمطاً معيناً في تلقى الوحي ، وقال لنبيه وحبيبه وصفيه ﴿ لا تحرك به لسانك ﴾ وقال في موضع آخر (وما ينطق عن الهوى ، إن هو إلا وحي يوحى) علمه شديد القوى ﴿ (النجم ٣-٥) فما بالك تعجل وتسرع وترتدى لباس المشيخة وأنت لم تشب على الطوق ؟ وفي النهاية فإن "المؤمن مرآة المؤمن" الجامع الصغير ١٨٤/٢ والمقصود في آخر العنوان بأنه مثال لا مثل أن المثال هنا لا ينطبق تماماً على ما ضرب له بل التشابه من جمعه ما (انظر الكتاب الرابع البيت ٤٦٢) .

(١٤٣٣) : الذنب القديم هنا هو ذلك الأستاذ المدرب الخبير الذي يأخذ على عاتقه عملية تعليم البيغاء أو المرشد الذي يأخذ المريد الفج وهو أشبه بالطائر ويجعل منه شيخاً كبيراً وليس الأمر كما قال استعلامي أن التعبير لو قصد به الله سبحانه وتعالى فليس تركاً للأدب (استعلامي ٢٨٥/٥) تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً .

(١٤٣٨ - ١٤٤٢) : فرق كبير بين ذلك المريد الذي يرى من الشيخ مجرد كلامه وبين ذلك النديم (الصاحب والصديق والمتفهم) فهو كمن يتعلم الحروف وشتان بين هذه الحروف وبين السر الأزلي (سر العشق وسر الخلعة وسر تلقى الفيض مباشرة) إنه مجرد ببغاء يردد الحروف ، وهناك من يقول أنه يعلم صغير الطير ، إنه يستطيع أن يقلد هذا الطير لكي يسقطه في شبابه ، لكن فرداً واحداً هو الذي تعلم لغة الطير وهو سليمان عليه السلام ، فليس كل من قلد صغير الطير استطاع أن يفهم لغة هذا الطير ورجل الحق أيضاً مثله (لتشبيه رجل الحق بسليمان عليه السلام انظر الكتاب الرابع البيت ١٤٣٩ وشروحه) .

(١٤٤٣ - ١٤٤٤) : إن الناس يرددون ألفاظ الدراويش ، ولا يفتأون يقولون : قال بعض العارفين أو بعض المشايخ ، وهم يزينون محافلهم ومجالسهم بهذه الأقوال ويرددونها كالبيغوات ، لكن هذا في حد ذاته لا بأس به فإما أن هذا هو رزقهم وهذه عطاياهم ، وإما أنه من الممكن فيها أن يبدى لهم الله سبحانه وتعالى الطريق إلى الحقيقة ، فمن العطاء القليل يكون العطاء الكثير ، ومن المجاز هناك سبيل إلى الحقيقة .

(١٤٤٥) : الحكاية التي تبدأ بهذا البيت لم ترد في مصدر قبل جلال الدين الرومي ، وأحد أصحاب القلوب أي أحد العارفين (انظر البيت ١٦١٣ من الكتاب الأول والبيت ٢٢٤٣ من الكتاب الثالث) أما ما يعلم تأويله فإشارة إلى الآية الكريمة ﴿ هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتب وآخر متشابهات فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر إلا أولو الألباب ﴾ (آل عمران ٧) . والأربعينية المذكورة في البيت يعني الخلوة الأربعينية (ذات الأربعين يوما) وقد يطويها (أي يصومها صوماً متتابعاً) بعض المريدين (انظر الكتاب الثاني البيت ٢٥ وانظر تقاليدنا عند المولوية كتاب عبد الباقي جلبنارلى (ss. 391-398 Mevlanadan Sonra Mevlevlik) والترجمة الفارسية لتوفيق سبحاني مولويه بعد از مولانا ٤٦٨ - ٤٧٣) والراسخون في العلم أولئك الذين لا تزلزل عقائدهم أمام بعض الصعوبات التي يجدونها في المتشابه مثلما لا تزلزل قلوبهم أمام مصائب الحياة ، أولئك الذين يقولون مثلما قال علي ؓ " لو كشف الغطاء ما ازددت يقينا " ، و " إني على بينة من ربي " و " ما شككت في حق مذ رأيت " ، (جعفرى ٤٨١/١١ - ٤٨٢) .

(١٤٤٩) : الواقعة في مصطلح الصوفية حالة مفاجئة من اليقظة وكشف الأسرار (انظر الكتاب الثالث البيت ٣٦٥٨ وشرحه) وهو يسمى الحلم هنا بالواقعة لأن في أحلام العارفين قد تتكشف الأسرار أيضاً (استعلامى ٢٨٩/٥) .

(١٤٥٢) : روضة الذكر وحديقة التفاح كناية عن جمع الخاطر وفراغ البال الذي يمكن الدرويش من الذكر .

(١٤٥٣ - ١٤٦٠) : الجهال أي أولئك الذين لا يعرفون أسرار الغيب ومع ذلك يظنون أنهم يعرفونها ، أما الحجب والأستار فهي علائق الدنيا ومشاغها التي تمنع عن إدراك الحقائق

وإغماض العيون كناية عن عدم إحصار الحقائق (انظر البيت ٢١٩٨ من الكتاب الأول و ٥٧٢ من الكتاب الثاني وعن إغماض العيون انظر الكتاب الثالث ، البيت ١١٠٩ وشروحه) ، وعن الضعف في البصر أو العلل في البصر ، انظر (٦٧٣ و ١٤٤٤ من الكتاب الرابع) ، وهؤلاء جميعا يريدون بنفاجهم وإدعاءاتهم المريدين والاتباع والمشجعين، إنهم يبيعون بضاعة فاسدة فلا يشتريها إلا من فسدت أذواقهم ﴿ ضعف الطالب والمطلوب ﴾ إنهم يفتنون بلا رؤية ، يصفون دون بصر ونظرو يتحدثون عما لا يعرفون " يملأون " الأنظار فحسب ، لكنهم لا يملأون القلوب ، وما مشتريهم إلا جاهل غمر أو ريفي غفل (لمعانى الريفي عند مولانا جلال الدين ، انظر : الكتاب الثالث ، الأبيات ٦٤٢ - ٦٤٦ وشروحها) ، وما القمر في هذه الأبيات إلا مثال لسطوع الحقيقة وعالم الغيب ، فإذا كان هذا ديدنهم في الحقائق الساطعة فما بالك بهم في خفيات الأمور .

(١٤٦١ - ١٤٦٥) : المشتري هنا هو الله سبحانه وتعالى ﴿ إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة ﴾ (التوبة / ١١١) ، (انظر الكتاب الأول ، ٢٧٢١) . قال نجم الدين : أي يبذلون النفس لأجل الجهاد الأصغر فيقتلون أي يطلبون الجنة بصرف المال في مصالح الجهاد وبذل النفس فإما أن يقتلوا الأعداء فهم الغزاة فلهم الجنة وإما أن تقتلهم الأعداء فهم الشهداء فلهم الجنة ، والجهاد الأكبر مع النفس المتمردة يجاهدون في سبيل الله أي في طلب الله، وهو لأهل الجهاد الأكبر فيقتلون ويقتلون أي يقتلون النفس الأماراة بالسوء بسيف الصدق ومخالفة هواها وتبديل أخلاقها وبذل المال في مصالح قتلها ، والجهاد معها فعند فنائها يصل العبد إلى ربه ويقتلون يعنى تقتل النفس بجذبات الألوهية وتجلى صفات الربوبية (مولوى ٢١٩/٥ - ٢٢٠) . هذا هو المشتري الذي إذا تقربت منه شبرا تقرب منك ذراعا وإذا سعيت إليه مشيا سعى إليك هرولة ، وهو فوق كل شئ عالم بمبدئك ومنتهاك ، وضميرك ونجواك ، إنه " يشتريك " ، برغم ما يعلم عنك ويجذبك برسن لطفه ، ويدعوك ويناجيك

ويضع عفى فمك الدعاء ويهبك الاستجابة ، وإياك أن تجمع بينه وبين معشوق آخر ، فما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه ، وهو الواحد الأحد يغفر كل شئ إلا أن يشرك به .
(١٤٦٦ - ١٤٧٢) : أي مشتر تعدله بالله سبحانه وتعالى ؟! وأية فائدة تتأتى منه ، أله قيمة عقلك وحجلك حتى تسلمه هذا العقل والحجى ؟! فلتسلم العقل والحجى لمن منه العقل والحجى ، وليس أولئك الذين تعرض عليهم الغالى وهم لا يملكون ثمن الرخيص ، وما هذا إلا من حرصك " والحريص محروم " ، (انظر البيت ١٤٠٤ من هذا الكتاب) والشيطان يدفعك إلى الحرص ويخوفك من الفقر ويأمرك بالفحشاء والمنكر ليجعلك ملعونا مثله ، فهكذا وعد ﴿لأحتكن ذريته أجمعين﴾ و ﴿لا تجد أكثرهم شاكرين﴾ ، هذا هو مشترك في أية صورة كان وما أكثر الصور التى يتجسد فيها الشيطان في زماننا ، هذا هو مشترك إن لم يشترك الله سبحانه وتعالى ، والشيطان ديدنه الإغواء والإهلاك فاعتبر بقوم لوط أو بأصحاب الفيل " أو بأصحاب الكرملين " ، وتدبر أمرك ، وأطلب المشتري بصبر ﴿واصطبر على عبادته﴾ ، وإلا كنت في التعساء الأشقياء الفانين " لأنهم لم يبقوا ببقاء الحق " ، (انظر مقدمة الترجمة العربية من الكتاب الثالث) وإن كنت تريد مثالا على أن الحريص محروم فإليك المثال مما ورد عن أهل ضروان .

(١٤٧٣) : الحكاية الواردة ابتداء من هذا البيت تكملة لما بدأه مولانا جلال الدين في الكتاب الثالث بداية من البيت ٤٧٤ ، وتركها بعد بضعة أبيات دون أن يستمر فيها وهى بجملتها معتمدة - بخلاف بعض الجزئيات - على ما ورد في سورة القلم ﴿إنا بلوناهم كما بلونا أصحاب الجنة إذا أقسموا ليعصرمنها مصبحين ولا يستثنون فطاف عليها طائف من ربك وهم نائمون فأصبحت كالصريم فتنادوا مصبحين أن أغدوا على حرثكم إن كنتم صارمين فانطلقوا وهم يتخافتون أن لا يدخلنها اليوم عليكم مسكين وغدوا على حرد قادرين فلما رأوها قالوا إنا لضالون بل نحن محرومون ، قال أوسطهم ألم أقل لكم لولا تسبحون ، قالوا

سبحان ربنا إنا كنا ظالمين فأقبل بعضهم على بعض يتلومون ، قالوا يا ويلنا إنا كنا طاغين عسى ربنا أن يبدلنا خيراً منها إنا إلى ربنا راغبون ﴿ (آيات ١٧ - ٣٢) وموضوع أنه كان يخرج زكاة المحصول كلما تغيرت قيمة المحصول " المادية والاستهلاكية " ، تثير مسألة فقهية مهمة جداً وهي هل تجب الزكاة على المحصول مرة واحدة أم تجب عليه كلما تغيرت قيمته ، أو تحول من مادة خام إلى سلعة صناعية وربما تعرض لها الشارع في باب زكاة الثمار وفيها أقوال كثيرة يضيق المجال عن ذكرها (انظر محمد جواد مغنية ، الفقه على المذاهب الخمسة ، ص ١٧٤ ، بيروت دار الجواد ١٩٨٤) . وبالنسبة للعين المقدرة للعواقب الواردة في ١٤٧٣ ، انظر الفرق بينها وبين العين النازرة إلى المزود البيت ٢٥٩٥ - من الكتاب الأول ، و ١٥٧٢ من الكتاب الثاني وأيضاً في الكتاب الثالث ، الأبيات رقم ٢٧٦ - ٢٧٨ وشروحها . وضروان حديقة كانت بالقرب من صنعاء .

(١٤٨٨ - ١٤٩٩) : المقصود من محل الكسب أو موضع الدخل كما سيتضح هو الحضرة الإلهية ، وما الزرع بالنسبة للزارع وما الجلد بالنسبة للإسكافي إلا أسباب أو كما يحلو لمولانا جلال الدين تسميتها " دريئات " ، أي مظاهر تخفى الحقيقة وتتوب عنها ، وإلا فمن الممكن أن يصنع الخفاف أخفاف ولا يشتريها أحد ، ومن الممكن للزارع أن يزرع ، فإن تأخر الزرع في النمو ، لم يجد أمامه إلا الحضرة الإلهية فهي أصل الرزق ، وكلها طرق " أسباب " ، ﴿ هل من خالق غير الله يرزقكم من السماء والأرض لا إله إلا هو فأنى تؤفكون ﴾ (فاطر / ٣) ، وإذا كان الأمر كذلك فأعلم أن رزقك فيه لا من هذا وذاك ، ونشوتك وسكرتك بالفيوضات لا من أي مخدر أو خمر تتعاطاه ، وكن آملاً في عطائه لا في عطاء يؤول لك من علم أو يؤول لك من مال ، واطلب النصر منه لا من قومك وعصبتك فهو الحي الباقي ﴿ كل شيء هالك إلا وجهه ﴾ ، وذات يوم سوف تصير أمامه فرداً ، فكن باقياً ببقائه حتى لا تفنى (أن الأرض يرثها عبادى الصالحون (الأنبياء / ١٠٥) .

(١٥٠٠-١٥١٣) : «يوم يفر المرء من أخيه ، وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه ، لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه» (عبس / ٣٤-٣٧) . ألم تكن هذه هي الصور التي افتتنت بها وانصرفت عن صورها ؟! سوف تكتشف في هذا اليوم أن كل هؤلاء كانوا أعداء لك ، كانوا يصرفونك عن وجه الله ، كنت تأتس بهم ناسيا الأتس بالله ، كان رأيهم فيك يهملك ، ولا تقيس ما تفعل بما يرضى الله وبما يغضبه ، فهيا إن حدث لك اليوم إن انصرفوا عنك ، فلا تحزن ، لأن هذا ليس سببا للحزن بل هو مدعاة للسعادة ، فإن ذلك اليوم الذي يكون فيه «الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين» (الزخرف / ٦٧) قد عجل لك صارت القيامة واقعا بالنسبة لك ، إنك جدير بالتهنئة لأنك أدركت عيب البضاعة المعيبة مبكرا ، وانصرف عنك غرم السلعة الفاسدة وانكشف لك زيف ذلك المعدن الخسيس الذي كنت تظنه ذهباً ومن ثم فعليك أن تبتعد عنه بأسرع ما يمكنك .

(١٥١٤ - ١٥٢٥) : مالك تبكى وتتوح إن أبدى لك من تظنه صديقا العداوة ، وطفح عليه جرب حقه وحسده ، وظهرت على وجهه سخائم قلبه ، أولى بك أن تفرح وتوزع الصدقات أن تلك العلاقة التي كنت تظنها صداقة لم تدم طويلا . (انظر الكتاب الرابع ، الترجمة العربية ، الأبيات ٩٤-٩٩ وشروحها) . وأن يكون هذا مدعاة للبحث عن الصديق السرمدي الدائم ، الذي يخلص لك الود ولا ينقلب عليك ، تظهر مودته أكثر توثقا بعد موتك ، إنه عملك ، أو شيخك أو ذلك الذي يكون سلطانا على القلوب وملكا على المعاني ، ويثيب ودك ودا ، وإخلاصك إخلاصا ، أو يكون قد تخلق بأخلاق هذا السلطان وصار ربانيا تقبل شفاعته ، إن هذا هو الجدير حقا بالصداقة وليس ذلك المزور المحتال الذي نجوت منه ، إن النجاة منه وذلك الجفاء الذي يبيده لك الخلق هو من كنوز الدنيا والآخرة ، فالإنسان لابد أن ينتمى ولابد أن يختار ، إما أن يكون من هذه الناحية (الدنيا) أو من تلك الناحية (الآخرة) ، وألم تبصر عشرات المرات أن الدنيا عندما تدبر عن إنسان ويفتح عينيه فجأة فيجد من كان يظنهم أصدقاءه مجرد منتفعين وأقاربه

مجرد " ورثة " ، أليس من الطبيعي أن يلجأ إلى الناحية الأخرى ، لا تقل أن هذه نظرة تشاؤم وسوء ظن بالناس ، فحتى إن لم يكن قد حدث لك ذلك حتى الآن ، فسوف يحدث عندما تغادر هذه الدنيا وينقطع نفع المنتفع منك ، تكون وحدك في القبر تدعو دعاء ذكرى **عليه السلام** ﴿ رب لا تذرني فردا وأنت خير الوارثين ﴾ (الأنبياء ٨٩) سوف تجأ بالدعاء إلى الله سبحانه وتعالى حين تدرك أن جفاءه سبحانه وتعالى خير من عهود الأوفياء ، فإنه سبحانه وتعالى قد يغفر بعد التوبة وقد يبذل السيئات حسنات ، إن هذا الجفاء أحلى من عهود الأوفياء ، بل إن شهد الأوفياء من عطائك أيضاً .

(١٥٢٦ - ١٥٢٩) : وأنت يا صاحب الأهرام الذي لا تزال تخزن القمح وتظن أن في ذلك نفعا ، أبذر قمحك في أرض الله ، أنفقه في سبيل الله ، فإن هذه هي التجارة التي لن تبور ، اجعل كل عملك وقدرتك في سبيل الله (انظر الكتاب الرابع ، بيت ١٠٨٩) . إن هذا هو المال الذي لا يسرقه لص ، وهذا هو القمح الذي لا يصاب بآفة ، فلا أرضة العقل والتدبير تصيبه ولا شيطان الهوى ، ودعك من الشيطان الذي يخوفك من الفقر ، ويأمرك بالفحشاء ويمنعك من الإنفاق ، فان كنت صقرا جارحا في الطريق ، فلا تجعل هذه " القطا " تصيدك . فمن العار لبازي السلطان (انظر البيت رقم ١١٣٥ من الكتاب الثاني) ، الذي أعزه السلطان وكرمه ورزقه في البر والبحر وقربه منه ، أن يصيده طائر ضعيف مثل القطاة . (١٥٣٠ - ١٥٣٦) : عودة إلى الأب الذي يوصي أبناءه ، لكن نصيحة لم تجد نفعا ، كما لا تنفع البذور في الأرض البور ، لم تكن مداركهم تقوى على هذه الحقائق وهم أهل ظاهر وحساب مكسب وخسارة و " دخل عام " ، و " دخل خاص " ، فالأب إنما يتكلم بلغة ، أما الأبناء فيتعاملون بلغة أخرى ، ولغته ونصيحته إنما ﴿ وتعيها أذن واعية ﴾ (الحاقة / ١٢) ، وإن الذكرى تكون لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد ، قال نجم الدين كبرى : " هو القلب السليم من تعلقات الكونين فالقلوب أربعة ، قلب القاسى وهو قلب الكافر وقلب مقبول وهو قلب المنافق وقلب مطمئن وهو قلب المؤمن وقلب سليم وهو قلب المحبين والمحبوبين الذين هم مرآة صفات جلال الله وجماله أو ألقى السمع وهو شهيد أي من لم يكن له قلب على هذه الصفة لا يكون له سمع يسمع بالله وهو حاضر مع الله فيعتبر بما يشير إليه الله في إظهار اللطف أو القهر (مولوى ٢٢٨/٥ - ٢٢٩) . وعندما لا يكون ثم مستمع ، أو يكون هناك مستمع لكنه لا يهتم ، فإن القائل نفسه يصاب بالإحباط

(لشروح أوسع لهذه الفكرة ، انظر الكتاب الثالث من المثنوى المعنوى ، الأبيات ٣٦٠٤ - ٣٦١٩ وشروحها) والدليل الأنبياء ، لقد أثرت أنفاس بعضهم في الحجر (كان الحجر يؤوب مع داود) وتحدث الحجر إلى داود وقال خذنى معك لقتال جالوت (انظر الكتاب الثالث، البيت ٢٤٩٧) ، لكن قلوب الكفرة وغير المنتصحين أشد قسوة ﴿ ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة أو أشد قسوة وإن من الحجارة لما يتفجر منه الأنهار ﴾ (البقرة / ٧٤) . لكن قيد الكفر أشد إحكاما وأشد قسوة ، وقيد الأنية وعبادة الذات أشد إحكاما وقسوة ، ومن ضرب عليه بميسم الشقاء لا يدرك شيئا ، أولئك كالأنعام بل هم أضل ، ومنهم شقى وسعيد (بالنسبة للشقى ، انظر البيت ٢١٣٤ من الكتاب الثالث) .

(١٥٣٧ - ١٥٤٦): يناقش مولانا في هذه الأبيات قضية غالبا ما تثار على مستويات عديدة: هل العطايا على مستوى القابليات بالفعل ، وهل يعطى الله الإنسان بقدر تقبله؟! هل يعطى الله الإنسان لأنه جدير بالعطية؟! أم أن عطاءه سبحانه وتعالى ليس مستندا على سبب من الأسباب ، أو على الأقل تلك الأسباب التى تعيها مداركنا؟! لماذا ترك سبحانه وتعالى هذه القلوب القاسية التى لا حيلة لها إلا عطاء مبدل ، وهل يكون العطاء المبدل للقلوب القاسية ، يجيب الصوفية : " فإن قلت أن الله تعالى يتجلى على العبد بحسب قابليته واستعداده فكيف تكون لغير القابل، فتجاب أن الله تعالى له فيضان : فيض أقدس وفيض مقدس ، فالفيض الأقدس الفيض الآتى فى الذات الإلهية إلى الأعيان الثابتة فانه عار من شوائب الكثرة مثاله كالنور الآتى من قرص الشمس إلى الزجاجات المتنوعة، والفيض المقدس الفيض الآتى على الأرواح من أعيان ثابتة كل أجد مناسب لاستعداده الأزلى مثاله كالألوان المختلفة والأنوار المتكونة من الزجاجات المتنوعة داخل البيت، فالفيض الأقدس ليس موقوفا على القابلية والفيض المقدس يكون على حسب استعداد أزلى كل أحد، فالقابلية شرط فيه وهذا هو معنى قولهم : إن الله يتجلى على العبد بحسب استعداد وقابليته (مولوى ٢٣٠/٥) (انقروى ٤٦٦/٥) ويفسر جعفرى القابلية بأنها "مراعاة الطبيعة" فنطفة الرجل لا تتحول إلى بشر إن وضعت فى تراب وشجرة اللوز لا تنمو على الماء، فالسببية قائمة لكن هذه الأمور لا تجرى على الله سبحانه وتعالى، وقوانين العلة والمعلول لا تقيد جل وعلا من أن يفعل من يشاء فهو الفعال لما يريد (جعفرى ٤٩٦/١١٠) فعطاؤه بلا علة وبلا سبب فهي أمور أزلية وقديمة ولا تجرى عليها ما تجرى على الحادث من أمور

وأسباب (أنظر للحدوث والقدم: الكتاب الذى بين أيدينا الأبيات ١٣١٣-١٣١٥)، فهذا العطاء "لم يقل الفيض ولم يقل النور" عطاء أعلى ومن ثم يضرب به المثل "كالعصا فى يد موسى واليد البيضاء وبقية معجزات الأنبياء فكلها خرق" للطبيعة وعوامل السببية" ولو كان الأمر بالسببية لما خلق وجود من عدم فأية علة أو سببية أو صلة بين الوجود والعدم ، تريد معجزة ؟ وجودك فى حد ذاته معجزة ، وإن كل ما تسميه معجزة هو خرق العادة ، لكن لماذا جعل الله الأسباب ؟ يقول السبزواري (ص ٣٦٦) إن كلام مولانا فى هذا المجال من قبيل التوحيد المحض حيث ينتفى الاسم والرسم والقابل والمقبول وحقيقة الوجود مقدمة على كل التعيينات بل إن هناك وجودات خاصة لها تقدم بالأحقية على المهيآت الإمكانية فهى مجرد قابليات ذهنية فالعطيات بقدر القابليات هى فى مقام الواحدية واعتبار مفاهيم الأسماء والصفات الاعتبارية للأعيان الثابتة ومن هنا يقول العارفون الشامخون أن كل عين ثابتة فى العلم الأزلى يستدعى وجوداً لا تقابها ، وما عامل معهم إلا بما علم منهم فى الأزل، ومفاهيم الأسماء والصفات لوازم غير متأخرة فى الوجود بالنسبة للذات الأقدس. والمقصود بالعز فى البيت ١٥٤٦ أى العز الدنيوى الذى لا بد له من أسباب وطرق ، وإن كان من الممكن أن يحدث أيضاً بلا سبب .

(١٥٤٧ - ١٥٥٥) : أسير السبب ، هو الذى يضع كل الأمور فى إطارها العقلانى الذى يعتمد على روابط السببية والعلية ، إياك أن تظن أننا ننفى السببية ، إن هذا الأمر لا يستطيعه أى إنسان ، فابق على ديدنك من التفكير ، لكن لا تشك فى قدرة الحق على أن يجرى الأمور دون أسباب، لكنه يضع الأسباب حتى لا يقعد الطالب عن مطلوبه ، ولا يقعه عن سعيه اعتماداً على أن الله سبحانه وتعالى قد يجرى الأمور دون أسبابها ، وقليل ما هم أولئك الذين يعتمدون على وعيهم الباطنى من أجل النظر إلى الأمور مباشرة وإدراكها فى غير إطار السببية ، فهذه السببية حجب على صنعه تحجب رؤية الأمور مباشرة ، ورؤية الأشياء كما هى ، والنظر إلى المسبب دون الأسباب ، حينذاك تبصر عالماً خارجاً عن حدود المكان والزمان، وحينئذ تحتقر كل هذه المشاغل الدنيوية التى وضعها الله سبحانه وتعالى من أجل أن يعمر هذا السوق القائم على الغفلة "لتفصيلات عن فكرة أن الدنيا قائمة على الغفلة، انظر الكتاب الرابع الأبيات ٢٣٨-٢٤١ والأبيات ١٣٢٧-١٣٣٠ وشروحها" ، إذن لابد لنظام الدنيا من وجود الأسباب وإلا لما استطاع أحد أن يقوم بضبطها ، ولتحولت إلى غابة ينال القوى فيها كل شئ ولا يترك شيئاً للضعيف .

(١٥٥٦) : الرواية التي تبدأ بهذا البيت ، أقدم مصدر لها حديثٌ منسوبٌ إلى الرسول ﷺ روى أبو موسى "إن الله خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض فجاء بنو آدم على قدر الأرض منهم الأحمر والأبيض والأسود والأصفر، ومن ذلك السهل والحزن والخبث والطيب" ومفهوم هذا الخبر المروى ما روى أيضاً عن وهب بن منبه "لما أراد الله أن يخلق آدم أوحى إلى الأرض أى أفهمها إني جاعلٌ منك خليفة، فمنهم من يطيعنى فأدخله الجنة، ومنهم من يعصيني فأدخله النار، فبكت الأرض فانفجرت منها العيون إلى يوم القيامة ، وبعث الله جبرائيل ليأتيه بقبضة منها من جوانبها الأربعة من أسودها وأبيضها وأحمرها وأطيبها وأخبثها، قالت الأرض : بالله الذى أرسلك لا تأخذ منى شيئاً فان منافع القرب إلى السلطان كثيرة لكنه فيه خطراً عظيماً، فرجع جبريل عليه السلام فلم يأخذ منها شيئاً فقال يارب حلفتى الأرض باسمك العظيم فكرهت أن آخذ منها شيئاً ، فأرسل الله تعالى ميكائيل فلما انتهى إليها قالت الأرض له كما قالت لجبريل، فرجع ميكائيل فقال كما قال جبريل، فأرسل الله إسرافيل عليه السلام وجاء ولم يأخذ منها شيئاً وقال مثل ما قال جبريل وميكائيل، فأرسل الله ملك الموت عليه السلام فلما انتهى قالت الأرض : أعوذ بعزة الله الذى أرسلك ألا تقبض من اليوم قبضة يكون للنار فيها نصيبٌ غدا فقال ملك الموت : وأنا أعوذ بعزته أن لا أعصى له أمراً، فقبض قبضة من وجه الأرض مقدار أربعين ذراعاً من زواياها الأربعة فصار كل ذرة منها أصل بدن الإنسان فإذا مات يدفن فى الموضع الذى أخذت منه ، فأمر عزرائيل فوضع ما أخذ من الأرض فى وادى نعمان بين مكة والطائف" (المولوى ٢٣٢/٥-٢٣٣-الانقروى ٣٧١/٥ مأخذ ١٧٠-١٧١) والرواية تروى فى معرض بيان الأصل فى خلق الإنسان و، أن الأرض نفسها لم تكن تريد أن يخلق منها الإنسان من أجل ألا يعصى ، فيؤخذ بمعصيته ويمضى إلى النار ، فضلاً عن تعرضه لبلايا العيش فى الدنيا .

(١٥٦٣ - ١٥٦٤) : اللوح الكلى هو اللوح المحفوظ فى رأى، وهو أيضاً اللوح الذى وضع الله عليه علمه ، وأوضحه لجبريل ليبلغه إلى الملائكة .

(١٥٦٥ - ١٥٧٥) : جبريل هو الروح الأمين ، وهو حياة الروح ، ومن ثم صار سفيراً إلى الأنبياء بالكتب التى هى حياة للروح ، ورزق القلب هو العلم والحكمة وفيض الشيخ ،

(انظر الكتاب الأول البيت ٧٣٠) ويوازن بين عطاء جبريل وعطاء ميكائيل عطاء الروح وعطاء البدن ، وكيل لا يحده حد ، وكيل محدود ، وهو يطلب الرحمة لأن الرحمة سبقت الغضب ، إشارة إلى الحديث القدسي "سبقت رحمتي غضبي" وقد تكرر في أكثر من موضع في أجزاء المثنوى الستة ، أما ذكر مولانا جلال الدين في خطاب الأرض لجبريل أنه مع الملائكة الثلاثة الآخرين حملة العرش ، ثم ذكره في البيت التالي إن حملة العرش ثمانية فيفسره المولوى على أن حملة العرش في الحياة الدنيا أربعة وفي الآخرة يمدهم بأربعة آخرين فيصبحون ثمانية إشارة إلى ما ورد في سورة الحاقة ﴿ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية﴾ (آية ١٧) (مولوى ٢٣٤/٥) .

(١٥٨٠) : بالنسبة لقوة جبرائيل أنظر المثنوى الكتاب الثالث الأبيات ١-٥ والكتاب الرابع الأبيات ٣٧٦٧-٣٧٧٠ وشروحها) .

(١٥٨١) : من أجل فكرة أن الملائكة أيضاً تلاميذ لآدم عليه السلام انظر "الكتاب الأول من المثنوى - الأبيات ١٢٥٦-١٢٥٨ وشروحها) .

(١٥٨٦) : يذهب استعلامى (٢٩٢/٥) أن مولانا هنا يخطئ عندما يربط بين ظاهر اسم ميكائيل وبين ما يراه وظيفة له وهى كيل الأرزاق على أساس أن الاسم فى أصله لا يعطى هذا المعنى ، والواقع أن مولانا جلال الدين الرومى ليس أول من ربط بين اسم ميكائيل والكيل فهو ربط مأثور وتقليدى فى التراث الإسلامى .

(١٥٩٦) : ربما كان مولانا فى هذا المعنى ناظراً إلى الحديث النبوى الشريف ﴿ما من قطرة أحب إلى الله من قطرة دمع من خشية الله﴾ (استعلامى ٢٩٢/٥ والكتاب الثالث البيت ١٨١٨ والكتاب الثانى الأبيات ٤٤٦-٤٤٧ والكتاب الذى بين أيدينا الأبيات ١٣٣ - ١٤٤ وشروحها) .

(١٥٩٩ - ١٦٠٥) : الكلام على لسان ميكائيل فى الظاهر ، لكنها إفاضات مولانا جلال الدين : إن المراد بالصلاة هى أن يتضرع العبد إلى الحضرة الإلهية خمس مرات فى اليوم ، فإن الله يحب أن يسمع ضراعة عبده وإنما يبتليه ليعلم ضراعة ، (انظر الكتاب الثالث الأبيات ١٩٧-٢٠٧ وشروحها) التضرع إلى الله سبحانه وتعالى يجعل الإنسان دائماً يحس بالضالة ويسعى إلى التكامل ويحيا على أمل فى أن تسد فرجه ، وتجبر كسائره ، ولولا الدعاء والتضرع إلى الحضرة الإلهية لقتل الغم أناساً ، ولقتل الطغيان وإحساس القوة أناساً

آخرين (لفلسفة جديدة عن الدعاء أنظر على شريعتي رسالة الذكر والذاكرين ضمن المجموعة الجديدة تحت عنوان عن التشيع والثورة - دار الأمين - القاهرة ١٩٩٦) وفي الأبليات ١٦٠٤ و ١٦٠٥ إشارة إلى الآية الكريمة ﴿فلولا إذ جاءهم بأسنا تضرعوا، ولكن قست قلوبهم وزيّن لهم الشيطان ما كانوا يعملون﴾ (الأنعام ٤٣)، وهكذا تقضى قسوة القلب والرين الذي يجعل القلوب لا تفقه إلى أن العاصي والكافر كليهما ينظران إلى أعمالها وكأنها عين الصواب وغاية المرتجى ، لأن الله سبحانه وتعالى سد أمامها طريق الدعوة وطريق التوبة .

(١٦٠٨) : يفرق مولانا جلال الدين في العنوان بين رأيين في الدعاء الرأي الأول هو رأى عموم المسلمين وهو أن الدعاء إلى العتبة الإلهية قد يرد البلاء لأن الله سبحانه وتعالى فاعلٌ ومختار ويمحو ما يشاء ويثبت وهو القائل ﴿ ادعوني استجب لكم ﴾ وبين رأى أولئك الفلاسفة (والفيلسوف في مصطلح جلال الدين مرادف للمنكر) الذين يقولون أن الله فاعل بالطبيعة ، ومن ثم فإن الدعاء لا يغير من الأمر شيئاً (وهناك من الصوفية من ينكر الدعاء على أساس أنه تدخل في مشيئة الله وعدم صبر على البلاء) أنظر الكتاب الثالث قصة (الدقوقي) والمثل المضروب عن قوم يونس عليه السلام يعتمد على الآية الكريمة ﴿ فلولا كانت قرية آمنّت فنفعها إيمانها إلا قوم يونس لما آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا ومتعناهم إلى حين ﴾ (يونس ٩٨) قال قتادة في تفسير هذه الآية :لم ينفع قرية كفرت ثم آمنّت حين حضرها العذاب إلا قوم يونس ، لما فقدوا بينهم وظنوا أن العذاب قد دنا منهم، قذف الله في قلوبهم التوبة، ولبسوا المسوح، وفرقوا بين كل بهيمة وولدها ، ثم عجلوا إلى الله أربعين ليلة ، فلما عرف الله الصدق من قلوبهم والتوبة والندامة على ما مضى منهم كشف عنهم العذاب (مختصر تفسير ابن كثير ، اختصار وتحقيق محمد علي الصابوني المجلد الثاني ص ٢٠٨ ، ط ٣ ، دار القرآن الكريم ، بيروت ١٣٩٩ هـ) .

(١٦١٩) : إشارة إلى حديث نبوي شريف : قال ﷺ ﴿ ليس شيء أحب إلى الله من قطرتين ، قطرة دمع من خشية الله وقطرة دم يراق في سبيل الله ﴾ (جعفرى ٥١٣/١١٧) وللحديث صورة أخرى أكثر وثوقاً ﴿عينان لا يعذبهما الله يوم القيامة ، عين بكت من خشية الله وعين باتت تحرس في سبيل الله﴾ (الجامع الصغير) .

(١٦٢٠) : عودة إلى قصة أخذ حفنة من التراب من الأرض ، ويرسل الله تعالى الملاك الثالث إسرافيل صاحب نفخ الصور . وفي رواية عن الأنقروى بعد أن روى الرواية الواردة

فى شرح البيت ٣٧٥٥ من الكتاب الرابع عن تجلى جبريل بصورته الجسدية لسيدنا رسول الله ﷺ "قلما أفاق قال يا جبريل ما ظننت أن أحداً من خلق الله هكذا فقال جبريل : يا رسول الله : كيف لو رأيت إسرائيل إن العرش على رأسه وأن رجليه قد مرقتا فى تخوم الأرض، وإنه ليتصاغر من عظمة الله حتى يصير كالعصفور. وفى المصابيح عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ {إن الله خلق إسرائيل عليه السلام يوم خلقه ضاماً قدميه لا يرفع بصره، بينه وبين الرب سبعون نوراً ما منها من نور يدنو منه إلا احترق} (أنقروى ٣٨١/٥).

(١٦٢٤ - ١٦٢٥) : تصور الدنيا هنا بكرىلاء حيث مصرع الحسين عليه السلام وآل بيت الرسول ﷺ على أساس أنها دار الكرب والبلاء ﴿فما خلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة﴾ (قال من يحيى العظام وهى رميم قل يحيى الذى أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم).

(١٦٢٨ - ١٦٣٨) : يخرج مولانا جلال الدين عن محاولة اسرافيل اخذ حفنة تراب من الأرض ويتحدث عن أنهار الرحمة الجارية تحت العرش والواردة فى سورة محمد ﴿مثل الجنة التى وعد المتقون فيها أنهار من ماء غير آسن وأنهار من لبن لم يتغير طعمه وأنهار من خمر لذة للشاربين وأنهار من عسل مصفى﴾ (آية ١٥) وقد ربط مولانا بين هذه الأنهار وبين أعمال المتقين (أنظر الكتاب الثالث الأبيات ٣٤٦٢-٣٤٦٧ وشروحها) وعن الجرعة التى انصبت من هذه الأنهار انظر فكرة تعد مثيلتها عن جرعة الحسن التى ألقيت على الأرض فى شرح الأبيات ٣٧٢ - ٣٧٩ من الكتاب الذى بين أيدينا ، وعن تأثير هذه الفكرة فى النزعة الإنسانية عند مولانا أنظر مقدمة الكتاب الرابع من المثنوى ص ١٤ حيث يدق على الفكرة القائلة أن الخليقة هنا جزء من كل جزء ملوث من كل طاهر وأن هذا الجزء نزاع إلى الكل مشتاق إليه ، وعن رحلة الماء من طهر إلى كدر ثم طهر مرة ثانية انظر الكتاب الذى بين أيدينا الأبيات ٢٠٠-٢١٠ وشروحها).

(١٦٤٩ - ١٦٥٩) : روى فى حق عزرائيل عن كعب الأحبار قال : قال ﷺ خلق الله عزرائيل عليه السلام بحيث كان رجلاه فى تخوم الأرضين ورأسه فى السماء العليا ووجهه يقابل اللوح المحفوظ وله أعوان بعدد من يموت، والخلق كلهم بين عينيه، لا يقبض روح مخلوق إلا بعد أن يتوفى رزقه وينقضى أجله (أنقروى ٣٨٥/٥) والتراب صاحب الخيال والأوهام أى الذى يظن أنه بتضرعه هذا يستطيع أن يحول قدره وأن يرد قضاء الله

عليه ، والإنسان لا يزال يلجأ إلى خياله وأوهامه ويحولها إلى آداب وفنون رغبة في الخلود ، والخلود لله سبحانه وتعالى وحده ، ويصور الأرض أيضاً بأنها عجوز ضعيفة لكنها ظالمة ، منها سوف يخلق الإنسان الضعيف الظلوم الجهول ، وعزرائيل عليه السلام يوصف بأنه مطاع ثم أمين على أساس أنه لا يستطيع أن يحيد عن رسالة حملها له الله سبحانه وتعالى وهو القابض للأرواح الحازم ، وعندما تقول الأرض : إن الله تعالى أمر أيضاً بالحلم ، فلماذا لا ينفذ الأمر بالحلم؟ يرد عزرائيل بأن هذا الأمر تأويل وقياس ، والتأويل تفسير الآيات والأحكام بوفق إدراك المرء وفي سبيل منفعتة (انظر الكتاب الأول الأبيات ١٠٨٥-١٠٨٨ و ٣٧٥٦ وشروحها) والقياس هو الاستدلال في حكم كلى وتعميمه على حكم جزئى ، وهذا كله في رأى لمولانا جلال الدين من قبيل الالتباس ، فأول نفسك ولا تؤول حكم الله أى كن مستعداً لقبول أحكام الله إياً كانت ، وأول فكرك أنت وإياك وتأويل غير المشتبه من الآيات ، وأنا مكلف بأداء أمانة ، والله أمر برد الأمانات إلى أهلها .

(١٦٦٠ - ١٦٦٤) : هل يكون الموت ضرراً في كل الحالات؟ بل هل يكون الموت ضرراً في أية حالة في حالاته ؟ حتى ذلك الذى يعانى الألم ألا يكون الموت راحة له في النهاية ، وأليس اليتيم الذى يصفعه الموت قد يفيق ويواجه الحياة خالية من تدليل الأب أو الأم فيكون أكثر فلاحاً ونجاحاً مما لو كان أبوه حياً يبسط ظل حنانه عليه ؟ ألا تكون صفة الموت في النهاية أكثر حناناً من حلوى يقدمها مفسد أو مستغل ؟ ، يقول سنائى أن الموت ليس شراً في كل أحواله ، فمنه يكون لك المال والميراث أليس موت الشيخ قبل ولده الشاب المريض رحمة به ؟

(١٦٦٥ - ١٦٦٩) : لا يزال الكلام على لسان عزرائيل لكن هذا الجزء يبدو من إفاضات مولانا جلال الدين الذى لا يزال يدق على أن هناك لطفاً مخفياً في القهر كما يختفى العقيق في الحدث ، فإن هذا اللطف وإن اختفى في القهر فإنه لا يخلو من الحكمة الإلهية، إذ لا يصدر عن الكريم إلا الكرم ولا يخلق ربنا شيئاً عبثاً ، ووسعت رحمته كل شئ ، وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئاً وهو شر لكم (عن تفصيلات لفكرة اللطف المخفى في القهر والقهر المخفى في اللطف انظر الكتاب الثالث الأبيات ٣٢٦٦ وشروحها والكتاب الذى بين أيدينا الأبيات ٤٢١-٤٥٥ وشروحها) أليس تسليم الروح يبدو لك قهراً؟ إنه ليس قهراً في الحقيقة ، إنه انتقال إلى مرحلة أعظم وأجمل من العمر ، إن البقاء الحقيقي

فى الفناء (انظر مقدمة الكتاب الثالث- وعن الموت كبوابة لحياة أفضل انظر الأبيات ٣٥٣٧ - ٣٥٥٥ وشروحها من الكتاب الثالث) وإياك أيتها الأرض أن تعتبرى استدعاءه لك قهراً ، أنه عين اللطف :

مثل تلك اللطافة والحسن والجمال الذى يهب الروح
ويصير عنه إنسان ، فما أعجبه من شقاء وما أعجبه من ضلال
إننى بازى على ساعد السلطان ، وها أنا أعود إلى ساعد السلطان
عندما أسمع صوت "ارجعى" من الطبول والمقارع
فكيف لا تطير الروح عندما يأتىها من جناب ذى الجلال
خطاب اللطف منادياً أياها أن تعالى (كليات ديوان شمس تبريزى غزل سنة ١٣٥٣ ، ص ٥٢٥)

(١٦٧٦ - ١٦٨٢) : الأمر الذى أثار الغبار من قلب البحر إشارة إلى انشقاق البحر لبنى إسرائيل ، والأبيات الواردة على لسان عزرائيل فى التوحيد والتمجيد والتسليم المطلق للخالق المتعال الذى هو أعز من الروح (انظر البيت ٣٦٩٣ من الكتاب الذى بين أيدينا) ، وهو الذى لا يأخذ بل يعطى أنه لا يأخذ الروح بل يهب فى مقابلها آلاف الأرواح (الكتاب الأول البيت ٢٤٦ ، فهو يأخذ نصف حياة ويعطى بدلاً منه مائة حياة ، بل هو يعطى ما ليس يخطر لك ببال وانظر الأبيات ٢٢١-٢٤٦ من نفس الكتاب الأول) ، وإحراق الكليم من أجل برغوث مثل فارسي يضرب لمن يضحى بالغال فى سبيل الرخيص ، وورد أيضاً عند سنائى (البيت ٧٠١٧ من حديقة الحقيقة) وماذا يكون عزرائيل بكل ما يوحىه اسمه من خوف ورعب ؟ مجرد سنان فى كف الخالق ، انظر كيف حول مولانا جلال الدين الأرض إلى كائن حى يبكى ويتضرع ثم ساق كل معانيه لتشمل الخليقة كلها والأحياء كلهم ؟

(١٦٨٣ - ١٦٩٣) : وردت الترجمة العربية لقول أبى اليزيد البسطامى عند إسماعيل الأنقروى "إنى أكلم الله منذ ثلاثين سنة وأسمع منه والناس يظنون أنى أكلمهم وأسمع منهم" (٣٩١/٥) فى حين قال استعلامى (٢٩٧/٥) أن هذا القول لم ينسب إليه فى مصدر من مصادر التصوف ، أما المثل فلم أعثر له على أصل ، والمراد بالأبيات أن القدرة الإلهية تجعل كل مخلوق ميسراً لما خلق له قائماً به ، سواء كان كأساً يهب الانتشاء أو خنجراً يفضى إلى الهلاك أو عيناً تفيض بالماء ، أو ناراً تهب الدفئ وتتشرب اللهب ، أو مطراً

يؤدى إلى الخير ، أو رمحاً ينفذ فى الأجساد ، وليس الأمر هنا بجبر أو أن فاعل الشر مجبر عليه (انظر العدل قسام وجدير بالقسمة الكتاب الرابع الأبيات ١٦٤٣ - ١٦٤٤ وشروحها) . وما هذا كله إلا لأن قلب المؤمن وهو أصل الفكر وأصل العمل وأصل الاتجاه بين إصبعين من أصابع الرحمن يقلبهما كيف يشاء ، (حديث نبوى) ، لقد حمل التراب فى النهاية كما تحمل الطفل الهارب إلى المكتب ، بالطبع لكى يتعلم ولكى يدرك حكمة الخالق ، الذى لا يفعل شيئاً عبثاً تعالى عن ذلك علواً كبيراً .

(١٦٩٤ - ١٧٠٩) : يقول الله تعالى لعزرائيل بعد أن نجح فى مهمته : لقد قررت وهذا موجود فى سابق علمى ، أو يقول بحق علمى المطلق لأجعلنك أنت قابضاً لأرواح الخلق وجلاداً لهم وأنه سبحانه وتعالى سوف يحميه من عداوتهم المفترضة بأن يجعل للموت أسباباً من أمراض وعداوات وإحن (انظر الكتاب الرابع الأبيات ٣١٠٢-٣١٠٧ وشرحها) لكن هؤلاء أمرهم سهل ، أولئك الذين يأخذون الأمور على ظواهرها ، لكن هناك أيضاً من عبادك يا الله من ينفذون من حجب الأسباب (لمناقشة الأسباب والمسبب والاختلاف فى النظرة بينهما انظر الكتاب الذى بين أيدينا ١٥٤٣-١٥٥٥ وشروحها) ويحتج عزرائيل بأنهم لن ينظروا إلى هذه الأمراض : فلا موت هناك بالمرض بل الموت بالأجل ، وأن الله سبحانه وتعالى لم يخلق داءً إلا وخلق له دواء ، ولكل داء دواء يستطب به (إلا الحمأة) لكن القضاء والأجل عندما يحم ، فلا من بر ولا بحر يقى ، ولا دواء ينفع ولا علاج ، ينفذ البرد إلى الجسد من خلال مائة فراء ، ويصاب الجسد برعشة وإذا جاء القضاء وإذا حم القضاء فلا طبيب ، وإن الله إذا أراد إنفاذ أمر سلب كل ذى لب لبه "حديث نبوى" (استعلامى ٢٩٨/٥ الكتاب الأول ١٢٣٤-١٢٤١) هذا هو الأصل ، الأجل والقضاء ، والأمراض والعلل وعداوات الخصوم وما إلى ذلك كلها فروع ، ومن ينظر إلى الأصول هم الكاملون وهم قليل ، وهم الذين اكتحلوا بكحل التوحيد فصاروا ينظرون إلى الأمور كما هى .

(١٧١٠ - ١٧٢٧) : وهذا هو ما أقصده تماماً ، أولئك العلماء بالأصول والذين لا ينظرون إلى الأسباب لن يفكروا فيك ولن ينظروا إليك على أساس أنك القائم بالأمر ، إنك حجاب سواء عند العوام وعند الخواص ، أنت مخفى عن العوام ، وأنت عند الخواص مجرد دريئة وحجاب ، أنت مخفى عن العوام ظاهر فى الموت ، وأنت عند الخواص مجرد حجاب على فعلى ، إذ أنى أنا الفعال وأنت الأداة ونحن أقرب إليه منكم ولكن لا تبصرون ، وهؤلاء أصلاً

لا يهتمون بما تقوم به أنت من عمل ، ولا يعتبرونه أمراً مكروهاً ، إذ يعلمون أنهم لا يموتون بل ينقلون من دار الفناء إلى دار البقاء ومن دار الفساد إلى دار الكون ، ومن اللذات الدنيوية الفانية إلى معدن اللذة ومنجم الجمال ومن النعيم الفانى إلى النعيم الباقي ، إنه ليس موتاً بالنسبة لهم بل هو عرس ، (انظر الكتاب الثالث الأبيات ٣٥٢٩-٣٥٣٦ وشروحها) إنه ليس سجناً في القبر بل هو إفراج من سجن الدنيا ، وأحرى بمن هم في سجن الدنيا أن يترقبوا الخلاص لا أن يضيقوا به، تراك يا عزرائيل سوف تكون مكروهاً عند من يعلمون حقائق الأمور وأنت تتقب عليهم أبراج سجن الجسد لكي تنطلق أرواحهم تلك الطيور القدسية إلى سدرة المنتهى فتتخذ فيها أعشاشها؟ إن السجين الذي يضيق بالحرية ويحب السجن هو الذي يكون خارجاً من السجن إلى المشنقة (الجحيم) لكن الكمل يعلمون أنهم يخرجون من السجن إلى الرياض والبساتين والقصور ، ألم تكن تحلم طوال وجودك في هذا السجن بالرياض والبساتين؟! كان الليل يحرك أيها الفيل الحالم بالهند ، (انظر الدنيا ممثلة بالنوم أو بحلم النائم في الكتاب الرابع ، الأبيات ٣٦٥٠ - ٣٦٦٤ وشروحها ومن حلم الفيل بالهند أي حلم الإنسان بالجنة والنوم أخ للموت ، انظر من نفس الكتاب الأبيات ٣٠٦٠ - ٣٠٧١ وشروحها) . إنه ليس موتاً إنه عرس ، ألسنت وأنت تحلم بالرياض والبساتين طيلة نومك في السجن تتمنى على الله ألا يوقظك من النوم ، وأليس من رحمة الله تعالى أن يقبضك في نومك إن كنت من أهل الصلاح فتنتقل إلى هذا النعيم الأزلي دون أن تذوق طعم شربة الموت ، وكيف يمكن أن يسمى هذا موتاً ، إنه عرس ، ولا يمكن أن يكون سوى عرس ، وفي ديوان شمس (موتنا هو عرس الأبد) ، (غزلية ٨٣٣ ، ص ٣٣٨) .

(١٧٢٨ - ١٧٤٢): هذا هو الطريق الأسمى ، فكن دائماً من أجله في قيام ، قم قيام الشمع أمام المحراب في هذا الليل المظلم ليل الدنيا وليل الفتنة ، وليكن دليلك في هذا هو الطلب فمن قرع باباً ولج ولج (انظر من أجل تفصيلات عن الطلب الكتاب الثالث ، الأبيات ١٤٤٠ - ١٤٥٠ ، وعن الدمع وقيمة الدمع ، انظر الكتاب الذي بين أيدينا ، الأبيات ١٥٩٩ - ١٦٠٥) ، فليكن نظرك إلى السماء ، أليس أصل العطايا يأتي من السماء إلى الأرض؟ فيما بالك تحزن إن حملت من الأرض إلى السماء ، وإياك أن تستكثر هذا على نفسك ، ألم تقم بالطلب في نهاية الأمر؟! أليس كل طالب مجد يصل في النهاية إلى مطلوبه ، دوام على الطلب ، حتى يخرج قلبك ذلك السجين من جب الجسد ، ودعك من هؤلاء الذين سوف يكون

ويتحسرون على موتك ، إذا كان جسدك قد طوى في التراب فإن الجنان الثمانية قد فتحت من أجلك (المعنى من حديقة سنائي ، انظر الأبيات : ٢٦٥-٢٨٠ وشروحها من الترجمة العربية لحديقة الحقيقة لكاتب هذه السطور) لقد استراحت الروح من اضرار الجسد ولم يعد يهمها إن كان ثاويًا في روضة أو في مستودع قمامة ، مادامت الروح موجودة في العالم السماوي تصيح : ﴿ يا ليت قومي يعلمون بما غفر لي ربي ، وجعلني من المكرمين ﴾ (يس ٢٦/٢٧) (انظر أيضاً الكتاب الثالث البيت ٢٠١٨) إن السماء والعالم العلوي والأفلاك كلها مهياة من أجل حياة الروح الخالدة، وماذا تعني إذن ﴿وفي السماء رزقكم وما توعدون﴾ (الذاريات / ٢٢) ، هذا هو الرزق المعنوي ، راحة الروح وسرور العقل ، والحكمة التي لا تكسد والبصيرة التي لا تكل .

(١٧٤٣ - ١٧٤٨) : العبارة المنقولة في العنوان : " الجوع طعام الله يحيى به أبدان الصديقين " ، اعتبرها فروزانفر حديثًا نبويًا ، ونقلًا عن شرح التعرف على مذهب أهل التصوف لإبراهيم بن المستملى البخاري " أحاديث مثوى ، ص ١٤٨ " ، وهناك حديث آخر " صوموا يوما وأفطروا يوما فإنني لست كأحدكم إنني أبيت عند ربي يطعمني ويسقيني " (أحاديث مثوى / ٣٦) ، (انظر الكتاب الأول البيت ٣٧٥٤) (وعن الجوع انظر البيت ٣٠٣٦ من الكتاب الثالث) و " يرزقون فرحين " ، جزء من الآية الكريمة ﴿ ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتاهم الله من فضله ﴾ (آل عمران / ١٦٩-١٧٠) ، والدسم والقوت الشريف هو الغذاء الروحاني عند رجال الحق ، إنه لا يصيب بالامتلاء أو القولنج أو آلام الجسد ، بل تزيد به صحة ، وتمضي كلما ازددت " أكلا " ، منه خفيفا إذا (انظر ١٦٩٧ من هذا الكتاب) وضرب المثل بجوع طائر الزاغ لأنه يطلب العمر الطويل ويحرض على الدنيا (انظر البيت ٤٥ من هذا الكتاب) ، أما غذاء الحكمة فيجعلك كالسفينة طافيا على هذا البحر الطامى العباب (الدنيا) .

(١٧٤٩ - ١٧٥٩) : ما هو السبيل للحصول على هذا القوت المعنوي ، إنه الصوم والانتظار ، اصبر واصمت وتحير وداوم على الطلب بقلبك لا بلسانك تنزل عليك مائدة الرحمة الإلهية، إن شبع العين هو شبع القلب غير متعجل للعطاء غير ملول في انتظاره ، ترفع عقيرتك في طلب القوت كل لحظة ، فالشبع لا يتعجل الطعام، صورة معاشة ، والشبع هو شبع النفس وليس شبع البطن فإنه لا يشبعها إلا التراب ، كن رجلا صاحب همة ، ولا

تكن شحاذاً ملحاحاً سمجاً ، فإن هذه الدولة التى يبلغ عطاؤها سبعين ضعف عطاء هذه الدولة " الموجودة على الأرض " ، والتى ينتظر الشحاذون عطاءها ، أما الأغنياء (بالله) فهم الذين ينتظرون العطاء من الله لا من سواه وينتظرون المائدة العلوية ، فانتظار المائدة العلوية نوع من العبادة وليس محنة كانتظار العطاء من طواغيت الأرض (عن هذا الانتظار ، انظر الكتاب الرابع ، الأبيات ١٢٢٢ - ١٢٢٥) وفي النهاية فإن كل من ينتظر نوالاً من أرباب الدنيا قد يناله وقد لا يناله ، لكن منتظر عطاء الحق لابد وأن يناله ، المهم أن يكون صاحب همة ، وأن يكون العطاء الذي يطلبه بقدر قيمة المعطى ، فالضيف الذي ينصرف إلى شرب الحساء على المائدة يدل على ضعف همته ، فينصرف المضيف عنه لكنه إذا قلل من شرب الحساء فإن المضيف سوف يأتي بالطعام الدسم ، لا تقل إنك جربت هذا ولم يحدث، فمن قال لك أننا نتحدث عن هؤلاء الأخساء البخلاء ، إننا نتحدث عن الرزاق الكريم الذي لو أعطى كل امرئ ما يطلبه ما أنقص هذا من خزائنه مثال ذرة ، فاطلب بشموخ وكبرياء فإنما تطلب من العزيز العلى ، وحتى تسطع عليك شمس كرمة كما تسطع على قمم الجبال عن طلوعها .

(١٧٦٠ - ١٧٧١) : ما ورد هنا يشبه ما ورد في الكتاب الثالث (الأبيات ٣٩٦٢ - ٣٩٨٥) منسوباً إلى جالينوس وإن كان مولاناً يستعبد أن يكون جالينوس متعلقاً بالدنيا كل هذا التعلق برغم حكمته ، ونظرة مولانا إلى الموت مثل نظرة كل الصوفية ، انه بوابة إلى حياة أعظم وعرس وبداية مرحلة من الكمال الإنسانى تتبع مراحل وتتلوها مراحل أخرى ، وهذه النظرة بالطبع تختلف عن نظرة الكثيرين من شعراء الفرس ومنهم الفردوسى الذي قال :

كانت الدنيا ستصبح جنة بأريجها وألوانها لو لم يكن فيها الموت والشيخوخة

(عن استعلامى ٣٠١/٥)

أو الخيام الذي أقام مناحة في رباعياته من جراء فناء ابن آدم بعد هذه الحياة الدنيا ، وقد يكون أحدهم المذكور في البيت ١٧٦ هو جالينوس ، أما الآخر المذكور في البيت ١٧٦١ الذي يرى قيمة الدنيا في أنها صائرة إلى الموت لأنه بلوغ الغاية ونيل الوصال فيشير السبزوارى (ص ٣٧١) أنه الإمام على عليه السلام الذي قال

جزى الله عنا الموت خيراً فإنه أبر بنا من والدينا وأرأف

ويكون الأمر كما لو أن الخليقة عبارة عن بيدر من القمح بسط في واد فلا هو ذرى ، ولا

استخرج القمح منه ، ولا صنع منه الخبز ، فالموت هو الذي يصفى الحياة مرحلة بعد مرحلة ويجدها ، ولو لم يوجد لجأ الناس بالصراخ مطالبين به (انظر لتفصيل هذه الفكرة ، الكتاب الرابع ، الأبيات ٣٠٠١-٣٠٠٨ وشروحها) ، وذلك الذي يكره الموت لم ير ميتا حتى يسأله ، وأنداك سوق يكتشف أن الموتى لم يعانون قط حسرة الموت بل كانت حسرتهم كلها من أجل الفوت ، أي فوت فرصة العمل الصالح . كما قال الرسول ﷺ : { ليس للماضين هم الموت إنما لهم حسرة الفوت } (انقروى ٤٠٥/٥) . يتمنون لو يعودوا ليعملوا صالحا ، كلا ومن ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون ، إن الذي يقف عند ظاهر الحياة الدنيا ، يلعب النرد لعبة مقلوبة ، ويفهم الأمور على عكسها ، ويلقى ببذوره في الأرض البور ، ويترك أرض الله الواسعة (عن أرض الله الواسعة ، انظر الكتاب الرابع ، الأبيات ٢٣٨٠ - ٢٣٨٣ وشروحها) إنه عقلك الكاذب الذي يبعدك عن عقلك الإيمانى ويبدى لك الأمور مقلوبة إلى هذا الحد ، وإلا فأية نسبة بين البئر (الدنيا) والخلاء (الآخرة) ذات المتعة واللذة والسعة ، وأية نسبة بين إيوان الباطل و ﴿ مقعد صدق عند مليك مقتدر ﴾ أية نسبة بين خمر الدنيا التى تخمر من المخيض ، وبين خمر الخواص اللذة للشاربين ، وهكذا ، إن لم تكن قد عشقت حياة تحسد عليها ، فمت موتا كموت الرجال تحسد عليه ، وانتهاز ما يتبقى من العمر ، وهكذا يكون موت الرجال بديلا مطروحا لحياة الذل والمسكنة .

(١٧٧٢ - ١٧٨٦) : العنوان : ﴿ وهو الذي ينزل الغيث من بعد ما قنطوا وينشر رحمته وهو الولي الحميد ﴾ (الشورى/٢٨) . والعبرة " رب بعد يورث قريبا ورب معصية ميمونة ورب سعادة تأتى من حيث يرجى النقم " ، ليست حديثا كما ينص مولانا في البيت الأول بل هى من أقوال الأولياء ، ويضرب إسماعيل الانقروى مثالا على المعصية الميمونة بهم عمر بن الخطاب ؓ قبل إسلامه بالاعتداء على الرسول ﷺ وكان في ذلك إسلامه ، والسعادة تأتى من حيث يرجى النقم هى اللطف في ثوب القهر وقد مر ، و الآية ﴿ فأولئك يبذل الله سيئاتهم حسنات ﴾ (الفرقان : ٧٠) . ويرى استعلامى أن هناك رواية مشابهة في حلية الأولياء لأبى نعيم الاصفهاني (لم يحدد في أى جزء) (استعلامى ٣٠٢/٥) وكما أن " الناس نيام إذا ماتوا انتبهوا " ، وكما أن " النوم أخ الموت " . وأهل الجنة لا ينامون ولا يموتون (كنوز الحقائق) ، والحديث النبوى : { إنكم لتموتون كما تنامون وتبعثون كما تستيقظون } " أحاديث مثوى / ١٦٤) . وكما أن النوم هو " الموت الأصغر " ، فالصبح أيضاً هو الحشر الأصغر

والبيت ١٧٣٨ ناظر إلى الحديث الشريف " يبعث كل عبد على ما مات عليه " ، والحديث النبوى " إنكم تموتون كما تعيشون وتحشرون كما تموتون " (انقروى ٤٠٩/٥) .

(١٧٨٧ - ١٧٩٤) : هكذا فان منا منا وصحونا شاهدان على موتنا وحشرنا، وإن كان الأمر هنا لا يعدو مجرد مجاز و " خيال " ، فليس النوم هو الموت وليست اليقظة هي الحشر ، وإنما هو مجرد تشبيه والأمر لا تكون حقيقة أو عيانا إلا " هناك " ، حيث تتحول الأمور كلها إلى عيان شديد الوضوح ، لكن الأصل هنا ، أصل ما يبدو هناك موجود هنا ، تماما مثلما تكون صورة الدار موجودة في خيال المهندس وفي " قلبه " ، كما توجد البذرة في الأرض ، ثم ينفذ المهندس تلك الصورة الموجودة في خياله ، كما تجعل الأرض البذرة تنمو ، وهكذا كل " خيال " ، يتوطن في القلب ، وكل " فكرة " ، تعن له سوف تتصور يوم الحشر ، أو كما قال الرسول ﷺ : { يبعث الناس على نياتهم } (انقروى ٤١١/٥) .

(١٧٩٥ - ١٨٠١) : إن هدفى من هذا الحديث هو أن أقدم درسا يستفيد منه المؤمنون : فعندما تشرق شمس الحشر ، يهرع الموتى من أجداثهم مصداقا للآية الكريمة ﴿ ونفخ في الصور فإذا هم من الأجداث إلى ربهم ينسلون ﴾ (يس / ٥١) و ﴿ يوم يخرجون من الأجداث سراعا كأنهم إلى نصب يوفضون ﴾ (المعارج / ٤٣) ، إنهم يمضون إلى الحساب والميزان ، هذا هو ديوان القضاء الأكبر ، يمضون كما يمضى الذهب النضار والذهب الزائف ، كلاهما إلى بوتقة الصائغ وكير الحداد (عن المحك للتمييز بين الصحيح والزائف انظر الكتاب الرابع الأبيات ١٦٧٦ - ١٧٨٩ وشروحها) . وها هي أنواع الامتحانات تتوالى عليك (انظر عن الامتحان الكتاب الثالث ، الأبيات ٧٤٣ - ٧٤٦ وشروحها) . فتظهر أعمالك مثلما يظهر أفي القنديل ماءٌ أو زيت ، هل أنت من الذين (يسعى نورهم بين أيديهم) (الحديث / ٦٢) ، أو من نوى الوجوه التى ﴿ عليها غبرة ترهقها قتره ﴾ (عبس / ٤٠ ، ٤١) ، وما في داخلك سوف يظهر كالنبات الذي تدفن بذرتة في الشتاء ، فيأتى الربيع ويجعل منه نباتا سامقا .

(١٨٠٢ - ١٨٠٥) : وانظر إلى الناس ، وانظر الفرق بين الشقى والسعيد فأولئك الذين هم من المتقين يكونون ﴿ فى مقام أمين فى جنات و عيون يلبسون من سندس وإستبرق متقابلين ﴾ واما الفجار الفاسقون المجرمون فيكونون مصداقا للآية الكريمة : ﴿ ولو ترى إذ المجرمون ناكسو رؤوسهم عند ربهم ﴾ (السجدة/١٢) . و ﴿ زاغت الأبصار ﴾ (الأحزاب / ١٠) ، و ﴿ مهطعين مقنعي رؤوسهم لا يرتد إليهم طرفهم وأفئدتهم هواء ﴾ (إبراهيم / ٤٣) إن الكتب

سوف تأتي ، سوف تسقط عليك في يمينك أو في يسارك دون أن تدري ، ولن يستطيع أحد أن يغير ، فلا حول ولا طول ، والخشية كل الخشية أن يأتي الكتاب في اليسار ﴿ فأما من أوتى كتابه بيمينه فسوف يحاسب حسابا يسيرا وينقلب إلى أهله مسرورا وأما من أوتى كتابه وراء ظهره فسوف يدعو ثبورا ويصلى سعيرا ﴾ (الانشقاق / ٧-١٢) .

(١٨٠٦ - ١٨٢٠) : ويفاجأ الكافر الزنديق في يده بكتاب أسود يجمع كل جرائمه وفسقه ، فلا حسنة واحدة ، ولا عمل صالح واحد ، ليس فيه إلا ما يؤذي قلب كل مؤمن ، كله سخرية من أهل الطريق وتطاول عليهم ، كله كبرياء وفرعونية وأنية مفرطة ونرجسية فجأة ، كله سرقة واحتيال ومكر ، وظلم للخلق ، يكون في طريقه إلى المشقة وإلى الجحيم ، ظاهر الجرم ضائع الحجة مختوم على فمه ﴿ اليوم نختم على أفواههم ﴾ (يس / ٦٥) ، وماذا يستطيع أن يقول ، لقد ذهبت تلك السطوة التي كان يتوقع بها في الدنيا ويعتمد عليها ، ربما سطوة لصوص أكبر منه يحمونه ، ها هو يمضي وملائكة العذاب من حوله كالعسس يضربون رأسه ودبره ، ﴿ ذق إنك أنت العزيز الكريم ﴾ (الدخان / ٤٩) ، إنه يتلفت ، يستغيث ، ثمة أمل عنده في العفو لكنه أمل محال ، أمل واه ، فهو أدري بنفسه ، تلك النفس الفرعونية التي ووجه بها لأول مرة عارية لا يسترها حتى ثوب الرياء .

(١٨٢١ - ١٨٣٤) : ويأتيه الخطاب الإلهي ﴿ كلا لا وزر ﴾ (القيامة / ١١) ، هذا يوم العدل الإلهي ، ماذا تنتظر ، ولماذا تتلأ ، وأى أمل لك وأنت أدري الناس بعملك ، إنك لم تتو نية خير واحدة ، إنك لم تر سوى فعلك ﴿ وما ربك بظلام للعبيد ﴾ (فصلت / ٤٦) ، و " إني حرمت الظلم على نفسي " ، فلا أنت نويت خيرا ولا فعلت خيرا ، ولا اتعظت ، وعملك هو نفسك وهي معوجة فلا بد أن يكون ظلها معوجا ، والجزاء من جنس العمل ، فكيف تتوقع أن يكون الكتاب في يمينك وسعيك كله في فعل أهل الشمال ؟! ولقد فعلت كل هذا وكان باب التوبة مفتوحا أمامك ، لكنك لم تتب (عن باب التوبة ، انظر الكتاب الرابع ، الأبيات ٢٥٠٣ - ٢٥٠٨ وشروحها) .

(١٨٣٥ - ١٨٤٤) : فيجأ العبد بالضراعة إلى الله سبحانه وتعالى " نعم عندي أمل يا الله ، فأنا أعلم أنني فعلت كل ما نسب إلى وهناك الكثير أيضا مما ستره حلمك على ، لكني أيها الإله ، هناك شيء ما خارج عن جهادي وخارج عن فعلي ، عن جرائمى وفضائحي ، عن ضراعتي ، وعن عجزى وقلة حيلتي ، عن ضراعة مائة من أمثالي ، هو رجائي في

محض عفوك ومحض لطفك ، وكلاهما لا علاقة له بعتوى وظلمي، إنه هو العطاء المحض ، هذا كان أملى ، كان التفاتى كله إليه ، كان رجائى كله فيه ، هذا العطاء المحض الذي منحنى الوجود منذ الأزل (انظر لحفظ الله للنطف في الأصلاب ، ولطفه العميم ، الكتاب الثالث ، الأبيات ٣٣١ - ٣٣٧ وشروحها) ، لقد أعطيتنى خلة الوجود وخلقتنى وهديتني السبل ، كان ديدنك معى - يا الله - هو العطاء ، لم تمنع عنى عطاءك ، وأنا غارق في الذنب ، فكنت يا الله دائم الأمل في هذا العطاء .

(١٨٤٥ - ١٨٥١) : هذه الضراعة ، والاستغاثة ، والدموع هي التي تجعل بحر الرحمة يجيش ، (انظر شروح البيت ١٥٦٩ من الكتاب الذي بين أيدينا) ، فيأمر الله سبحانه وتعالى الملائكة قائلاً : ردوه إلى ، لقد كان آملاً فينا ، طامعاً في وجهنا ، كان الرجاء فينا راسخاً في سويداء قلبه ، إن هذا الرجاء جدير بالعفو ، فلا نفع لنا من صلاحه ولا ضرر علينا من سوءه ، ولنضرم النار في كتاب أعماله فلا زلة ولا خطأ ولا سوء ، ويعلق الأتقوى راوياً حديث عن الرسول ﷺ : { من أذنب ذنباً فعلم أن له رباً إن شاء أن يغفر له غفر له وإن شاء أن يعذبه عذبه ، كان حقاً على الله أن يغفر له } (جامع ١٦٢/٢ - ٤١٨/٥) . وترتفع البشرية الإلهية ، لقد آن لنا أن نبذل سيئاته حسنات ، هذه هي كيمياء التبديل (انظر لكيمياء الفضل الكتاب الرابع البيت ٥٩٢ - ٥٩٤ ، و ١٦٨٤ وكيمياء التبديل الكتاب الرابع ٣٥٠٨) ، وهي لا دخل لها بجبر واختيار ، هي محض لطف ، (عن الجبر والاختيار ، انظر الكتاب الثالث ، الأبيات ١٣٦٣ - ١٣٧٦ وشروحها ، وانظر مقدمة الكتاب الذي بين أيدينا) هذه الكيمياء مضمنة في الآية الكريمة ﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ﴾ (الاحزاب / ٧٠ - ٧١) . قال نجم الدين : يشير إلى أن الإيمان لا يكمل إلا بالتقوى وهو التوحيد عقدا وحفظ الحدود جهدا ، ولا يحصل سداد أعمال التقوى إلا بالقول السديد وهي كلمة لا إله إلا الله ، فبالمدائمة على قول هذه الكلمة بشرائطها يصلح لكم أعمالك أي أعمال التقوى ويظهر سداد أقوالكم وسداد أعمالكم وبسداد الأقوال والأعمال يصلح سداد الأحوال ويغفر لكم ذنوبكم " . (مولوى ٢٧٠/٥) .

(١٨٥٢ - ١٨٥٦) : إن هذه الأنوار الإلهية الأزلية الأدبية لا تزيدنا تقوى تقى ، ولا تنقص منها معصية شقى ، وماذا يكون الإنسان حتى يعامله الله سبحانه وتعالى بعمله ؟! هو لسان واللسان قطعة من اللحم وعين وهي قطعة من الشحم وأذن وهي قطعة من

العظام ، وقلب وهو قطرتان من دم ، هذا هو الإنسان خلقه الله ضعيفا ، وهو يعلم أولا ضعفه، يعلم أنه مجرد دودة ، بالنسبة للقدره الإلهية . في قول منسوب إلى الإمام علي عليه السلام : اعجبوا لهذا الإنسان ينظر بشحم ويتكلم بلحم ويسمع بعظم ويتنفس من خرم " (سرنى أول ٢٤٥ ، وأحاديث مثوى ٦٣) وإلا فإنه بالنسبة للمخلوقات سيدها وخليفة الله فيها (انظر مقدمة الترجمة العربية للكتاب الرابع) " ما لابن آدم والفخر ، أوله نطفة قدرة وآخره جيفة قدرة وهو فيما بينهما يحمل العذرة " . ليتته يتذكر أصله بين الآن والآخر ، كما كان " إياز " ، يتذكر رداءه الجلدى وحذاءه الريفى ، أى لباسه أيام كان راعيا فقيرا .

(١٨٥٧) : الحكاية التى تبدأ بهذا البيت ، بطلبها إياز أويماق مملوك السلطان محمود الغزنوى (٣٦٠-٤٢١ هـ ، ٩٧٠ - ١٠٣٠ م) وتعنى إياز بالتركية المضى والمنير والمشرق واللامع (جلبنارلى 5/317) ولب الحكاية يرجع إلى الروايات الشعبية السائدة في بلاد المشرق عموما عن ذلك الذي لا تسكره السلطة عندما يصل إليها وبخاصة إذا كان من أصل وضع ، ويرجع فروزانفر (مأخذ / ١٧٣ - ١٧٤) الحكاية إلى ما ورد في أسرار التوحيد في مقامات الشيخ أبى سعيد عن نساخ وصل إلى الوزارة فأقام نولا إلى جوار دست الحكم كان ينسج عليه بين الآن والآخر حتى لا ينسى أصله ، وإلى ما ورد عن أبى نعيم الأصفهاني في الحلية عن الخليفة الأموى عمر بن عبد العزيز (٩٩-١٠١ م / ٧١٧ - ٧٢٠ م) ، حيث كان يقيم مبتعدا في حجرة متواضعة وفي عنقه جنزير (كالعبد) من أول الليل حتى طلوع النهار ، وكان أول من نظم الحكاية هو فريد الدين العطار في منظومة " مصيبت نامه " ، وقد أشار مولانا إلى إياز عدة إشارات في الأجزاء السابقة من المثنوى (منها على سبيل المثال البيت ١٠٥٢ الكتاب الثانى ، وأشار إشارة مجملة إلى علاقة إياز بردائه الجلدى الريفى الكتاب الرابع ٨٨٧) ويروى المولوى (٣٧١/٥) ، و (انقروى ٤٣٣/٥) ، كان قرويا فقيرا فخرج السلطان محمود يوما إلى الصيد فمرق صيده من أمامه فتبعه، وبعد عن عسكره فأتى خيمة تركمانى وطلب منها ماء ولم يكن سوى إياز موجودا في الخيمة، وعلم بالفراسة أنه السلطان، فأعد له مجلسا ونادى فسر منه السلطان، وكان إياز قد قال له إن أباه ذهب ليحضر ماء ، لكنه بعد فترة أخرج له ماء من الخيمة، وفسر ذلك بأنه لم يقدم للسلطان الماء وهو عرقان ومجهد فشغله بالحديث حتى استراح، جسده فعجب السلطان من ذكاه إياز رغم صغر سنه ، وضمه إلى مماليكه ، والحكاية رويت عن أكثر من سلطان وغلाम أو جارية . المهم في هذا المجال أن

روايات كثيرة رويت عن اياز ومحموداً أشهرها تلك التي رواها نظامى العروض السمرقندى في كتاب المقالات الأربع عن مجلس للشراب كان اياز حاضراً فيه وأن الخمر لعبت برأس السلطان محمود فاشتتهى " اياز " ، ثم طلب أن تقص طرة اياز التي ألقت به في هذه الشهوة ، وطلب من العنصرى شاعره أن يقول شعراً في ذلك ، ووضح أن الحكاية واضحة الافتعال . (جهاز مقاله ، لنظامى عروضى السمرقندى ، طبعة مصورة اوفست ، عن طبعة ليدن ، ص ٣٤ - ٣٦ ، وانظر الترجمة العربية ليحيى الخشاب ، وعبد الوهاب عزام) . لكن تلك العلاقة الحميمة بين اياز ومحمود أوحى فيما بعد إلى الصوفية بجعل اياز رمزاً للمحب والعاشق للسلطان (الإنسان العاشق للحقيقة والمريد العاشق لشيخه أو كمثل لجلال الدين الرومى وشمس الدين التبريزى) ، وفي عصور الانحطاط نظمت منظومات كاملة حول هذا الموضوع مليئة بالإحالات ، ومن الواضح أن القصة هنا هي " قصة " هذا الكتاب من قصص " العشق " ، (فى مقابل قصة وكيل صدر بخارى في الكتاب الثالث والنديم الذي حكم عليه الملك بالإعدام ثم توسط شفيع له ، وغضب النديم على الشفيع في الكتاب الرابع) ، ومن الواضح أن كل أبطال هذه القصص من الرجال (العشاق والمعشوقين) ، وهو ما قد يثير بعض الشبهات عند أصحاب الثقافة الغربية الذين يعتبرون هذا الأمر نوعاً من الشذوذ ، في حين أن التوحد الجنسى هنا يخرج أي دور للجسد في علاقة المحبة القائمة بين أبطالها .

(١٨٥٩) : إن من أخص الأمور التي تجعل الإنسان يحس بشيء من التوازن هو أن يذكر وهاد حياته عندما يرتفع فلا تبطره النعمة ، ولا يطغيه الاستغناء ، والإنسان وهو سيد الخليقة إذا ذكر في النهاية انه مجرد حمأ مسنون ، وأنه الضئيل الحقير بها نهاية في مقابل العظيم بلا نهاية ، فإن ذلك سوف يخفف من غلوائه (انظر الأبيات ٨٨١ - ٨٨٣ من الكتاب الرابع وشروحها) .

(١٨٦٦) : من إفاضات مولانا جلال الدين خارج إطار الحكاية وخارج تيارها : منتهى عطية السلطان (الله) للمرء (اياز) هو العشق وما فوقه مطمع ولا مطمح ، فأى اهتمام بيديه العبد هو دون هذا العشق وهو نقص للوفاء وكفران بالنعمة (لنقض الوفاء انظر الكتاب الثالث الأبيات ٢٨٦ - ٢٩٧ وشروحها) .

(١٨٧٣ - ١٨٧٧) : كيف يكون الملك ملكاً ثم يصدق وشاية الأمراء ؟! لا لم يكن يصدقها كان يعلم أن الأمراء من المنافقين ، وكان يريد أن يفضح نفاقهم على أيديهم ﴿ إن المنافقين

يخادعون الله وهو خادعهم ﴿ (النساء / ١٤٢) ، لكنه يخشى شيئاً واحداً ، يخشى أن يتألم إياهم من هذا الظن السيئ ، وماذا إن كان قد فعل ، أي ذهب وأية جواهر يضمن بها المحبوب على محبه .. هو محبوبنا (وكل ما فعله المحبوب محبوب) ، (انقروى ٤٢٤/٥) . وكل ما فعله المحبوب فقد فعله المحب ، (فأنا يده التي يبطش بها وقدمه التي يسعى بها) ، فالحجاب بين العاشق والمعشوق صوري لا يمنع الاتحاد حقيقة ، كأنه يقول : ولو كنا في الصورة متغايرين ولكن باعتبار الحقيقة لا امتياز ولا مغايرة .

(١٨٧٩ - ١٨٨٧) : لكن كيف يخون؟! إن هذا محال ، وها هو الوجد يأخذ بتلابيب مولانا ، فيزداد إيقاع الأبيات بيت بعد بيت ، ويأخذه بوح العشق ، إن الأمر هنا خرج عن إطار محمود وعن إطار إياز وعن كل إطار بشري ، فأبي إياز هذا الذي تكون البحار السبعة قطرة واحدة منه ، والذي يكون أصلاً لكل أنواع الطهر ، أي إياز هذا الذي يكون الوجود كله رشة من موجه ، نحن في هذه الحكاية من حكايات العشق أمام معشوق عاشق ، وعاشق معشوق وكلاهما المعشوق والعاشق يحمل تجاه الطرف الآخر الشعورين معاً (أليس الأمر في الحقيقة هو هذا؟) إن هذا الكامل المقرب إلينا ليحسده كل المقربين ، فهو منا بمنزلة العين والمصباح ، فإياز هنا هو الإنسان الكامل والمتصل الفاني في ملك محمود ، أما المراد بالبحار السبعة فهي اللطائف الإنسانية السبعة والبطون السبعة للآيات ومدن العشق السبعة والكنوز السبعة والأعضاء السبعة في بدن الإنسان والأشكال السبعة والمرايا السبعة والأيام السبعة (سبزوارى ٣٧٤) ، إن عظمة الإنسان عندما يكون مقرباً تبدو بلا حد ، ومن الذي يمكن أن يصف هذا الذي لا تحتويه الأفلاك ، من الذي يستطيع أن يصف ذلك المخلوق من تراب الذي سما عن التراب وصار إليهما وبز الملائكة ، ولم يعد جسداً ، دعنى إذن أصرخ ما دمت لا أستطيع القول "آفة الحال إدراك المقال" ، (إننى حائر بين الحديث والبكاء ، أبكى أو أتحدث رباه ماذا أفعل؟ فإن تحدثت فاتتى البكاء ، وإن بكيت فكيف أفصح عن الشكر والثناء ، ٤٧١٢-٤٧١٣ من الكتاب الثالث) وليت الوجود كان ذا لسان ، حتى يرفع الحجب عن الموجودات ، وكل ما تقوله يانفس الوجود عن الوجود أعلم أنك قد وضعت عليه حجاباً آخر ، إن آفة الإدراك هو ذلك المقال والحال ، وغسل الدم بالدم محال محال (٤٧٢٨-٤٧٣٠ من الكتاب الثالث) ، لكن لابد من الإفصاح ، أصرخ ، أرقص ، فإن القلب لا يحتمل كل ما فيه وهو رقيق كالزجاجة ، مرقق الثياب وجداً بدلاً من أن يتمزق القلب الرقيق الضعيف الذى فاض بما فيه من العشق .

(١٨٨٨ - ١٨٩٠) : اختلف المفسرون حول هذه الأبيات الثلاثة فقد فسر الأنقروى والمولوى (انقروى ٤٢٧/٥ - مولوى ٢٧٥/٥) بأنه جنون روحانى وزيادة فى الوجد ، حالة كانت تنتاب مولانا بمجرد ظهور الهلال فكان يندفع فى الرقص ، وقد ورد المعنى أيضاً فى ديوان شمس تبريز : ثانية جاء أول الشهر ، وهذا هى نوبة الجنون (عن استعلامى ٣٠٧/٥) ويرى عبد الباقي (٥/٣١٩) أنه كان من المعتقدات الشعبية أن يجن الرجال فى أول كل شهر ثلاثة أيام (فى مقابل العادة الشهرية عن النساء) ويرى جعفرى (٥٦٧/١١ - ٥٦٩) أن ظهور الهلال كان يثير فى مولانا الوجد لأنه يذكره بسطوع الأنوار الإلهية ، (كان أو لى تمام البدر) ، ويؤيد ما ذهب إليه عبد الباقي لكنه لا يراه معتقداً شعبياً بل يراه نظرية قال بها علماء النفس الغربيون ، على كل حال يمكن أن يكون عبد الباقي أقرب إلى المعتقدات الشعبية التركية التى كانت سائدة فى بيئة الأناضول فى عصر مولانا، ويفسر ملا هادى السبزواري الأمر تفسيراً فلسفياً ، فيرى أن الأيام الثلاثة مجاز يعنى فترة العمر لأن الزمان كله اعتباراً هو أيام ثلاثة : أمس واليوم وغداً وهو تجلى للماضى والحاضر والمستقبل ، ففى كل أن تجل جديد وطلوع نور على الإنسان الذى هو خليفة الله كما أن القمر خليفة الشمس (ص ٣٧٤ ، ٣٧٥) أما معنى هذا يوم السعادة لا يوم الفيروز ، فذلك الغارق فى السعادة الروحية والفضل الإلهى لا يعنيه أن ينظر إلى خاتمة الفيروزى عند رؤية الهلال حتى يكون الشهر كله رزقاً وبركة وسعادة (استعلامى ٣٠٧/٥) ، لكن أى أول شهر ، ترى هل يكون الوجد والعشق والفناء موقوتاً بوقت أن الشهر كله بالنسبة لى بمثابة أول الشهر ، فأنا دائم فى وجدته غارق فى عشقه مجنون به .

(١٨٩١ - ١٨٩٥) : من الأوفق أن يكون البيت ١٨٩١ بعد العنوان التالى ، إن أية حكاية من حكايات العشق تجرنى نحو ذلك الجنون ، نحو ذلك العشق الذى يكوينى بناره ولا أجد له دفعاً ، فاركض ، وأحن ، مثلما يحن الفيل إلى موطنه (انظر لتفصيلات هذه الفكرة الكتاب الرابع ٣٠٦٨ - ٣٠٧١ وشروحها) ، والشطرة الثانية فى البيت ١٨٩٢ تعنى أنه لجنونه هذا قد صار فاقدا لكل مسئوليته (انظر ٥١٧ - ٥٢٣ من الكتاب الثالث عن خراب القرية وتخريبها للعقول والقلوب) ، وعن البقاء فى الفناء انظر مقدمة الترجمة العربية للكتاب الثالث ومن الملاحظ أن مولانا عندما يفيض به الوجد ينظم شعراً بالعربية (انظر الكتاب الثالث هيا تحدث بالفارسية وإن كانت العربية أحلى ، وللعشق فى حد ذاته مائة لغة أخرى البيت ٣٨٤٤) .

(١٨٩٦ - ١٩٠٦) : يستمر مولانا خارج إيقاع لحن "اياز" كما عبر ، والواقع أنه ما طرح هذا اللحن إلا لكي يغوص في وجدته ، فكل عشق بين رجال الحق "أو من يرمزون إلى رجال الحق بالطبع" إنما يحرك عنده عرق التجانس ومحبتة لرجال الحق "شمس الدين أو حسام الدين" ، فهكذا ، إنني عاجز عن إكمال هذه الحكاية ، ألا فلتطلع على أحوالي وتحدث عنها أنت ، كأنه يحدث حسن حسام الدين ، إجذبه - أي المثوى - فينجذب إليك ، أقرأني ورد ، فأنا جبل الطور ، وأنت موسى الوقت ، وهذا - أي المثوى - هو الصدى (عن الجبال ونزوع رجال الحق إلى الخلوة في الجبال انظر الكتاب الثالث ١٣٥٠-١٣٥٥ وشروحها) ، وهذا الجبل لا يعرف شيئاً إنه يردد كل ما يقوله موسى ، إنه جسد ، ومع ذلك فالجسد يستمد قليلاً من لطف الروح ، وهكذا صرف أسطورة ، لأنني نبت في رجال الله (انظر ١١٤٧ من الكتاب الثالث وانظر أيضاً الأبيات العشرة الأولى من الكتاب الرابع) إن رجال الحق يفيضون على التراب وعلى الجماد من أنوارهم ، فما بالك بأولئك الذين يلزمونهم ويأخذون عنهم ، ولماذا لا تكون الروح في حاجة إلى جسد ، إن ذلك المنجم كليل البصر ، ولا يستطيع أن يكشف الكواكب وأن ينظر إلى الشمس إلا بمعونة الاضطراب ، وهكذا روح السالك هي المنجم والجسد كالاضطراب ، لكن إياك أن تعتمد على هذا الاضطراب ، إن الرؤى التي يكشفها قاصرة جداً ، فكيف يحيط هذا الاضطراب المحدود بهذا الكون؟ كفاك ادعاء وفيهقة .

(١٩٠٧ - ١٩١٧) : هيا ابحث عن كحل العارفين "المعرفة ، الفيض وذلك الدواء الذي يجعلك تنظر إلى الأمور كما ينبغي وهذا يجعل عينك تصير في سعة البحر ، بعد أن كانت مجرد جدول (وانظر أيضاً عن كحل العارفين الأبيات ٣٣٧٢ - ٣٣٧٥ من الكتاب الرابع وشروحها) ، ما هذا الذي أقوله إنني لا جدال قد فقدت الوعي ، ترى لماذا ينكر جلال الدين هنا ما يقوله؟ أترأه يستبعد أن تتحول العيون الكليّة إلى عيون حادة لمجرد أنها اقتربت من العارفين ، أو تراه يرى نفسه على وشك أن يخوض في أمور ليس له أن يخوض فيها ، فينأى بنفسه من طرف السطح قبل أن يسقط فيه (عن طرف السطح انظر الكتاب الرابع ٢١٥٠-٢١٥٣ وشروحها) لكن ما ذنبي أنا ، أنه ذنب من سلبني الحجي ، من سلبني العقل ، من جعلني أتخبط هكذا في الكلام ، لأهرب ، لأتحدث بالعربية ، فكم هم الذين يفهمون العربية في هذا المجلس ؟ ها أنا أخاطبك أي عقل أبحث عنه ؟ إن العقل عقال ، والعقول في تلك الناحية لا تساوي الألف منها خردلة منذ أن همت فيك وجننت بك لم أشته أن يكون لي عقل ،

وجنوني إنما هو فى هواك ، لكن ما دخل اللغة هنا ؟ حتى إن تحدثت بالفارسية فمن الذى يستطيع أن يفهم هذا الكلام "لقد مت حسرة على الفهم الصحيح" وها هم شراح المثنوى يقولون أن المخاطب تارة هو شمس الدين وتارة هو حسام الدين ، أى شمس دين وحسام دين ، أيمكن أن يكون المخاطب هنا بشراً ثم ينجو مولانا من القيل والقال ، وهل يمكن أن يكون كل هذا الهيام فى بشر ، حتى ولو كان هذا البشر هو شمس الدين أو حتى حسام الدين ، إن العلاقة بين مولانا وبين شمس الدين وحسام الدين تظل قائمة على علاقة الإبداع ، إنهما هما اللذان يدفعانه إلى الإبداع ، وحسام الدين يجر الكلام منه جراً إلى حيث يريد الله له أن يكون" (انظر الأبيات العشرة الأولى من الكتاب الرابع) لكن من المحال أن يكون هيام العشق موجهاً إلى حسام الدين أو شمس الدين ، وكأن مولانا كان يتوقع كل هذا التخريجات ، فيتساءل هل يتحمل كل وعى خمرة (الإلهية) وهل يمكن لكل إنسان أن يكون عبداً له؟ ها أنا ذا دليل لك ، لا يزال الجنون ينتابنى بين الآن والآخر ، فهاتوا القيد ، هاتوا القيد ، امنعوا هذا المجنون من الحديث والقول ، لكن قيدي من جدائل حبيبي ، وما عداه من قيود لا يمكن أن يمنعنى من الحديث ، أية قيود صورية إنما القيود هنا داخل القلوب .

(١٩١٨ - ١٩٢٦) : عودة إلى قصة إياز ، لكنها عودة لمجرد التذكير بأنه يتحدث عن قصة إياز وحذائه وسترته ، ثم انطلاق نحو مستوى آخر من الحديث هو مزيج هذه المرة بين العرفان والأخلاق ، والآية فى العنوان «فليُنظر الإنسان مم خلق» والجواب «خلق من ماء دافق» (٥ ، ٦ من سورة الطارق) قال نجم الدين حفظتك فى هذا القبيل يحفظونك من العاهات الجسمانية والآفات الروحانية وأنت غافل عن نفسك وعن حفظتك وتحسب أنك خلقت للأكل والشرب والجماع أما تعلم أن الله خلق لطيفتك الإرادية من ماء الرحمة المصبوب فى رحم قلبك مما كان مودعاً فى صلب روحك ومن ماء التربية المستودع فى ترائب قلبك وقت التخمير أن الله غالب على رجهه إلى أصله إن لم يعط حقه" (مولوى ٥/٢٧٩) إن هذه القصة فى رأى مولانا كنز ملئ بالأسرار وهذا هو أحد أسرارها ، إن أحد أسباب احتفاظ إياز بملابسة القديمة هو أن ينظر إليها قائلاً لنفسه : انتبه هكذا كنت ، إياك والكبرياء ، إنك مجرد راعى وقروى ولست نديم السلطان ، وينطلق مولانا نحو الدرس : إن وجود النعمة يحدث طغياناً يعبر عنه مولانا بكلمة "السكر" «كلا إن الإنسان ليطغى أن رآه استغنى» (العلق ٦-٧) انه سكر الوجود يحس المرء أنه مالك لوجوده أو بالتعبير المعاصر مالك لمصيره مسيطر على

حياته "سيد نفسه" إلى غير ذلك من التعبيرات المضحكة، فيسقط سقوطاً ذريعاً في الكبرياء الذى هو ضريب الشرك ، القرون السابقة بادت لأنهم ظنوا أنهم "قادرون عليها" أى قادرون على الأرض مسيطرون يفعلون ما يشاءون ، وإليك المثال الأول عن الكبرياء : عزازيل "ابليس" عندما عصى عن أمر ربه كان يسمى عزازيل وكان من الملائكة الذين يسبحون الليل والنهار لا يفترون لكنه لم يتحمل السجود لآدم ، كان مانعه الكبرياء ، ومن الكبرياء كان العصيان الأول (يضيق بنا هنا المقام إن ذكرنا المواضع التى ذكر فيها إبليس أو عزازيل فى المثنوى ، فلا يكاد يوجد كتاب من كتب المثنوى الستة لم يذكر فيها أكثر من مرة، إنه المعادل الموضوعى لآدم، ولم يقف الأمر عند هذا الحد بل أدى الحسد إلى العصيان والتكبر والضللال والإضلال ، وهكذا النفس إن أرخيت لها حبال العصيان خرجت من معصية إلى معصية، لقد ظن إبليس أن النار أسمى من التراب ، ﴿ قال أنا خير منه خلقتنى من نار وخلقته من طين ﴾ (الأعراف ١٢) ، كانت نار غضبه تشتعل من داخله فتلقى بلهيبها وألسنتها خطأ وكفراً وتجبراً وعصيانياً ، ومن هنا قيل "الولد سر أبيه" إنه ابن هذه النار والمعبر عنها والمخبر عن صفاتها من إحراق وغيره (عن الحديث انظر الكتاب الرابع الأبيات ٣١١٦-٣١١٩ وشروحها) .

(١٩٢٧ - ١٩٣٦) : الآية المذكورة فى العنوان الرحمن ١٥ والآية الثانية ﴿ فسجدوا إلا إبليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه ﴾ (الكهف ٥٠) ، ويذكر مولانا حديث "الولد سر أبيه" ثم يستدرك ويراجع نفسه ، إنه هنا يتوسل بالأسباب والعلل ويبحث عن علة يبرر بها عصيان إبليس ، ويقول أنها من أصله لا إن الأمر كله لا يعدو قهراً من الله تعالى عز وجل، فلا يرتبط عصيانه بكونه مخلوقاً من نار لأن من الجن من آمن والله تعالى مبرأ من العلل ﴿ إذا قضى أمراً فإنه يقول له كن فيكون ﴾ فى صنع متواصل مستمر طاهر مبرأ من العلة التى هى حادثة وعرضة للتغير والتبدل ، ولا يصح أن يذكر هنا الأب أو سواء لأن مرجعنا جميعاً إليه ، وخلقنا جميعاً منه ، وما الآباء إلا مجرد صور جعلها الله سبباً للخلقة وإلا لو شاء لخلق من غير أب "عيسى عليه السلام عليه " بل من غير أب ومن غير أم "آدم عليه السلام" ، هذا هو اللباب وما سواء قشور ، لقد قبل من قبل دون علة ورد من رد دون علة ، والحقائق لا تتقلب فالعشق هو رفيقك أيها المرفه الذى فى هشاشة البندق ، إنك قدمت الجلد ، والقشر حتى تصبح مصداقاً للآية الكريمة ﴿ إن الذين كفروا بآياتنا سوف نصليهم نارا كلما نضجت جلودهم

بدلناهم جلوداً غيرها ليزوقوا العذاب ﴿ (النساء ٥٦) وأن اللباب منك ليسيطر على النار نفسها ، لكن النار فى حاجة دائماً إلى القشور ، فنور العبادة يطفى النار "جز يا مؤمن فإن نورك أطفأ نارى" لكن غثاء المعصية يزيد لها ضرماً ، وانظر لكى تعرف أنك إذا كنت تحتوى على ماء المعرفة فلن تستطيع النار أن تحرقك ، مثل القدر ، فهل رأيت قدراً مليئاً بالماء أحرقتة النار؟ إن النار تبدأ فى إحراق القدر عندما يتبخر كل ما فيه من ماء ، وخازن النار نفسها المسيطر عليها المسمى بمالك هو مخلوق ، فانظر إلى حكمة الله تعالى يجعل مخلوقاً خازناً على معدن الغضب ، وأنت لم تسيطر على معدن الغضب داخلك ولا تفتأ تمده بالقشور ، إن مالك مسيطر على النيران لأنه حقق معنى الإنسانية ، فحقق أنت أيضاً معنى الإنسانية وكن جديراً بأحسن التقويم .

(١٩٣٧ - ١٩٤٩): هناك جانبان يوجدان فى الإنسان بدن وروح أو كما يعبر مولانا فى هذا الموضع قشر ولب ، وها أنت تضع قشراً فوق قشر ، وكأنك تعد نفسك لكى تكون "حصب جهنم" وطعاماً للنيران ، والله تعالى سالخ لهذه الجلود والقشور ، من مال وجاه ومنصب ما لم تكن له سبحانه وتعالى ، وأنت إن لم تكن قد أعطيت لما تكبرت كل هذا الكبرياء ، فالمال والجاه هما رفيقا هذا الكبرياء الحميمان ، وسأضرب لك مثلاً ، أن هذا الكبرياء غفلة عن المعنى وغياب عن الحقائق لأنك لو علمت من كنت ومن تكون وإلى أين أنت صائر لما تكبرت ، فما أشبهك بثلج متجمد (تركت الحالة الإنسانية إلى الحالة الجمادية) لأنه فى غياب وفى غفلة عن الشمس ، انظر إلى نفس هذا الثلج عندما تسطع على الشمس يتحول إلى ماء يجرى وينطلق وتكون منه الحياة لكل المخلوقات فاطمع فى اللب والمعنى ، ولا تنظر إلى الحديث "ذل من طمع" ، فالطمع هنا هو المذكور فى أقوال الأئمة رضوان الله عليهم "عن على رضى الله عنه "ما هدم الدين مثل البدع ولا أفسد الرجل مثل الطمع" على بن الحسين رضى الله عنه "رأيت الخير كله قد اجتمع فى قطع الطمع فى ما أيدى الناس" عن الصادق رضى الله عنه "خمس من لم تكن فيه لم يهنأ بالعيش الصحة والأمن والعتاد والقناعة والأئيس الموافق (جعفرى ٥٨٦/١١)" ولا تقنع بالقشور متعللاً بـ "عز من قنع" ، فليس الذل والعز المقصودان هنا بالذين تفهم ، فعز الدنيا ذل فى الآخرة ، وانظر إلى الحجر إنه يفنى فى حرارة الشمس فيتحول إلى جوهر ، إن ذله هذا رفعة وعظمة وترقى وعلو وسمو ، والعجيب أنك تبدى الكبرياء وأنت فى مرحلة الجمادية لا تزال ، فلا أنت نقيت نفسك ولا أنت واصلت

الطريق ولا أنت قمت بالتصفية وعرضت نفسك لشموس الطريق ، ولا أنت فنيت عن البشرية وتحققت بالآلوهية، فهل من المعقول أن تقوم بكل هذا الادعاء وكل هذا الكبرياء والتنفج وأنت كل ما تقوم به أنك تعمل في مستودع قمامة ، كلما زادت القمامة فيه تحقق له الكمال (انظر لتفصيلات عن هذه الفكرة الكتاب الرابع الأبيات ٢٣٨ - ٢٥٦ والبيت ١٠٤٤ وشروحها) وهكذا يعتمد الكبرياء على المال والجاه ، فانهما يغذيان هذا الوليد الشيطاني بالشحم واللحم ظناً منهما أن هذا هو اللباب جاهلين بأن كل هذه قشور تذهب غثاء ، وكل لحم نبت من سحت وحرام فالنار أولى به .

(١٩٥٠ - ١٩٥٩) : وإيليس هو الذي سن هذه السنة ، كان أول من تكبر وعصى ولم يكن عصيانه إلا بسبب الجاه، كان يتعبد ويبالغ في العبادة لا حباً في الله ولكن رغبة في أن يكون رئيساً للملائكة ، فلما كان التكريم والتبجيل لآدم طعن في الصميم ، ففقد كل شيء ، لقد كان الاختيار الإلهي بكائن من تراب طعنه نجلاء في قلب إيليس والمال حية والجاه أضر منها" ولا شيء ينجيك من هذا إلا أن تدخل تحت رعاية أحد الرجال ، يأخذ بيدك ، ويتبع في داخلك هذا الشيطان الذي يجرى منك مجرى الدم ، إنه يكون بمثابة الزمرد الذي تقتلع عين تلك الحية ، (كان القدماء يعتقدون أن الزمرد يخلع عين الحية ويبطل خطرهما وهذا الأمر من قبيل الأساطير التي انتقلت من حكماء اليونان عبد الحسين زرین كوب : سرنی ، نقد وشرح تحليلی وتطبیقی مثوی ج ١ ، ص ٢١٧ ، ط ٣ ، تهران ، علمی ١٣٦٨ هـ.ش) لقد سن إيليس هذه السنة ، هو رئيس الشر ، هو الذي وضع هذه الشوكة في الطريق ، وكل من أرداه كبرياؤه لعن إيليس {فكل من سن سنة حسنة له أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة} ، كان هذا هو ديدن إيليس لعنة الله عليه ، لكن انظر إلى آدم ، كان يضع سترته وحذاءه دائماً أمام عينيه ، كان يضع نصي عينه دائماً إنه خلق من طين وأن الكرم الإلهي هو الذي نفخ منه من روحه ، كان يعلم أنه من العدم ، وأن العدم هذا هو أصل الوجود .

(١٩٦٠ - ١٩٧٣) : العدم في الحقيقة ليس عدماً فإنه مصنع الوجود ، وإلا من أين يأتي الوجود إن لم يكن قد أتى من العدم (انظر الكتاب الثالث ٣٧٧٣ - ٣٧٧٤ وشروحها ، وانظر الكتاب الذي بين أيدينا ، الأبيات ١٠٢٠ - ١٠٢٥) . ويرى زرین كوب أن مفهوم مولانا جلال الدين عن العدم يشبه إلى حد ما مفهوم ابن عربي عنه ، وعند ابن عربي يرى عدم ظرفية الأعيان الثابتة في مرحلة ما قبل ظهورها ومن هنا فإنه يعبر عن هذه النسب الذاتية في

مرتبة فقدانها الصورة بأنها الأعيان الثابتة، ومن هنا يرى لها نوعاً من الثبات والوجود ، وإن اختلفت أوصاف العدم ومراتب الظهور بين ابن عربي وجلال الدين ذلك أنها نابعة عند ابن عربي من نظريته في وحدة الوجود ورأى الصوفية في هذا الموضوع تليف بين آراء المعتزلة والأشاعرة حوله ، وبالرغم من أن مولانا يرد قول المعتزلة في التعبير عن المعدوم بالشئ ، فهو بقوله أن العدم هو مصنع الوجود يلتقى مع المتكلمين وبالرغم من أن كل ما هو مطروح عند الصوفية عن العدم والوجود مأخوذ من مناقشات الفلاسفة الرواقيين ، تبدو كل أقوالهم متأثرة بمفهوم أرسطو عن العدم ومن أهم التفصيلات في هذا الصدد مباحثات الإمام الشهرستاني في نهاية الإقدام . (عن سرنى : عبد الحسين زرین كوب جلد ١ ، صص ٢٠٩ - ٢١٠) . ولا معنى للخلق إن لم يكن إيجاد من العدم ، تماماً مثلما لا يكون معنى للكتابة على ورقة مكتوبة أو وضع البذور في أرض مبذورة بالفعل ، فكن أنت أيضاً عدماً حتى تكون مهياً لكى يتطلف بك الكرم ويجعلك مصداقاً " لنون والقلم " ، فنون كناية عن العلم الإلهي والقلم كناية عن العقل الكلى ، فان أردت أن تشرف بالعلم الإلهي كن عدماً وكفاك تشدقاً بالوجود ، اطلب لذائذ ذلك العالم وسرور العقل وسعادة الفهم ولذة الإدراك والوصول (ذلك الفالوذج) ودع من لذائذ الدنيا فإن دسمها سم ، خذ القوت الشريف ، قوت العلم والمعرفة ودعك من دسم الدنيا فإنه سبب المرض ، هو الذي ينسبك أصلك ، فلا تذكره إلا في حشجة النزع ، فالسكران بالخمير قد يفوق ولكن المثل بالدنيا لا يفوق إلا عند النزع ، تتجلى له في لحظة فيدرك اغتراره بها وتجرحه خداعها ، ويذكر أنه لم يكن يساوى شيئاً دون رعاية من الله وكرم منه ، ولأنك لم تلحق بسفينة الصادقين وبقيت غريقاً بين أمواج قبحك وكبريائك وتسلك وايدائك لخلق الله وجبروتك وطغيانك ، ولا تتذكر من أنت في الأصل ومن أي شئ خلقت ، وإن كل ما أنت فيه إنما هو من الله تعالى ومن عطاياه ومن خزائنه التي لا تنفذ ، إنك لا تعترف بكل هذا إلا حين يدركك الغرق ﴿ حتى إذا أدركه الغرق ، قال آمنت أنه لا إله إلا الذي آمنت به بنوا إسرائيل ﴾ (يونس / ٩٠) . وأخذت وأنت في النزع تردد ﴿ ربنا ظلمنا أنفسنا ﴾ ، لقد فات الوقت أيها الديك الذي تصيح في غير أوان (انظر الكتاب الثالث الأبيات ٣٣٣١ - ٣٣٣٩ وشروحها) ، إن هذه ليست صلاة ، إنها صورة صلاة ، لقد فات الوقت ، إذ تذكر الله عند البلاء ، ولقد كان إياز من ديك السماء ، تلك الديكة التي لا تؤذن إلا في الوقت المعلوم ، إذا انه يذكر الله ويذكر فضل الله وهو في قمة الرخاء.و بالنسبة لديك السماء :

يعتمد على رواية رويت عن الرسول ﷺ أنه رأى ليلة المعراج ديكا بعظمة كل الوجود يخفق بجناحيه ويسبح بحمد الله فتجاوبه ديكة الأرض ، ويقول الغزالي في إحياء علوم الدين أن هذا الديك يوقظ القائمين في الثلث الأول من الليل والمتجهدين في الثلث الثاني والغافلين عند الفجر ، (استعلامي ٣١٢/٥ - ٣١٣) .

(١٩٧٤ - ١٩٨٤) : في العنوان : اللهم أرنا الأشياء كما هي ، دعاء منسوب إلى الرسول ﷺ (أحاديث مثوى /٤٥) ، ولمولانا جلال الدين : وإذا كانت الرؤية الصحيحة بالأمر الهين فمتى كان الرسول ﷺ يطلبها من الله ، أما العبارة الثانية : " لو كشف الغطاء ما ازددت يقينا " ، فمنسوبة إلى الإمام علي عليه السلام والبيت المذكور في العنوان لمولانا جلال الدين " والدرجة العوجاء تلقى ظلا أعوج " من الأمثال الفارسية ، يقول مولانا : أيها العبيد تعلموا العبادة الصحيحة من اياز ، إن الدنيا لم تبصره ، فعبادته من أجل الحق لا من أجل المنفعة (مثلما كانت عبادة عزازيل) ، إنه ديك يعلم الفجر الصادق (الآخرة) ولا يخدعه الصبح الكاذب (الدنيا) ، ذلك الذي أهلك القوافل ، وإياك أن تقول عنه انه كاذب منافق مرأى فإنك بهذا تصف نفسك ، وتتنظر في مرآتك ، وسوء الظن من سوء الفعل ، ولعل مولانا في هذا المعنى ناظر إلى البيت العربي :

إذا ساء فعل المرء ساءت ظنونه وصدق ما يلقاه من توهم

والمثل الدارج الفارسي : " الكافر يظن أن الناس جميعا على دينه " . والأمر ليس ببعيد ، لقد سمي الكفار الأنبياء بالسحرة والكهنة ، واعتبر أولئك الضالون الأنبياء من الضالين ، ويعود مولانا إلى قصة اياز ، هكذا كان دين هؤلاء الأمراء مع اياز وهذا هو سر ظنهم باياز ، إنهم يظنونه مثلهم .

(١٩٨٩ - ١٩٩٨) : بالرغم من أن الحديث يدخل في إطار قصة اياز إلا أن الذي يجري على لسان الملك أدخل في باب آداب الطريق (الصوفي) ذلك أن الملك هنا يحس بوحدة مع اياز (وحدة المشاعر والأحاسيس بين الشيخ والمريد أو بين الحقيقة العليا والدنيا) ، انه يتساءل : تراه سوف يضيق من هذا البلاء ، لا ، لن يضيق ... إنه وقور ثابت كالجبل ، وسوف يتلقى هذا البلاء كما ينبغي ، إنه بلاء من الحبيب فهو لطف وليس قهرا ، إنه سوف يفسر هذا الأمر بنفس السهولة التي فسر بها سيدنا يوسف عليه السلام رؤى صاحبي السجن (انظر يوسف /٤١) ، والكلام الذي يجري على لسان الملك يشبه أن يكون كلام الخالق في الولي الصالح ، والبيت ١٩٩٦ لعل فيه إشارة إلى ما مر في الكتاب

الرابع عن ضرب المريدين لأبى يزيد البسطامي بالمدى (انظر الكتاب الرابع ، الأبيات ٢١٠٢ - ٢١٣٤ وشروحها) ، ويقرر بعدها أن اياز هو هو : أنا من أهوى ومن أهوى أنا ، في الحب تسقط الاتينية ، ويكون استخدام الضميرين أنا وأنت من قبيل الإشراك ، وهذا الاتحاد ليس مشاركة في الوجود لان كل ما هو في الوجود له تحققه العيني ، كما انه لا يعنى اشتراكا في الجنس واشتركا في السمات أو في سائر الظواهر والخواص ، لأن البشر كلهم مشتركون فيها ، وهناك علاقات كثيرة تقوم فيما بينهم منها العشق كما أنه ليس مشاركة في الأفكار والمثل ، الذي يصل إلى أن يكون انمحاء كاملا في شخصية المعشوق بحيث تعبر عنه تعبيرا حقيقيا الحكاية التالية (جعفرى ١١/٥٩٧ - ٥٩٩) .

(١٩٩٩ - ٢٠١٩) : يقدم مولانا عالم العشاق الحقيقيين ، عشاق الحق ، فعاشق الحق لا يعتبر لنفسه وجودا غير وجود الحق ، ولا يعتبر للكائنات كلها وجودا ، بل هو ذائب في العشق الإلهي ذوبانا تاما ، ويقول في العنوان : إن العاشق والمعشوق قد يكونان متناقضين تناقض الاحتياج والاستغناء ، أي قد يكون أحدهما مستغنيا والآخر محتاجا لكن كلا منهما منجذب إلى الآخر ، هما في الحقيقة واحد كالمرآة والصورة المنعكسة فيها ، والعقل تكفيه هذه الإشارات ، فما الحاجة إلى القول بأنى أرد بهذا الكلام على من يزعمون انه من المحال أن يكون هناك عشق إلهي ، لأنه كيف يعشق المحتاج إلى ما لانهاية المستغنى إلى ما لانهاية ، ناهيك عن عشق المستغنى بلا نهاية إلى المحتاج إلى ما نهاية ، " يحبهم ويحبونه " ، وهذا الخبر عن الجنون لم يهتم أحد بالبحث عن مصدر له ، وقد يكون من وضع مولانا جلال الدين ، لقد اشتكى المجنون مرضا هو من الهجر والفراق ، فوصف له الطبيب الفصد ، لكن المجنون أبدى خوفه من أن يفصد ، وسأله الطبيب : مم الخوف ، أليست الوحوش تحيط بك دون أن تؤذيك ، أن العشق الذي من وجودك يفيض حتى على الحيوانات من حولك " يشير مولانا جلال الدين إلى أنه من الممكن للحيوان والوحش أن ينسى طبيعته الحيوانية ، إذا أحس بالحب وهو أمر يعرفه مروض الوحوش المحدثون جيدا " (ويعود ويقدم تفسيراً آخر في الكتاب الذي بين أيدينا ، الأبيات ٢٧٢١ - ٢٧٢٧ فارجع إليها وإلى شروحها) . ولماذا نبتعد ، انظر إلى كلب أهل الكهف ، نعم ، الكلاب تعرف العشق والحيوانات تعرف العشق ، فمن تم ذلك الذي ينكر العشق ، يكون أقل من الكلب وأقل من الوحش ، ولا تقل أنه كلب واحد ذلك الذي تبع أهل الكهف ، ونام في كهفهم وبعث

معهم ، وذكر معهم في القرآن ، هناك كلاب كثيرة ، تعرف معنى هذا العشق لكنها ليست مشهورة ، ومثالها ما رواه عند الرحمن الجامي في نفحات الأنس : أن سعد الدين الحموي وكان مريدا لنجم الدين كبرى عبر بخاطره ذات يوم سؤال وهو : هل في هذه الأمة من تؤثر صحبته في الكلاب؟ وأدرك الشيخ فنهض ووقف على باب الخانقاه فمر كلب بالخانقاه ووقف وأخذ يهز ذيله، فنظر الشيخ إليه فوصلته العطية، وتحرير وغاب عن الوعي ، وأدار وجهه إلى المدينة، وذهب إلى الجبابة ، رأوا أنه حيثما كان يسير كان تحيط به حلقة من الكلاب تبلغ خمسة وستين كلبا وتقف في احترام ، ثم مات فأمر الشيخ بان يدفن وأن يقيموا على قبره نصبا (انقروى ٤٥٤/٥) وبالطبع هذه الروايات رويت قبل أن يتم تدريب الكلاب على أعمال كثيرة قد لا يتقنها البشر ، وهذا التدريب يتم بوسائل عديدة من أهمها أيضاً الرعاية والحب ، وأنت إن أنكرت ذلك فلأنك منكر بطبعك ، فأنت لا تعلم شيئا عن قلوب من هم من جنسك فكيف تعلم شيئا عن قلوب الحيوانات ، إنك لا تأنس إلى البشر وتحاول فهمهم ، فكيف تأنس إلى الوحوش وتحاول فهمها (انظر من أجل العشق السارى في كل الكون إلى الكتاب الثالث ، الأبيات ٤٣٩٥ - ٤٤٢٣ وشروحها) ، ويظل مولانا جلال الدين منطلقا في تداعياته حول موضوعه المحبب : العشق ، انظر إلى عماد هذه الحياة ، إنه كله قائم على العشق ، حتى تناولك للخبز يكون من ميلك إلى هذا الخبز ، الميل إذن هو الذي يحول هذا الخبر " الميت " إلى روح ، كما أنه أيضا يجعل الروح خالدة ، ويعود مولانا جلال الدين إلى هذا الخبر المروي عن المجنون ، إنه لا يخشى الفصد من أجل نفسه ، بل يخشى على ليلى لأنه يحس أنه ممتلئ بليلى امتلاء تاما ومن ثم يخشى أن يخز المبضع ليلى ، وإلا فإنه - أي المجنون - عاشق للجراح ، يسعى إليها ، ففي البلاء يكون النعم .

(٢٠٢٠ - ٢٠٣٠): البيت المذكور في العنوان ، قال عبد الباقي (5/333) ، واستعلامي (٣١٥/٥) ، أنه لسنائى ومن الحديقة وأضافا بأنهما لم يعثرا عليه في الحديقة ، كما لم أعثر عليه في الحديقة ، بل عثرت عليه في منظمة سير العباد إلى المعاد لسنائى (انظر سير العباد إلى المعاد ضمن مثويات حكيم سنائى ، ص ٢٠٨ ، سطر ١٠ ، تحقيق محمد تقي مدرس رضوى ، انتشارات دانشگاه طهران ، تهران ١٣٤٨ هـ.ش) . ومراة اليقين يعنى بها قلب العبد المؤمن الذي لا يشوب إيمانه بالله تعالى أدنى شك ولا يريد دليلا أو برهانا ،

والسطر الأخير : أخرج بصفاتي إلى خلقى من رآك رآنى ومن قصدك قصدنى ، وارد في معراج أبى يزيد البسطامى ، وفيه روايات مختلفة . (انظر انقروى ٤٥٧/٥) ، وانظر من أجل الاختبار الكتاب الثالث ، الأبيات ٧٤٣ - ٧٤٦ وشروحها ، والاختبار جائز عند الوصال وليس في أي وقت آخر (انظر الكتاب الرابع ، الأبيات عن امتحان المرشد ٣٧٤ - ٣٨٩ وشروحها) ، وعن فناء قطرة الخل في العسل ، انظر الكتاب الثالث ، الأبيات ٣٦٧٠ - ٣٦٧٥ وشروحها) ، وامتلاء الحجر بالشمس وتحوله إلى ياقوت وخروجه عن صفات الحجرية من أفكار سنائى (انظر ديوان سنائى ، ص ٣٧٦) ، وزاد مولانا على الفكرة بأن الحجر الذي يتحول إلى ياقوت يكون كل ما فيه محبا للشمس ، وحتى حبه لذاته هو حب للشمس ، ولا فرق هناك بين حبه لنفسه وحبه للشمس ، فكله من الضياء من المشرق ، الضياء الإلهى .

(٢٠٣١ - ٢٠٤٢) : إنه أي الياقوت أو الحجر الذي تحول إلى الياقوت ، أو العاشق الذي أشرق عليه شمس العشق فبدلته من حجر إلى ياقوت ، إن لم يتحول إلى ياقوت بالفعل ، فإن ذلك الحجر يصبح عدوا لنفسه ، ذلك أنه أنية منفصلة عن الضوء نافرة منه ظلمانية ، ومن ثم فإنه إن أحب نفسه ، وهو لا يزال على حجريته هذا ، فإن هذا يكون من قبيل الكفر ، لا يليق به أن يعترف بأن لنفسه وجودا ، فأى وجود للحجر ، ما أشبههه إذن بفرعون الذي قال : أنا ربكم الأعلى ، فأذله الله سبحانه وتعالى ، بواسطة موسى عليه السلام ، وإن كنت تريد أن تعرف الفرق ، فانظر إلى العلاج الذي قال " أنا لله " ومع ذلك فقد نجا بها وصار رأسا للأولياء ، لأنه كان فانيا في صفات الله (انظر لتفصيلات الكتاب الرابع الأبيات ٢١٠٢ - ٢١٣٤ وشروحها) ، والفكرة فيما يرى استعلامى (٣١٦/٥) واردة في معارف برهان محقق ، وتكررت هذه المقارنة في المثنوى كثيرا (انظر الكتاب الثانى الأبيات : ٣٠٧ و ٢٥٣١ و ٢٥٣٢ وشروحها) ، إذا أردت مثلا على الحجر فخذ من فرعون فلم يكن يحق له أن يقولها ، وإذا أردت مثلا عن الياقوت فخذ من المنصور وما كان له أن يقولها إلا بعد أن امتلأ وجوده بالنور ، لم يكن حلولا كما ظن بعضهم ، لكنه كان امتلاء بهذا النور الإلهى ، وأنا أقول لك أيها المرید ، جاهد ، فمن جهادك هذا يمكن للحجر الكامن فيك أن يتحول إلى ياقوت ، هذا هو البقاء في الفناء الذي تشاهده في كل لحظة ، حينذاك تمضى عنك العلائق الدنيوية ، أما السكر فالمقصود به الانسلاخ عن الذات والحيرة من العشق الإلهى والنشوة التى تصيب المرء من إدراك العوالم الإلهية .

(٢٠٤٣ - ٢٠٤٩): والطريق إلى هذا الأمر إنما يكون بان تتحول بأجمعك إلى أذن سامعة لرجل من رجال الحق يأخذ بيدك ويدلك على الطريق ويعدك لنور الشمس الساطعة ، فتتجلى بها وبمعارفها وكأنما ألبست أذنك قرطاً من الياقوت، وداوم على إخراج تراب العلائق الدنيوية والانغماس فيها من بئر وجودك هذا إذا كنت ترى نفسك إنساناً جديراً بأن تمحو عن النفخة الإلهية كل ما يعلوها من تراب، وإن الله سبحانه وتعالى إن رآك جاداً في الطلب منصرفاً إليه بكل روحك وكيانك، فإن جذبة واحدة من جذباته وهى تساوى عمل الثقلين (مولوى ٢٩٨/٥) سوف تجعل ماء المعرفة الزلال ينبثق من وجودك (انظر البيت ٤٧٨٦ من الكتاب الثالث) ، وذلك أن من جد وجد وسعد وأتاه الإقبال من الإله الأوحد ، ومن قبيل الجد في العمل أن تداوم على الصلاة فإنها قرع على باب الوجود مصداقاً لقوله ﷺ : { أدم قرع باب الملكوت بالركوع والسجود } (استعلامى ٣١٧/٥ وانظر الكتاب الثالث ، البيت ٤٧٨٥) ، والإقبال هو العناية الإلهية وبابها العمل .

(٢٠٥٠ - ٢٠٥٦) : لا يزال مولانا جلال الدين يركز كثيراً في عناوين أشعاره على أن إيازاً هنا مجرد رمز عن العبد الصالح المقرب إلى الله " السلطان " ، وإلا فأية صلة بين إياز مملوك السلطان محمود الغزنوى والأنبياء والأولياء حتى يقرن بهم ؟! وها هو يعود إلى القصة التى بدأها في البيت ١٨٥٧ وعاد إليها عدة مرات للإيهام بأنه يتحدث عن إياز ومحمود والواقع انه يتخذ منها تكة نحو الانطلاق في إفاضاته عن العشق ، الموضوع الأول والخيط الجامع للمثنوى المعنوى بأجزائه الستة ، وفي البيت ٢٠٥٣ أن إيازاً كان أضن بسرّه هذا بحيث جعل الحجرة فعلاً تبدو وكأنها تحتوى على كنز ثمين ، وهكذا ، قلوب الرجال فهى قبور الأسرار ، وكان أيضاً يعلم أن " العوام " ، سيئون الظن به ، فمنهم من يعتبره محظياً للسلطان ومنهم من يعتبره مشعوذاً ومحتالاً ، وهكذا يكون صاحب الهمة - هكذا يعلق مولانا - إنه أضن بأسرار قلبه ، ولا بد أن يحفظها عن العوام ، وهذه الأسرار عند ملوك الطريق تقدم فداء للروح .

(٢٠٥٨ - ٢٠٦٥) : لا يتابع مولانا أحداث القصة إلا في بيتين اثنين ويدخل في حديث عن الحرص ، إن حرص هؤلاء الذين هاجموا حجرة إياز كان يسرع بهم نحو سراب ، ومهما أخذ العقل يحذر ، فإن الحرص قد غلب ، فلا نصح نفع ، ولا تحذير أجدى ، (عن الحرص وآفاته ، انظر الكتاب الذي بين أيدينا ، الأبيات ٥١٨ - ٥٢٢ وشروحها) ،

والحريص يزداد حرصا كلما زيد تحذيرا لكنه عندما يسقط ويكتشف أن حرصه أرداه " وكل حريص محروم " ، تكون النتيجة المؤكدة أن النفس اللوامة " وهى الروح الإنسانية التى انتهت إلى خطاياها (مرصاد العباد لنجم الدين بن الداية ، ص ٣٥١) تسيطر عليه ولا تفتأ تلومه ، إنه - أي الحريص - لا يفيق إلا إذا اصطدم بجدار البلاء ، إنه مجرد طفل ، والأطفال يقبلون على حلوى اللوز المصنوعة من الجوز " وفي نسخة أخرى اللوز " ، ولا يستمعون النصيح ، إلا عندما تظهر القروح (لم أعرف العلاقة بين أكل حلوى اللوز وبين ظهور القروح ، ولم يشر أحد من الشراح إلى هذا الأمر) ، ولعل الأمر يرمز إلى أن أطفال الدنيا ، وأولئك الذين لا يعتبرون من " رجال " الطريق ينهمكون في لذائذ الدنيا ، ولا ينتصحنون إلا عندما تكون نتيجة هذا الإنهاك قروح وآلام تظهر على أجسادهم ، لكن المطابقة هنا لا تتم ، فلابد أن تكون من نتيجة أكل الأطفال للحلوى بالجوز بعض المتاعب ولعلها كانت من أنواع الحلوى الشائعة في أسواق قونية والتحذير من أكل حلوى السوق عموما .

(٢٠٦٦ - ٢٠٧٩) : عودة إلى قصة إياز : لقد أعماهم الحرص فتهاقتوا على الحجرة الخالية تهاقت الهوام على المخيض ، أو تهاقت الذباب على الشراب ، إنها تسقط فيه مندفعة ، فلا هى تستطيع أن تأكل ولا هى تستطيع أن تطير ، وهكذا أولئك الذين كانوا يفتشون غرفة إياز ، لا هم يجدون شيئا ، ولا هم يستطيعون الانصراف ، فالحجرة الخالية زادتهم شكا وريبة ، والحذاء والسترة ، وهما كل ما في الحجرة ، أصبحتا سببا في زيادة الشك والريبة ، وهكذا الحريص مهما منى بالخيبة في طريق حرصه فإنه لا يعود بل يزداد حرصا وطمعا ، إنهم ينقبون الجدران ، ويحفرون الأرض ، ويدمرون ، وكلما ازدادت خيبتهم ازدادوا تدميرا ، وسرعان ما اكتشفوا أي خطأ وقعوا فيه ، لكنهم مع ذلك لا يستطيعون تدارك هذا الخطأ ، فالجدران والحفر تشهد عليهم ، ولا حل إلا العودة إلى الملوك والاعتذار له ، والاعتراف بالخطأ ، وإيداء التوبة .

(٢٠٨٠ - ٢٠٨٥) : لا يزال مولانا يركز في العناوين انه لا يتحدث عن إياز كشخص بل عن الأنبياء والأولياء عموما ، والآيات الموجودة في العنوان : ﴿ يوم تبيض وجوه وتسود وجوه فأما الذين أسودت وجوههم أكفرتم بعد إيمانكم فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون ، وأما الذين أبيضت وجوههم ففي رحمة الله هم فيها خالدون ﴾ (آل عمران / ١٠٦ ، ١٠٧) ،

أما الآية الثانية فهي : ﴿ ويوم القيامة نرى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة ، أليس في جهنم مثوى للمتكبرين ﴾ (الزمر / ٦٠) ، وفي البيت ٢٠٨٠ يسألهم السلطان قاصدا أو ساخرا : هه .. كيف الحال ... أين الذهب والأموال ، ثم ينتقل مولانا إلى فكرة دق عليها في أكثر من موضع في المثنوى : أن سيماء الوجه تفضح ما هو موجود في الباطن ، إذا حاول الإنسان كتمه أو حاول أن يظهر غيره مصداقا لقوله تعالى : ﴿ سيماهم في وجوههم من أثر السجود ﴾ (الفتح / ٢٩) ، وبالطبع السيماء هنا من أثر الخيبة والاحباط ، وفكرة الجذر الموجود في القلب الذي يثمر بما تمليه طبيعته على الوجه وردت في الكتاب الثالث (انظر الأبيات ٣٦٠ - ٣٦٥ وشروحها) ، أما فكرة الذي يتظاهر بما ليس في باطنه فقد مرت في الكتاب الرابع (انظر الأبيات ١٧٤٠ - ١٧٥٥ وشروحها) . وفي البيت ٢٠٨٥ إشارة إلى الآية الكريمة ٦٥ من سورة يس : ﴿ اليوم نختم على أفواههم وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون ﴾ .

(٢٠٨٧ - ٢٠٩٥) : حمل السيف والكفن من العادات القديمة عند الإقرار بالذنب أو بالدم ، أي إن شئت فاقتص وإن شئت فاعف ، وفي البيت ٢٠٩١ إشارة إلى الآية الكريمة ﴿ قل كل يعمل على شاكلته ﴾ (الإسراء / ٨٤) ، وفي البيت ٢٠١٥ إشارة إلى الحديث الذي تكرر في أكثر من موضع من المثنوى : " المؤمنون كنفس واحدة " (أكثر التفسيرات تفصيلا لهذا الحديث موجودة في الكتاب الثالث ، الأبيات ٨٤-٩١ والكتاب الرابع ، الأبيات ١٦٥١ - ١٦٥٣) .

(٢٠٩٦ - ٢١٠٨) : إن العبد الذي تتجه إليه الاتهامات عليه أن يسعد بها وبخاصة وأنه يعلم أن ساحته بريئة أمام الخالق ، وما دام بريئا فأى ضرر يصاب به من جراء هذه التهم الباطلة ، إنها فرصة له لكي يستخدم " حلمه " ، ويضاعف أجره من جراء هذا الحلم والبيت ٢٠٩٧ تكرر لمضمون البيت ١١٨٤ من الكتاب الرابع : إن الدنيا لا تساوى عند الله جناح بعوضة ، ولو كانت كذلك لما سقى منها الكافر شربة ماء ، فليس إقبال الدنيا دليلا على رضا الله ، ﴿ ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون ، إنما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الأبصار مهطعين مقنعى رؤوسهم لا يرتد إليهم طرفهم وأفئدتهم هواء ﴾ (إبراهيم / ٤٢ - ٤٣) . وأن هذا الحلم هو الشفيع لكل البشر فإنه يعلم بعلمه ويستر بحلمه سبحانه وتعالى ، والذي يستر بحلمه في الدنيا ، قادر بنفس هذا الحلم أن يفغر ، حلمه هذا هو "

العاقلة " التى تتحمل الدية (العاقلة عند الإمام الشافعى هم قبيلة القاتل خطا وعشيرته ، وهم عموما أقرباء أب القاتل وإن كان من أهل الديوان فعاقلته عند الحنفية أهل الديوان) ، وهل تجرؤ النفس على ارتكاب الخطا إلا إذا كانت معتمدة على هذا الحلم ، هذا هو الحلم الإلهى ، والحلم الإنسانى من نوع آخر ، فكما أن الحلم صفة مستحبة عند الخالق ، فهو صفة مستحبة أيضاً عن المخلوق ، وإن كان الانغماس فيه يجعل الشيطان يجد فرجة إلينا ، فالاعتماد على حلم الخالق يجعل النفس تستنيم إلى فعل المعصية ، فيجد الشيطان السبيل إليها ، ويخدعها ويضلها ، وأدم نفسه رغم انه كرم بالعلم وأنه مسجود الملائكة ، لكنه عندما استنم في الجنة إلى الحلم ، استطاع الشيطان أن يجد الطريق إليه ، فلا تعتمد على حلم الله ، انه ستار لكنه أيضاً يعاقب (انظر الكتاب الرابع الأبيات ١٦٤ - ١٧١ وشروحها) .

(٢١٠٩ - ٢١١٢) : يدافع مولانا عن حد القصاص في القتل ، وكأنه كان يتوقع أن يأتى زمان ينادى فيه بأن المجرم مريض ويبغى أن يعالج وأن الحياة منحة من الله لا ينبغى أن يستردها سواء سبحانه وتعالى ، وتلغى أحكام الإعدام ، وتقام السجون " الفخمة " ، ليوضع فيها القتلة والسفاحون ، ناسين أن في قتل القاتل حفظاً لحياة الآلاف ، ومن ثم جاء في الآية الكريمة ﴿ ولكم في القصاص حياة يا أولى الألباب لعلكم تتقون ﴾ (البقرة / ١٧٩) وهناك تلك القاعدة الحدية التى تقول أكثروا القتل فإن القتل يقتل القتل ، وأيضاً القتل أنقى للقتل ، (انقروى ٤١٧/٥) ، هيا يا اياز أنت صاحب الحق فاحكم باحتراز ، وحذار ولا تجعل غضبك لذاتك ولشخصك ولما لحق بك يجعلك تميل إلى الهوى ، هذا بالرغم أننى خبرتك في العمل مرات عديدة ، وكم امتحنتك وخرجت من كل امتحان موفقاً طاهراً نقياً ، وبرغم أن الخطاب من الملك إلى اياز في صيغة المخاطب إلا أن البيت ٢١١٢ في صيغة الغائب لأنه مدح مباشر في اياز ولا يصح أن يخاطب به في وجهه ، إن هذا البحر - اي اياز - ليس مجرد علم ، وهذا الجبل ليس مجرد حلم أي هناك أشياء كثيرة يحتاجها البحر سوى العلم وهناك أشياء عديدة يحتاجها الجبل سوى الحلم .

(٢١١٣ - ٢١٢٠) : هنا نتيجة من نتائج هذه الحكاية ، وهما هو جواب اياز : إننى أيها الملك لست شيئاً ولا أساوى شيئاً دون عطائك فأنا لست شيئاً سوى هذا الحذاء وهذه السترة (فى رواية العطار :

في اليوم الأول عندما فتح هذا الباب أمامي كانت هذه السترة فوق كتفي

مصيبت نامه ، ص ١٣٩ ، بتحقيق د. نوراني وصال ، تهران ، ١٣٣٨)

ثم يلتقط مولانا جلال الدين طرف الحديث ويبدأ في افاضاته : أتدرى ما هو المقصود بالحذاء ، إنه النطفة ، أما الدم فهو سترة الراعي ، أنت نطفة ودم ، أصلك نطفة ودم ، وما عدا ذلك فعطاؤه (ما هذا؟ النطفة والدم عطاؤه أيضاً) ، ومن هنا فإن الرسول ﷺ قال : { من عرف نفسه فقد عرف ربه } ، (منسوبة أيضاً إلى الإمام علي عليه السلام وإلى سقراط ، من عرف نفسه بالعبودية عرف ربه بالربوبية ومن عرف نفسه بالعجز عرف ربه بالقدرة ، ومن قدرته انه جعل هذه النطفة وهذا الدم مدركة لعوالم الغيب عالمة متسلطة مسيطرة على الطبيعة ، خليفة لله في الأرض ، سيده على الخليقة وأنت وما تستحق ، بقدر جهدك وعملك وكفاحك وجهادك يجعل منك ، لقد أعطاك هذه العطية " النطفة والدم " ، كمجرد نموذج على ما في ملكه تماماً كما يعرض البستاني بضع ثمار البستان ولا يعرض البستان كله ، وكما يبين الأستاذ جانبا من علمه وكما يعرض الزارع كفا من القمح ليدلك على البيدر ، فإياك أن تظن أن هذا هو عطاؤه فحسب ، فكأنك أخذت تستقل خزائن ربك التي لا تنفذ ﴿ هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب ﴾ (ص ٣٩) ، وإن قلت أن هذا هو ما عند الله فحسب صرت من المبعدين .

(٢١٢١ - ٢١٢٢) : يتعجل الملك " اياز " ، في الحكم على من دسوا عنده ، هيا فاحكم بهذا العدل الإلهي الذي يختلف عن العدل الدنيوي الوهي ، لكنه لا يلبث أن يقول : إن الذين أجرموا في حقك يستحقون القتل ، مع أنه لا قتل إلا في قتل ، إذن فربما فسر الأمر على أن " الفتنة أكبر من القتل " ، لكنهم مع ذلك يرجون عفوك ، وكلا الأمرين وارد ، الناس حيناً يرون أن القصاص واجب وحيناً آخر يرون أن العفو واجب ، والله سبحانه وتعالى سبقت رحمته غضبه (الترغيب هنا في الرحمة والعفو) . وبهذين الحبلين يجذب الحلق منذ اليوم العهد والميثاق ، منذ أن أخرج ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا : بلى ، فهناك موضع يصلح فيه الكوثر (العفو) وموضع آخر يصلح فيه اللهب (الانتقام) حتى لفظ " ألست " ، هو أيضاً يحمل الضدين : النفي والإثبات ، هو استفهام للإثبات ، وإن كان لفظ " ليس " ، موجوداً فيه ، أي نفي وأي إثبات

تخوض فيه ، أترك هذا كله فلا يجوز أن تناقش هذه الموضوعات أمام العوام ، إنها من موضوعات الخواص .

(٢١٢٨ - ٢١٣٣): يعود مولانا إلى الفكرة التي يدق عليها كثيرا وهي أن الأمور نسبية ، وطبقا للجذب ، فالحق يجذب الحق والباطل يجذب الباطل كما يجذب المغناطيس الحديد ، وكما يجذب الكهرمان القش ، وكما تجذب المعدة الجديرة بالحلو الحلو إليها ، وكما تجذب المعدة المريضة إليها الخل ، كما يقضى الفراش البارد على الحرارة والفراش الحار على البرودة ، وكما تفيض رحمة ومودة وبشرا عندما ترى الصديق وبغضا وسطوة عندما ترى العدو ، أنت وطبيعتك وعملك وفعلك ، ثم يعود إلى خطاب الملك إلى اياز : هيا وافصل في الأمر فإن الانتظار في حد ذاته نوع من الانتقام ، العدالة ينبغي أن تكون سريعة .

(٢١٣٤ - ٢١٤٠) : في العنوان : " الانتظار هو الموت الأحمر " ... والموت الأحمر في معجم الصوفية له عدة معان منها تحمل اذى الخلق ، الموت في الجهاد ، وتحدث المولوى عن أربعة من أنواع الموت : موت أحمر وهو تحمل الجفاء وكف الأذى وموت أصفر وهو الجوع والاصطبار على الإعسار وموت أبيض وهو العزلة وموت أسود وهو مخالفة النفس والهوى (مولوى : ٤١١/٥) . وروى صاحب تذكرة الأولياء عن حاتم الأصم أنه قال : على من يدخل هذا الطريق أن يذوق ثلاث ميتات : موتا أبيض وهو الجوع وموتا أسود وهو الاحتمال وموتا أحمر وهو لبس المرقع (تذكرة الأولياء / ٢٠١) ، والذي يناسب السياق هنا هو تفسير الموت الأحمر بمعناه اللفظي أي القتل. يجيب اياز بأن الأمر كله متروك للملك ، والبیت ٢١٣٥ يكاد أن يكون ترجمة لبیت النابغة الذبياني :

فإنك شمس والملوك كواكب إذا طلعت لم يبد منها كوكب

ويرى اياز أنه هو الذي أثار شكهم وريبتهم ، فلو أنه كان قد نسي ماضيه وأصله ، ذلك أن { كل ذي نعمة محسود } ، وما دام المرء مقيما على غير ما درج عليه الناس فهو عرضة لاتهامهم { والمخلصون على خطر عظيم } ، إننى أنا بكتمى هذا السر ، ووضعى الأقفال على الحجرة المسئول عن كل هذا الموقف لقد أدى إلى الشك في أنا الذي اعتبر معدنا للوفاء ومثالا له ، وما كان بحثهم عن الغدر منى إلا كباحث عن مدرة جافة في قاع جدول ، أو عن سمكة خارج الماء ، أي كان بحثهم عن غدري وخيانتى من قبيل البحث عن المحال .

(٢١٤٩ - ٢١٤١) : من هنا يترك مولانا القصة ويدخل في حكايات وموضوعات غيرها حتى البيت رقم ٣٢٥٠ عندما يعود إليها ... يقول : إن حديثي عن الوفاء أمام من جبلوا على الغدر والخيانة هو إلقاء بالمشقة عليهم ، كيف يمكن أن يتحدث أحد عن اللباب أمام من وقفوا عند القشور ، وذلك أن للقشور صوتاً يعجب الأذان ، إذن فاعلم أن للباب أيضاً له صوت ، وصوت حسن ، أفضل كثيراً من خشخشة القشور التي تعجب بها ، لأنها تدلك على أن هناك لباً ، فتذهب وتسطو عليه ، لكن صوت اللب ليس مبذولاً لكل أذن ، فالقشر هو ظاهر الإنسان واللب هو باطنه الذي ينبغي أن يستمع إليه بأذن الروح ، والطريق إلى فتح أذن الروح وتمكينها من العمل يكمن في أن تسد أذن الجسد وشفة الجسد ، وتصمت ، وتصبر ، وتطلب أن تنزل عليك عطايا الله ، ويطلب مولانا من نفسه أن يقوم بهذه التجربة ، لقد جربت كثيراً من النظم والنثر ، فجرب لمدة يوم واحد أن تكون صامتاً ، تراه لم يصمت حتى ليوم واحد ؟! أغلب الظن أنه فعل ، لكنه يخاطب نفسه أحياناً بما كان ينبغي أن يخاطب به المريدين .

(٢١٥٠ - ٢١٦٢) : المن نوع من الحلوى المشهورة في إيران وهو حلو ، لكن مولانا افترض أن هناك منا مراً ، وحرifa ورمز للكلام والحديث بالمر والحريف وللصمت بالمر الحلو ، وفكرة كتاب اليمين وكتاب الشمال مرت في الكتاب الذي بين أيدينا ، الأبيات ١٨٠٦ - ١٨٢٦ ، وفكرة النظر في الكتاب مرت في الكتاب الرابع ، الأبيات ١٥٦٤٠ - ١٦٧٧ وفكرة التبديل تبديل السيئات إلى حسنات مرت أيضاً في الكتاب الذي بين أيدينا ، الأبيات ١٨٤٧ - ١٨٥٨ .

(٢١٦٣) : الحكاية التي تبدأ بهذا البيت ، تجاهل كل المفسرين القدامى والمحدثين تأصيلها ، وهي تبدو من الحكايات الشعبية أيضاً ، وفيها غير قليل من الهزل أثرت ترجمته لكي يكتمل النص وكما فعلت في الحكايات المشابهة ، كما ناقشت عند تعليقي على قصة السيدة والحمار موضوع الجنس في التراث الإسلامي عموماً (انظر تعليقي على البيت ١٣٣٣ من هذا الكتاب) ، والآية المذكورة في العنوان : ﴿ ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله ﴾ (لقمان / ٢٥) . والحكاية قائمة على من يكذب حاله مقاله وهو من الموضوعات المحببة عند مولانا جلال الدين (مثالها الواضح قصة ذلك الشاعر الذي لم يأخذ صلة من الممدوح ، الواردة في الكتاب الرابع ، الأبيات ١٧٣٩ - ١٧٦٥) ،

وفي الحكاية أيضاً قاعدة فقهية لم ينتبه إليها المفسرون وفحواها أن جماع ملك اليمين لا يتم إلا بإذن من الزوجة وليس أمراً مباحاً على الإطلاق ، واستخدام الزاهد هنا سخرية من الزهاد المرائين ، وهم كالصوفية المتظاهرين ، كانوا موضعاً لسخرية مولانا جلال الدين وهجومه .

(٢١٦٦ - ٢١٦٧) : لفكرة أنه إذا جاء القضا ضاق الفضا ، وإذا حل القدر عمى البصر وإذا حلت التقادير بطلت التدابير ، انظر الكتاب الثالث ، الأبيات ٣٨٠ - ٣٨٩ وشروحها) .

(٢١٧٥) : الاتصال الجنسي عندما يتم برغبة وشوق من الطرفين يكون اتصالاً للروح بالروح ، وليس مجرد امتزاج جسدين بشكل حيواني ناهيك عن يعتبره حتى وإن تم في إطار شرعي أمراً مكروهاً .

(٢١٧٩ - ٢١٩٠) : هناك فرق كبير بين عبادة الخوف وعبادة العشق ، فالعارف العاشق يمكن له في لحظة واحدة أن يقطع من الطريق أضعاف أضعاف ما يقطعه العابد بتأثير الخوف ، أو كما يقول يحيى بن معاذ الرازي : الزاهد سيار والعارف طيار (عن استعلامي ٣٢٣/٥) ، فالعارف يستطيع في اطرة واحدة أن يصل إلى اليوم الذي مقداره خمسون ألف سنة مما تعدون، وإياك أن تحاول أن تزن أمور العارف بالعقل ، فهي خارج العقل وخارج الوهم ، فخوف الزاهد لا يساوي شيئاً إلى جوار عشق العارف ، وأين تلك الصفة التي يوصف بها الله سبحانه وتعالى أي صفة العشق ﴿ يحبهم ويحبونه ﴾ ، إلى جوار تلك الصفة التي لا يوصف بها إلا الإنسان وهي صفة الخوف ، ولا يمكن أن يوصف الإله العظيم بها ، إنني مهما تحدثت عن العشق يظل الأمر ناقصاً ، فنحن الناقصون المتحدثون بالأحاديث الناقصة، وقبل ذلك قلت لي عندما كنت أتحدث عن العشق : إنني لو شرحت هذه الأمور لصار المثنوى ثمانين مجلداً (البيت ٤٤٤٥ من الكتاب الثالث) وقلت أيضاً : أن آفة الإدراك هو ذلك المقال والحال (البيت ٤٣٧٠ من الكتاب الثالث) وأضيف هنا أنني حتى ولو تحدثت عن العشق دائماً لقامت مائة قيامة (لمرت أعمار على أساس أنه إذا مات ابن آدم فقد قامت قيامته) ويؤكد هذا قوله في البيت التالي أن القيامة محدودة بزمان ، لكن خالق القيامة ، وهو الموضوع الأول للعشق ليس محدوداً بزمان ومن ثم لا يحد عشقه بزمان .

(٢١٩١ - ٢١٩٦) : يواصل مولانا إفاضاته عن العشق : إن العارف لا يقطع هذه المسافات والأزمنة بحوله وطوله ، بل بواسطة تلك الأجنحة التي يملكها العشق والتي تمتد من أعلى العرش إلى الثرى ، ومن هنا فالزاهد بمثابة من يمشى على قدميه ، إنه مهتم بالدنيا ، إن زهده فيها موقف منها ، وهو دائما في قيد ما يجوز ولا يجوز ، لكن العاشق لا يهتم بالدنيا أو بالآخرة إنه يريد وجه الله ، فهو فان فيه ، ومن ثم أصبح سريانه في الموجودات كسريان الحقيقة ، وأسرع من الهواء ومن البرق ، ومن هنا فمشاغل الزهاد كثيرة ، والخائف غالبا ما هو مشغول بما هو خائف منه ، أما العشاق فقد جعلوا همهم واحدا ، ومن ثم أصبحت السماء دانية لهم وكأنها الأرض ، والعناية الإلهية فحسب هي التي تستطيع أن تجعل الزاهد والخائف عاشقا ، وتقول له : انطلق ... دعك من ذلك السير الأرضي ودعك من كل أوهامك ، وكل رؤاك ، وكل قيلك وقالك ، فهذا القيل والقال بمثابة مناقشة أهل المدرسة للجبر والاختيار ، أي جبر وأي اختيار ، يكفي العاشق فخرا أنه فان في الله منطلق كالصقر الملكي " الروح " .

(٢٢٠٥ - ٢٢١٠) : عودة إلى مناقشة كتاب الأعمال التي تمت مناقشته في الأبيات ٢١٥١ - ٢١٥٦ ، وفي هذه الأبيات مضمون الآية ٢٥ من سورة لقمان ، وقد مر الحديث عنها في شرح الحديث ٢١٦٣ .

(٢٢١١ - ٢٢٢٠) : الأبيات هنا ناظرة إلى قوله تعالى ﴿ ويوم يحشر أعداء الله إلى النار فهم يوزعون ، حتى إذا ما جاءوها شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون ، وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا قالوا أنطقنا الله الذي أنطق كل شيء وهو خلقكم أول مرة وإليه ترجعون ﴾ (فصلت / ١٩-٢١) ، (انظر أيضاً الكتاب الثالث ، الأبيات ٢٤٥٧ - ٢٤٦٧ وشروحها) . إذن فليست أقوالك هي التي تشهد لك ، أفعالك هي التي تشهد لك ، والإيمان ما وقر في القلب وصدقه العمل ، وهذه الأعضاء تشهد عليك لأنها بمثابة العبد منك أيها السيد هي تابعة لك وغير مسئولة عما ارتكبت .

(٢٢٢٠ - ٢٢٢٧) : على كل حال فإن الفرصة لم تفلت منك بعد ، فباب التوبة مفتوح ما لم تغرغر وتبلغ روحك الحلقوم (عن باب التوبة ، انظر الكتاب الرابع ، الأبيات ٢٥٠٣ - ٢٥٠٨ وشروحها) ، رَوَ جذور العمر بماء التوبة وهو بمثابة ماء الحياة الذي يجعل هذه الشجرة التي جففتها الذنوب خضراء مورقة ﴿ أصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتى أكلها

كل حين بإذن ربها ﴿ فأى ماء هذا الذي يجعل حتى تلك السيئات التى قمت بها تتبدل إلى حسنات ، إنه أشبه بكيمياء التبديل مصداقا لقوله تعالى ﴿ إلا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وكان الله غفورا رحيما ﴾ (الفرقان / ٧٠) وعن التبديل انظر أيضاً ، الأبيات ١٨٣٥ - ١٨٥٤ من الكتاب الذي بين أيدينا) فهيا تب هذه التوبة النصوح ، وأنا أعلم انك قد ملت إلى التوبة فجدد ميلك إليها .

(٢٢٢٨) : تعبير طريف ذلك التعبير الذي يقدمه مولانا عن التوبة : كاللبن يخرج من الثدى ولا يعود إليه ثانية ، والتوبة ألا تذكر الذنب ، وفي رواية أخرى ألا تفتأ تذكر ذنبك ، لكن مولانا حدد : الذكر بميل ، ولا شك أن الذكر بكراهة يقوى التوبة ، فكلما ازداد كراهية لذنبه كان ذلك دليلا على أنه وجد لذة القبول ، وأن لذة القبول هى التى حلت محل لذة الذنب القديم إذ لا يقضى على عشق إلا عشق آخر (انظر ٨٨٠ - ٨٨٣ وشروحها من الكتاب الرابع) ، والبيت المذكور (ليس لمولانا كما اعتبره الشارحون وإلا لما قال : كما قالوا ، وقد يكون لأبى سعيد) ، أما الآيات الكريمات ﴿ فأما من أعطى واتقى ، وصدق بالحسنى ، فسنيسره لليسرى ، وأما من بخل واستغنى ، وكذب بالحسنى ، فسنيسره للعرسى ﴾ (الليل / ٥-١٠) ، ونصوح هذا اسم شخص وليس صفة كما وردة في الآية الكريمة : ﴿ يا أيها الذين آمنوا توبوا لله توبة نصوحا ﴾ (التحريم / ٨) ، ويرى عبد الباقي أن الخيال الشعبى هو الذي حول نصوح من صفة إلى شخص (5/370) في حين أن الرواية وردت قبل مولانا في إحياء علوم الدين للغزالي ، وفي مقالات شمس ، وأغلب الظن أن مولانا أخذها عن مقالات شمس ، لأن مضمونها أقرب إلى روايته ، كما ذكرها مولانا أيضاً في المجالس السبعة (مأخذ ١٧٥ - ١٧٦) .

(٢٢٣٥ - ٢٢٤١) : إن الإنسان ليتوب ، لكن النفس الكافرة الأمارة بالسوء ما تنفك توسوس له حتى يعود ، وقد تتحقق التوبة عن طريق أحد رجال الله ودعائه " همم الرجال تريح الجبال " ، لقد عرف الولي ما يجول في خاطره وقرأ سر ضميره لكنه ستر عليه ، فهو متخلق بأخلاق الله ، ومن أخلاق الله سبحانه وتعالى الحلم على خلقه والستر عليهم فهو الحليم الستار ، وما أكثر ما يعرفه هؤلاء الأولياء لكن الشفاه صامتة ليس ضنا بالعلم ولكن سترا على الخلق ، والبيت ٢٢٣٨ قريب من قول حافظ الشيرازي :

لا أدري من يوجد داخلى أنا المعذب القلب فأنا صامت وهو ملئ بالضجة والصخب

(ديوان حافظ / ٨٣)

فليس كل البشر مهينين لفهم كل الأسرار ، وقد روى عن النبي ﷺ قوله : { إن من العلم كهيئة المكنون لا يعلمه إلا أهل المعرفة بالله فإذا نطقوا به لم يجهله إلا أهل الاغترار بالله عز وجل ولم يتحملة إلا أهل الاعتراف بالله عز وجل ، فلا تحقروا عالما آتاه الله علما فإن الله لم يحقره إذ آتاه إياه } وفي خطبة لأمير المؤمنين على ﷺ : اندمجت على مكنون علم لو بحث به لاضطربتم اضطراب الأرشية " الحبال " ، في الطوى " الآبار " ، البعيدة ، وقال أيضاً : إن هاهنا لعلماء جما لو أصبت له حملة ، وفي أبيات لعلى زين العابدين السجاد ﷺ :
إنى لأكتنم من علمى جواهره .: كيلا يرى الحق ذو جهل فيفتننا
وقد تقدم في هذا أبو حسن .: إلى الحسين ووصى قبله الحسن
يا رب جوهر علم لو أبوح به .: لقل لى أنت ممن يعبد الوثنا
ولاستحل رجال مسلمون دمي .: يرون أقبح ما يأتونه حسنا

قام في بنى العيلة : إن عيسى بن مريم ﷺ وعن الصادق رضى الله عنه قال : قال
إسرائيل فقال : يا بنى إسرائيل لاتحدثوا بالحكمة الجاهل فتظلموها ولا تمنعوها أهلها
فتظلموهم " ، ومن ثم يوصى المريدون بعدم إفشاء الأسرار (جعفرى : تفسير ونقد وتحليل
مثنوى جلال الدين محمد ، ج ١٢ ، ط ١٠ ، تهران ، اسلامى ١٣٦٣ ، صص ٩٦ - ١٠٢ ،
بعد ذلك جعفرى / ١٢) . وطالما يحدث مولانا جلال الدين نفسه في المثنوى ، أصمت
كفاك حديثا ، إن تحدثت سوف تأخذ الغيرة بأذنك وهلم جرا .

(٢٢٤٢) : العارف الواصل " الحق " مستجاب الدعاء ، وهذه الفكرة أن فعل الولي من فعل
الله تكررت في المثنوى (انظر الكتاب الثالث ، البيت ٢٢٢٢) والحديث المذكور في
العنوان : { من عادى لى ولما فقد أذنته بالحرب وما تقرب إلى عبدى بشئ أحب مما
افترضت عليه وما يزال عبدى يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي
يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التى يبطش بها ورجله التى يمشى بها } . قال الشيخ
الأكبر : ولابد من إثبات عين العبد في الفناء في الله وحينئذ يصح أن يكون الحق سمعه

وبصره ولسانه ويده فعم قواه وجوارحه بهويته على المعنى الذي يليق به ، وهذه نتيجة قرب النوافل وأما قرب الفرائض أن يسمع الحق بك كأنه قال : إذا أحببت عبادي فغلبت محبتي عليه وسلبته الاهتمام بغيري فيتصف ظاهرا وباطنا بصفاتي فيسمع ما أسمع ويبصر ما أبصر ويمسك بقدرى ويمشى بإرادتي فتكون جوارحه وأعضاؤه لى آلة . وهذا أيضاً مفهوم ﴿ وما رميت إذا رميت ﴾ (مولوى ٣٣٦/٥) .

(٢٢٤٥) : ومع ذلك فالأمور كلها من عند الله تعالى ﴿ يهدى من يشاء ﴾ وما الولي والعارف الذي يدعو إلا من قبيل السبب الذي يهيئه سبحانه وتعالى ، فالدعاء والاستجابة منه أيضاً ، وهو الذي يلهم الأقواء الدعاء ، إذا أراد الاستجابة (انظر الأبيات ١٩٠ - ٢٠٧ وشروحها ، من الكتاب الثالث) .

(٢٢٧٣) : عن رسول الله ﷺ أنه قال : { اشتدى أزمة تنفرجى } (النهاية في غريب الحديث والأثر ، لابن الأثير ، ٤٩٦/١) . وقد نظم أبو الفضل يوسف المعروف بابن النجوى قصيدة في هذا المعنى مشهورة باسم القصيدة المنفرجة أولها : اشتدى أزمة تنفرجى . ثم يستمر : قد آذن صبحك بالبلج ، وظلام الليل لها سرج حتى يغشاه أبو السرج . وقال ابن الفارض :

أصبحت فيك كما أمسيت مكتئبا ولم أقل جزعا يا أزمة انفرجى

(انقروى : ٤٩٧/٥)

(٢٢٧٥ - ٢٢٨٦) : من خلال موقف من مواقف القصة يتحدث مولانا عن " ديناميكية " اتصال المضطر وسره وضميره بالملأ الأعلى والسر مرتبة من مراتب الروح السبعة (انظر البيت ٣١٣١ من الكتاب الثالث) لقد فنى المضطر عن وجوده، فاتصل سره بالملأ الأعلى ، فاستدعى روحه كما يستدعى السلطان البازى لأن يعود بصيده ، إن الانكسار أيضاً براق عظيم في تلك اللحظة ، فقد خرق الخضر السفينة لتنجو ، ومثلها سفينة المضطر ﴿ أمن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء ﴾ لقد أنقذ الله سبحانه وتعالى سفينته المحطمة على شاطئ الرحمة ، وهكذا عندما تجردت الروح من الجسد ومن عاره ، استطاعت أن تحلق عالية نحو أصلها ، ويواصل مولانا الصورة التى يغرم بها صورة الروح كبازى (قوية ملكة الطيور قادرة على التحليق) والتى تقف على ساعد السلطان، ثم تنطلق إلى الدنيا في إثر "الطين" حتى إذا دق لها طبول ﴿ ارجعى إلى ربك راضية مرضية ﴾

انطلقت إلى أصلها مما عبر عنه في غزلية من غزليات ديوان شمس " انظر شروح الآيات ١٦٦٠ - ١٦٦٤ من هذا الكتاب " ، وعبر حافظ الشيرازي عن نفس الفكرة بقوله : طائر قلبي طائر قدسى عشه العرش .: مل قفص الجسد وشبع من الدنيا ومن باب هذه المتربة عندما يطير الطائر .: يتخذ موقعا ثانية على هذا العش وعندما يطير من هذه الدنيا تكون السدرة .: فاعلم أن متكأ طائرنا شرفة العرش

(ديوان حافظ : جامع نسخ ص ٣٦٤)

وهكذا عندما يتخلص بازى الروح مما يغل قدمه ينطلق نحو السلطان ، ولا يستبعد شئ عن رحمة الله ، فإن رحمة الله وسعت كل شئ ، وعندما يجيش بحر الرحمة يكون للحجر نصيبه من ماء الحيوان فيحيا وينطق (ويقول لداود خذنى لقتال جالوت ويبلى بلاء حسنا في القتال) ، ومن الرحمة تصير الذرة والهباء في عظمة الشمس ، ويصبح هذا الأديم الترابى مناجم ذهب ، وتطوله يد رحمة الربيع فيصبح وشيا منمنا ، ويصبح كل مستحيل ممكنا ، فيعود عزيز من قبره ويحيا (انظر الكتاب الرابع الأبيات ٣٢٧١ - ٣٢٧٩ وشروحها) ويعم السلام ، فيجالس الذئب الشاه (تشبيهه قاله أحد شعراء السلطان محمود لعله العنصرى مدحا له وظل تعبيرا نمطيا في الأدب الفارسي) ، وبرحمة الله تعالى لا تجد قانطا ، بل يصبح القانطون كلهم متهاللين فرحين .

(٢٣٠٠ - ٢٣١٦) : إن هذه الرحمة قد فاض بها فضل الإله ، ورحمته وعطاياه لاتنتظر مستحقا ، إنها كالغيث يهمل على المزارع والصحارى ، لقد كن يعتذرن لنصوح على سوء ظنهن فيه (فيها) ، وهن اللاتي يستحقن الاعتذار منه، فأى جريمة هذه سرقة الجوهرة إلى جوار الجريمة الكبرى ، جريمة أنه رجل وهن ينكشفن عليه على أساس أنه سيدة ، وهو ما لا يفكر إبليس نفسه في القيام به ، كل هذا كان الله سبحانه وتعالى يعرفه - بالتأكيد كان يقول هذا لنفسه أو كان يجول في خاطره - إن الرحمة هي التى جبرت انكسارى ورتقت ما تمزق من ردائى ، جعلتنى سوسنا حرا ، ومحا ربى ذنوبى إذ أن : التائب من الذنب كمن لا ذنب له ، وتحولت آهتى إلى نجاة ، نجوت بها من بئر نفسى ، والبيت ٢٣١٥ مأخوذ من حديقة سنائى ، (البيتان ٦٨٥ و ٦٨٦ من متن الحديقة) ، والمقصود بالروضة

والعيون رياض الرحمة وعيونها ، ويا ليت قومي يعلمون ، سورة يس ، ﴿ قيل ادخل الجنة قال يا ليت قومي يعلمون بما غفر لي ربي وجعلني من المكرمين ﴾ (يس / ٢٦-٢٧) .

(٢٣٢٦) : القصة التي تبدأ بهذا البيت من قصص كليلة ودمنة أعاد مولانا جلال الدين صياغتها ، وتصرف فيها لتخدم أهدافه من القصة وافاضاته التي تختلف عن أصل القصة اختلاف ما بين السماء والأرض ، وهناك إشارة في الحديقة عن صيد الأسد وكيف يكون لكل الوحوش (البيت ٨١٠) . كما ورد في نفس الكتاب الذي بين أيدينا تشبيه الشيخ بالأسد (البيت ٣٢١٦) .

(٢٣٣٩ - ٢٣٥٠) : يترك مولانا قصة الأسد والحمار ويتحدث عن القطب ومن الواضح انه لا يتحدث عن القطب كدرجة في سلسلة الولاية ، لكنه يتحدث عن الولي عموما " انظر لتأييد هذه النظرة ، الكتاب الثاني ٨١٨-٨٢٥ " فمولانا جلال الدين يعطى كل هذه الصفات عندما يتحدث عن الدرويش " الحقيقي " و " الولي " ، و " الشيخ " و " المرشد " ، وهو هنا يشبهه " بالأسد " ، بالطبع أسد الطريقة الذي " تصيد " المغفرة والرحمة ، وتنزل عليه الافاضات الإلهية ، ثم يهبها لمن حوله كل بحسب درجة " استعداده " فليس من عادة الشيخ أن " يأكل " أو " يشرب " وحده (انظر الكتاب الرابع ، الأبليات ١٨١٦ - ١٨١٩ وشروحها) ، وليس بدعا أن يكون الرزق بالقطب وقديما قال الشاعر العربي " خليفة الله يستسقى به المطر " ، وإلى مثل هذا أشار ابن الفارض بقوله :

ومن فضل ما أشربت شرب معاصري ومن كان قبلي فالفضائل فضلتى

(انقروى ٥/٥٠٦)

فاعتبر القطب عقلا يناط به تدبير أمور الجسد ، وإن تساءلت وكيف إذن يكون هذا القطب ضعيفا؟! فإن الرد: إن الضعف في الجسد لا يعنى ضعف الروح، وهل يعمل القطب بجسده ، إن عمله بالروح بها يتلقى الفيض وعن طريقها يفيض به بدوره على المريدين ، وهو من عظمتة جدير بدوران الأفلاك حوله - العالم كله متعلق به وليس هو متعلقا بالعالم - وهذا المعنى متأثر بابن الفارض في قوله :

المحيط بها والقطب مركز النقطة

فبي دارت الأفلاك فاعجب لقطبها

(انقروى ٥/٥٠٧)

ويضيف الانقروى : والقطب ازلا وأبدا من أول الوجوه إلى آخرها هو الحقيقة المحمدية ، وهو الواحد الذي موضع نظر الله تعالى من العالم في كل زمان وهو على قلب اسرافيل ^{عليه السلام} ، والفكرة أقرب إلى قول ابن الفارض :

ولا فلك إلا ومن نور باطنى به ملك يهدى الهدى بمشيئتي

فان كنت مؤمنا بهذا القطب ساعده في مرمة سفينة " جسده " ، ففي عونك له عون لك ، ذلك أن الله تعالى جعل المنتصر من عبده من ينصره هو ، فإن نصرت الله نصرك ﴿ إن تنصروا لله ينصركم ويثبت أقدامكم ﴾ (محمد ٧) . قال نجم الدين : " يشير إلى أنكم إن وجدتم في أنفسكم شيئا يحرضكم على نصرة الله فذاك من أثر نصرة الله إياكم فإنه قد نصركم بالتوفيق لنصرة الحق فأما نصره من العبد فعلى وجهين صورة ومعنى ، أما النصرة في الصورة نصرة دينه بإيضاح الدليل وتبيينه وشرح فرائضه وسننه وإظهار معانيه وأسراره وحقائقه ثم بالجهاد والنفر لإعلاء كلمته وقمع أعداء الدين ، وأما نصرته في المعنى فبإخفاء الناسوتية في لاهوتيته ليبقى هو بعد فناء خلقه ، وأما نصرة الله للعبد فهي أيضاً على وجهين : صورة ومعنى أما نصرته للعبد في الصورة فبإرسال الرسل وإنزال الكتب وإظهار الإعجاز والآيات وقد بين السبل إلى النعيم والجحيم ، وحضرة الكريم ثم بالأوامر في الجهاد الأصغر والأكبر وتوفيق السعى فيهما طلباً لرضاه ولابتغاء هواه وبإظهاره على أعداء الدين وقهرهم في إعلاء كلمة الله العليا وما نصرته للعبد في المعنى فبإيتاء رشده في إفناء وجوده الفانى في وجوده الباقي بتجلى صفات جماله وجلاله " (مولوى ٣٣٨/٥) . فإنك أن قمت بالصيد كالثعلب فإنما تصيد بهمة هو لا بهمتك أنت ، فمما علمك إياه تستفيد فما أنت إلا تلميذ له و " ليس من أخلاق المؤمن التملق إلا في طلب العلم " (انقروى ٥٠٩/٥) . والقطب إنما يطلب من المرید أن يصيد له صيدا حيا لا صيدا ميتا كصيد الضباع ، لكنك على كل حال أن حملت إليه صديا ميتا سوف يحيا بأنفاسه ، إن من يصيد بنفسه ودون إرشاد من المرشد لا يصيد إلا الأوهام والخيالات ولا يصل إلى عالم الغيب ، وإن كنت لا تصدق أن الميت ينقلب إلى حي ، فانظر إلى القمامة توضع في البستان فتصبح سمادا ينبت به سبحانه وتعالى الزهور والنباتات .

(٢٣٥٨ - ٢٣٦٠) : من الواضح بالطبع أن مولانا قد ترك تيار القصة وساق " نفسا " عن الرضا على لسان الحمار ، إذ ينبغي الصبر على ما أعطى الله ، والرضا والقناعة به مصداقا

لقوله تعالى : ﴿ نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ﴾ (الزخرف / ٣٢) ، فالصبر على كل حال هو مفتاح الرج ، وكل نعمة في هذه الدنيا على كل حال مقرونة بغم (ورد في الحديقة ما يقرب من هذا المعنى في حكاية ذلك الذي قال لبهلول : أريد أن أهبك بردة فقال على أن تزيدني عليها مائتي عصا ، ذلك لأن راحة الدنيا مقرونة بشقائها (انظر حديقة الحقيقة لسنائي ، ، الأبيات ٥٣٣٩ - ٥٣٤٢) وإلى مثل هذا المعنى ذهب الشاعر الفارسي : لا كنز بلا حية ولا ورد بلا أشواك ولا سرور بلا حزن في هذا السوق

(عن جعفرى ١٢/١٢٣)

(٢٣٦١) : يرى استعلامى أن هنا نوعا من السهو إذا انتقل مولانا من حمار القصار إلى حمار الخطاب ثم قال في المتن انه حمار السقاء (٣٢٩/٥) ، والواقع أن السهو هنا بين " حمار الخطاب " ، في العنوان و " حمار السقاء " ، في البيت الأول ، فالحكاية هنا لا دخل لها بحمار القصار ، وحمار القصار هو الذي يرويها ليضرب مثلا على أن كل نعمة مقرونة بغم ، ومن ثم أولى بالإنسان أن يطلب من الله المغفرة له لذة الدنيا والآخرة ، لأن الاستغفار مقرون بالرزق ﴿ وأن استغفروا ربكم ثم توبوا إليه يمتعكم متاعا حسنا إلى أجل مسمى ويؤتى كل ذي فضل فضله ﴾ (هود / ٣) ، ﴿ فقلت استغفروا ربكم إنه كان غفارا يرسل السماء عليكم مدرارا ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهارا ﴾ (نوح / ١٠-١٢) . وقد قيل " العناية تهدم الجناية وتورث الهداية وتصل الولاية ، (انقروى ٥/٥١١) ، فالنعمة فخ حبة ظاهر وشبكته خفية . والحكاية المذكورة هنا لم يهتم أحد بالبحث عن أصل لها وفي الحكاية روح حكايات كليلة ودمنة " وتشبه حكاية فأر المنزل الذي دعا فأر الحقول إلى المنزل للتناول من خيراته ورؤية فأر الحقول للمصيدة وتفضيله الفقر مع العافية عن الغنى مع الخطر " .

(٢٣٨٢ - ٢٣٨٧) : عودة إلى مناقشة الثعلب مع حمار القصار وتدور المناقشة حول فكرة التوكل والكسب وهى من الأفكار التى ناقشها مولانا في الكتاب الأول في قصة الأسد والوحوش (من البيت ٩٠٣ إلى البيت ١٣٩٨ من الكتاب الأول) ، وكل فريق يجد من الكتاب والسنة ما يدعم رأيه بل وحاولوا التلقيق بين التوكل والكسب ، وقالوا أن التوكل لا يعنى القعود عن الكسب ، بل ينبغى أن يكون ثم كسب مقرون بالتوكل : " التوكل حال النبى والسعى سنته فمن ابتغى حاله لا يترك سنته " ، كما ورد في الرسالة

القشيرية . ومما يتفق ومعنى الحديث " اعقلها وتوكل " ، ما روى من قول عمر رضي الله عنه للرسول ﷺ : يا رسول الله أرأيت ما نعمل فيه أعلى أمر قد فرغ منه أو على أمر مبتدا ؟! فقال : على أمر قد فرغ منه ، فقال عمر : أفلا نتكل وندع العمل ؟! فقال : اعملوا فكل ميسر لما خلق له ، كما ورد في التعرف على مذهب أهل التصوف للكلاباذي ، فالتوكل محله القلب والحركة بالظاهر ولا يتناقضان (عن تعليقات كفاي على القصة المذكورة في الكتاب الأول ، ص ٤٨٧) والحمار هنا هو الذي يدافع عن التوكل ، بينما يدافع الثعلب عن الكسب حتى يجز الحمار من موطنه إلى حيث يوجد الأسد ، يقول الثعلب : إن الله سبحانه وتعالى قد أمرنا بطلب الرزق من مظانه ، والرزق مرهون بهذا الطلب ، وقد قال تعالى : ﴿ فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون ﴾ (الجمعة / ١٠) ، وقال ﷺ : طلب الحلال فريضة بعد الفريضة ، وقال أيضاً : طلب الحلال واجب على كل مسلم ، (انقروى ٥١٤/٥) . ومن أقواله أيضاً ﷺ : أبواب الأرزاق مقفولة والحركة مفتاحها . (أحاديث مثوى ، ص ١٦٨) .

(٢٣٨٨ - ٢٣٩٢) : يجيب الحمار مدافعا عن التوكل بمضمون ناظر إلى الآية الكريمة ﴿ وكأين من دابة لا تحمل رزقها الله يرزقها وإياكم ﴾ (العنكبوت / ٦٠) . والحديث الشريف : ﴿ لو توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تعدو خماصا وتروح بطانا ﴾ . وقوله تعالى : ﴿ ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب ، ومن يتوكل على الله فهو حسبه إن الله بالغ أمره قد جعل الله لكل شئ قدرا ﴾ (الطلاق / ٢-٣) . والأبيات كلها تكرار لأفكار بل وتعبيرات وردت في حديقة الحقيقة (انظر الأبيات ٧٩٦-٨٢٢ ، صص ١٠٥-١٠٧ من المتن الفارسي) .

(٢٣٩٣ - ٢٣٩٧) : يرد الثعلب : إن هذا التوكل الذي تتحدث عنه أمر نادر الحدوث ، إنه ديدن الكمل من الرجال من أوليائه وأحبائه ، الذين رضى عنهم وأرضاهم ، فإذا كان الرسول ﷺ قد شبه القناعة بأنها الكنز ، فمن تراه وصل إلى هذا الكنز ، أتراك - وأنت حمار - تطمع في هذا الكنز وتريده لنفسك ، اعلم قدرك واحفظ أدبك ، وإلا سقطت في الفتنة وفي الشر ، إذا وضعت هذه النفس في غير موضعها .

(٢٣٩٧ - ٢٤٠٠) : يرد الحمار : إن هذا قلب للأمور منك أيها الثعلب فمن أين تأتي الفتنة ومن أين يأتي الشر إذا اعتصم الإنسان بالقناعة ، إن الفتنة والشر إنما يتأتيان من الطمع

وقد قال ﷺ { إياكم والطمع فإنه هو الفقر الحاضر وإياكم وما يعتذر منه } (انقروى ٥١٧/٥) . وكما يكون المرء عاشقا للرزق فإن الرزق أيضاً عاشق له كما قال ﷺ : { إن الرزق يطلب العبد كما يطلبه } ، وفي رواية أخرى وكما يطلبه أجله (استعلامى ٣٣١/٥) . (٢٤٠١ - ٢٤٠٣) : يسوق مولانا هنا حكاية لها أمثال عديدة في كتب الصوفية (مأخذ ١٧٨ و ١٧٩) ، لكن المهم انه يذكر بطلها " كزاهد " ، وليس كصوفى ومن سوق مولانا جلال الدين لهذه الحكايات وطريقة تعبيره عنها يتضح موقفه من هذا النوع من الزهاد أو الصوفية المتنطعين الحرفيين والزاهد هنا متنطع وحرفى يذكر بذلك الزاهد الآخر الوارد في الكتاب الثالث من المثوى والذي شق على نفسه فنذراً لا يقطع ثمرة من شجرة جبلية ولا يهزها ولا يطلب من أحد تصريحاً وكناية أن يهزها ، وأنه لن يأكل إلا مما تسقطه الريح من الشجرة ، وكيف أخذته الغيرة الإلهية فأخذ مع لصوص وقطعت يده . (انظر الكتاب الثالث ، الأبيات ١٦٣٦ - ١٦٣٩ و ١٦٧٤ - ١٦٨٤ وشروحها) إن هذا يكون أشبه بامتحان الله ، ومن امتحن الله تعرض لامتحانات القضاء (انظر الكتاب الرابع الأبيات ٣٦٠ - ٣٨٦ وشروحها) والحديث المذكور في البيتين هو حديث : { إن الرزق يطلب العبد كما يطلبه } .

(٢٤١٦ - ٢٤١٨) : يخاطب الدرويش قلبه : ها أنت أيها القلب تعرف السر وتعرف أن الله هو الرزاق ساق إليك الرزق وأنت شبه جثة ، فكفاك تدللاً (حتى التدلل هنا مكروه ، وانظر الكتاب الثالث ، الأبيات ١٣٢٠ - ١٣٢٥ وشروحها) ، ويجب القلب : أجل أعلم ، لكننى متعمدٌ فيما أفعل كى أؤمن تماماً أن الله هو الرزاق!!

(٢٤١٩ - ٢٤٢٤) : يجيب الثعلب : إن كل هذه حكايات ، ولو كان الله تعالى يريد منك أن تقعد بلا كسب لما خلق لك يداً ، ولا قدما ، ثم إن هذا العالم قائم على الكسب ، أتراك بكسبك وبعملك تنفع نفسك فحسب ؟! لا... إنك جزء من مجتمع ولكل واحد حرفته التى يتكسب منها ويفيد الآخرين ويستفيد هو أيضاً من أعمال الآخرين وحرفهم ، والدنيا قائمة على هذه المشاركة ، كل إنسان يعمل : " ومن أخذ من الناس المنافع ولم يعطهم نفعا لم يدخل تحت قوله تعالى : ﴿ والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض ﴾ ، ولهذا ذم من يدعى التصوف فيتعطل ولا يكون له علم يؤخذ منه ولا عملٌ صالح في الدين يقتدى به بل يجعل همته عادية بطنه لأنه انسلخ من الإنسانية بل من الحيوانية وصار من جنس الموتى "

(انقروى ٢٥١/٥) . وترجمت " طبل خوارى " في البيت ٢٤٢٤ بالخيال الساذج بينما ترجمها المترجمون والمفسرون بـ " الأكل بالمجان " ، لأن فيها إشارة إلى الثعلب الذى ظن من صوت الطبل أن فيها شحما فمزقها من خياله الساذج ولم يجد عندها شيئاً .

(٢٤٢٥ - ٢٤٣٠) : قال الحمار : إننى أعرف مهنة ولا كسب افضل من التوكل لأن الله سبحانه وتعالى يقول : ﴿ ومن يتوكل على الله فهو حسبه ﴾ (ولا نظير لمهنة الشكر لأنه سبحانه وتعالى القائل : ﴿ لئن شكرتم لازيدنكم ﴾ (إبراهيم / ٧) ، وهكذا طال الجدل بينهما وطال الخطاب ، وعلم الثعلب أن هذه المناقشة لن تفضى إلى نتيجة ، فأراد أن يدخل إلى الحمار من باب آخر : باب التحذير والتخويف من التهلكة ، فآله سبحانه وتعالى أمرنا بهذا في قوله تعالى ﴿ ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة ﴾ (البقرة / ١٩٥) ، هيا ... انتقل من هذه التهلكة فأرض الله واسعة ، هيا معى المروج .

(٢٤٣٤ - ٢٤٣٩) : تذكر هذه الأبيات بما ورد في حكاية الشاعر الذي عاد من العراق فقيرا مهلهل الثياب لا تبدو على هيئته آثار النعمة ولا على وجهه نضرة النعيم لا في باطنه سيماء المؤثرين ، ومع ذلك فهو يتفنج ويدعى (انظر الكتاب الرابع - الأبيات ١٧٣٩ - ١٧٥٤ وشروحها) ، وهذا هو أيضاً الثعلب ، إن الحمار (لأنه حمار) ، لم يقل له : وأين آثار هذه الجنة التى تعيش فيها عليك أنت ، إن المنطق لا بد من اجل أن يكون مؤثرا وقابلا للصدق أن يكون هناك شئ من العمل والواقع إلى جواره وإلا لكذب المظهر القول مثل كثير ممن سخر منهم مولانا .

(٢٤٤٠ - ٢٤٤٥) : وهذا أشبه بذلك الجمل الذى سأله أحدهم : من أين أتيت ؟! قال من حمام حيك الساخن ، فقال إن هذا يبدو على ركبتيك ، أي أنك إذا كنت في الحمام لظهر ذلك على هيئتك وعلى قدمك . وذكر فروزانفر ونيكلسون أنهما لم يجدا مصدرا لهذا المثال قبل مولانا (استعلامى ٣٣٢/٥) ، ويواصل مولانا : إن الادعاء يبعد الرحمة ومن ثم تحدث الفضيحة ، وفي سلسلة المدعين قدم لنا مولانا جلال الدين في الكتاب الثالث ، الريفى الذى خدع الحضرى وابن آوى الذى سقط في دن الصباغ ، والنفاج الذى كان يدهن شاربه بشحمة وسرققتها القطعة ، ثم كبير المدعين في تاريخ البشرية : فرعون الذى ادعى الألوهية (انظر الكتاب الثالث ، الترجمة العربية ، صص ٧٩ - ١٠٧) وها هو هنا يعود إلى فرعون : إذ لو كان فرعون هذا مؤمنا حقا بأنه " الرب الأعلى " ، لما خاف كل هذا الخوف

من حية موسى ، ومن ثم طلب المهلة ، ومن هنا فقد فضح نفسه ، وكشفها أمام الأذكىاء العارفين الذين قالوا : تراه حقا لو كان رب الدين لهلع كل هذا الهلع من دودة ؟! (٢٤٤٦ - ٢٤٥٤) : يظل مولانا جلال الدين مستمرا في إفاضاته ، فيخاطب النفس الفرعونية : إن هذا السكر الذي تحس به من شربك النبيذ ، فلا نصيب لك من عنقايد الغيب أي المعارف الإلهية وشراب الحكمة ، وهناك إمارات لا تبدو ولن تبدو عليك من أجل هذا أهمها التجافى عن دار الغرور (انظر ٣٠٨٠ - ٣٠٨٤ من الكتاب الرابع وشروحها) ، لأن النبي ﷺ لما قرأ ﴿ أفمن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه ﴾ قال إذا دخل النور في القلب انشرح وانفسح فقال الصحابة : وما علامة ذلك يا رسول الله ، قال : التجافى عن دار الغرور والإنابة إلى دار السرور والتأهب للموت قبل نزوله (مولوى ٣٥٢/٥) . والماء الأجاج هو نعمة الدنيا وكلام المزورين من الشيوخ والماء العذب هو ماء المعرفة وكلام الكمل من الشيوخ والمرشدين ، والإيمان الحقيقي يختلف عن التقليد والادعاء (عن المقلد والمحقق وهو عكس المقلد ، انظر الكتاب الثانى - ٤٩٤-٥٠٥) . وهذا المقلد غالبا ما يكون عرضة للشيطان يقف له في الطريق ، إنه واهى الإيمان ، وضعيف الإيمان عادة ما يكون ألعوبة في يد الشيطان ، غير ثابت ، حاله كريشة في فلاة ، تحيط به الشكوك والريب ، ولا علاج له إلا بالإيمان فهو كزبد البحر ، لا يهدأ ولا يسكن إلا إذا وصل إلى الشاطئ ، لأن الشاطئ هو أصله الترابى الذي يحن إليه .

(٢٤٥٥ - ٢٤٦٩) : يعود مولانا إلى قصة حمار القصار لكنه لا يلبث أن يتركها ، لقد كان منطق الثعلب منطقا جميلا ، لكنه فاه به كالمقلد ، فاه به من أجل أن يوقع الحمار لا أكثر ولم يفه به إيمانا ، إن هذا الثعلب شأنه شأن المقلد وشأن المنافق تحدث عن المعرفة ومدحها ، لكنه لم يكن تواقا إليها ، إنه أشبه بالنائحة الأجيعة ، خمش وجهه ومزق ثوبه ، لكنه لم يكن عاشقا (العاشق هو القمة التى يصل إليها المرء بعد أن يكون عالما) (انظر البيت ٤٩١ من الكتاب الثانى) ، إنه كعذر المنافق موجود على شفته لا في قلبه ﴿ لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم ﴾ قيلت عندما اعتذر المنافقون إلى الرسول عن القتال ﴿ شغلنا أموالنا وأهلونا فاستغفر لنا ﴾ (الفتح / ١١) ، و ﴿ ويشهد الله على ما في قلبه وهو ألد الخصام ﴾ . إن فيه رائحة من فاكهة سرور المعرفة ، لكنه ليس هذه الفاكهة ، إنه يستخدم هذه الرائحة ، أي منطقته وحديثه من أجل أذى الناس ، إن علمه كمصباح في يد لص وذلاقة لسانه من أجل

الخداع ، وما أشبهه بامرأة ، (ليست المرأة هنا للجنس ولكن لم لا قدرة له على الطريق ، ورب امرأة في الطريق تكون خيرا من عشرات الرجال) ، تتشوق بالشجاعة وشق الصوف ، لكنها إن أمسكت بالسيف ، أي إن خرجت من مرحلة القول إلى مرحلة الفعل ، ارتعدت وظهرت على حقيقتها ، هكذا أيضاً عقلك إن كان في الأنثى غير قادر على إدراك عوالم الغيب ومعرفة الحق ، وكان خاضعا للنفس الأمارة بالسوء - خضوع الأنثى للذكر - إن الأنثى تستطيع أيضاً أن تهاجم لكن بشكل ظاهري فقط ، لكن آفة هذا الهجوم ، وآفة هذه السطوة هي الاهتمام بالأشكال والألوان والروائح وظواهر الأمور ، إن صاحب العقل الأنثوي يشبه تماما هذا الحمار ، لقد قاوم وقاوم ، لكنه بمجرد أن سمع حديثا عن الألوان والأشكال الموجودة في المروج ، نسي كل ما قدمه من حجج ، وأصبح مثل الظمآن الذي يطلب المطر ولا سحاب هناك ، أي ذلك الذي يطلب الأمور في غيبة أسبابها ، فكأنه يطلب المحال ومثال أيضاً ذلك الجائع الذي لم يلجأ إلى درع الصبر (انظر لتفسير مفصل عن درع الصبر ، الكتاب الثالث ، الأبيات ١٨٤٨ - ١٨٥٤ وشروحها) ، ومكتوب على درع الصبر جاء الظفر إشارة إلى القول المأثور " من صبر ظفر " (مولوى ٣٥٥/٥) .

(٢٤٧٠ - ٢٤٨٣) : القياس في مصطلح مولانا يذكر في مقابل العيان والمشاهدة والإدراك الباطني للحقائق أو في مواجهة النص (ولا قياس مع نص) . (انظر الكتاب الثالث ، الأبيات ٣٥٨٥ - ٣٥٨٩ وشروحها) ، والقياس مجرد رائحة من الإدراك وليس إدراكا ، فإذا أردت أن تتحول شذرات نقلك التي قمشتها من هنا وهناك إلى إدراك وفيض فداوم على مجالس المرشدين ، وفيها تخرج معدتك من مرحلة الحمارية " يخرج عقلك من مرحلة التقليد " ، إلى مرحلة الغزالية " مرحلة التحقيق " ، وتفيض منك الحكمة كما يفيض المسك من نافذة الغزال ، وهكذا فاعلم أن الحكمة هي غذاء الأرواح ، وانظر : ألا ترى أن الحيوان هو الذي يداوم على أكل العلف ومن ثم يصير أضحية للذبح ، أما الإنسان فينبغي أن يكون قوته من نور الله ، بحيث يصبح جديرا بحمل القرآن وبيان معانيه وحكمه للناس ، وهكذا فاعلم أن نصفك من الطين وهو جسدك ونصفك من النفحة الإلهية وهو روحك ، فداوم على تقليل جانب الطين وزيادة جانب الروح من نفسك ، حتى تشرف بالتحقيق ويكون لأقوالك نتيجة وتأثير " ورقا وثمرات " ، لا مثل ذلك المقلد ، الذي يعرف هو نفسه أن أقواله هذه لا بهاء فيها ولا نور ، إنه مهما يتشوق بها ، يكون مرتعدا في داخله مرتعشا خائفا ،

فانظر إلى من يتوقع على الناس ويخيفهم وهو في الواقع أشد خوفا منهم؟! إن فاقد الشيء لا يعيطيه مهما تشدق به ومهما تحدث عنه ومهما تظاهر به ، إن الوعي بالذات مفتاح لكل تطور في الشخصية وتسام بها .

(٢٤٨٤ - ٢٤٩٦) : الشيخ الكامل الواصل أو الشيخ النوراني هو القطب الذي تحدثنا عنه آنفا ، وهو كامل المعرفة بالعلم اللدني أو الغيبي لا من العلم المبني على الدرس والمدرسة (انظر للكامل والواصل ، البيت ٢٣٣٩ من الكتاب الذي بين أيدينا وعن العلم التحصيلي والمدرسة ، انظر الأبيات ٣٨٤٨ - ٣٨٥٤ من الكتاب الثالث وشروحها) هذا الشيخ النوراني لا يفيض بعلمه إلا على من هو نوراني مثله ، فهناك كوة مفتوحة من القلب إلى القلب ، وكيف يفيض بنوره على من هو غير مستعد ، وهكذا فكما أن كل شيء ينقع في الدبس " عصير العنب المخمر " ، يتخذ طعم الدبس ، فإن كل ما يقوله الشيخ الكامل يكون معجونا بالنور ، وإذا اقتبست من هذا العلم استطاع حتى القوم اللد المغرمون بالجدل والمقيمون على الباطل أن يستفيدوا منك ويهتدوا بنورك ، إن هذا العلم يكون كماء المطر ظاهر" تماما لأن السماء لا تمطر إلا طاهرا (انظر لطهارة الماء الكتاب الذي بين أيدينا ، الأبيات ٢٠٠ - ٢٢٠ وشروحها ، حيث يفسر مولانا الماء بأنه أرواح الأولياء) وبالاتصال بأرواح الأولياء ينبع الماء من داخلك ، يهبط إليك من منبعه الأصلي . (انظر للماء الذي ينبع في الداخل ، انظر الكتاب الرابع ، البيتان ١٠٩٢ - ١٠٩٣ وشروحها) . فلا تأخذه من قناة (مصدر أو كتب) ، ولا يكون عندك مجرد فكرة أو ظن ، وكأنه القناة يتشاحن عليها المزارعون ، و علوم الكتب مصدر مشاحنة وجدل وقيل وقال ، أما علوم الأولياء القائمة على وحي القلب وعلى الكشف فلم يحدث بشأنها جدل أو اختلاف . فالأولياء كنفس واحدة وعلومهم تختلف عن علوم الآخرين (انظر ١١٤٠ - ١١٤٥ من الكتاب الرابع) وهكذا انظر إلى جدل الحمار " المقلد " ، مع الثعلب برغم الأدلة التي ساقها الحمار وصموده أمام الثعلب مرة أو مرتين أو ثلاث مرات ، فقد سلم ، كانت حججه واهية لأنه هو نفسه لم يكن مقتنعا بها ، ومن هنا فقد سقط ، لأنه كان مفتقدا إلى الإدراك الداخلي ، إلى القناة الداخلية بما يؤمن به ، كان الأمر مجرد فيهقة وقعقة ألفاظ وتفاصح ، ولأن الثعلب أكثر فصاحة منه فقد هزمه وأفحمه ، كان " الحمار " جائعا ، وكان جوعه وحرصه أشد من قناعته .

(٢٤٩٧ - ٢٥٠٠) : حكاية أخرى من حكايات مولانا جلال الدين ذات التعبيرات " الخارجة " بمفهوم عصرنا ، وهو نفسه يحس بهذا فيحتج ثانية ببيت لسنائى الغزنوى (حديقة الحقيقة ، البيت ١١٢٨٠ وانظر لمناقشة هذا الموضوع شروح البيت ١٣٣٣ من هذا الكتاب) ، وواضح أن الحكاية هنا - شأنها شأن معظم الحكايات ذات التعبيرات والمضامين الخارجة مأخوذة من التراث الشعبى ، ويستشهد مولانا بالآية الكريمة ﴿ إن الله لا يستحي أن يضرب مثلاً ما بعوضة فما فوقها ، فأما الذين آمنوا فيعلمون أنه الحق من ربهم ، وأما الذين كفروا فيقولون ماذا أراد الله بهذا مثلاً ، يضل به كثيراً ويهدى به كثيراً ، وما يضل به إلا الفاسقين ﴾ (البقرة / ٢٦) . ويفسر مولانا بأن ما فوقها تعنى ما فوقها من مسببات الإنكار ويروى الانقروى ٥٣٧/٥ حديثاً نبوياً شريفاً : ﴿ إن الله حى كريم ، لا يستحي رب محمد أن يضرب مثلاً بالذباب والعنكبوت ﴾ . والفتن من أنواع الامتحانات ، وهى أشبه بميزان الحشر يبدى عياناً فعل المرء ، والحكاية تقدم أحد المدعين فى سلسلة المدعين الذين يقدمهم مولانا ، فهذا المأبون فاقد الرجولة يحمل معه خنجراً من أجل الذين يفكرون - مجرد تفكير - فى نيله بسوء .

(٢٥٠١ - ٢٥٠٥) : إن لم يكن ثم رجولة نابعة من الداخل فما فائدة الأسلحة والمغافر والخوذ ، وهب أنك امتلكت سيف على ﷺ المسمى ذو الفقار فأين روح على ، وإذا كان المسيح ﷺ قد علمك دعاء إحياء الموتى فهل لديك نفس المسيح الموهوب من الله تعالى ، وإن كان لديك ثم سفينة فهل أنت مثل نوح ، وإذا كنت ادعيت مثلاً أدعى آخرون فى هذا العصر أنهم محطمو الأصنام ، فهل حطمت صنم نفسك ، لقد حطمت أصناماً ثم وضعت نفسك صنماً أكبر " كأن مولانا تنبأ بزعامات العصر الحديث " ، هب أنك تملك الآلة ، فأين الروح التى تستخدم هذه الآلة ؟! أين عزمك ومضاؤك ؟! ألا فلتخجل من نفسك ، إذا كان لديك كل ما يجعل منك " رجلاً " ، لكنك لا تفتأ تتحدث فحسب .

(٢٥٠٦ - ٢٥٠٩) : والرجولة ليست بالكلام ، إنها فعل ، فإن كل لديك الدليل على ما تقول من فعلك فايته به ، وإلا فإن عدم العمل مع امتلاكك لآلة العلم وظروفه وإمكاناته دليل على قهر الله عزوجل وغضبه عليك ، فما جدوى أن تقوم بهداية الناس وأنت نفسك غير مهتد ، وبكلامك هذا مجرد كلام ، جعلت الخائفين والمرتعدين شجعاناً نوى جد فى الطريق ، أليس من المثير للسخرية أن تنفع الجميع بما لديك دون أن تنفع نفسك ؟! أليس

من المضحك أن تتحدث عن التوكل ، وأنت من حرصك وطمعك وراء المتاع الهزيل
تفصد البعوضة في الهواء !؟

(٢٥١٠ - ٢٥١٥) : إن هذا الذي يكمل أمارات الرجولة وعلاماتها " اللحية والشارب " ،
دون أن يكون رجلا في الحقيقة والباطن إنما يثير السخرية في الواقع ، والرجولة الحقيقية
تكون في العمل " العمل هنا بمعناه العام وهو أيضاً الرياضة والسلوك والتحمل ، تحمل
المشاق في طريق الرجال الحقيقيين وفي الحرب الضارية ، حرب الجهاد مع النفس ، وهو
الجهاد الأكبر ، والعمل هو الدواء للرجولة الظاهرية التي تخفى وراء نفسا " مخنثة " ، فتب
عن هذه الرجولة التي تثير السخرية ، وتب عن الادعاء ، وتب عن اعتبار الكلام مجرد
الكلام هو عناية المراد ، ودعك من جذبة الجسد ، واهتم بجذبة القلب ، فهي التي تجلب
جذبة الحق " التي تساوى عمل الثقلين " ، وإن لم تكن تستطيع فتكلف هذا ، فحتى أن
تكلفت سوف تجد من يجذبك من أذنك يجرك بالرغم منك إلى ما فيه نجاتك .

(٢٥١٦ - ٢٥١٨) : عودة إلى قصة الحمار والثعلب ، لقد نجح الثعلب لماذا !؟ لأنه كان
" ثابتاً " ، حتى الاحتيال يحتاج إلى الثبات وإلى المواصللة والصبر ، فما بالك بالصفات
الحسنة والأهداف النبيلة ، ويذكر مولانا في البيت ٢٥١٧ بحكاية وردت في الكتاب
الثاني حكاية أولئك الصوفية المعدمين الجوعى الذين نزل بساحتهم وزاويتهم صوفى سياح
فباعوا حماره واشتروا به عشاء ثم أخذوا يغنون ويرددون ضاع الحمار ، ضاع الحمار ،
وصاحب الحمار المسروق يردد ذلك معهم (انظر الكتاب الثانى الأبيات ٥١٧ وما بعده
وشروحها) ، والصوفى صاحب الحمار هنا مثال على المقلد وفي البيت التالى ٢٥١٨
يشير إلى حكاية الأسد والوحوش التى يخدع الأرنب فى نهياتها الأسد ويلقى به فى البئر .

(٢٥١٩ - ٢٥٣٢) : يترك مولانا قصة حمار القصار فلا يعود إليها إلا فى البيت ٢٥٦٤ ،
فهيا إياك ووساوس الشيطان ، سد أذنك عنها ، وأفتح أذنك فحسب إلى ما يحدثك به
الولى مما أفاء الله عليه به من وحى القلب ، إن حديثه بمثابة الخمر الصافية التى تصب
من الدنان الخسروية ، والمعارف الإلهية التى تفيض من لدن الحكيم الخبير مرت بهذه
الشفة المباركة فازداد تأثيرها ، وما تميل هذه النفوس إلى خمر الدنيا هذه إلا لأنها حرمت
من تلك الخمر الصافية ، خمر الولى ، تماماً كالطائر الأعمى الذى يحرم من الماء العذب

فيطوف حول الماء المالح ، ويتلهف عليه ، وهكذا النفس إن حرمتها المعاني والافاضات طافت حول وساوس الشيطان .

(٢٥٢٤ - ٢٥٣٧) : كما تنتاب مولانا جلال الدين أحوال " من القبض هناك أيضاً أحوال من البسط ، فالعالم كله يصل إلى مطلوبه ببركة الولي وبركة افاضاته ، فهو موسى يتجلى في الصدور كما ملأ موسى ^{عليه السلام} سيناء بنور التجلي ، ويمنح أولئك المقلدين العميان الذين يقومون بتقليد الأولياء دون فهم قوة الإدراك والبصيرة والرؤية ، إنها نوبة خسرو حلو الروح (حلو بالفارسية " شيرين " وهنا تلاعب بقصة خسرو وشيرين) ، هذا هو دور الولي ودور المرشد الكامل الحقيقي ، فلاي شك أن الأسرار الروحانية قد ملأت بواطننا ، وهؤلاء الحسان في جمال يوسف الصديق يسوقون عسكرهم من الغيب حاملين أحقاق السكر "بشارات الوصال" من مصر واسمعوا صليل الأجراس ، إنها هذه المرة ليست متوجهة إلى كنعان بقميص يوسف ^{عليه السلام} يلقي على وجه يعقوب فيرتد بصيرا ، إنها نصيينا الآن ، فتناوبوها أيها المريدون برغم الحاسدين والحاquدين ، وخذوا نصيكم منها ، وهيا أيها الباحثين عن حلاوة المعرفة ، أدركوا أسرار الغيب ، لقد جاء بها الحبيب الحقيقي ، الحبيب الوحيد ، وهذا هو السرور الحقيقي ، سرور الروح وسرور المعرفة ، إن العالم كله ملئ بالسعادة ، والسعادة تملأ مدينتنا " بواطننا " ، من أقصاها إلى أداها ، فقد قبل " قبلة الروح " الأرواح الواصلة إليه ، وإذا كنت تريد أن تعرف تأثير هذه المعرفة على كل المراتب التي كانت موجودة في المدينة ، فتخيل أنواع الفتوح ، والإفاضات قد ملأت هذه المدينة بحيث أن أشد الأشياء مرارة قد انقلبت حلوة ، فهيا اصعد وناد الفقراء والمعوزين إلى مائدة الروح ، فهذه فرصة الحجر الصلد ، من غلبت عليه الصفات البشرية ، والقلب القاسي ، لكي يتحول إلى ياقوت مطعم بالذهب ، إلى روح ذات نصيب من افاضات الولي ، هذا هو أوان رقص ذرات الهباء (البشر) ، في ضوء (الشمس) ، وفي ديوان شمس :

ولماذا لا يسرع كل صوفي في الرقص كالذرة في شمس البقاء حتى تخلصه من الزوال؟؟
لقد سكر العشاق من هذه الرياض والبساتين التي تفتحت في بواطنهم ، ويد العناية الإلهية تقوم بفعالها فتجعل الروح تتصل بالحق بحيث تفنى وتذوب ولا نحس بوجودها وتصيح كما صاح الحسين بن منصور الحلاج " أنا الحق " ، فإذا كان الشيطان قد نجح في إغواء

أحدهم ، وأبعده عن طريق الحق ، إذا كان الثعلب قد خدع الحمار فما بالك أنت ، لماذا تغتم أنت إنك لست حماراً في نهاية الأمر ، أنت إنسان فتصرف كإنسان .

(٢٥٣٨ - ٢٥٤٥) : وردت الحكاية التي تبدأ بهذا البيت في ذيل زهر الآداب لأبي اسحق الحصرى القيروانى وفي كلستان سعدى (انظر مآخذ ١٧٩/١٨٠) وربما كانت من الفكاهات السائدة في عصر مولانا ، وهى تتردد أيضاً في كل عصور الطغيان السياسى وانعدام التمييز والقبض على الناس واعتقالهم بالباطل فيأخذون صاحب الحمار للسخرة بدلاً من الحمار ، والتورية في رواية ذيل زهر الآداب واضحة تماماً " وهذا كما حكى عن الحسين بن عبد السلام المصرى المعروف بالجمال ، أنه مر ببعض إخوانه بعقبة النجارين وهو يعدو بأكثر مما يقدر عليه ، فقال : قف على ، مخافة أن تكون قد نزلت به نازلة ، فأتاه إلى الدار فخرج مستخفياً ، فقال : مالك يا أبا عبد الله ؟ ، فقال : أما علمت أن السخرة وقعت في الجمال ؟ فما يؤمنني أن يقال هذا جمل فلا أتخلص إلا بالشفاعة " (ذيل زهر الآداب ، ص ٦٣ ويوجد مثيلتها في كلستان ، طبعة فروغى ، ص ٣١) .

(٢٥٤٦ - ٢٥٥٠) : لا تخش أنت شيئاً فملكك مدينتنا هو الخالق سبحانه وتعالى عادل" وصاحب تمييز . وإنك إن كنت إنساناً وحققت نسبتيك إليه سبحانه وتعالى في النفخة الإلهية ، لا يمكن أن يأخذك كما يأخذ الحمار ، أنت إنسان مكرم سيد المخلوقات ، بك يستنير الفلك الرابع كما استنار بعيسى عليه السلام من قبلك ، فأنت عيسى عصرك وأوانك ، وحاشاك أن يكون اصطبل " الدنيا " مقراً لك ، بل أنت أعلى من كل الأفلاك ، ولابن الفارض :
ولا فلك إلا ومن نور باطنى به ملك يهدى الهدى بمشيئتي

إنك في مقعد الصدق عند ملك مقتدر ، إنك أمير على الاصطبل " الدنيا " ، وهناك بلا جدال فرق كبير بين أمير الاصطبل وبين الحمار ، وإن كان كلاهما مقيماً في اصطبل الدنيا .

(٢٥٥١ - ٢٥٥٥) : ما عكوفنا هذا على الحمار وعلى قصة الحمار وكيف تأنس نفوسنا كل هذا الاتئناس إلى قصة الحمار ووصف الحمار ، لماذا نتدنى ولا نرتفع ؟! دعنا من حمار النفس ، ومن " دنيا " هذا الحمار وتحدث عن عوالم أهل الحق ، عن حقائق الغيب وعالم الفكر ، عن عوالم المعانى التي تشبه بحارا مليئة الجوهر وما هذا الجوهر إلا رجال الحق من أصحاب البصائر والأحاديث التي تحيى الروح ، وهم ملوك الطيور التي تتغذى

بالورود (انظر تلك الغزلان التى ترعى السوسن فى ختن ، البيت ٢٤٧٤ من الكتاب الذى بين أدينا) ، ولأنها تتغذى بهذا الغذاء الطيب الطاهر ، فإنها تعطينا أحاديث فى قيمة الذهب والفضة ، وهم أيضا تلك البزاة التى تربي القطا " المريدين " ، وتطير فى سيرها إلى الله سبحانه وتعالى بأى شكل تريد ، سواء بالعبادة الظاهرية أو بعبادة الباطن .

(٢٥٦٦ - ٢٥٦٩) : فكرة السلام الخفية فى الدنيا كناية عن الطريق الصوفى من أفكار سنائى الغزنوى (انظر حديقة الحقيقة الأبيات ٢١٨-٢٢٥) فالسلم الخفى هو السير الباطنى عند السالك الذى يقطعه درجة درجة حتى أعلى درجات السمو الروحانى وهى مختلفة بين جماعة وأخرى لأن "الطرق إلى الله تعالى بعدد أنفاس بنى آدم" ، وكل جماعة لا تعلم شيئاً عن حال الجماعة الأخرى : بل هى مندهشة تماماً من أحوالها ، وذلك لأن "أرض الله واسعة" (انظر البيت ١٠٨٨ من الكتاب الرابع وشروحه) وليست أرض الله إلا هذا القلب ، ومنه تطل أشجار الفكر (انظر لهذه الفكرة الكتاب الثالث الأبيات ٣٦٠-٣٦٣ وشروحها) ولأن أرض الله واسعة فقد تعددت فيها الأفكار والآراء تعدد النباتات وتنوعها باختلاف تربتها واختلاف الماء الذى تشربه (انظر لهذه الفكرة الكتاب الرابع الأبيات ١٠٨٣-١٠٨٩ وشروحها) هذه الأرض حتى الأشجار فيها تسبح بحمد الله ، وبلايلها متحدثة مع أزهارها ، كل شىء فيها متوافق متناغم ، ومهما وصفت هذا العالم فلن أوفيه حقه من الوصف ، ولكن لنعد - وكلنا أسف - إلى قصة الثعلب والأسد والمرض والجوع ، لننزل إلى أرض الواقع المر .

(٢٥٧٠) : {العجلة من الشيطان والتأنى من الرحمن} و {من لا صبر له لا إيمان له} (مولوى : ٣٧٤/٥) وانظر أيضاً الكتاب الثالث البيت ٣٤٩٩ . ٢٥٨٥ - ٢٥٩٠) : يترك مولانا سياق القصة فلا يعود إليها إلا من البيت ٢٦٠٠ . أنه يتحدث هنا عن الفرق بين عقليين : عقل يستمد مؤونته من دوران الأفلاك وهو العقل الجزئى ، ثم العقل الكلى الذى هو التجلى الأول للخلق الإلهى ، بين عقل يدرك أمور الدنيا المادية فحسب وعقل يشرف على كل الوجود ، لأن الله سبحانه وتعالى ﴿ علم الإنسان ما لم يعلم ﴾ (علق ٥) إن الانحناء الموجودة فى ذلك التوقيع الذى نختمه على منشوراتنا (بصفتنا كبشر ملوك الكون) مأخوذ من هذه الآية والعلم من الله هو مقصدنا لأنه سبحانه وتعالى قال "قل إنما العلم عند الله"

(الملك ٢٦) ، ونحن أصحاب العقل الكلى نحن أولئك الذين ربّتهم شمس الحقيقة ، وليس الأفلاك التى دونها ، ومن ثم فإن وجهتنا هى الله سبحانه وتعالى ، وإن نفثات الشيطان ووساوسه تجعل حتى ذلك الذى جرب ينسى تجربته ويقع من ثائية فى الإثم ، ومن العسير بالطبع أن نعتبر هذا الكلام على لسان الثعلب كما قال قدامى المفسرين .

(٢٥٩١-٢٥٩٩) : يشير مولانا فى معرض نقض العهد والنكوص عن التوبة إلى قصة أصحاب السبت الواردة فى قوله تعالى ﴿ ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم فى السبت فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين فجعلناها نكالا لما بين يديها وما خلفها وموعظة للمتقين ﴾ (البقرة ٦٥ و٦٦) أما أصحاب المائة فهم الذين وردوا فى الآية الكريمة ﴿ قل هل أنبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت ﴾ (المائدة ٦٠) لكن ما بال أولئك الذين ينقضون عهودهم وأيمانهم من أمة محمد ﷺ لا يمسخون؟ يجيب مولانا : فى أمتنا لا يكون مسخ بدن ، بل مسخ قلب ، تجد الحاكم فى صورة حاكم لكن قلبه قلب ذئب متعطش للدماء ، تجد الأستاذ فى صورة أستاذ لكن قلبه طاووس معجب بنفسه مغتر متكبر يريد أن يظهر كل لحظة فى وسائل الإعلام ، ترى القائد العسكرى أسداً فى هيئته لكن قلبه قلب نعامة هلوع ، ترى التاجر فى صورة تاجر لكن قلبه قلب خفاش يمتص الدماء ، وهلم جرا ، ويوم القيامة يبعث كل واحد من هؤلاء الذين رجعوا عن عهد الله ، وألقوا بأحكامه وراء ظهورهم ، ونسوا ما عاهدوا الله عليه ، وعملوا للأجنبى الكافر ولمصلحة الأجنبى الكافر ، يبعث كل واحد من هؤلاء على الصورة التى مسخ عليها قلبه ، وهكذا فماذا يتوقع من إنسان قلبه قلب قرد ، إلا أن يكون ذليلاً إمعة حتى ولو كان حاكماً فى الظاهر ، إن الحمار لا يحس بالذل من هيئته لأنه لم يكن صاحب اختيار فى هذه الهيئة ، فقد خلق هكذا حماراً ، والكلب لا يعتريه أى نقص من منظره ومن شكله ، بل إن كلب أهل الكهف لم ينقص من كونه كلباً عن أولئك النفر من الأولياء وذكر معهم فى القرآن الكريم (المثل تكرر كثيراً عند مولانا فى أكثر من موضع من المثنوى وورد عن سنائى فى الحديقة أيضاً) ، لقد مسخ الله سبحانه وتعالى أصحاب السبت عياناً لكى يكونوا عبرة للناس ، لكن ما أكثر الممسوخين فى الباطن وإن أعجبتك هيئتهم ومناظرهم ومناصبهم وجاههم وأموالهم .

(٢٦٠٣) : إشارة إلى المثل المعروف "لدغ العقرب من جبلتها" .

(٢٦٠٥) : ﴿ إن الشيطان للإنسان عدو مبين ﴾ (يوسف ٥)

(٢٦٠٦) : ﴿ قال أرايتك هذا الذى كرمت على لئن أخرتني إلى يوم القيامة لأحتسكن ذريته إلا قليلاً ﴾ (الإسراء ٦٢)

(٢٦٢٦) : ﴿ فكيف تتقون إن كفرتم يوماً يجعل الولدان شيباً ﴾ (المزمل ١٧)

(٢٦٣٥) : ﴿ ويوم يعرض الظالم على يديه يقول يا ليتنى اتخذت مع الرسول سبيلاً ، يا ويلتنا ليتنى لم أتخذ فلاناً خليلاً ، لقد أضلنى عن الذكر بعد إذ جاءنى وكان الشيطان للإنسان خذولاً ﴾ (الفرقان ٢٧-٢٩) نزلت فى حق عقبة بن أبى معيط كان قد نطق بالشهادتين ثم ارتد إرضاءً لأبى بن خلف (مولوى ٣٨٣/٥) .

(٢٦٣٦ - ٢٦٣٧) : ﴿ وقيضنا لهم قرناء فزینوا لهم ما بین أيديهم وما خلفهم ﴾ (فصلت ٢٥) .

(٢٦٤٣) : إخوان الصفاء هنا هم الإخوان المخلصون وليس المقصود الجماعة المعروفة .
(٢٦٥٠ - ٢٦٦٠) : يضرب الثعلب الأمثال عما يفعله الوهم حتى بالصم الراسيات وبعضهم الأنبياء وأولى العزم من أمثال إبراهيم عليه السلام ﴿ فلما جن عليه الليل رأى كوكباً قال هذا ربى فلما أفل قال لا أحب الأقليين ﴾ (الأنعام ٧٦) وهكذا فإن أهل التفاسير يفسرون هذا الأمر بتفسيرات عديدة ، لكن الأمر ليس فى حاجة إلى تفسير ، فهذا الوهم والخيال هو الذى جعل من فى عظمة إبراهيم عليه السلام ينظر إلى الكوكب وإلى القمر وإلى الشمس ويقول : هذا ربى ، فإذا كان الوهم والخيال قد أسقط أمثال إبراهيم عليه السلام فى هذا الخطأ فما بالك بأحوال حمر السيرة وأشباههم من فاقدى العقول والمجدفين ممن يدعون العلم والفضل ، إن العقول التى هى فى عظمة الجبال تغرق فى بحار الوهم ، عقول العظماء ، أولئك الذين يظنون أنفسهم أثبت فى إيمانهم من الجبال ، وما الجبال؟ ألم تفتضح هذه الجبال فى طوفان نوح ﴿ لا عاصم اليوم من أمر الله ﴾ (انظر ٣٣٥ و ١٣١٥ من الكتاب الثالث) وسفينة نوح هنا هى الالتحاق بمعية رجال الله وإلى حمى أمنهم (انظر الكتاب الرابع الأبيات ٣٣٥٧-٣٣٦١ وشروحها) ، ولولا هذا الخيال لما انقسم أهل القبلة الواحدة إلى اثنين وسبعين فرقة ، ولولا الخيال لما ظن ذلك الرجل الشيخ (المفسرون القدامى لم يذكروا اسمه وقال استعلامى أنه أنس بن مالك ٣٤٢/٥ ولم يذكر مصدره) لولا الخيال لماذا ظن ذلك الشيخ أن شعرة من حاجبه هى الهلال (انظر لتفصيلات الحكاية الكتاب الثانى البيت ١١٣ وما بعده) انظر : إن هذا الشيخ لم يستضى بنور الرجال العظماء فوقفت شعرة بينه وبين الحقيقة ، وما أكثر الرجال

العظماء بمقاييس الدنيا والسفن الموجودة في هذا المحيط التي تكسرت وتحطمت وابتعدت عن الحقيقة من تأثير الوهم ، وأقل هؤلاء العظماء فرعون الذي ادعى الألوهية وتوهمها لنفسه ، فكان في خسوف وفي مسخ ومقت .

(٢٦٦٢-٢٦٦٧) : إن هذا الوهم الذي أنت فيه هو من قبيل الأنية التي تدير الرأس ، فكفاك ما أنت فيه من وهم حتى تتبنى أوهام الآخرين وتدافع عنها ، وأنا مثقل بهذه "الأنات" التي تخصني ، فلماذا تأتي أنت وتضيف إليها أنيتك أنت أيضاً ، تكفيني أنية واحدة ، ونحن إذا تخلصنا من عبادة الذات ، نستطيع آنذاك أن نصل إلى مرتبة العشق ، وأن نصير كالكرة في صولجان العشق ، إن من يتخلى عن "أنيته" و "أنانيته" ، فقد صارت له "أنيات" الجميع ، يصير محبوباً من الجميع ، يصبح مرآة صافية تنعكس فيها صور الآخرين ورغائبهم ، أي وجوداً خالياً من صفات هذا العالم ، بحيث تكون صلتها مباشرة بالعالم الآخر يصبح مثل ذلك الولي الذي سوف أقص حكايته فيما يلي .

(٢٦٦٧ - ٢٦٧٧) : يقدم مولانا في كل كتاب من كتب المثنوى سيرة عن شيخ من المشايخ كنموذج للولاية الكاملة (قدم الدقوقي في الكتاب الثالث وعبد الله المغربي في الكتاب الرابع وها هو يقدم محمد سرزى الغزنوي في الكتاب الخامس وسوف يقدم أبا الحسن الخرقاني في الكتاب السادس) والملاحظ أنه يقدم أولياء من غير المشاهير ، فقد كانت الولاية "المكتومة" تجذب أنظار مولانا عن الولاية الظاهرة . وكان محمد سرزى فيما يبدو من معاصري بهاء ولد والد مولانا جلال الدين إذ ذكره في المعارف (٧٥/٢) لقد أمضى سبع سنون في جوع مستمر ، إفطاره طرف غصن من كرم "سررز" ويرى رزين كوب "سرنى ٣١٤/١" أن الأحوال المذكورة هنا تذكر بأحوال أبي عثمان المغربي المذكورة في كشف المحجوب للهجورى ص ٢٣٢ ومن هنا اكتسب كنيته ، وكان الشيخ مثل الدقوقي (انظر الكتاب الثالث البيت ١٩٢٦ وما بعده) عاشقاً جوالاً ، أبدى له الله كثيراً من العجائب ، لكنه كان عاشقاً لاجتلاء جمال الحبيب ، وكان يطلب هذا ، ويلح فيه ، لدرجة أنه صعد إلى جبل وقال : إما أن تتجلى لى وإما أن أقتل نفسي "نوع من البسط الشديد" ، لكنه سمع النداء بأن هذه المكرمة لم يأن أوانها بعد ، وحتى إن أسقط نفسه من فوق الجبل فلن يموت ، ولأن جمال الله لا يجتلى إلا بعد الموت مصداقاً للحديث النبوي {إنكم لن تروا ربكم حتى تموتوا} (انقروى ٥٨١/٥) ألقى الشيخ بنفسه من فوق الجبل لكنه سقط في ماء عميق ، لقد ناح لأنه لم يمت ، فالحياة

الدنيا كانت تبدو له كما يبدو الموت بالنسبة لنا ، ولأنه يعلم أن فى الموت لقاء الحبيب كان يستجدى هذا الموت ، كان يتغنى بما تغنى به الحلاج : اقتلوني اقتلوني يا ثقات إن فى قبلى حياة فى حياة ، كان كعلى رضى الله عنه يتغنى :

السيف والخنجر ریحاننا * أفِ على النرجس والآس .

ومن أقوال الإمام على رضى الله عنه أيضاً "والله ما فاجأنى من الموت وارد كرهته ولا طامع أنكرته وما كنت إلا كقارب ورد وطالب وجد وما عند الله خير للأبرار" وله أيضاً "والله لابن أبى طالب أنس بالموت من الطفل بثدى أمه" (عن جعفرى ٢٠٨/١٢) .

(٢٦٧٨ - ٢٦٨٥) : وهذا البسط ، وهذه الجرأة لم تمر بلا عقاب، تظن نفسك ولياً وتريد المشاهدة أجراً؟! إنك مجرد شحاذ متسول والحكم عليك بأن تذلل هذه النفس الطموح بأن تتحول إلى شحاذ ملحاح ثقيل وسمج مثل "عباس الدبس" الذى يضرب به المثل فى الفارسية للشحاذين الملحاحين السمجين ، ولكن إياك أن تستولى على ما يجود به الناس عليك ، بل ستوصله للفقراء ، هيا ، هذه هى عبادتك التى سوف تقوم بها فترة من الزمن ، لقد كان الحوار طويلاً ، هذا الحوار الذى ملأ السماء نوراً ، وهذا كله مسطور فى الكتب ، فلأختصره هنا حتى لا أضع الأسرار العليا أمام من لا يستحقونها .

(٢٦٨٦ - ٢٦٩٤) : البيت المذكور فى العنوان ذكر استعلامى أنه لسنائى لكنه لم يذكر مصدراً (استعلامى ٣٤٤/٥) ولبيك إشارة إلى أن الدعاء مقرون بالإجابة (انظر الكتاب الثالث الأبيات ١٩٠-١٩٩ وشروحها) ذلك أن كوة الدار مفتوحة أى أن القلب مستعد لتلقى الإفاضات ، وها هو الشيخ يدخل المدينة لممارسة التسول امتثالاً للأمر : ليكن شحاذاً طامعاً لتصير نفسه ذليلة "لأنه عز من قنع وذل من طمع" وما دام الله سبحانه وتعالى قد جعل هذا الطمع سبباً للذل فليمتثل .

(٢٦٩٩ - ٢٧٠٨) : انظر إلى ذلك الرجل الذى اطلع على أسرار الكون ، وأشرف قلبه على العرش والكرسى ، انظر إلى الغيرة الإلهية جعلت منه شحاذاً ذليلاً ليعرف القيمة الحقيقية لنفسه ، ولا يكلف فوق ما تستدعى البشرية ، لكنه فى تسوله أيضاً ولى يقوم بما كان الأنبياء يقومون به إنهم يقولون للبشر المفلسين : أقرضوا الله" والله هو الذى يرزق ، و "انصروا الله" والله هو الذى ينصر ، فالأمور معكوسة مثلما هى معكوسة مع هذا الشيخ ، الذى يقف على أبواب البشر وكل أبواب السماء مفتوحة أمامه ، إنه يتكدى ، لكن بأمر الله، إنه يمتثل

للأمر ، وحتى عندما كان يتكدى من أجل حلقه فإن هذا الحلق مملوء بنور الله ، وهكذا الأولياء حتى ولو طعموا من نعمة الدنيا فإن هذه النعمة تتحول عندهم إلى نور وتزيد في قوتهم المعنوية ، إن طعامه أفضل من صوم الآخرين ، إن طعامه الحقيقي هو نور الله ، ومن طعامه ومن أكله تنمو أزهار المعرفة ، فهو كنور الشمع لا يزداد من أكله للشمع ، لكنه يضيء للجميع ، وهذا النور يباح الإسراف في تناوله فالله تعالى لم يقل في شأنه : اكتفوا .

(٢٧٠٩ - ٢٧١٦) : لقد وضع الله لنا شهوة الطعام من أجل أن يبتلىنا (انظر الكتاب الثالث الأبيات ١٦٩٥ - ١٧٠٠ وشروحها) لكن ذلك الحلقوم الذى للأولياء لا تنطبق عليه هذه القاعدة ، وإذا كان الشيخ يتكدى فإنه يتكدى امتثالاً للأمر لا حرصاً ولا طمعاً ، إن الشيخ من القائمين بكيمياء التبدل إنه يأخذ من أناس كالنحاس ليحولهم إلى ذهب ، أى تكدي وهو من عرضت عليه كنوز الدنيا ففضل عليها المشاهدة ، وهذا هو ديدن العاشق إن فضل أى شئ على المعشوق يكون فاسقاً وليس بعاشق "والله ما عبدتك خوفاً من نارك ولا طمعاً فى جنتك بل وجدتك أهلاً للعبادة فعبدتك" ، (الامام على رضى الله عنه ، ثم رابعة العدوية) (استعلامى ٣٤٥/٥) ويضيف مولانا إن الجنة والنار هما من حظ البدن ، والعاشق لا يأبه بالبدن ، بل لو كان له مائة بدن لأذابها فى عشق الحبيب .

(٢٧١٧ - ٢٧٢٤) : وهكذا فإن شيخنا لم يكن جسداً ، لقد تحول "جسده" إلى شئ آخر ، وانظر إلى المجنون الذى أنست إليه الوحوش عندما تساوى أمامه التراب والذهب أمام عشق ليلى ، لقد هجر البشرية ، بحيث لم يعد جسده "لحماً" يغرى الوحوش ، إن أجساد الأولياء معجونة بالنور (انظر الكتاب الثالث ٧-١٠) وهى أيضاً مسمومة مصداقاً للقول القائل (لحوم العلماء مسمومة من أكل منها هلك) والأكل هنا أى الذم والغيبة (انقروى ٥٨٩/٥) والعشق معروف ، أى لا يخفى على أحد (عدم إخفاء العشق انظر الكتاب الثالث ٤٧٣٥-٤٧٤٠ وشروحها) .

(٢٧٢٦ - ٢٧٣٣) : إن العشق عندما يحل فإنه يمحو كل شئ فالعشق مثل طائر يحمل فى منقاره العالمين كأنهما حبة واحدة ، فهل رأيت حبة ابتلعت طائراً ، أو هل رأيت مزود أكل جواداً ، والعشق وسيلة العبودية ، فكن عبداً لعلك تصبح عاشقاً وترزق العشق، والعبودية كسب وعمل ، عبد الدنيا هو الذى يريد الحرية لكن العاشق يرى كل ما سوى معشوقه قيئاً وسجناً ، عبد الدنيا أجير ، إنه يريد أجراً على كل ما يقوم به من عمل ، لكن العاشق هديته

رؤية الحبيب ، ترانى قادر حقاً على وصف العشق مما أطلت فى الحديث ، مطلقاً فكيف يمكن أن يوصف بحر بلا قرار ، فهل تستطيع أن تعد قطرات هذه البحر والبحار السبعة ضئيلة إلى جواره .

(٢٧٣٤ - ٢٧٤٨) : تفسير الحديث : خلقت الأفلاك من أجل الرسول ﷺ أى من أجل عشق الرسول ، ولقد كانت عند الرسول ﷺ طاقة تحمل هذه العشق ، فالعشق قوة جبارة وهو لا يبالي ماذا يفعل بالمعشوق ، فإن كنت تتحمله فاعشق ، وإن لم تكن فحذار منه ، إنك لا تدري ماذا يفعل العشق إنه يجعل البحر يغلى والجبل يندك (انظر الكتاب الأول ٢٦ : أيها العاشق ذاق الطور عشقاً رقص الجبل وموسى خر صعباً) ، إن الأفلاك لتتشق (شق القمر للرسول ﷺ) والأرض تتزلزل ، ولأن العشق كان قريناً لمحمد ﷺ اقترن به عشق الحق ، ولذلك فضل على كل الأنبياء وما رفعت هذا الفلك السنى إلا لى تفهم علو العشق وسموه وما ذلك التراب إلا لتعلم ذلة العاشق ، لكن الذلة لا تستمر فكما منح التراب خاصية الإنماء والإحياء ، بيدل الفقير الدرويش بالعشق فتصبح أنفاسه مائحة للحياة ، والجبال الراسيات أيضاً هى من أجل أن تفهم كيف يكون العاشق ثابتاً على محبوبه (تزول الجبال ولا يزول) ، كل هذه صور يا بنى فلا تقف عند الصورة وافهم المعنى ، فهل الأحزان كالأشواك ، وهل القلب القاسى كالحجر ، كلها صور ، وها أنا وأنا أصف العشق أقدم لك مجرد صور وإن لم تفهم المراد من الصور وإن لم تدرك هذه المعانى فلا تتكرها ، لأن العيب قد يكون فى أسلوب تعبيرى عن هذه الصور .

(٢٧٥٠ - ٢٧٥١) : المقصود بالشرطة الثانية : أى أننى أتسول لقمة من الخبز بأمر من خالق الروح ، ولأن الأمور تجرى على عكس المنطق عند أهل الحق ، ويكون هدفها غامضاً على أولئك العاديين من الناس ، بل إن العقل الكلى نفسه يحار فى أمرها .

(٢٧٦١ - ٢٧٦٦) : حجاب أبى البشر هو الجسد ، والمتحدث هنا قد يكون الشيخ وقد يكون مولانا نفسه على عادته فى التدخل بإفاضاته دون تمهيد. أى ما دمت أيها الإنسان محجوباً ببشريتك فلا تنظر هوناً إلى العاشقين ، والعشق ليس أمراً بالذكاء أو المهارة أو حدة الذهن ، وليس بالدراسة والمطالعة ، وليس بالقليل والقال :

امح الدفاتر إذا كنت زميلاً لنا
فعلم العشق لا يوجد فى دفتر

هؤلاء الأنبياء العباقرة استطاعوا التوصل إلى أسرار العلوم الخفية "النيرنجات والسحر" والعلوم الظاهرة "الفلسفية" وعم الهيئة "الفلك والنجوم" أو هم في الحقيقة ادعوا معرفتها لأنهم في الحقيقة يعلمون منها قشوراً ، لقد جاهدوا واجتهدوا لكن العشق الإلهي أخفى وجهه عنهم واستتر ودق غيرة على المعشوق من أن يكون مجرد جزء من اهتمام أحد وليس هو الاهتمام الوحيد ، وهؤلاء المنجمون بمرآصدهم أبصروا النجوم في وضوح النهار ورصدوها ، فكيف غابت شمس الحقيقة عن عيونهم .

(٢٧٦٧ - ٢٧٧١) : أيها الأمير تقبل مني نصيحة لوجه الله ، انظر إلينا بمعيار أهل المعنى ، أنظر إلى العاشقين بعين العشق ، فإن عين الدنيا وعين المتعة لا تجدى هنا ، ولا أطيل عليك فالوقت ضيق ، والروح "مترصدة" ناظرة إلى ربها تنتظر أوامره أو إنعاماته ، فكفاك تجبراً وإيذاءً للعاشقين ، ألسنت هكذا مسروراً من تمتعك بالدنيا فانطلقت هكذا في شتمى وإيذاءى ؟! إن ما أفعله لا يخرج عن أمور ثلاثة : إما أنه واجب أى أننى مأمور به من قبل الله تعالى ، وأما أنه جائز أى لا نستطيع عدم القيام به ولا ثواب عليه ولا عقاب ، وأما غير مقبول ، فإن لم تقم بما يكلفك به الشرع من إعطاء للسائل ، فلا تؤذه ، احزم أمرك واختر الوسط أيها الغريب والدخيل على عالم الأولياء وتمثل بقول ابن سينا : إن من عجزك أنك في كل وقت تسمع ولا تستطيع أن تدرك تقول على الفور : هذا محال (عن جعفرى ٣٠٨/١٢) .

(٢٧٧٢ - ٢٧٧٦) : لقد قال الشيخ هذا القول وانفجر في البكاء لقد عزت عليه نفسه ، أنه يريد القول لكنه لا يستطيع ، فقد عقدت الغيرة الإلهية لسانه ، ولأن الصدق مؤثر أو على حد قول ذى النون "الصدق سيف الله في أرضه ما وضع على شئ إلا قطع" ، (أنقروى ٥٩٩/٥) فقد فعل هذا الصدق فعله في الأمير فانطلق في البكاء وهذا كله من تأثير العشق ويطبخ قدراً طريفة أى يتجلى ويظهر للعيان ويكون مشهوداً وألا يستطيع عشق الأولياء الصادقين أن يؤثر على الجماد ، فما بالك بالإنسان ، وما بالك إذا كان هذا الإنسان عالماً وانظر إلى الأمثلة ألم تتحول العصا إلى أفعى من فرط عشق موسى ، وألم يصبح الجبل دكاً من تجلى العشق ألم يؤثر عشق موسى على البحر فانفلق ألم ينشق القمر لأحمد ، ألم تتأخر الشمس في المغيب بأمره حتى يلحق صلاة العصر مع رفاقه؟ (لتفسير هذا الخبر ومناقشته انظر حديقة الحقيقة وشرعية الطريقة الترجمة العربية لكاتب هذه السطور البيت ٣٣٤ وشروحه) .

(٢٧٨١ - ٢٧٨٥) : يعتذر الشيخ بأن لم يؤذن بعد في أن يأخذ عطايا كبيرة من أحد ، أو أن يختار عطيته ، إن كل عمل يقوم به الشيخ دون إذن إنما يكون من قبيل الفضول ، ويتسائل مولانا تراه أحس بعدم الصدق في بذل الأمير ، لا ، كان الأمير صادقاً في بذله ، لكن ليس الصدق الذي كان الشيخ ينتظره ، أو لم يكن في درجة الصدق المقبول لدى الشيخ ، ذلك أن الأمر هو أن يمضى ويتسول الخبز كالشحاذين لا أن يأخذ من قرائن الأمراء والكبراء .

(٢٧٨٦ - ٢٧٩٨) : هميان أبى هريرة أو خرج لأبى هريرة رضى الله عنه يقال أنه كان يجد فيه كل ما يطلبه بأمر الله تعالى (مولوى ٤٠٤/٥٥) ويفسر الأنقروى ٦٠٢/٥ والمولوى ٤٠٤/٥ هذه العلاقة بعالم الغيب بأنها كالدهن في السمسم وكالنار في الحديد وكرائحة الورد في الورد ، وهو عالم التغيير والتبديل يصبح فيه النحاس سعدا والسم ترياقاً والميت حياً ، وإياك أن تحاول معرفة كنه علاقة هذا العالم بعالم الغيب ، فلا تستوعبها جهات ، ولا تصلح اللغة للتعبير عنها ، وعالم الغيب هذا هو أصل الوجود ، آلاف الآثار تتأتى منه كل لحظة. لقد ظل هذا الشيخ لمدة عامين ممثلاً للأمر ، ثم جاءه الأمر الآن ذهب أوان الأخذ وجاء أوان العطاء ، وهكذا تقوم كيمياء التبديل بعجائب كثيرة ، كان رأس المتسولين فأصبح رأس المحسنين من عطاء الله سبحانه وتعالى الذى لا منة فيه ولا انقطاع له ، كن صورة لـ ﴿ يد الله فوق أيديهم ﴾ (الفتح ١٠) كنت يدى التى تبذل بأمرى ومن عطائى وبالطريقة التى أريد .

(٢٧٩٩ - ٢٨١١) : "أخرج بصفاتي إلى خلقى" من معراج أبى اليزيد البسطامى (انظر تفسير البيت ٢٠١٨ من الكتاب الذى بين أيدينا) والحديث هنا عن سر معرفة الشيخ لباطن المرید والذى يعبر عنه فى مصطلح الصوفية بالفراصة (انظر ٢٧٠٤ من الكتاب الثالث وانظر ١٨٥١-١٨٥٥ من هذا الكتاب وشروحها) فالرجل الكامل الواصل لا تخطر الدنيا بباليه ، فمَنْزل قلبه خال من الكدية وليس فيه إلا عشق الأحد ، وما يكون فيه ويمت إلى الدنيا بصلة فإنه يكون انعكاساً لما فى ضمير السائل ، إنها رغبة الآخرين، ومن هنا يستطيع أن يدرك ما يريده السائل (انظر كمثال آخر لنفس هذه الفكرة الكتاب الثالث الأبيات ٣٢٥٢-٣٢٥٥ وشروحها) ، ويضرب مولانا مثلاً آخر : هب أنك ترى صورة فى الماء ، ألا تكون هذه الصورة انعكاساً لشيء موجود فى الخارج ومتى يحدث هذا ؟ الجواب : عندما يكون الماء صافياً قد "نقيت منه القذى" إذن فالتنقية شرط لهذا الأمر : وإن نقيت البدن من الصفات الذميمة ووساوس النفس الشيطانية ، استطاع القلب أن يكون "عاكساً" ، ومن ثم أيها المقل الذى لا

تظفر بانعكاس الصور وتبدو لك هذه الأمور من قبيل الخرافة ، إن ماءك مكدّر بالطين طين الأكل والنوم والحرص والحسد وتسويلات النفس الشيطانية ، ومن هنا فإن ذلك البئر (القلب) يطمس دائماً بالتراب ، وتلك المرأة تكدر بصداً الطمع .

(٢٨١٢ - ٢٨١٦) : لا يزال مولانا يفسر كيفية معرفة الشيخ لضمير سائله وما هو يخاطب المريدين إذا كان قلب هذا الماء خالياً من الكدر فإن الوجوه تنعكس عليه ، لكن ما لك وهذا ، إنك لم تقم بتصفية الباطن بعد ، ومنزلك أى قلبك ملئ بالوحوش والشياطين والقردة أى بالشهوات والوساوس والنزوات والأحقاد ، وكيف تفهم الأرواح الواصلة ، من أمثال روح المسيح التى كانت تحيى الموتى وأنت كمثل الحمار ، وتعلم أنك حمار ، ولا تحاول - عناداً - أن تخرج عن حماريتك ، وتتابع الأخطار التى تترصدك ، وتعرف مكانها ومن أى الأماكن تترصدك وتقطع عليك طريقك وتخوفك من الطريق ، وما ذلك إلا لأنك تنمى هذا الجسد وتسمنه وتجعل له الغلبة على القلب ، فى حين أن الباطن لا يكنس من كل ما يكدره إلا إذا صار الجسد "خيالاً" من زهده فى دسم الدنيا وقوتها .

(٢٨١٧ - ٢٨٢٢) : يعود مولانا إلى قصة حمار القصار التى تركها فى البيت ٢٦٦٧ : إن الحمار قد قاوم كثيراً ودفع حجج الثعلب ودحضها ، لكن الجوع كان غالباً عليه ، كان ضعيف الاحتمال ، والرسول ﷺ نفسه قال : كاد الفقر أن يكون كفراً ، ونسب القول أيضاً إلى الإمام الصادق رضى الله عنه "كاد الفقر أن يكون كفراً وكاد الحسد أن يغلب القدر" (جعفرى : ٣١٩/١٢) وهو مروي عن الرسول ﷺ فى كتب الحديث (جامع ٧٤/٢) ، وهكذا فقد فضل الحمار الذهاب مع الثعلب ، على أسوأ الفروض سوف يموت ميتة واحدة بدلاً من موته جوعاً كل يوم ، هذا مع توبته ومع قسمه ، ومع رؤيته للخطر ماثلاً أمام عينه .

(٢٨٢٣ - ٢٨٢٦) : وهذه هى نتائج الحرص ، فالحرص يعمى ويصم ويجعل المرء جاهلاً ، ومن جرأته يكون موت الحمقى سهلاً عليهم ، وللحمر يكون الموت صعباً فلا حياة تملك غير هذه الحياة الدنيا ، وأرواحهم ليست مرتبطة بالخالق ، ولا تترقى بعد الموت ، ومن هنا فالأحمق لا يلقي بنفسه فى التهلكة إلا من جراء حمقه وليس أملاً فى حياة خالدة ورقى وسمو لأنه لا يعرف شيئاً عن هذه الأمور ، فجاهد فى طريق الله حتى تترقى روحك بعد الموت ولا تصير كأرواح الحمير والدواب والوحوش

(٢٨٢٧ - ٢٨٣٣) : الحديث عن حمار القصار ، كان يعاني الجوع لكنه لم يحرم يوماً من الزاد ، ولم يمت جوعاً بالرغم من أن الجوع كان "يسلط" عليه بين الآن والآخر ، وهكذا فإذا كان في الجوع ألم واحد ففي الامتلاء والتخمة مئات الآلام ، يعد ألم الجوع أفضل منها جميعاً "قالجوع طعام الصديقين" ، لقد سمي الله الجوع ابتلاء ، لكنه قال في نفس الآية "وبشر الصابرين" وكان سهل بن عبد الله لا يأكل الطعام إلا كل خمسة عشر يوماً فإذا دخل رمضان لا يأكل حتى يرى هلال شوال وإنما يفطر كل ليلة على الماء وحده ، وكان يقول "جعل الله في الشبع الجهل والمعصية وفي الجوع العلم والحكمة" (مولوى ٥/٤١٠) إنه لم يكن معتمداً على الرزاق ، رغم أنه تشدق بهذا كثيراً ، وليته كان قد تحمل الجوع في "المعدة بيت الداء والحمية رأس الدواء" كما قال رسول الله ﷺ فالجوع يوصف كشفاء المرض ، وكيف تستطيع أن تحس بلذة المتع إن لم تجرب الجوع؟ (انظر الجوع رزق أرواح خاصة الله في البيت ٢٨٤٦ من هذا الكتاب) .

(٢٨٣٧ - ٢٨٤٠) : طائر الخبز كناية عن المرتبط بالمنافع الدنيوية وطائر الماء هو الذي يستطيع أن يغوص في بحار المعرفة ، وأنت تستحقه أي أنك لست صالحاً لعوالم الغيب فأنا أعطيك ما تستحقه ، فالجوع عطية الله لمن يصطفيهم ، لأنهم من الجوع يتغلبون على كل عقبات الطريق ويصبحون أسداً قوية ، ومن ثم لا يعطى الجوع لمدعى التصوف من الدراويش الكذابين "كلوا أكل البهائم وارقصوا لى" ، ومتى كان الطعام قليلاً في الدنيا؟ إن مائدة إنعام الله مبسطة أمام الجميع .

(٢٨٤١ - ٢٨٥٤) : الحكاية المروية هنا تشبه ما حدث للجنييد البغدادي عندما شكى أحدهم أمامه الجوع والعري فقال له اذهب واطمئن فإنه لا يهب أحدهم الجوع والعري حتى يشنع عليه ويملاً الدنيا بالشكوى" (تذكرة الأولياء ٤٣١) ومن أقوال الفضيل بن عياض ما معناه : يا نفس مم تخافين من الجوع لا تخاف لست عزيزة عند الله إلى هذا الحد الذي يرزقك فيه رزق محمد ﷺ وصحبه (عبد الباقي 449) فأى جوع يخشاه ذلك الدراويش المتسول ، إنه طعام الصديقين ورزق خاصة الله ، لكن العوام دائماً ما هم يرزقون الطعام (والرزق أشد طلباً للعبد من أجله) كما يقول الرسول ﷺ وكون الرزق عاشقاً للمرء كما يعشق المرء فكرة مأخوذة عن سنائي بل أن معظم الصور التي يعبر بها عن هذه الفكرة مأخوذة عن حديقة

سنائي (انظر حقيقة الحقيقة لسنائي الغزنوي الأبيات ٧٩٦-٨٢٢ وشروحها) المتوكلون على الله حقيقة لا يحسون بالجوع "انظر عن التوكل الأبيات ٩١٢-٩٥٥ من الكتاب الأول".

(٢٨٥٥ - ٢٨٦٩) : الحكاية الواردة في هذه الأبيات وردت قبل مولانا جلال الدين في (الهي نامه) لفريد الدين العطار عن حيوان كان يعيش فيما وراء جبل قاف وأنه كان يرعى في اليوم عشب سبعة أودية ويشرب ماء سبعة بحار ، وفي الليل يحمل هم الغد" (الهي نامه للعطار ص ٢٣٧ بتحقيق فؤاد روحاني ، تهران ، زوار ، ١٣٥١ هـ.ش.).

(٢٨٦٧-٢٨٦٩) : المستفاد من الحكاية: البقرة هي النفس التي لا تشبع من الدنيا وبرغم أنها لم تحرم من الخبز في يوم من الأيام إلا أنها تعيش في هم مقيم من أجله لكنها تنسى ذلك ، ولا تتعظ بماضيها الذي لم تحرم فيه يوماً من الخبز .

(٢٨٧٠ - ٢٨٧٧) : عودة إلى قصة حمار القصار التي تركها مولانا في البيت ٢٨٢٢ ، والآية المذكورة في العنوان من سورة الملك ﴿وللذين كفروا بربهم عذاب جهنم وبئس المصير ، إذا ألقوا فيها سمعوا لها شهيقاً وهي تفور ، تكاد تميز من الغيظ كلما ألقى فيها فوج سألهم خزنتها ألم يأتكم نذير ، قالوا بلى قد جاءنا نذير فكذبنا وقلنا ما نزل الله من شيء إن أنتم إلا في ضلال كبير وقالوا لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير ﴾ (آيات ١٠-٦)

(٢٨٧٠ - ٢٨٨٦) : يترك مولانا القصة التي انتهت بالطبع عند هذا الحد لينطلق في تعاليمه وإفاضاته. إن القلب هو ذلك الذي يوجد فيه نور الله ، وليس هذا الشكل الصنوبري ، فهو قطعة من اللحم ألقها للكلاب بتعبير الحكيم سنائي والمقصود به بالطبع الباطن المدرك لعالم الغيب ، إن هذا القلب المفتقر إلى النور مثل زجاجة ليس فيها نور الروح ، إنها أشبه بقارورة بول ، وهكذا فإن افتقر الجسد إلى مثل هذا القلب فهو ليس سوى جوال من طين ، وإياك أن تظن أن نور هذا المصباح من فعل الخلق ، إنه من فعل الله ، أي أن نور معرفة الغيب من الله وليست من علوم الخلق (وعن وحدة النور رغم تعدد المصابيح انظر الكتاب الأول الأبيات ٦٨١-٦٨٥ والكتاب الثالث الأبيات ١٢٥٥-١٢٥٩) ومن هنا فقد أشرك اليهود ولم يؤمنوا برسالة محمد ﷺ لأنهم نظروا إلى الأنبياء ولم ينظروا إلى النور ، أي نظروا إلى الأنبياء وفرقوا بينهم ولم ينظروا إلى أن الرسالة واحدة صدرت عن مصدر واحد ، ولا فرق هناك بين شعيب ونوح ﴿ لا نفرق بين أحد منهم ﴾ إن الإنسان هو الذي يتكامل بالروح وبالمعنى لا

بالصورة وبالجسد ، لكن أولئك الذين يقفون على الصور ليسوا برجال ، إنهم موتى فى سبيل الخبز وقتلى فى سبيل الشهوة فلا روح ولا قلب ولا بحث عن المعنى ، ولا طموح إلى العالم الأعلى .

(٢٨٨٧ - ٢٨٩٦) : " الحكاية التى تبدأ بهذا البيت موجودة فى التراث البوذى القديم وفى التراث اليونانى القديم منسوبة إلى ديوجين الكلبى " يحكى أنه خرج ونادى بأعلى صوته فى الحارات يا رجال وصار يكررها حتى انقضت إليه جملة من العالم فطردهم بعصاه وقال لهم أنا أطلب الرجال وما لكم " (مأخذ ١٨٢) وقد عبر مولانا عن نفس هذا المعنى فى غزلية فى ديوان شمس الدين التبريزى :

بالأمس كان الشيخ يطوف المدينة بمصباحة صائحاً ملأت الوحوش والشياطين

ضاق صدرى بأولئك الرفاق الذين بهم خور أريد أسد الله ورستم بن دستان

قلت : أيها الشيخ انك تبحث عما لا يوجد قال : إن هذا الذى لا يوجد هو طلبى

(كليات ديوان شمس غزل ٤٤١ ص ٢٠٣)

ولقد عبر حافظ الشيرازى عن هذا المعنى تعبيراً رائعاً بقوله :

إن المرء لا يحصل على إنسان (حقيقى) فى عالم التراب * ينبغى خلق عالم آخر وخلق إنسان من جديد

(ديوان حافظ ، ص ٢٤٧)

والتعبير بأن الرجل الحقيقى هو الذى يملك نفسه عند الشهوة والغضب تعبير متكرر فى المثنوى وورد بالطبع عند سنائى (على سبيل المثال لا الحصر البيت ٦٠٧١ من الحديقة) كما ورد عند العطار ونظامى (انظر أيضاً الكتاب الثانى ١٤٦٧-١٤٦٨) وعن العيش بالنفخة الإلهية انظر الكتاب الرابع الأبيات ٤١١-٤١٥ (وشروحها) وفى البيت ٢٨٩٦ يرد عليه الرجل: إن الحرص والشهوة هما ظاهر القضية وينبغى أن تنتظر إلى أصلها وهو : على أى شكل يريدنا الخالق وكيف يخلقنا ، إن الأمر كله قضاء وقدر (عن هذا الموضوع انظر الكتاب الثالث الأبيات ٣٨٠-٣٩٠ وشروحها وعن الشهوة انظر أيضاً الكتاب الثالث الأبيات ٨١٨-٨٢٠ وشروحها) .

(٢٨٩٧ - ٢٩٠٠) : من هذا البيت يبدأ المبحث الكلامى الأكبر فى هذا الكتاب وهو مبحث الجبر والاختيار والذى جعلت منه موضوعاً للمقدمة، ويبدأ مولانا بفكرة دق عليها كثيراً وهى

أن قضاء الله سبحانه وتعالى يستطيع أن يغير العوامل الموجودة في الطبيعة ويقلب تأثيرها ، بل يجعل عطارده هو في اعتقاد القدماء الكوكب الخاص بالذكاء والحكمة لا يعي شيئاً (انظر عندما يعمم القضاء تمام المعرفة ١٢٤١ من الكتاب الأول) والبيت التالي ناظر إلى المثل المعروف : إذا جاء القضا ضاق القضا (انظر البيت ٩٩ من الكتاب الأول والبيت ٣٨١ من الكتاب الثالث) فتعال يا من رسمت حياتك خطوة بخطوة بحيث تفضي كل خطوة إلى ما بعدها، إنك أبله شديد البلاءة وساذج ، ذلك أنك تقوم برسم حياتك وكأنه ليس فيها سواك ، كأنها خالية من الغيب والقدرة ، صحيح أنك تستطيع أن (تخطط) لحياتك ، لكن كم من البشر (خططوا) لحياتهم ثم سارت خطوات حياتهم كما خططوا لها ، لم تصادف في الطريق مانعاً أو حادثة لم تخطر له ببال عند التخطيط .

(٢٩٠١ - ٢٩٠٥) : إنك ترى ظواهر الأمور ولكنك لا ترى القدرة الخفية التي تسيرها، رأيت دوران حجر الطاحون لكنك لم تر ماء الجدول، ورأيت التراب يثار في الهواء لكنك لم تنظر إلى الهواء الذي يرفع التراب ورأيت الفكر يغلى ، لكنك لم تر من الذي يشعل تحته ناراً ليغلى قدر فكري (قلبك) كل هذا الغليان ، وإن النسبة بين هذه الأمور غير المرئية إلى ما تراه من نتائجها كنسبة العطاء الذي أعطى لأيوب ^{عليه السلام} بالنسبة لصبره (انظر الكتاب الأول ٢١٠٨ - ٣١٠٩ والكتاب الذي بين أيدينا ٣٦٨٩ - ٣٦٩١ والكتاب السادس ٨٧٦ ، ٤٨٣٩ ، ٤٨٣٦ وانظر أيضاً لعطاء أيوب حديقة الحقيقة لسنائى الترجمة العربية البيت ٧٠٧ وشروحه) وفي البيت التالي وضع الساقية بدلاً من الطاحون ، لأن الماء من نتائج الساقية وليس سبباً لها وربما كانت ضرورة القافية .

(٢٩٠٦ - ٢٩١١) : إنك تدعى الرؤية أى رؤية ما وراء الظواهر ، لكن كل ما رأيته من البحر هو الزبد (المظاهر بالنسبة للحقائق كالزبد بالنسبة للبحر) ولو كنت رأيت البحر لكان نصيبك الحيرة (الحيرة عند الصوفية مرادفة للمعرفة انظر لتفسير هذه الفكرة انظر الكتاب الثالث البيت ١١١٦ وشروحه) إن النتيجة الحتمية لهذه المعرفة ولهذه الحيرة هي الصمت المطبق لأن من عرف الله كل لسانه (استعلامى ٣٥) وذلك الذى يتحدث بالأسرار لا يكون قد رأى سوى ظواهر الأمور ، وهذه الرؤية تؤدي إلى نتائج مختلفة ، فالناظر إلى المظاهر يخطط وينوى النوايا ، والذى يرى الحقائق يخاطر ويتهور ويقدم ولا يرى نفسه نية ولا خطة والناظر إلى المظاهر يرى الكثرة والقلة والأعداد و" يحسب لها" أما الناظر إلى الحقائق فهو

الذى يضع نفسه بين يدي المشيئة الإلهية كالميت بين يدي الغسال وينفى اختياره تماماً ،
والناظر إلى الظواهر يطوف بها ويبحث فيها دون أن يصل إلى حقيقة، أما الناظر إلى الحقائق
فهو غير ملوث بهذه الظواهر غير مهتم بها .

(٢٩١٢ - ٢٩١٩) : ذكر فروزانفر أن الحكاية التى تبدأ بهذا البيت وردت فى عيون الأخبار
للدينورى وفى أخبار الطرفاء والمتماجنين لابن الجوزى وبالطبع دون المناقشات الطويلة
الواردة بها بل فى مجرد سطرين أو ثلاثة أسطر (مأخذ ١٨٢) ويذكر زركوب (سرنى
٤٤٧/١) أن الحوار بين المسلم والمجوسى هو فى الواقع حوار بين عمرو بن عبيد أحد أئمة
المعتزلة ومجوسى ركب معه فى سفينة وهى واردة فى العقائد النسفية وفى شرح التعرف
على مذهب أهل التصوف ، والرواية الواردة فى عيون الأخبار وأخبار الطراف والمتماجنين :
حدثنى رجل من أصحابنا قال صاحب رجل من القدرية مجوسياً فى سفر فقال له القدرى يا
مجوسى مالك لا تسلم قال : حتى يشاء الله قال : قد شاء الله ذلك ولكن الشيطان لا يدعك قال
المجوسى : أنا مع أقواهما . ويجعل مولانا من هذه الحكاية منطلقاً نحو تفصيل معتقدات
الجبريين وآرائهم الذين كانوا يرون أن الأعمال خیرها وشرها من قبل الله تعالى ولا يروون
أنفسهم مستحقين للعقاب ، وكان مولانا يرى أن العبد مختار ومسئول بدليل الأمر والنهى
والتكليف والعقل . ويقول المجوسى "المجوس قدرية هذه الأمة" أى من القائلين بالقدر ، أنه
وإن كان كافراً فإنه لا يجوز على الله تعالى أن يريد شيئاً لإنسان ثم تتدخل قوة ما أياً كانت
هذه القوة وأياً كان اسمها الشيطان أو النفس أو الأهواء أو الشهوات أو ما إلى ذلك ، فتغير
مشيئة الله ، فإذا كانت هذه القوى منتصرة وغالبة إلى هذا الحد بحيث تتغلب على المشيئة
الإلهية فما ذنب العبد إن تبعها .

(٢٩٢٠ - ٢٩٣٦) : ويضرب المجوسى الأمثال : هب أنك بنيت بناءً عظيماً أردت أن يكون
مسجداً فجاء أحدهم وجعل منه برغم أنفك ديراً ، أو أنك نسجت كرباساً أردت أن تجعل منه
قباء فجاء أحدهم وجعل منه سروالاً : أى إن الله تعالى خلق هذا الإنسان (القصر والمسجد
والقباء) ليكون موضعاً للمعرفة فجاء الشيطان وجعل منه ألوبة فى يده وموضعاً للشهوات
ومحلاً للوساوس وآلة للحرب والفساد وسفك الدماء ، فما ذنب هذا الإنسان يا حبيبى ؟ ما ذنب
هذا الإنسان وهو ضعيف أمام الشيطان ، وفى نفس الوقت فإن الذى أراد أن يجعل منه معبداً
ساكتاً ومستسلم وصامت ولا يتدخل ليدافع عن صنعه ؟ أأكون أنا مهاناً ومضطرباً ومهزوماً

إذا تبعته أيضاً وألا أخشى في ذلك الوقت انتقام الشيطان (القوى ، المنتصر ، الغالب) متى ؟ عجيب ، ما معنى قولك إذن : ما شاء الله كان ، فمتى كان إذن هذا الذي يشاءه ، أتقوم النفس بالاستيلاء على صنعه ولا يتحرك صانع النفس ؟ أيستولى الشيطان على الإنسان ويسكت خالق الإنسان والشيطان معاً ، وإذا كان الشيطان ينتصر ويتحقق له ما يريد ، والخالق يسكت على هذا الأمر ، فكيف ينصلح حالي إذن ؟ ومن يساعدني في هذا القتال الذي حكم على فيه بالهزيمة ؟!

(٢٩٣٦ - ٢٩٤٤) : يتدخل مولانا في النقاش فقد كان يرى أن الإنسان هو مجال للامتحان الإلهي (انظر الكتاب الثالث الأبيات ٧٤٣-٧٤٦ وشروحها) وفي معركة الروح والنفس يعتبر جوازب الحياة المادية وسيلة امتحان الحق وعلى هذا الأساس يعتبر عصيان الشيطان أحد ألعيب القضاء الإلهي (انظر الكتاب الثاني ٢٦٥٥-٢٦٥٦) ومع هذا فالمسئولية لا تسقط عن أى مذنّب ، ثم يرد على ذلك المجوسى الذى يرى الشيطان غالباً بهذا المثل ، إن هذا الشيطان هو أقل الكلاب على باب الله ، أنه مثل كلب التركمانى ، ينبح الغريب ، فالشيطان متسلط على الغرباء عن باب الحق ، لكن أنظر إلى كلب التركمانى مع القرباء !! (أنظر إلى الشيطان مع الأولياء) إن الأطفال يشدون من ذيله (الأولياء أطفال الحق) (انظر البيتين ٨٠ و ٨١ من الكتاب الثالث) ويكون ذليلاً فى أيديهم لكنه يكون أسداً هصوراً على الغرباء ، إنه "الكلب والشيطان" مصداق الآية الكريمة ﴿ أشداء على الكفار رحماء بينهم ﴾ (الفتح ٢٩)

(٢٩٤٥ - ٢٩٥٠) : وهكذا فالشيطان هو كلب الحق ، وقد خلقه هكذا فى جبلته الوسوسة ، وإلا فكيف يميز الله الخبيث من الطيب والصالح من الطالح ، وكيف يتغذى الشيطان إن لم يكن موسوساً للخلق "كمال كل مخلوق فى قيامه بصنعه وكمال الشيطان فى قيامه بما كلفه الله به" ليس الشيطان نداً لله وجل وعلا ومقابلاً له بل عبد من عباد ينفذ ما أمره الله به ، وكيف لا ينفذ ما أمره به وروحه مقيمة على باب الإله تنتظر أوامره ، وكل من فى الخلق من ملوك ورعايا كلاب باسطو أذرعهم بالوصيد؟ لا ، ليس الشيطان نداً لله أو مقابلاً له أو طرفاً فى معركة معه مواضعها نفوس العباد ، إنه تماماً كالكلب على باب التركمانى مستعد ناقر العرق يتسلط على من يسلطه عليه سيده .

(٢٩٥١ - ٢٩٦٢) : يخاطب مولانا جلال الدين بصفته رجلاً من رجال الله ، الشيطان ، أو الكلب الشيطان بأنه لا يستطيع أن يمتحن المخلصين من عباد الله ، ويسأله أن يداوم امتحاناته

من أجل أن يتميز ذوو الصلابة في الطريق من أرباب الوهن ، وإذا كان الله سبحانه وتعالى قد جعل للشيطان سلطة علينا فلماذا علمنا قتاله لماذا أعطانا السلاح الذي نقاتله به لماذا أعطانا المعوذة" نلجأ إليها عندما يشتد طرق الشيطان على بابنا ، ويهم ذلك الكلب بعقر أقدامنا ، فنطلب من الله تعالى أن يستدعي كلبه ، حتى نجد الطريق مفتوحاً إلى بابه ، نسأله حاجتنا ، فهل يعقل أن يكون التركي الخطائي (من قبائل الخطا وهي من أشد قبائل الترك بأساً) عاجزاً عن استدعاء كلبه وعن كبج جماحه ، إذن فما فائدة المعوذة وما فائدة الصياح ، معقول أن يقول لك التركي لا ، لا أستطيع أن أعقل هذا الكلب ، أنا أيضاً أستعيز منه ، إنه يمنعني من الخروج كما يمنعك من الدخول ، هل هذا معقول ، حاشا لله ، إن التركي ليصيح صيحة ، تفقد بها أسد الوغى قلوبها لا الكلاب فحسب ، وأنت يا من تدعى أنك أسد في هذا الطريق ، كيف تغلب عليك كلب النفس وهو مخلوق لخدمتك ، هو يصيد من أجلك هو أى القوى النفسية حافظة بدنك، فكيف صرت أنت صيداً لها .

(٢٩٦٣ - ٢٩٧٤) : يرد السني - ودائماً يقرن مولانا جلال الدين عقائده بأنها مجموع عقائد أهل السنة ولذلك يجعل السني هنا مرادفاً للقائل باختيار للعبد- ويقدم مولانا في هذه الأبيات دلائل أن للعبد اختياراً وأول هذه الدلائل الحواس التي وهبها الله سبحانه وتعالى للإنسان يسعى بها ويستخدمها ويستطيع أن يستخدمها في الخير ويستطيع أيضاً أن يستخدمها في الشر ، وقد يكون المقصود بالحس الوجداني الضمير الذي عبر عنه مولانا بالإدراك الوجداني وقال أنه محل الحس (جعفرى ٣٦٢/١٢) والدليل الثانى هو الأمر والنهى والتكليف بوجه عام والثواب والعقاب كلها لا تكون إلا للمختار والمسئول ، وشرط التكليف القدرة، والقدرة هي التي تدل على الاختيار فلا يقول أحد لإنسان طر، أو يقول لأعمى أنظر إلى ثم إن الملام والعتاب والمدح دليل على القدرة أيضاً والاختيار وإلا فهل يقول أحد لحجر لماذا تأخرت ، أو يلوم عصا على أنها ضربته؟ نعم إن الرغبة في الظلم كامنة فيك ومن ثم انجذبت للشيطان وللنفس الأمارة ، وليس العكس كما تدعى أنك "مجبور" عليها من الشيطان والنفس الأمارة .

(٢٩٧٥ - ٢٩٨١) : تريد أن تعلم كيف يكون الاختيار كامناً فيك إذن فاعلم أنك الشيطان والملاك معاً ، وداعى الخير وداعى الشر موجودان في داخلك لكنها في حاجة إلى ما يحركها ، ورؤية يوسف محرك وجرح اليد وتقطيعها نتيجة للمحرك، كانت موجودة في نفوس النسوة في المدينة ، كن مستعدات للغواية ، فما إن راين يوسف حتى قطعن أيديهن ، يظل

كلب النفس قائماً في داخلك حتى تحركه شهوة من الشهوات فيستيقظ ويبص بذيله ، وهكذا حتى في الحيوان ، وفي السلوك الحيواني ، تتحرك الشهوة عندما يوجد محرك لها ، إنها كالنفخ في الشرر ، (انظر الكتاب الثالث موسى وفرعون في وجودك ، البيت ١٢٥٤) وهكذا يتمطي الاختيار النائم فيك والكامن في وجودك عندما يعرض الشيء المشتهى .

(٢٩٨٢ - ٢٩٨٨) : { إن للشيطان لمة با بن آدم وللملك لمة فأما لمة الشيطان فإيعاز بالشر وتكذيب بالخير وأما لمة الملك فإيعاز بالخير وتصديق بالحق فمن وجد ذلك فليعلم أنه من الله تعالى فليحمد الله ومن وجد الأخرى فليتعوذ بالله من الشيطان } (جامع ٩٥/١) . ليس الأمر خاصاً بدواعي الشر فحسب ، بل تتدخل فيه أيضاً دواعي الخير ، تعرض عليك الملائكة ملائكة الخير ما لديها برغم أنف الشيطان ، إلهام بالخير في مقابل وسوسة الشيطان بالشر ، وأنت وما تختار ، لديك الميزان في داخلك ، وما يستوجب العقاب ومن ثم فأنت المسئول ، وأنت الذي تتطلق بكل قواك مليباً داعي الخير وداعي الشر ثم ما معنى التسليم في الصلاة؟ إنك تسلم على الملائكة أنك صرت مختاراً لهذه الصلاة من إلهامها الطيب تماماً مثلما تقوم بلعن إبليس بعد كل ذنب لأنه قضى عليك وقصم ظهرك من وسوسته ، نعم فهذان الضدان يقوموا بعرض ما لديهما عليك وداعي الخير وداعي الشر مصطلحان موجودان في هذا الحديث النبوي .

(٢٩٨٩ - ٣٠٠٥) : وكلاهما داعي الخير وداعي الشر ، الملاك الملهم والشيطان الموسوس جاءا إليك من وراء حجب الغيب، وعندما ترتفع هذه الحجب يوم القيامة ، ترى عياناً من كان يقودك وتعلم من حديثهم أنهم هم الذين كانوا يحدثونك في الدنيا يلهمونك أو يوسوسون لك. يقول الشيطان : لقد كنت أعرض عليك فحسب ﴿ وقال الشيطان لما قضى الأمر إن الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فأخلفتكم وما كان لي عليكم من سلطان إلا أن دعوتكم فاستجبتم لي فلا تلوموني ولوموا أنفسكم ما أنا بمصرخكم وما أنتم بمصرخي إني كفرت بما أشركتمون من قبل إن الظالمين لهم عذاب أليم ﴾ (إبراهيم ٢٢) ويقول الملاك : ألم أقل لك كفاك سروراً بمعصيتك وتدبر قول الرسول ﷺ { من عصى الله وهو يضحك يدخل النار وهو ييكى } (مولوى ٤٣٢/٥) لقد تركتني أنا الراجي خيرك المشفق عليك من نار الجحيم الراغب في قيادتك إلى الجنة ونحن الملائكة من سجدنا لآدم واعترفنا بخلافته، ولا زلنا نخدمك ونقودك إلى موطنك في الجنة، ونردك من غربتك وفقرك إلى رئاستك وإمارتك ، لكنك تركتنا وأطعت

تلك الجماعة التي رفضت السجود لأبيك ، ووسوست له ، وسببت طرده من الجنة إلى جحيم الشقاء ، وتوعدت أولاده قائلاً ﴿ لأحتكن نريته إلا قليلاً ﴾ (الإسراء ٦٢) ، هيا انظر إلينا عياناً بياناً بعد إن كنت تسمع أصواتنا في ليل الدنيا وظلمة الحس ، فها هو قد أسفر الصبح ، صبح القيامة ، وقام الناس من النوم ، فاعرفنا بأصواتنا ، وأعلم أننا كلا منا الملاك والشيطان كنا عارضين لك ، لم نجبرك على فعل لم تكن أنت تريده ، ولم نوجهك إلى فعل لم تكن أنت تقصده .

(٣٠٠٦ - ٣٠٢١) : يعود مرة ثانية إلى بيان أن الإنسان مخير وليس مسيراً ، ومن هنا يؤدب الطفل فهل رأيت حجراً يعاقب ؟! وهل سألت حجراً أن يأتيك في الغد ، وهل يضرب عاقل المدر (في الكتاب الثالث ، أمثلة عديدة على هذه الفكرة ، انظر الأبيات ٢٩١١ - ٢٩١٩) ، وعن هشام بن سالم عن علي عليه السلام : إن الله أكرم من أن يكلف الناس ما لا يطيقون والله أعز من أن يكون في سلطانه ما لا يريد " (جعفرى ٣٨٣/١٢) ، الجبرى والقدرى كلاهما مرفوض ، لكن الجبرى أكثر اقتضاحاً أنه يرى ويحس أنه لا مدلول دون دليل ، لكنه ينكر والقدرى يقبل الدليل والمدلول لكن في حدود الأمور المادية والدينية ، وأمور الله جل وعلا التي لا تقاس بالمعايير والعلاقات الدنيوية ولا تدرك ، والنتيجة أن القدرى والجبرى كليهما ينكران تلك الحقيقة غير المادية وغير الحسية (استعلامى ٣٨٥/٥) ، ومن هنا فسفسطة الجبرى أسوأ من الحاد القدرى " والقدرية مجوس هذه الأمة " ، ويجعل مولانا القدرى واحداً مع المادى والدهرى ، انه يقبل الدنيا فحسب ويقر بها وإن قال يا رب فنظره إلى القدرة المادية الطبيعية ، وقوله يا رب لا يقصد بها الحظيرة الإلهية ، والجبرى ينفى المسؤولية والاختيار عن نفسه ، ينكر العلاقات الموجودة في الدنيا ، ولا يصل بسفسطته وأدلتة الواهية إلى غاية بل يدخل في تلافيف الشك والريب والكفر ، والحيوان يدرك الأمر المحسوس ، يكون الحيوان أفضل من الجبرى ، إن وجود الاختيار لا يحتاج إلى دليل لأن كل إنسان يستطيع أن يحس به ، وإن أحس به فإن تكليفه بالأمر يجمال به ولا يستوحش منه أو يراه صعباً ، وإذا كان القدرى مرفوضاً والجبرى مرفوضاً فالحل هو ما أجمعت عليه الأمة من المنزلة بين المنزلتين ، أو الأمر بين الأمرين وعن علي بن موسى الرضا عليه السلام ذكر عنده الجبر والتفويض فقال : ألا أعطيك في هذا أصلاً لا تختلفون فيه ، ولا يخاصمكم عليه أحد إلا كسرتموه ؟ ، قلت إن رأيت ذلك ، قال : إن الله عز وجل لم يطع بإكراه ولم يعص بغلبة ولم

يهمل العباد في ملكه، هو المالك لما ملكهم والقادر على ما أقدرهم عليه فإن أئتمروا بمعصيته فشاء أن يحول بينهم وبين ذلك فعل وإن لم يحل وفعلوه فليس هو الذي أدخلهم فيه (جعفرى ٣٨٤/١٢) والأمر عند مولانا بين الوضوح في قوله بالاختيار وهو في هذا تابع لسنائى الغزنوى الذي قال بأن الجبر لحركة العالم وأن الاختيار للإنسان ، وأن هذا هو المقصود بتكريم الإنسان ، فكيف يكون مجبرا ثم يكون مكرما ؟! (انظر حديقة الحقيقة الأبيات ٥٤٥٩ - ٥٤٦١ وشروحها) ، وإلى مثل هذا ذهب الحكيم السبزوارى فقال : إن من أفضل ما قاله المعلم الثانى ، لابد أن يكون في الإرادة إرادة بالذات ، وفي القدرة قدرة بالذات وفي الاختيار اختيار بالذات " ، ويضيف والعالم كله ظله ، وهو مختار وظل المختار مختار (شرح السبزوارى ، ص ٣٩٤) .

(٣٠٢٢ - ٣٠٣٣) : يواصل مولانا جلال الدين دلائله على الاختيار واثبات المسؤولية على الإنسان ، وهنا يتجاوز مولانا الدلائل الظاهرة والحواس الظاهرة ويتحدث عن الإدراك الباطنى ويسميه بالإدراك الوجدانى وفي العنوان يوضح مولانا أن الإدراك الباطنى هو أيضاً من قبيل الحس، فمنه ندرك الألوان والأحجام وأنواع الجمال والقبح بالحواس الظاهرة ، لكننا ندرك الاختيار والاضطرار والغضب والصبر بالحواس الباطنة أو الإدراك الباطنى أو كما يسميه مولانا الإدراك الوجدانى ، ويفسر محمد تقى جعفرى الإدراك الوجدانى تفسيراً لغويًا على أساس أن " وجدان " بالفارسية تعنى الضمير ويرى أن مولانا كان يقصد هذا المعنى بالفعل بدليل ذكره للندم بعد أن يقوم المرء بفعل السوء فإن هذا الندم مصدره الضمير (جعفرى ٣٩٤/١٢-٣٩٥) . ويقدم مولانا دليلاً آخر : القرآن الكريم ، أليس كله أمر ونهى ووعد ووعد فلا بد أن يكون هذا الأمر والنهى والوعد والوعيد موجهًا إلى " مسئول " و " حر " وإلا فهو ليس موجهًا إلى حجارة وحديد أو خشب، فالعقل نفسه لا يتعامل إلا مع من له عقل . وإلا فهل عادى عاقل صورة ؟! أو هل أنشب مخالبه في صورة مقلب ، ثم كيف يوجه أمر إلى عاجز ؟! إنك إن أمرت عاجز بأمر يعجز عن فعله كنت جاهلاً ، وإن فعلها إنسان لقلت عنه أنه جاهل، فهل تنفى عن إنسان صفة الجهل وتجزئها على الله جلا وعلا عن ذلك علواً كبيراً ؟! وكيف تنفى عنه صفة العجز لتوقعه بعدها في صفة الجهل " والكلام موجه إلى المجوسى القدرى " ؟!

(٣٠٣٩ - ٣٠٣٤) : يعود إلى مثال التركي وكلبه " الله والشيطان " ، وليس عيباً أن يرمز له
بكبير الترك :

فالله قد ضرب الأكل لنوره مثلاً من المشكاة والنبراس

والضعيف هو العبد المتجه إلى الله تعالى ، والخرقة رمز للتظاهر ، والمقصود بالكلب هنا هو
النفس الكلبية الأمارة بالسوء ، فإذا توجهنا إلى العتبة الإلهية ومعنا كبرنا وغرورنا ونفسنا
الأمارة بالسوء فإن الكلب " الشيطان " ، يقف في طريقنا والكلب في البيت ٣٠٧٧ هو إبليس
(انظر ٢٩٣٩ - ٢٩٤٤ من الكتاب الذي بين أيدينا) ، وعضة الكلب تلبس إبليس ومكره ،
والغلمان هم عباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا ، والكلب في البيت التالي هو
النفس والتعلب هو الرياء والتظاهر ، والكلب في الشطرة الثانية من نفس البيت هو إبليس :
نفسك التي بين جنبيك هي التي تثير إبليس وهي التي تدعوه إليك .

(٣٠٥٧ - ٣٠٣٩) : يواصل مولانا أدلته على أن الإنسان مختاراً ، فإذا لم يكن الإنسان
مختاراً وكان الاختيار للحق دون سواه ، فكيف تغضب على من يسئ إليك ، إنك تغضب على
من يسئ إليك إن كان عاقلاً ، لكنك لا تغضب إن كان غير عاقل ، ومن ثم فالاختيار مقارن
للعقل ، وحتى الحيوانات تفعل هذا ، فهل رأيت حيواناً هاجم عصا ضربته دون أن يهاجم
الضارب ؟! هل رأيت كلباً تقذفه بحجر فيصيب غضبه على الحجر " إنه يفعل ذلك فحسب
عندما لا يطولك وللوهلة الأولى ثم سرعان ما يدرك أنك الضارب لا الحجر " .

(٣٠٨٥ - ٣٠٧٦) : يواصل مولانا تقديم أدلته على الاختيار ، والحكاية الواردة في البيتين
الأوليين وردت في ربيع البرار للزمخشري والمستطرف للأبشيهي منسوبة إلى الاسكندر
(مأخذ / ١٨٢) . أمر الاسكندر بصلب سارق : فقال : أيها الملك فعلت ما فعلت وأنا كاره ،
فقال وتصلب أيضاً وأنت كاره . إن الجبر يقلب العالم إلى فوضى ، فالسارق والمعتدى والقاتل
كلهم يقومون بما يقومون به اعتماداً على هذا المبدأ ، عجيب ومع ذلك فأنت تتلاعب بالجبر
والاختيار ، تختار الحرفة ، وخلف نفسك العاصية تكون مختار تماماً ، لكنك عند شكر النعمة
صامت أو قائل بأن الله لم يهبك شكر هذه النعمة ، تراك تقبل أن يقول لك الجحيم : اعذرني
علي حرقى إياك ؟! أنه لولا الاختيار لما انتظمت الدنيا .

(٣٠٧٧) : يواصل مولانا ويقدم قصة أخرى ساخرة وهي كما هو واضح على نسق القصة السابقة وتجرى في سياقها وهي فيما يبدو من تأليف مولانا ووردت في كتابه " فيه ما فيه " ، قبل أن ترد في المتنوى .

(٣٠٨٧ - ٣٠٩٧) : من هذا البيت يبدأ مولانا في مبحث آخر دفعه إليه خشيته من أن يفهم القارئ أن الاختيار للعبد مطلق وأنه من الممكن أن يختار على اختيار الله سبحانه وتعالى، أو يفهم آخر أن مولانا ينفي الاختيار عن الله سبحانه وتعالى كلية ، فاختيار العبد كالغبار ، واختيار الرب فوقه كالفرس الذي يثير هذا الغبار دون أن يكون ظاهراً (هذا المثال موجود في الكتاب الثالث ، البيتين ٣٨٣ - ٣٨٤) ، إننا نختار ما اختاره الله لنا ، فاختيار الله هو الاختيار الكلي واختيارنا هو الاختيار الجزئي، ولو لم يكن لنا اختيار لما خيرنا الله بين أمرين، وتسلب الله سبحانه وتعالى على صورة بلا اختيار أمر لا عظمة فيه ، فلا عظمة في أن تحكم من لا يتأتى منه فعل ، سواء كان هذا الفعل خيراً أو شراً ، لا عظمة في أن تسيطر على عبد بل العظمة الحقيقية في أن يكون حكمك على حر ، إن السيطرة على من لا اختيار له تتأتى من كل إنسان ، لكن أية عظمة في أن تجر صيدا من أذنه أو تجر إنسان من أذنه أيضاً ، فالله حينئذ بدون أية آلة يقيد باختياره ذلك الإنسان المجبر ويجره إلى حيث يشاء ، هذا الأمر يكون كسيطرة النجار على الخشب والمصور على الصورة والحداد على الحديد والبناء على الآلات التي يستخدمها ، فهل قدرتك على هذه الجمادات ، نفت عنها صفة الجمادية ، كيف تجيز إذن أن يكون اختياره جل وعلا نافيا لاختيارك أنت !.

(٣٠٨٩ - ٣١٠٤) : مشيئة الله سارية في الكون بشكل كلي وبلا زمان أو مكان ، وليس في الأمر جبر أو ضلال ، إنك " أيها المجوسى " تقول أن كفرى هو مشيئته ، لكنها مشيئتك أنت أيضاً ، فكيف ثم كفر دون مشيئة من الكافر ؟! وكيف يغضب علينا سبحانه وتعالى إن كفرنا دون أن يكون لنا دخل في هذا الكفر ، أيغضب علينا لعجزنا ، إن هذا السلوك لا يليق حتى مع ثور ، فالثور أن لم يقبل السير ضرب ، لكنه لا يضرب أن قلت له طر ولم يطر ، ومن ثم فإن لم تكن مريضاً لا تربط رأسك (مثل فارسى) ، ولا تسخر من نفسك كل هذه السخرية فتكون أقل من ثور .

(٣١٠٥ - ٣١١٠) : والحل لكل هذا النقاش أن تكون عاشقاً فيذوب اختيارك في اختياره ولا ترى لنفسك اختيار دون اختياره ، فيكون كل ما تفعله هو فعل الحق ، يكون العشق هو

اختيارك ، والسكران بهذه الخمر معذور ، وهو حتى لا يكون في حاجة إلى أن يعذره أحد ، فهو لا يفعل في سكره إلا الحق وإلا الصواب ، والمثل التالي عن سحرة فرعون وارد بتفصيلات أكثر في الكتاب الثالث (انظر الأبيات ١٧٢٣ - ١٧٣٠ وشروحها) .

(٣١١١ - ٣١٣٠) : { ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن } ، حديث نبوى يكرره مولانا كثيرا في المثنوى (انظر على سبيل المثال ، الكتاب الأول : ١٨٨٨-١٨٩٨ والكتاب الذي بين أيدينا الأبيات ٢٩٢٩ - ٢٩٣٧) . عن زيد بن ثابت أن رسول الله ﷺ علمه دعاء وأمره أن يتعاهد به أهله كل يوم { قال : قل كل يوم حين تصبح اللهم لبّيك وسعديك والخير في يديك ومنك وبك وإليك ، اللهم ما قلت من قول أو نذرت من نذر أو حلفت من حلف فمشيئتك بين يديه ما شئت كان وما لم تشأ لم يكن } (مسند أحمد ١٩١/٥ ، أحاديث مثنوى ١٧٤) . وليس عند الله صباح ولا مساء : أي ليس في عالم اللاهوت زمان ، لأن الزمان مرتبط بالأفلاك وهو فوق الأفلاك ، فليس حديث " ما شاء الله كان " دعوة إلى الكسل وإلى الاستسلام لما تأتي به المقادير ، بالعكس انه دعوة للعمل والجد والاستعداد في كل لحظة. يقول يوسف بن أحمد : وهذا الحديث معناه قريب لقوله تعالى : ﴿ كل يوم هو في شأن ﴾ ، قال في الجلالين معناه أمر يظهره على وفق ما قدره في الأزل من إحياء وإماتة واعزاز واذلال وغناء وإعدام وإجابة داع وإعطاء سائل وغير ذلك ، (مولوى ٤٥٣/٥) ، فإذا كان الأمر أمرك أنت جاز لك أن تتكاسل ، فإذا قيل لك أن الأمر أمر الله ، معناه أن تسعى في رضا الله دون رضا سواه ، إذا قيل لك أن الأمر في يد الوزير فلان ، يكون رد فعلك أن تبتعد عنه أو يكون رد فعلك أن تقترب منه ؟! أترى الآن أنك قلبت تفسير : ما شاء الله كان وجعلته على هواك لأن هواك في الكسل ، وتكفى نتيجة تفسيرك هذه لكى تثبت لك أن تفسيرك هذا سئ ، فهناك علامة للتفسير الصحيح هو أن يدفعك إلى العمل وبذل الجهد ، والجهاد في رضا لله ويملأك حماسا وحركة وأملا ، لأن الله سبحانه وتعالى لا يريد من عبده الكسل والتواكل ، والرسول ﷺ لا يقول ما يؤدي إلى القنوط واليأس ، والقعود عن العمل والعبادة ، ولماذا تسرع في التفسير حسب هواك ، ما أحراك أن تفسر القرآن بالقرآن لأن القرآن يفسر بعضه بعضا ، فإن لم تكن قادرا على هذا ، فابحث عن الولي الكامل غير المغرض الذي أضرم نار العشق في هواه وهوسه ، وصار كله لله وللقرآن حتى ذاب في القرآن وصار قرآنا ، كما يذوب الزيت في الورود (عند تقطير العطور) ، فسواء إن شممت ذلك الزيت الذي ذاب في الورود أو شممت الورود نفسها ،

سواء سألت القرآن عن معنى القرآن ، أو سألت الولي الذي ذاب في القرآن وفنى في الله فناء تاما ، هذا هو الراسخ في العلم الذي نص سبحانه وتعالى على أنه هو الذي يستطيع أن يعلم تأويله .

(٣١٣١ - ٣١٣٤) : يتعرض مولانا جلال الدين لحديث آخر يحتج به الجبريون لأنهم يفهمونه على غير معناه والحديث هو " جف القلم بما هو كائن إلى يوم القيامة " ، ويحتج الجبريون بهذا الحديث بأن كل ما يجري على البشر قدر منذ الأزل وبالتالي فلا فائدة من العبادة أو الدعاء لأن الله سبحانه وتعالى لن يغير شيئا ما دامت الأقلام قد جفت والصحف قد طويت . هل يعقل أن يقول لعبده : يا عبدى لا تدعنى لقد جف القلم ولن يجديك هذا الدعاء نفعا !!؟ . وهناك حديث آخر في هذا المعنى " فرغ ربكم من أمر العباد فريق في الجنة وفريق في السعير " (انقروى ٦٧٧/٥) . قال أحد الصحابة : أولا نعمل يا رسول الله : قال ﷺ اعملوا فكل ميسر لما خلق له ، ويقدم مولانا تفسيرا آخر لحديث " جف القلم " ، فجف القلم تحريض على العمل لا على الكسل ، وعلى " الشغل الأهم " ، أي على العبادة لأن القلم جف وفرغ من أمر جعل الجزاء من جنس الفعل ، ولا تبديل لسنة الله ولا تغير لها ، إنك مرتبط بأفعالك ، ﴿ ومن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره ﴾ إذا ظلمت فأنت مدبر ، وإن رحمت تُرحم ، وإن سرقت تقطع ، وإن سكرت تثمل ، بهذا جف القلم ، جف القلم وكتب أن الله سبحانه وتعالى عدل وحق يجزى بالحسن حسنا وبالسوء سوء ، وليس بفعلك لأن الله سبحانه وتعالى يحو ما يشاء ويثبت ويغير ويبدل " والدعاء يمنع القضاء " ، وإلا فهل من المعقول أن يقدر الله أفعال عباده ثم ينعزل عنها انعزالا كلياً ، ويتركهم هملاً ضياعاً ، جاهدوا أو لم يجاهدوا أطاعوا أو لم يطيعوا ، أخلصوا له أو لم يخلصوا له وخانوه ، وهل يعقل هذا حتى على ملك من ملوك الأرض ، هل هناك ملك من ملوك الأرض لا يفرق أمام عرشه بين الوفي والخائن وبين من يخافه ومن يسخر منه ؟! اعملوا فكل ميسر لما خلق له ، إن ميزان الله سبحانه وتعالى لا يضيع شيئا مهما كان ضئيلا ، فلو زدت مثقال ذرة في عبادتك ظهرت في هذا الميزان ، إنه هو السميع البصير ، لا يسمع لواش أو نمام ، بل إن الوشاة والنمامين (الشياطين) عندما ييأسون ويحبطون أمام بلاطه يعودون إلينا ويوسوسون لنا قائلين : ما جدوى العمل ؟! لقد جف القلم وكتب من كتب سعيدا وكتب من كتب شقيا والسعيد

سعيد في بطن أمه والشقى شقى في بطن أمه ، إن هذا دس للمليك وحديث بالسوء عنه ، لا بل الوفاء جزاء على الوفاء ، والجفاء جزاء على الجفاء بهذا جف القلم .

(٣١٣٥ - ٣١٥٩) : وهناك أيضاً العفو الإلهي ، وهناك الرجاء في هذا العفو وعدم القنوط منه فلا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون ، وأجمل من هذا الرجاء رجاء المتقى الذي ابيض وجهه من التقوى ، ذلك أن وجه العاصي المعفو عنه لا تصل بحال من الأحوال إلى درجة المتقى أصلاً ، تماماً كما يعفو الملك عن اللص لكنه لا يصير وزيراً أو خازناً ، وأنت أيها الإنسان المؤمن أمين في الأرض على هذا الدين فكن أميناً على أسرار الحق فإنك أصبحت صاحب تاج ولواء (ابن الخليفة) من قبلك لهذه الأمانة ، ولا تغتر بهذا ، فإنك إن خنت هذه الأمانة سوف تكون جديراً بقطع رأسك ، في حين انه قد يهب " غلاماً هندياً " ، عناية الربانية وينيله المعرفة " الدولة السرمدية " (انظر حديقة سنائي ، البيت ٧١٨ : لتركي جلف حدث رقيق قلب مئات الآلاف من الأعلام) ، ليس هذا فحسب ، بل القلب نفسه ببركة إخلاصه يصاحب الرجال ، فانظر أي إنعام نزل على الكلب ، فما بالك إذا كان هذا الكلب أسداً " رجلاً من رجال الله ؟!"

(٣١٦٠ - ٣١٦٤) : إن إنعامه لا نهاية له ، بشرط أن تتوب وتعود ، فإن الانغماس في الذنب يخلق باب الرحمة ، حتى هذا اللص قاطع الطريق ينبغي عليه ألا يقنط من رحمة الله ، وانظر إلى قصة الفضيل بن عياض (١٠٥ - ١٨٧ هـ) كان قبل توبته قاطع طريق ، وذات يوم كان مع عصيته يقطع الطريق على قافلة فسمع قارئاً للقرآن يقرأ ﴿ ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله ﴾ فتألم وصار فقيهاً محدثاً ثم عارفاً من كبار العارفين ، وقامر بطهر : أي ضحى بنفسه في سبيل الله ، وتضحيته بنفسه إسراعة إلى التوبة بقوة عشرة رجال ، ثم هل يمكن أن يكون هناك عاص أكثر عصياناً من سحرة فرعون ، أولئك الذين قالوا " بعزة فرعون " ، وقعدوا في طريق التوبة ، ثم عندما تاب الله عليهم ، اعترفوا بنوبة موسى عليه السلام وبألوهية رب العالمين ، وضحوا في سبيل هذا بأيديهم وأقدامهم (انظر البيت ٣١٠٩ من الكتاب الذي بين أيدينا وشروحه) ، فكانت جذبة تساوى عمل الثقلين ، فهل رأيت طاعة خمسين عاماً نالت مثل هذا الصدق ؟!

(٣١٦٥) : الحكاية التي تبدأ بهذا البيت وردت قبل المثنوى في منطق الطير للعطار حيث جرى الحديث عن مجنون أو واحد من عقلاء المجانين رأى غلمان أمير المدينة في زينتهم

فرفع رأسه إلى السماء داعياً : " تعلم إكرام العبيد من العميد " ، وفي الحكاية التى بين أيدينا المقصود بعميد خراسان فيما يبدو هو محمد بن منصور النسوى حاكم هرات ومن رجال العصر السلجوقى في القرن السادس ، وتوفى سنة ٥٩٤ هـ ، (عن مأخذ ، ص ١٨٣) .

(٣١٦٩ - ٣١٧٣) : كان الرجل معوزاً عارياً جائعاً فأبدى بعض الجراء على الله تعالى ، والانبساط في مصطلح الصوفية الحديث دون رعاية للأداب ، ويجد له مولانا العذر ليس في جوعه أو عوزه أو عريه ، بل لأنه كان غائباً عن نفسه فلم تسيطر عليها ، كما أنه أيضاً كان نديماً لله سبحانه وتعالى فتجراً عليه كما يتجراً النديم على الملك ، فإن جاز له هذا فلا يجوز لك ، إن النديم يتوقع على الملك لأنه " يعرفه " ، أما أنت وأنت لم تعرفه بعد فلا يجوز لك هذا ، وإن كنت لا تعرف فلك أن تعرف أن عطايا الله سبحانه وتعالى تفوق كل العطايا حتى لو وهبك أحدهم تاجاً ، أكان هذا التاج يكون ذا نفع دون أن تكون هناك الرأس وهى هبة من الله تعالى .

(٣١٧٤ - ٣١٧٩) : هذا الجزء من الحكاية إضافة عليها لم ترد في الحكاية الأصلية ، كان مولانا يريد أن يرد على الدرويش فآثر أن يرد عليه في صورة الحكاية أيضاً : لقد تعرض الغلمان للتعذيب ولم يفش أحدهم سر العميد بعد أن مزق أرباً ، ويرى استعلامى (٣٦٥/٥) ، في تفسير البيت ٣١٧٩ أن الهاتف كان للعميد الذي يعذب غلمانه وأن البيت يقصد : أن عبيدك هكذا عبيد طيبون لأنك كنت سيذا طيباً ، ولا أدري من أين جاء بهذا التفسير لأن السياق يحتم أن يكون الهاتف للدرويش ، تعال وتعلم العبودية ، لقد كان العميد يغدق على الغلمان لأنه كان يعلم أنهم أوفياء حفظة لأسرارهم .

(٣١٨٠ - ٣١٨٦) : يترك مولانا قصة عميد خراسان ويقوم بإرشاد المريدين : ومزقت جلود أمثال يوسف أي تصرفت بجفاء مع الطيبين وأسأت إلى المحسنين (مر نفس التعبير في الكتاب الرابع ، الأبيات ٣٦٦٢) وفكرة أن الأحزان تحقيق بالإنسان من فعله ، مرت في الكتاب الثالث ، ببيان أكثر روعة (انظر الأبيات ٣٤٨ - ٣٥٩ وشروحها) ﴿ وجزاء سيئة سيئة مثلها ﴾ (الشورى / ٤٠) . إن رجال الحق موجودون في كل عصر ، وإن سليمان هذا لمائل أمام الجميع ، (الكتاب الثانى ٣٧٨٢) ، فدعك من الأفعال الشيطانية وإلا قطعتك سيوفهم ، وكل من ترك صفاته الشيطانية لا خوف عنده من رجال الحق ، ذلك أن الشياطين فحسب هم الذين

يخشونهم ، وحين يصل المرء إلى مرتبة الملائكة يكون عيشه فوق الأفلاك ، يكون آمنا من الكدح على الأرض ، لقد جاوز مرحلة الكدح ووصل إلى مرتبة الملائكة .

(٣١٨٧ - ٣١٩٤) : يعود مولانا هنا إلى مناقشة المجوسى الجبرى الذى بدأت القضية به ويخاطبه قائلا : دعك من هذا الجبر فهو جبر العوام ينفى عنهم مسئوليته كل خير وكل شر ، وأدخل في جبر الخواص الذى فنى وجودهم الفردى في الحق فصار فعلهم هو فعل الحق ، ودعك من جبر الكسالى ، حتى يأتيك ذلك الجبر الذى يهيك روحا جديدة ، جبر الخواص والفائين في الله ، ودعك من عشقك لنفسك وكن عاشقا للحقيقة واقلع عن تخيل أنك طيب وخير وفائق على الآخرين ، انصرف قليلا عن أنيتك ، ولا يكن طوافك كله حول نفسك ، دعك من عبادة ذاتك ، فإن أولئك الذين يطوفون دائما حول ذواتهم لا شئ عندهم يقولونه ، فأى عالم هذا الذي يتحدثون عنه ، إنسان محدود بنفسه ، ماذا لديه لكى يقال ، إنه صامت كالليل حتى وإن تكلم ، إن عمرك كله قد ضاع هدرًا ، والناس تحرك رؤوسها إعجابًا ، وإن قال لك أحدهم أقلع عن هذا ، إن هؤلاء الذين يتجمعون حولك يظنونك ماء عذبا لأنهم لم يذوقوا الماء العذب ، تقول له : كفاك حسدا ، أي حسد ؟! هل يحسد الإنسان الغناء والهباء والغثاء والتفاهة ؟! إن تعليم هؤلاء مثل الرسم على المدر " الطوب " ، أما النقش على الحجر ، والذي يظل دائما فهو " العشق " و " النظر " ، لكى تصير أستاذا وشيخا وتجد لك مريدين علم نفسك العشق وعلم نفسك النظر أي الإدراك الباطنى للشيوخ الكاملين .

(٣١٩٥ - ٣١٩٩) : ونفسك تلميذ وفي ، كما تعلمها تتعلم ، وكما تدربها تكون وما سواها من التلاميذ غير موجود ما دامت هى لم تتعلم ، وهؤلاء الأدياء الأخساء لا يتعلمون منك شيئا ، وطالما تدعوهم فاضلين وعلماء ، فإنك تدل على أنك خلاء وخواء ، أنت فارغ وهم فارغون فمن أين يأتيك العشق ومن أين يأتيك النظر ، لكن إذا كان قلبك متصلا ببحر العلم اللدنى والعلم المطلق الإلهى ، فمن حقا آنذاك أن تتحدث لأنك " تغرف من البحر الذي لا ينتهى " ، والذي يأتى إلى قلبك منه المدد باستمرار ، إنما يخشى من يأخذ من الجداول جفاف هذه الجداول ، وأمر " قل " ، إشارة إلى المواضع الموجودة في القرآن التى أمر الله سبحانه وتعالى نبيه ﷺ بالقول ، والآيات التى تبدأ بـ " قل " ، أما الأمر بـ " أنصتوا " ، فهو لأولئك الذين لم يبلغوا درجة من العلم ومع ذلك يتحدثون ويفيضون فسرعان ما تجف بسايتهم بعد إنفاق ما بها من ماء ، لكن المتصل بالبحر لا يجف علمه ولا ينفد .

(٣٢٠٩ - ٣٢٠٠) : ويا أيها المتحدث وأنت معتمد على هذا العلم الدنيوى ، دعك من هذا الكلام فلا طائل من ورائه ولا نتيجة منه ، وانظر إلى عاقبتك هنا ، وغيرتى لا تسمح لى بأن أرى الأخساء الذين جمعهم حولك يستمعون إليك وهم يسخرون منك ، إنهم ليسوا بعشاق ، الذين جمعهم هذا الخطيب الدنيوى يستمعون إليه ، إنهم سخرية حقيقية من العشاق ، العشاق الحقيقيون مختفون " خلف حجاب الكرم " لا يتشددون ولا يتظاهرون ، لكن وجدهم وصياح وجدهم تصل إليك أنت، والعشق الحقيقى يكون لعشاق الغيب هؤلاء ، أما عشاق الدنيا فإن عشقهم يدوم عدة أيام لا أكثر ، إنهم يستغلونك أيها الشيخ و " يأكلون " منك ، دون أن تتال منهم متقال ذرة من فائدة ، وما قيامك بهذا المحفل في الطريق العام من أجل هؤلاء العوام ، كيف تبسط لهم بساط الإرشاد في الطريق العام ، لقد أهلكت نفسك دون أن تصل إلى هدفك من إرشادهم ، وعندما تسقط مريضاً فلن يقف أحدهم إلى جوارك، ففي الحزن والألم لا مواسى إلا الله سبحانه وتعالى ، فهو الذي يكشف السوء ، ويأخذ باليد ، ويغيث المستغيث ، فتذكر أيام مرضك عندما ينفذ هؤلاء المريدون العوام من حولك ، كن مثل إياز اعتبر أن أيام المرض هي السترة الجلدية ، وتذكرها مثلما كان إياز يقبض على سترته الجلدية بكلتا يديه.

(٣٢١٠ - ٣٢١٨) : عودة إلى مناقشة المجوسى الجبرى ، لقد رد المجوسى الجبرى ، بأجوبة لم يوردها مولانا واكتفى بقوله أنه حيرت "الرجل المنطيق" أى المشتغل بالمنطق ولعله يقصد أبا عمرو بن العلاء (انظر شرح ٢٩١٢) ثم يعود مولانا فيقول أن هدفه كله ليس القضية فى حد ذاتها ومن ثم فهو لا يطيل فيها ، وهناك أقوال عنده أهم من هذا المقال ومن قبل فى الكتاب الثالث (الأبيات ١٣٦١-١٣٧٥) عند التوفيق بين حديثى الرضا بالكفر كفر ومن لم يرض بقضائى فليطلب ربا سواى، ذكر مولانا صراحة أنه لو واصل المناقشة جدلاً ، فإن نقاط العشق سوف تمضى لذتها عنده ، وسوف ينقلب "دوره" إلى دور آخر أى سينقلب من مرشد صوفى عاشق إلى متكلم يجادل ، ثم إن مولانا يبين سعة أفق ، وموضوعية أنه إن

ذكر أدلة كلها فعليه أن يذكر أدلة الآخر كلها ، ومن ثم فمن الأفضل أن يترك الموضوع برمته ، لأن الخلاف - فى هذه القضية وفى غيرها - قائم إلى يوم القيامة ، والله سبحانه وتعالى يمد كل فريق بأدلته ، وذلك حتى لا ينتصر أحد ، والنقاش فى حد ذاته لن يؤدى إلى نتيجة ما دام الحل كما رأى مولانا كامناً فى العشق ، والعشق ليس بالنقاش وليس بالجدل بل هو ذوق وموهبة وعطية .

(٣٢١٩ - ٣٢٢١) : إن وجود الاثنتين وسبعين فرقة أمر ضرورى "إشارة بالطبع إلى الحديث الشهير : افتقرت اليهود على إحدى وسبعين فرقة وافتقرت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة وتفترق أمتى على ثلاث وسبعين فرقة الناجية منها واحدة" لكن الإمام الغزالى فى فصل التفرقة بين الإسلام والزندقة نقل الحديث بصورة توحى بأن الفرق كلها ناجية إلا واحدة هى فرقة الزنادقة ويتفق هذا التفسير مع منطق مولانا فتبعه (سرنى ، جلد ١ ، ص ٤١٤) فلا يمكن أن يكون وجود الفرق الهالكة ضرورة من الضرورات ، إن هذه المذاهب والفرق هى ظلال النور ، لأن هذه الأرض هى أرض الظلال ، وأرض المذهب الواحد واللون الواحد أرض أخرى ، الاختلاف إذن هو طبيعة هذه الأرض ، وينبغى أن تكون قابلاً له ، الله نفسه يقبله ، أليس هو الذى يهب - حتى المبتدع - هذه القدرة على النقاش؟ إذن فكيف يميز المؤمن ، إن لم يكن ثم مبتدع (ديدن مولانا جلال الدين إن المتضادات لازمة ، انظر الكتاب الذى بين أيدينا الأبيات ٥٧٥-٥٨١ وشروحها) .

(٣٢٢٢ - ٣٢٢٩) : وحتى إن كان للمحقق التعب والمشقة من كل هذه الفرق التى عليه أن يتغلب عليها حتى يحصل على الحقيقة فما الضرر فى هذا؟ إن عزة أى طريق فى وجود المشقة والتعب منه، حينذاك يكون اجتيازه نجاحاً حقيقياً ، ما قيمة أن تفتح مخزناً واهى الأبواب؟ وما قيمة هدف يكون طريقه سهلاً ميسراً لا عقبات فيه ولا وعورة ولا قطاع الطريق؟ وهل تكون زيارة الكعبة عزيزة إلا بقطع البوادي والتعرض لهجمات الأعراب؟

وبقدر ما تعاني من ألم الغربة تكون العودة إلى الوطن عذبة لذيدة ، أنظر إلى هذه الفرق والمذاهب من هذا المنطلق ، كل سلوك في طريق محمود يستلزم العقبات ، والمقلد هو الذي يحار بين الطرق ، عندما يرى أن ﴿ كل حزب بما لديهم فرحون ﴾ (المؤمنون ٥٣) ولأن الجواب الذي يقطع الجدل غير موجود ، فهو مستمر إلى يوم القيامة ويتدارك مولانا : لا إن عظماءنا يعلمون هذا الجواب المفحم ، وإن كان هذا الجواب المفحم مخفياً عنا فهو ليس مخفياً عنهم والواجب علينا إتباعهم وأخذ هذا الجواب عنهم .

(٣٢٣٩ - ٣٢٣٠) : إن العشق هو الذي ينهي هذه الوسوسة وهذا الجدل والعناد ، ولا يستطيع شخص ما مهما أوتي من عقل أن ينتصر على هذا الوسواس الخناس ، فصر عاشقاً ، وابحث عن الحقيقة ، فلا جمال هناك سوى جمال الحقيقة ، وابحث عن طيور الماء "الأرواح التي تستطيع السباحة في بحار الغيب وتدرّك هذه الأسرار" (وعن طيور الماء وطيور المنزل انظر الكتاب الثاني ٣٧٨١-٣٧٩١) ، ابحث عن الرجال الذين وجدوا حتى تجد ، إن هذه الوسوسات تريق ماء وجهك ، وتسلب فهمك ، وهناك فرق بين معقولات أهل الدرس والكتاب والمدرسة ومعقولات أخرى يهبها لك العشق ، وهناك غير عقلك هذا الذي يدبر أمور معاشك عقول أخرى عند أهل الحق تدبر لك معادك وتدبر أمور السموات ، وماذا إن وجدت أن عقلك الجزئي هذا لم يسع عشق الرحمن ولم يتحمّله فانفرط بديداً ، إن عقل العشق وعقل الإيمان الذي يهبه الحق لك هو أضعاف أضعاف هذا العقل الذي خسرت ، وقارن ولا تكن أقل من نسوة مصر اللاتي قامرن بعقولهن عندما رأين جمال يوسف ، وسلب العشق عقولهم لحظة واحدة فملن هذه العقول إلى الأبد ، وإذا كان جمال ذي الجلال أصل لمائة جمال من أمثال يوسف "كل الجمال الموجود في الأرض جزء من عشرة أجزاء من الجمال والتسعة الباقية لله سبحانه وتعالى" ، فهل تكون أنت يا رجل الطريق أقل من امرأة ، ولا تقامر بعقلك في سبيل هذا الجمال ؟

(٣٢٤٠ - ٣٢٥٠) : فالعشق إذن هو الذي يقضي على هذا الجدل بين الجبر والاختيار ، وهو الذي يغيثنا من القيل والقال ، وما يدركه العاشق لا يمكن التعبير عنه ولا يستوعبه المقال ، قلتها كثيراً ولن أمل من تكرارها ، إن العشق يفقد المرء النطق ، يصيبه بالحيرة (انظر الكتاب الثالث ١١١٥-١١١٦ وشروحها) إنه يخشى أن يفتح فاه مثلاً تسقط جوهرة الإدراك من يواطنهم ويستشهد مولانا بما رواه أسامة بن شريك عن أن صحابة رسول الله

ﷺ كانوا يجلسون في مجلسه "وكان على رؤوسهم الطير" عن أسامة بن شريك قال : أتيت النبي ﷺ وإذا أصحابه كأنما على رؤوسهم الطير . مسند أحمد ج ٤ ، ص ٢٧٨ عن أحاديث مثوى (انظر أحاديث مثوى ص ١٧٨) وما هذا كله إلا خوفاً من فوات العطاء ، وأنت أيضاً إذا جلست في محضر الرجال العظماء فاجلس بحضور ووقار ولتكن كل سمعا وإصغاء وانتباهاً ، فالطائر المذكور في الرواية هو طائر المجد الميمون ، إذا وقع ظله على شحاذ قلبه ملكاً ، وهل تفعل الإفاضات الإلهية من أفواه الكاملين غير هذا الفعل؟ إن هذا الطائر الذي يسلبك أنت هو "الحيرة" من هذا الذي يكشف لك ولم تكن تظن أنك جدير به ، تكون صامتاً لكنه يغليك (كحبة الحمص في الكتاب الثالث انظر الأبيات ٤١٦٢-٤١٦٩) ليحولك من حالة الإنسانية إلى حالة الملائكية، ومن جسد إلى روح، مثلما تتضج حبة الحمص لتتحول من حالة النباتية إلى دم وفكر وروح في بدن الإنسان .

(٣٢٥١ - ٣٢٦٣) : عودة إلى قصة اياز التي بدأها مولانا في البيت ١٨٥٧ وأشار إليها في البيت ٣٢٠٨ وفي العنوان تعنى كلمة عامداً أن السلطان كان يعلم الجواب لكنه كان يريد أن يسمعه من اياز ، واياز هنا هو العبد الصالح الذي يدرك حقارته أمام الخالق . كيف تجعل يا اياز شيئاً دنيوياً هو في الحقيقة مانع في الطريق قبله لك كما جعل المجنون من شيء دنيوى هو وجه ليلي دينا له ومذهباً ، وكيف تتحدث بالجديد "الكلام" عن هيامك مع شيئين قديمين هما الحذاء والسترة ؟ وكيف يكون عشقك هكذا للجماد مثلما كان الشاعر العربي القديم يتحدث إلى الأطلال والربع والدمن بعشقه (قدم مولانا جواباً على هذا السؤال بالذات في الكتاب الثالث الأبيات : ١٣٤٥-١٣٥٥ وشروحها) ولب القضية هنا أنه لا حديث بدون قديم بل ينبغي أن يقوم الحديث على القديم ، تراك يا اياز تعتبر حذاءك بديلاً عن ربع آصف "وزير سليمان الذي عنده علم من الكتاب" أو ترى سترتك الجلدية هي قميص يوسف الذي ألقى على وجه يعقوب فارتد بصيراً "والذي هو عند الصوفية رمز لبشارة الافاضات الإلهية"؟ أو تراك تقوم بالاعتراف الكنسي كما يقوم النصارى أمام القسيس بالاعتراف بذنوبهم ويؤمنون أشد الإيمان أن القسيس يغفر لهم هذه الذنوب وإن غفران القسيس من غفران الله ، في حين أن القسيس غافل هو الآخر عن الظلم وعن العدل ، لكنه الاعتقاد قد ينصب على إنسان وقد ينصب على جماد ، وينسج الحب والوهم صوراً جميلة كجمال يوسف ، لأن سحر الحب وسحر الوهم أشد سحراً من سحر هاروت وماروت (انظر الكتاب الثالث ٨٠٠-٨٠٩ وشروحها) ، إن هذا

السحر يخلق صورة على ذكراه ، وهذا الاتجذاب إلى الصورة يجعلك تظنها كائناً حياً فتعاملها كما لو كانت كائناً حياً بالفعل ، فى حين أنه لا صورة هناك ولا تمثال ومع ذلك فبينك وبينها مائة سؤال وجواب ، تخاطبها قائلاً : ألسنت محبوباً لك وتتخيل أنها تجيب عليك قائلة لك : بلى ، وكل هذا من الوهم ومن الخيال الذى صور لك وجوداً ليس موجوداً بالفعل .

(٣٢٦٤ - ٣٢٧٤) : إن أولئك الذين يبحثون عن الله سبحانه وتعالى فى آثار خلقه فى هذا العالم أشبه بتلك الأم الثكلى التى تبكى وليدها الذى مات ، وتجلس إلى قبره وتحديثه كأنه حى فى حين أنه مجرد تراب ، إن خياله أمامها جسد لها هذا الوهم ، إنها تعتبر القبر ذا عين وأذن ، لكن عشقها لهذا الوليد هو الذى صور لها هذا الوهم ، وقد تكون أكثر حبا لهذا القبر (الوهم) من حبها لوليدها عندما كان حياً (الحقيقة) لكن عشق الميت لا يستمر ، ومن ثم أوصى دائماً بأن تعشق الحى الذى لا يموت ، ومن هنا فلا تمر بضعة أيام حتى يهدمها البكاء أمام قبر ذلك الطفل المحبوب فتنام ، وهل ينال المحب فى حضرة محبوبه؟ لا ، العشق الذى كان موجوداً مضى إلى حال سبيله ، "أخذ تعويذته ومضى" ، وعندما تنطفئ النيران لا يبقى إلا التراب .

(٣٢٧٥ - ٣٢٨٥) : والشيخ هو الذى يدرك هذا للوهلة الأولى ، كأنه يراه فى المرأة ، حتى وإن كان ينظر فى قطعة من اللبن ، إنه يستطيع أن يفرق بين العشق وعاقبته وبين الوهم الذى يبدو عشقاً ، والمثال مأخوذ من سنائى (انظر تفسيرات أخرى على شرح الأبيات ٢١٩٣-٢٢٠٩ من الكتاب الثالث وشرح البيت ٣٣٧٤ من نفس الكتاب والبيت ١٦٨ من الكتاب الثانى) وعن نفس هذه الفكرة عبر القشيري عن الصوفية "مذاهبهم أقوى من قواعد كل مذهب فالذى للناس غيب فهو لهم ظهور ، والذى للخلق من المعارف مقصود فلهم من الحق سبحانه موجود ، فهم من أهل الوصال والناس من أهل الاستدلال (عن شروح كفاى الكتاب الثانى ص ٤٠٤) إننى أقصد بالشيخ الذى يأخذ بيدك هو عشقك أنت لا الشيخ صاحب اللحية البيضاء فجنّاح العشق يعبر بك الأفلاك مهما كنت قانطاً ، إن الصور تتخلق وينشط الخيال ويسيطر الوهم عندما يكون فراق ، لكن شتان ما بين ما تدركه عند اللقاء وبين هذا الوهم والخيال الذى كان مسيطراً عليك ، عامل نفسه آنذاك قائلاً لك : أنا الأصل فى الصحو السكر الذى ينعكس على تلك الصور (انظر الكتاب الثالث ٣٢٥٢) إن الذى انعكس على تلك الصور فجعلها تجلت لك بهذا الشكل هو حسننا ، وعند اللقاء رفعت الحجب ، وهذا هو الحسن بلا واسطة

(انظر الكتاب الذى بين أيدينا عن جرعة الحسن الصافية دون تراب الأبيات ٣٧٢-٣٧٩) وأنت من كثرة ما امتزجت بالصور (أثار وجود الحق) وفكرت فيها وتمعنّت وتحيرت واندهشت وسبحت وكبرت وحمدت صرت جديراً بإدراك الذات مجردة من الصور ، فأجذبك برش لطفى وأنت لا ترى هذا الجذب لكنك لا تلبث أن تحس بآثاره ، فينبثق منك ماء المعرفة كما ينبثق النبع من الصخرة ويتوارى وجودك خلف هذا الماء كما يتوارى وجود الصخرة خلف الماء فلا تبقى صفاتها الصخرية ، واعلم أن الوجود الظاهري للكائنات هي مجرد أوعية قيمتها بما فيها من معان ومدركات أودعها الحق إياها .

(٣٢٨٦ - ٣٣١١) : الحكاية الواردة هنا من الحكايات الشهيرة في الأدب الفارسي قصتها سعدى في الكلستان وضمنها أبياتاً عربية من شعر المجنون (كلستان سعدى بتحقيق فروغي ص ١٦٩ ، تهران ب.د. وانظر إحدى ترجماته العربية "جبرائيل بن يوسف المخلع أو محمد موسى هندأوى أو الترجمة الأخيرة لأمين عبد المجيد بدوى) وأشار إليها مولانا فى بيتين من الكتاب الأول (٤٠٧-٤٠٨) وهى موجودة فى هوامش الديوان المنسوب لمجنون بنى عامر ، ويجب المجنون هنا بما يؤيد الفكرة الموجودة فى البيت ٣٢٨٥ ، وهو أنه ليس المهم الوعاء (الصورة) لكن المهم هو ما يناله الإنسان من الوعاء (المعنى) وأن المعانى ليست متاحة لكل إنسان ، بل ينبغى أن يكون جديراً بها ، فالعشق أيضاً ليس جديراً بكل إنسان ويتراوح عطاء الأوعية بقدر تراوح واختلاف استحقاق الناس فيها فقد يكون "سما" (لذة دنيوية) لإنسان وعسلاً "معرفة لعالم الغيب" لإنسان آخر والصورة مأخوذة من سنائى البيت ٤٦١ من الحديقة وقاصرات الطرف أى حور الجنان موجودات فى الخيام "الأوعية" ولا يكون تجليهم إلا لمن وعدهم الله سبحانه وتعالى ، وكل شىء فى هذه الحياة نسبى وقائم على النسبة وإليك هذه الأدلة ، يوسف ^{عليه السلام} بالنسبة لأبيه وبالنسبة لأخوته وبالنسبة لزليخا (امرأة العزيز) بل أن هناك فرقاً بين حب يعقوب وحب زليخا ، انظر إلى الوعاء واحد ، ونصيب كل إنسان فيه مختلف بحسب درجة واستحقاقه وطبيعته ، الإناء واحد والخمور مختلفة ، الإناء ظاهر ، والخمور مستترة ، وفى الأبيات العربية معانى تكررت فى أبيات فارسية سابقة والمقصود بها أن وجودك أيها الإله موجود فى داخلنا وإن كان مستتراً ونحن دليل على هذا الوجود .

(٣٣١٢ - ٣٣٢٤) : لا يزال مولانا فى مناجاته : إن الله سبحانه وتعالى كالريح غير ظاهرة لكن آثاره ظاهرة فى البساتين ، وكالروح غير ظاهرة فى الجسد لكنها هى التى تحرك قوى

الجسد كله وكالسرور، لا يبدو لكنه يظهر في الضحك وتهلل الوجه ، وكالماء الذى يسير حجر الطاحون دون أن يكون ظاهراً ، ويتوقف مولانا طالما قال أن آفة الحال هو المقال ، فما هذا الذى يقوله ، وما هذه الأمثلة التى يقدمها ، كيف يصف ما هو خارج الأوهام بهذه الصفات ، وكيف يتحدث عنه بهذه السطحية؟ ما أشبهه بذلك الراعى الجاهل الذى كان يناجى ربه بقوله : إني راعيك ومحبك فتعال أخلى قميصك من القمل واخصف نعلك وأرعى حمارك؟ (القصة برمتها واردة فى الكتاب الثانى ابتداء من البيت ١٧٢٤) لكنه العشق أثر فى قلبه فانطلق وهو الراعى الجاهل الغبى بهذا الحديث ، كان محباً ولم يكن خطيباً مفوهاً ، وأنت لا يتجاوز منك كل هذا الحديث الأذن .

(٣٣٢٥) : حكاية أخرى من حكايات الهزل عن مولانا، ومن حوالى ٨٠٠ بيت سبقت ، والإفاضات العميقة تتساب من مولانا ولا بد أن تحضر لطيفة فيقولها دون أن تكون خارجة عن السياق ، للتخفيف عن سامعه ، ولجحا فى الأدب الفارسى شأن ورويت عنه حكايات عديدة فى الحديقة (انظر حديقة الحقيقة الأبيات ٥٧٠٨-٥٧١٤ وشروحها) كما روى عنه مولانا حكاية فى الكتاب الثانى (انظر ٣١٢٨ وشروحه) . والقصة هنا لم ترد فى مصدر قبل المثنوى ، وربما كانت من التراث الشعبى وسقطت إلى عبيد الزاكاني شاعر القرن الثامن فى لطائفه ربما نقلا عن مولانا .

(٣٣٣٧ - ٣٣٣٩) : ينتقل مولانا من الفكاهة التى ألقاها ليتحدث عن تأثير الدعوة الإلهية عندما تجد لها مكاناً فى سويداء القلب وتؤثر فيه ويتجاوز تأثيرها الأذن ، والدليل سحرة فرعون الذين أدركوا أن موسى عليه السلام على حق وكانوا يعلمون أنهم لن ينتصروا عليه . وفى البيت ٣٣٣٨ إشارة إلى تهديد فرعون بتقطيع أيدى السحرة وأرجلهم (انظر الأعراف الآيات ١٠٥-١٢٠ وانظر الكتاب الثالث من البيت ١٧٢٣ فما يليه) وفى البيت ٣٣٣٩ إشارة إلى الآية الكريمة ﴿ لا ضير إنا إلى ربنا منقلبون ﴾ (الشعراء . ٥) .

(٣٣٤١) : ذات الإنسان هنا هى الروح التى تربطه بعالم المعنى وهى فى اتصالها بالوجود المطلق تعيش فى قصر موجود فى الأمن السرمدى ذلك أن من عرف نفسه فقد عرف ربه ومن عرف ربه كان فى حمى وأمن من هذه المعرفة ، والجسد هو بمثابة الشيء التافه الذى يرضى الأطفال ، لأن الطفل لا هم له فى المعرفة أما الرجال فهمهم القلب ، ذلك القلب الخالى من الشكوك والريب والمطمئن إلى معرفة الله سبحانه وتعالى ، وأنا أقصد بالرجل ذلك للرجل

فى الطريق صاحب القلب الفريد والروح التى تكون فى قوة الصقر ، ولست أقصد به صاحب اللحية ، وإلا فلا قيمة لهذه اللحية وهو مشترك فيها مع التيس ، والتيس الذى يغتر بلحيته ومظهره يقود القطيع إلى القصاب " شيخ المظهر لا القلب يقود مريديه إلى الذبح " ، انه يمشط لحيته " التيس وشيخ المظهر " ، ويتقدم إلى المذبح ، فهيا دعك من اللحية والمظهر ، وانظر إلى " سلوك " من اخترته شيخا ودعك من أنيتك وذاتك ، وأسلم نفسك له ، يكون لك من عبيره ما يجعلك مرشدا للعاشقين إلى رياض جنان الأبد ، أتدرى ما هذا العبير؟ إنه العقل والنهى. إن هذا العقل والنهى هو المرشد الطيب الذى يقودك إلى الفناء عن هذا العالم والبقاء ببقاء الحق فى ملك الأبد .

(٣٣٥١ - ٣٣٥٥) : عودة إلى قصة المملوك اياز التى بدأها مولانا فى البيت ١٨٥٨ ويعود إليها بين الآن والآخر ، وها هو السلطان يطلب مرة ثانية من اياز أن يبين سر الحذاء والسترة ، كى يكون فى ذلك موعظة للمماليك الآخرين الذين هم فى حوزة محمود ، ذلك أن الدين النصحية (حديث نبوى) ، إننى أعلم أنك يا اياز بتحقيقك العبودية " الوفاء للسيد والاعتراف بأيديه " قد علمت ذاتك وهو ما يتحسر عليه الأحرار ، إن العبودية أمام السلطان " الأكبر " هى عين النور ، إن إيمانك بالسلطان لا يتزلزل ، وهذا حسرة للكافرين من المؤمنين أن المؤمن فى وهاء الحياة وجبالها لا يتزلزل ولا يفقد عبوديته أمام الخالق الأكبر .

(٣٣٥٦) : الحكاية التى تبدأ بهذا البيت وردت فى تذكرة الأولياء لفريد الدين العطار (ص ١٧٦) : قيل لمجوسى " ادخل فى الإسلام فقال : إذا كان الإسلام هو ذلك الذى عند ابن اليزيد فلا طاقة لى به ولا أستطيعه ، وإذا كان هو ما تمارسونه فلا حاجة بى إليه قط ، " وعندما يقول باحث معاصر : " عندنا أزمة مسلمين لا أزمة إسلام " ، يكون ناظرا إلى قول هذا المجوسى الذكى ، إن الإسلام بخير دائما ، موعود بالحفظ إلى يوم الدين ، لكن أولئك الذين يعتقونه اسما لا فعلا ، وأولئك الذين يدعو أنهم يدافعون عنه ويريدون الموت من أجله يسيئون إليه من حيث لا يدرون ، ويشير مولانا من طرف خفى إلى قولة الإمام على الشهيرة : لا تبحث عن الحق بالرجال ولكن ابحث عن الحق تجد الرجال ، فإن قلت أن الإسلام هو ذلك الذى يتشدد به جميع المسلمين به ، فويلنا !! لقد صار اسما ولا معنى .

(٣٣٦٧) : الحكاية التى تبدأ بهذا المعنى وردت قبل المثنوى فى فرائد السلوك ووردت فى ربيع الأبرار بشكل مختصر ، ويدور الحديث فى فرائد السلوك عن مؤذنين فى " تغليس " ،

(هي عاصمة جورجيا الآن) ، أحدهما كان أهل تفليس يسرون من أذانه ومن صوته والثاني كان قبيح الصوت بحيث أهدوه الهدايا حتى يغادر تفليس ولا يؤذى المسلمين بصوته (مأخذ ١٨٥-١٨٦) أما رواية ربيع الأبرار فهي : مر سكران بمؤذن ردئ الحنجرة فجلد به الأرض وجعل يدوس بطنه واجتمع عليه الناس ، فقال : ما بي من رداءة صوته ولكن شماته اليهود والنصارى بالمسلمين . (مأخذ / ١٨٦) . ولسعدى في الباب الرابع من الكلستان حكايتان قريبتان من هذه الحكاية عن خطيب كرية الصوت ومؤذن سنجار المتطوع (ص ١٥٦ - ١٥٧ كليات) ، والحكاية في معظم نصوص المثنوى غامضة في البداية إذ كيف يؤذن المؤذن في ديار الكفر ، وهي تبدأ في نسخة جعفرى بإحدى عشر بيت غير موجودة في كل النصوص ، أن المؤذن كان قبيح الصوت بحيث كان يؤذى الناس بصوته ويفزع الأطفال من نومهم فجمعوا له الأموال ودعوه إلى رحلة الحج مع قافلة مسافرة ليتخلصوا منه ، ثم تدور الحكاية كما هي موجودة في بقية النصوص ، والمعنى هنا لا يخفى ، إن الإسلام طيب فلا بد أن يكون كل ما فيه طيبا ، ولا بد أن يعى الدعاة هذا الدرس وبخاصة أولئك الدعاة الذين لا يملكون قلبا يصلح للدعوة أو لسانا يصلح لها أو علما يصلح لها ، بحيث لا تجدى دعوتهم نفعا لأن الدعوة إلى الحق والدعوة إلى الخير لا بد أن تكون في إطار جدير بها ، ولأن الداعي ينافس وسائل إعلام تقدم الزيف والفساد في إطار شديد الجمال ، لا في فظاظه وسوء خلق وخلقة والعياذ بالله ، وبيان ناب لا يتورع عن الإتيان باللفظ الخبيث ويسمون ذلك ورعا وخشية !!

(٣٣٩١ - ٣٣٩٢) : هذا المثل وارد في شعر أوجد الدين الأنورى بشكل مفصل وربما قرأه مولانا في ديوان أنورى (استعلامى ٣٧٤/٥) . وربما كان أيضاً من الحكايات الرائجة في أفواه العوام .

(٣٣٩٤ - ٣٣٩٥) : إن مؤمنا حقيقيا يستطيع بسلوكه وليس ببيانه أن يهدى أمة إلى الإيمان، مثل الخيال (أو الهدف) الموجود في قلب السلطان أو في قلب عسكره يجعل هذا السلطان ويجعل هؤلاء الجنود يجعلون خصومهم بددا في القتال ، إن القلب هو الأساس ، والهدف هو الأساس ، وكان مولانا قريب عهد بما صنعه المغول في الأمة .

(٣٣٩٧ - ٣٤٠١) : لقد كان محمد بن عبد الله ﷺ فردا واحدا ، لكنه أفنى اليهود " وليته فعل " والمجوس ، ويعود مولانا وربما سأله أحدهم : لكن اليهود والمجوس موجودون ،

فيقول : لقد اهتز وجودهم ، فما قيمة البقاء على دين منسوخ ظهر فساد ، لقد آمن به من آمن ، لكن الذين بقوا على كفرهم بقوا عليه مهترين وليس لهم ثباتهم الأول ، وبقوا في خوف (كل ما تفعله إسرائيل مع العرب والمسلمين مصدره الخوف من أن تعود لهم قوتهم الأولى) ، ويعود مولانا قائلا : إنه ما أقوله على كل حال لا يستطيع أن يصور ما يدور في ذهني تصويرا كاملا ، إن ما أقوله ذرة من وجود ، لكن ما الذرة ؟! أهى ذلك الهباء الذي يتجسد في ضوء الشمس ، لا ليس هى ما أقصد ، أو تكون الذرة هى ذلك الذي لا يتفتت ولا ينقسم ، ولا هذه ، (تراه كان يقصد الذرة التى تفتت وصار العالم منها خرابا يبابا ، من يدري ؟!) وما هو المراد الخفى الذي لديه من ذكره للذرة ، إننى أريدك أن تفهم منى ما أقول ، ولا محيص من أن أتحدث إليك بهذا الأسلوب لأنك لم تدرك بحر الحقيقة بعد وأنت عليه مجرد زبد طاف ، وإن تركت هذا الوجود الذي يشبه الزبد ، فأنت البحر نفسه .

(٣٤٠٨ - ٣٤٠٢) : الكلام هنا للمجوسى الذي يتحدث بهذا الاعتقاد عن أبى اليزيد البسطامى ، إن مشرق إيمانه ليملأ حتى حضيض الأرض بالكنوز ، ومن هذا النفس الربانى تخضر الوهاد ، عجيب هذا الشيخ ، وعجيب روحه المنيرة في حين أن له مثلنا جسدا من تراب ووجودا ترايبا ، فمن يكون يا ترى منهما ، أهو هذه الروح ؟! إذن فما هذا الجسد ؟! أهو هذا الجسد ؟! إذن فما هى هذه الروح .

(٣٤٠٩) : الحكاية التى تبدأ بهذا البيت قال استعلامى انه لم يجد لها أصلا قبل مولانا (٣٧٤/٥) ، واذكر أننى قرأتها في عهد طفولتى في إحدى الطبقات الشعبية من " نوادر جحا " وأن الحكاية كانت بين جحا وزوجته ، وبالطبع لا يمكن تحديد مصادر هذه النوادر وهل هى موجودة قبل مولانا جلال الدين أو بعده. وبالطبع يرمز باللحم لروح أبى اليزيد والقط بجسده ، والإتيان بمثل هذه الحكاية اللطيفة داخل هذا البيان العميق المعقد يبين جانباً من جوانب روح مولانا جلال الدين وارشاده ومستويات المثوى المتعددة التى تتعدد بتعدد مستويات مرديده .

(٣٤٢٠ - ٣٤٣٩) : الحديث للمجوسى : إنه كلما تأمل في شخصية أبى اليزيد يزداد حيرة ، هذه الحيرة التى لا تتأتى منه حلها ، ولا تتأتى أيضاً من مخاطبه ، والبيت التالى لمولانا : إنه كلاهما معا : أي روح وجسد ، مثلما يكون فى الزرع الحب (الروح) والقش والتبن (الجسد) ولابد للحكمة الإلهية أن تجمع هذه الأضداد معا ، ووجود الجسد ضرورى لأنه مركب الروح وكلاهما لازم للآخر ، وبكليهما معا تصح أسباب الدنيا ، وبعد إدراك الحقائق ، وبعد أن

تقضى هذه الحياة الدنيا يمضى كل عنصر إلى أصله (لتفصيل هذه الفكرة انظر الكتاب الثالث، الأبيات ٤٤٢٤ - ٤٤٤٤ وشروحها) وانتبه عبد الباقي (5/5240) إلى أن هذا المعنى مأخوذة من قطعة لسنائي موجودة ص ٧٧٤ في الديوان . إن الروح والجسد هما السبب في وجودنا الأساسى فيه ، هذه العلاقة بينهما ذات الارتباط باحتياجات وتناقضات موجودة في داخلنا لكن في الوجود علاقات من نوع آخر لا شهدتها عين ولا سمعتها أذن ، لأنها ليست من قبيل الحسيات ، وبعد إدراك حقائق الغيب لا حاجة لنا بحواس هذا العالم ، ولما بقيت الآن أذننا ولا العين عينا ، تماما مثل الثلج والشمس ، أو المعرفة والوجود المادى ، فلو أطلت المعرفة على الوجود المادى لجعلته ماء (فيضا) ودواء لكل أشجار الحياة المتييسة، أما ذلك الوجود المادى المتمثل في الثلج فلا سير روحى له ولا سير معنوى ولا فائدة منه لأحد ، ولا علاقة له بأحد ، ولا مساس منه لأحد ، ولا يوجد منه إلا الشح فهو ليس مؤمنا (لان المؤمن يألف ويؤلف والمنافق لا يألف ويؤلف ولا خير في من لا يألف ولا يؤلف وخير الناس أنفعهم للناس) (أحاديث مثنوى ١٧٩) ، لكن خلقة الله لا تكون عبثا ، لقد يستفيق الكبد من هذا الثلج ، لكن لإنماء منه ولا إنبات ولا خضرة ولا نضرة ولا حياة ، ويعود مولانا مرة ثانية إلى رابط هذا الكتاب من كتب المثنوى : اياز أو العبد المعترف بعبوديته الشاكر لأنعم ربه ، يا اياز تحدثت عن أبى اليزيد لكن نجمك أيضاً في صعود وعلو وسمو، لأن إيمانك ووفاءك لا يمكن قياسه بإيمان العوام ووفائهم إن كل وفاء ليس جديرا تهبك وكل صفاء غير لائق بصفائك .

(٣٤٣٩) : الحكاية التى تبدأ بهذا البيت قال فروزانفر : أنها تشبه حكاية واردة في إحياء علوم الدين للغزالي ، بطلها أبى الحسين النورى الذى حطم دنان خمر كانت تحمل للمعتضد العباسى ، (مأخذ / ١٨٧) ، وبالطبع عدل مولانا في تفصيلاتها كعادته في كل القصص التى ينقلها عن المصادر لى يعبر من خلالها عن معان خاصة به ، والعنوان به بعض التناقض ، فإذا كانت الخمر حلالا في ذلك العهد الذى يصفه بأنه عهد عيسى فما وقوف الزاهد في الشارع للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وكسره لجرة الخمر التى يحملها الغلام من هذا المنطلق ؟! وهناك بالطبع من فقهاء الإسلام من قال بأن الخمر محرمة في الأديان الآخر على أساس أن تحريمها في الإسلام لأنها تذهب العقل وهذا شأنها في كل العصور (جعفرى : ٤٧٥-٤٧٦) ، ولا بد أن مولانا جلال الدين كان يقصد خمرا أخرى لى يصف الأمير معاصر الخمر بأنه " حلو الروح " ، وكهف المساكين و " المخمورين " ، ومشفق وسخى القلب

في حين أننا بتقدم الحكاية سوف ندرك من أخلاق هذا " الأمير " ، وتصرفاته ما يناقض كل هذه الصفات التي وصفه بها ، وسوف تقدم له النصائح بالبعد عن الخمر ، ويظل موقف مولانا جلال الدين ممن يجلسون على كرسى الإمارة " واضحا " كما عبر عنه في الكتاب الثالث (الأبيات التي تتحدث عن طغيان فرعون وعن باب الحطة الذي يذل الجبارين وفي الكتاب الرابع عن الوزير المقتر البخيل ، وحيثما عن له الحديث عن جباري الأرض) ، والأمير الذي يقدمه هنا والجو العام للقصة يشير إلى بعض أمراء المسلمين الذين ضربوا بتعاليم الدين عرض الحائط وعله غلف الحكاية بعهد عيسى عليه السلام لكي يبعد الشبهة عن نفسه ، فأغلب الظن أنه كان يصف واحدا من أمراء السلاجقة العديدين الذين كانوا يحكمون إمارات الأناضول المختلفة في عهده وعندما وصفه بأنه " كهف المخمورين " ، كان يسخر منه .

(٣٤٤٦ - ٣٤٥٣) : أي خمر هذه يا ترى التي يجد منها العوام والخواص الخلاص !! غير تلك الخمر الإلهية التي تقوم جرعتها بفعل آلاف الدنان من الخمور الأخرى ، ففي هذه الخمر الإلهية مادة خفية ، تشبه تماما تلك القوة الروحية التي تجعل من رجال الله وهم متلفعون بعباءاتهم سلاطين على الدنيا وملوكا ، لا تنتظر إذن إلى خرقهم الممزقة ، إنها دريئة تخفيهم عن أعين العوام ، تحميهم من أذاهم ، كما يسود الذهب لكي يحمي من اللصوص ، انظر إلى الجواهر ، يقوم الجواهرى بتسويدها حتى لا يتعرف اللص عليها (انظر الكتاب الرابع ، الأبيات ٢١٧١ - ٢١٧٣) ، ومن هذا القليل دفنت الروح في الجسد كما تدفن الكنوز في الخرابات ، وذلك من أجل حجبها عن كل لعين لاحق له فيها ، ومن هنا كان جسد آدم سدا أمام نظر إبليس إليه ، فنظر إليه ولم يبصر روحه (انظر الكتاب الثالث ، الأبيات ٢٣٠١ - ٢٣٠٢) .

(٣٤٥٥ - ٣٤٦٠) : ينطلق مولانا في وصف الخمر التي اشتراها الغلام بما يوحى بأنه لم يكن يقصد تلك الخمر الدنيوية " فأراد بالأمير الروح وبالغلام النفس ومن الجرتين العقل والقلب ومن الرهبان أرباب الرياضات والمجاهدات من أهل الإسلام ، ولو انبعث نور العشق الإلهي من قلب سلطان الإرشاد وأرشد المرید لوضع الله على رأس المرید تاج الكرامة وأعطاه الدرجات العاليات (مولوى ٥/٥٠١) ، ولأثار هذا الشراب فتن العشق وأشواقه ، ولعلم جميع الناس من سادة وعبيد أنهم دون هذا العشق سواسية ولا مترجوا معا بحثا عنه وطلبا له ، ولعلم الملوك أن عرشهم ما هو إلا لوح من خشب (انظر الكتاب الرابع ، الأبيات ٩٠٨ - ٩٠٩ والبيت ٦٦١) ، ولتحولت العظام (وهي جماد الجسد) ، إلى أرواح ، وكل هذه

متضادات إن كان ثم صحو لكنها عند السكر ممتزجة امتزاج اللحم بالبر في ذلك الطعام المسمى بالهريسة ، فلا فرق إذا لا غرق أي لا سحو واستغرق في الفروق .

(٣٤٦٢ - ٣٤٧١) : يصور مولانا الزاهد بأنه ذلك المستغرق في الرياضات المتعصب ، الذي توجهت إليه الأحزان من كل صوب ، وأصابته الدنيا بجراحها ، فكأنه زاهدٌ ليس حبا في الزهد أو طلبا لطريق الله ولكن زهد في الدنيا كرد فعل لخداعها إياه ومكرها به ولكثرة ما أصابه من مصائب فيها ومن جراح من جرائها ، وهذا النوع من الزهاد يكون ضيق الصدر ، يتمنى لو استطاع أن يهدم هذا العالم ويبنيه من جديد فإن كان مضطرا إلى الإقامة وسط الناس ، لقي الناس من عنته الكثير فينزل إلى الشوارع لأول بادرة من حزن أو انقباض ، ومن خلال حوار هذا الزاهد نعرف أن الأمير طالبٌ (للحق) مثله مثل أي إنسان سوى ، ونذكر هنا أن الخمر هنا هي الخمر المادية العادية ، ويستبعد الزاهد من أمير طالب عقله مرتبط بعقول الآخرين ، وهناك عقول تعتمد عليه أن يفقد وعيه ، خاصة وأنه ليس مفيقا بلا خمر ، فماذا تكون النتيجة إذ شرب هذا الضعيف العقل الخمر !؟

(٣٤٧٢) : الحكاية التي تبدأ بهذا البيت يذكر استعلامي أنه لم يعثر على أصل لها قبل مولانا ، ويذكر أن الألقاب التي ذكرها مولانا جلال الدين في العنوان من الألقاب الشائعة في أيام السلاجقة والخوارزمشاهيين (٣٧٧/٥) ، ويرى زرین كوب أن هذه الحكاية ذات أصول تاريخية عن بعض حكام بلخ (مسقط رأس مولانا جلال الدين) ، (سرنى را ، ص ٣١١) ، وليس من المستبعد أن تكون الحكاية قد تمت في حضور بهاء ولد (والد جلال الدين) وأن يكون قد قصها عليه فيما بعد ، وبقيت في ذاكرته مثل كل شئ عن بلخ وبلاد ما وراء النهر التي عاش فيها طفولته المبكرة ، والحكاية ضربت هنا لبيان أن ضعيف العقل لا يزيده ضعفا بشرب الخمر ، كما أن مفرط القصر يبين قصره المفرط بالهم بالقيام كما يفعل طوال القامة .

(٣٤٨٠ - ٣٤٩٢) : المخاطب هنا هو الأمير : إنك لا تملك عقلا شديدا اليقظة والذكاء بحيث " تريحه " ، قليلا بالخمر ، فما أشبهك بعد حبشى يصبغ وجهه بالنيلة وهو أصلا لا يحتاج إليها ، وإن الإنسان ليبحث عن انعدام الوعي إذا كان عنده وعى أصلا ، ويقول الزاهد أن هذه " الخمر " ، إذا كان الله سبحانه وتعالى أحلها في زمن عيسى عليه السلام للعوام فلا بد أنه حرمها على الخواص الذين يطلبون وجه الله ، وقصة تحريم الخمر في الإسلام شهيرة فليطلب من تفسير الجلالين على الآية الكريمة ﴿ يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأثصاب

والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون ﴿ (المائدة / ٩٠) ، والعشاق يسكرون من خمر المعرفة ومن ثم حرمت عليهم هذه الخمر ، إنهم ينظرون إلى طريق الحق وينتظرون منزل الوصول إليه فلا بد أن يكونوا في غاية اليقظة والانتباه ، والعقل الذي تتمتع به أيها الأمير ، هو عقل يغيب عن الوعي دائما وشمسه في غياب وكسوف مستمرين رغم وعورة الطريق ، وإنك لهذا تضلل المرشدين في هذا الطريق ، وتجعل رعاياك هالكين ضالين وما أحراك بأن تعود هذه النفس على الزهد ، فلا تجعلها تتمرد عليك بتعويدها على التمتع واقطعها عن لذائذ الدنيا ، وخذها بالاخشوشان ، إنها لص فاشنقها أو اقطع يدها ، أو قيد هذه اليد وإلا كسرت قدمك وأذلتك ، اسخر منها واجعلها تأكل التراب .

(٣٤٩٥ - ٣٥٠٦) : ها هو الأمير الذي كان مولانا يصفه بأنه أمير المؤمنين وكهف المستجيرين في صدر الحكاية يسفر عن وجهه الحقيقي ويستشيط غضبا وينهمر بالشتائم الخارجة على الزاهد ويذهب نفسه لتأديبه ويقف له وهو (الأمير) ، على قارعة الطريق يتهمه بهذه التهمة التي يتهم بها الطغاة الدعاة دائما بأنهم طلاب شهرة لا أكثر ولا أقل ، كل هذا والزاهد المسكين يختفي من غضبته هذه تحت الأغطية ، يهمس لنفسه قائلا : المرأة فقط هي التي تستطيع أن تواجه هذه الأمير بقبح وجهه ودمامة منظره ، وجهها الصلب الذي لا يخشى الكسر (كانت المرايا من الحديد المصقول) هو الذي يستطيع أن يواجه الأمير بقبحه وجبروته وجراته على الحق .

(٣٥٠٧) : الحكاية التي تبدأ بهذا البيت ، قال استعلامي (٣٧٨/٥) انه لم يجد لها أصلا ولا يعرف أي حاكم لمدينة ترمذ كان سيد شاه ترمذ هذا ، بينما ذكر زرین كوب (سرني ٣١١/١) ، أنها ربما كانت من بقايا بعض الحكايات الشعبية عن بعض الحكام المحليين في ترمذ من الأسرة الحاكمة التي كانت معروفة باسم أسرة " السيد الأجل " ، على كل حال أيا كانت أصول الحكاية ، فإنها تؤكد ما ورد من أنه لا يمكن نقد الطاغية في وجهه ولا يمكن أن يقال الحقيقة في شأنه إلا " تحت اللحاف " .

(٣٥١٦ - ٣٥٣٤) : لا يزال الأمير في عنفوان غضبه وصياحه ورفسه للأبواب (في منتصف الليالي !!) بحيث نهض الناس من نومهم - وهم جماعة - يلتمسون من " الفرد " الغاضب العذر للزاهد المسكين الذي نصحه نصيحة في محلها ، لقد كان أقاويل الناس كلها تحط من قدر الزاهد من أجل أن تتقذه من غضبة الأمير : فهو ضعيف العقل ، وهو زاهد

وشيخ ، وهو في حالة قبض دائما ، وهو أيضا لم ير جزاء لزهده هذا ، وصار سعيه تبابا كأنه سعى اليهود لا إخلاص فيه ، وهو بلا أصل ، وحيد ، مسكين ، قابع في داره عبوس قمطير ، ثم إن عينه تؤلمه ، وهو مجتهد دون يقين ودون حزم ، على الاحتمال والوهم والظن ، ثم إنه لا يبحث عن " الرئاسة " ، أي لن ينافسك أيها الأمير الأجل ، حتى في عبادته ليس ثابتا على حال ، إنه يشكو إلى الله دائما أنه غير مفلح في دنيا وغير مفلح في عبادة ، وأحيانا ينعى حظه من الدنيا ، أن الآخرين يطيطرون بأجنحة المعرفة وهو مجرد (زاهد) مقطوع الجناح ، إنه أيها الأمير ذو لون واحد ، سجين لطريقة واحدة من طرق المعرفة هي الزهد ، وكل سجين للون واحد يكون في ضيق واكتئاب ، إننا حتى نخشى عليه من كثرة اكتتابه ، أن ينتحر وينهى حياته ، حزنا على ما أصيب به من خيبة وما حاق به من أحزان .

(٣٥٣٥) : يبدو أن مولانا انهمك في قصة هذا الزاهد وحالته وانقباضه ويأسه وقنوطه " من الهجر " وأراد أن يثبت أن الهجر قد يؤدي بالعارف إلى " الانتحار " ، فساق قصة عن الرسول ﷺ أغلب الظن أنها من القصص المنتحلة أو الموضوعية ، وإن كان فروزانفر قد ذكر أن هناك بعض الأخبار في سيرة ابن هشام ورواية عن ابن عباس في دلائل النبوة تصلح أن تكون أساسا لهذه القصة (مأخذ / ١٨٨) . عن ابن عباس إن رسول الله ﷺ لما نزل عليه الوحي بحراء مكث أياما لا يرى جبريل فحزن حزنا شديدا حتى كاد يعدو إلى بثير مرة وإلى حراء مرة ، يريد أن يلقي نفسه منه ، فبينما رسول الله ﷺ كذلك عامدا لبعض تلك الجبال ، إذا سمع صوتا من السماء فوقف رسول الله ﷺ صاعقا للصوت !! (جعفرى ١٢ / ٤٩٤) . كما مر بنا ذكر مولانا لمحاولة الشيخ محمد سرورى الغزنوى إلقاء نفسه من فوق الجبل لأنه لم يوفق في الوصول إلى الجمال الإلهى (انظر ٢٦٧٠ من الكتاب الذي بين أيدينا) وفي البيت رقم ٣٥٤٠ كشف الحجاب : أي أدرك نور النبوة من داخله .

(٣٥٤١ - ٣٥٤٨) : يعلق مولانا : كيف أن الناس يفكرون في الانتحار عند كل محنة يواجهونها وهم يتحملون أصل المحن داخل أنفسهم ، أي تلك " النفس " ، التي تعتبر أصل كل المحن ، وهناك من يضحون بأنفسهم ، وأنا في حيرة من أولئك الذين يضحون بحياتهم وأرواحهم ، لكن ألا يضحى كل منا بحياته ويهب كل عمره لشئ ما ، فما أسعده ذلك الذي يضحى بجسده من أجل روحه ، وإذا كان كل إنسان مستعدا للقتل في سبيل شئ قد لا يبقى بعده ، ويضيع المشتاق والمشتاق إليه ، فلماذا لا تكون التضحية بالروح في سبيل هذا العشق ،

كما كان ذلك المقبل العظيم محمد بن عبد الله ﷺ ، يريد أن يفعل ، إنه العاشق والمعشوق والعشق فكلها واحد (تذكرة الأولياء ، ١٨٩ في قول لأبي اليزيد البسطامي عن استعلامي (٣٨٠/٥) ، إن مائة حياة كانت في هذا القتل (عن البقاء بعد الفناء ، انظر مقدمة الترجمة العربية على الكتاب الثالث) ، فإذا كان أهل الهوى في نوى بعد نوى وهجر بعد هجر فارحموهم أيها الكرام فلستم تعرفون ما بهم من عذاب .

(٣٥٥٢) : " إنما يرحم الله من عباده الرحماء " (أحاديث مثوى ، ص ٧) ، و " الراحمون يرحمهم الرحمن " (انقروى ٧٥٠/٥) .

(٣٥٦٢ - ٣٥٧٠) : لم يعد هناك من بد من التقرب إلى الأمير و التشفع للزاهد عن طريق النفاق ، لقد بلغ غضبه قمته " والطاغية أصل الغضب " ، ولم يعد هناك إلا التقرب إليه عن طريق مدحه بما هو ليس فيه ويرى استعلامي أن الأبيات هنا في مدح " الإنسان " لكن إذا جاز هذا من البيت ٣٥٧١ فلا ينطبق على الأبيات التي قبلها التي يوصف فيها الأمير بالجمال واللفظ والخذ المورد إلى آخره ، والكريم ابن الكريم ابن الكريم في حديث نبوي هو يوسف الطيّب (مولوى ٥١٥/٥) ولعل استعلامي انطلق من يوسف بن أحمد المولوى الذي فسر الأبيات هذا التفسير الذي فحواه : أي جمال يطلبه الإنسان من الخمر وهو من جملة الله تعالى بنفخته وجعل وجهه كشمس الضحى ، وجعله منورا لكوكب الزهرة (مولوى ٥١٥/٥) ، وإلى مثل هذا التفسير ذهب إسماعيل الانقروى (٧٥٣/٥ - ٧٥٥) .

(٣٥٧١ - ٣٥٨٢) : من هنا يترك مولانا قصة الأمير والزاهد " دون أن يتمها فلا نعرف إن كان قد عفا عنه أو انتقم منه " ويتحدث عن الإنسان الكامل ذي الأبعاد التي تخرج عن هذا العالم واحتياجات هذا العالم ، إن الوجود كله في شوق إليه ، ذلك الإنسان المتصل بالبحر الكلى ، فكيف يتوق إلى قطرة من خمر هذه الدنيا ، الإنسان الذي قال الله فيه ﴿ ولقد كرّمنا بني آدم ﴾ ، وقال ﴿ إنا أعطيناك الكوثر ﴾ ، إنه هو الجوهر الذي سخرت له كل الأعراض وكل الخليقة " يا ابن آدم خلقتك لأجلى و خلقت كل الأشياء لأجلك " (أحاديث مثوى ، ص ١٨١) ، لقد سخر له العقل والتدابير واللب ، ومع ذلك فقد باع نفسه رخيصة ، " كان أطلس فحاط نفسه على خرقة " ، إنك أصل كل علم ومع ذلك تبحث عن العلم في الكتب ، لك قلب يسع الخالق الذي لا يسعه الأرض والسماء ، وهكذا ففي وجود في حجم قطرة الظل اختفى بحر ، وفي جسد حدة ثلاثة أذرع ، هناك عالم أكبر قد انطوى :

وفيك انطوى العالم الأكبر

أترعم انك جرم صغير

بأحرفه يظهر المضمّر

وأنت الكتاب المبين الذي

أتراك تبحث عن السرور خارج نفسك وأنت معدن السور ، كيف تكون شمسا وتطلب السرور من ذرة ، وكيف تكون معدن السرور " كوكب الزهرة " ، وتطلب السرور من جرة ، والروح التى لا توصف ذلك العالم العجيب تجعل لها كيفية للسرور ، والشمس ، الشمس العظيمة تحبس في عقدة الرأس أو عقدة الذنب " أدنى هبوط الكواكب وفيه يقع الكسوف " (لأفكار مفصلة حول موضوع تكريم الإنسان عند فكر مولانا جلال الدين ، انظر مقدمة الترجمة العربية للكتاب الرابع ، من مثوى جلال الدين ، تحت عنوان الإنسان ذلك العالم الكبير) .

(٣٥٨٣ - ٣٥٩٠) : يرد الأمير بأنه لا يقتنع بهذه السعادة التى يتحدثون عنها ، إنه " خدن " لهذه " الخمر ، ويصف أحوال في السكر بها ، وأن من جرب لذة هذا السكر لا يمكن أن يقبل تلك اللذة التى يتحدثون عنها ، إنها لذة خاصة بالأنبياء ، لأن الأنبياء قانعون بلذة القرب من الحق ، وذلك لأنهم ذاقوها ، ومن ذاق عرف ، ومن هنا فهم عشاق للمحبوب الحى ، ومن عشق محبوبا حيا ، كيف يأنس بمحبوب ميت من أنس بالآخرة كيف يأنس بالدنيا ؟!

(٣٥٩١ - ٣٥٩٨) : ﴿ وما هذه الحياة الدنيا إلا لهو ولعب وإن الدار الآخرة لهى الحيوان لو كانوا يعلمون ﴾ (العنكبوت / ٦٤) ، ويكرر مولانا في المثوى هذه الفكرة القائلة بأن كل شئ في الدنيا حتى الحجر شاهد بوجود الحق وعالم الغيب بشرط أن يفتح عين باطنه (انظر ١٠١٩ و ٣٩٠٣ من الكتاب الثالث) ، والعبارة المذكورة في العنوان ليست حديثا نبويا بل تنسب حينا إلى الإمام على عليه السلام وحينا إلى الإمام على زين العابدين عليه السلام (استعلامى ٣٨٢/٥) ، ويقابل مولانا جلال الدين بين عالمين : عالم من الأحياء وعالم من الموتى ، ومن ثم فإن من صار حيا بالنفس الإلهى لا يهنا له عيش في دار الموتى فطعامها يليق بالأتعام ، ومن أنس برياض الجنة لا يقيم في هذه القمامة ، والروح لا تستريح إلا إذا عادت إلى موطنها في عليين أما من يقيم في هذا البعر فهو دودة ، والكأس الطهور ﴿ وسقامهم ربهم شرابا طهورا ﴾ هو للثملين بالله ، وذلك الذي لم يأنس بعدل عمر رضى الله ، يقول عن الحجاج بن يوسف الثقفى سفاح بنى أمية ، أنه عادل ، والبيتان التاليان مأخوذان من حديقة سنائى (حديقة الحقيقة ، الأبيات ٦٩٦٢ - ٦٩٧٠) ويشيران إلى أن الدنيا مجاز للآخرة ، وصورة طفولية ، مجرد صورة لا نفع فيها ، والحقيقة الكبرى هناك في الآخرة ، في العالم الحى الباقي ، والفكرة عند سنائى أكثر تفصيلا .

(٣٥٩٩ - ٣٦١٥) : وهكذا لأن الكفار من عشاق الصورة فقد صوروا الأنبياء على جدران الأديرة والكنائس وقنعوا بهذه الصور ، ونحن لا تهمنا هذه الصور في شيء ، فنحن مازلنا في نوبة ضياء محمد بن عبد الله ﷺ ودينه حتى في نفوسنا وقلوبنا فلا حاجة لنا بتصويره على الجدران ولا حاجة بنا إلى الظلال، فإن كانت صورة أحدهم قد بقيت في الدنيا ، فإن الآخر صورته في كبد السماء ، وهناك إنسان جلس يستعرض نفسه ويتحدث إلى الآخرين بالنقاط ، وهناك إنسان آخر يعيش مع الحق تعالى في ألفة ويتحدث إليه . إن أذن جسده تسجل الكلام الذي يسمعه هنا لكن أذن باطنه تجذب إليه أسرار عالم الوجود ، وعينه الظاهرة مركزة على البصر لكن عين السر حائرة في ﴿ ما زاغ البصر وما طغى ﴾ (انظر عن الفرق بين العينين الكتاب الرابع الأبيات ٢٦٤١ - ٢٦٤٤ وشروحها) ، وبينما تكون قدمه (الظاهرة) في صف الصلاة ، تكون قدمه الباطنة طوافه حول الفلك وهكذا فعدد أعضائهم ، هناك أعضاء ظاهرة هي التي تموت بموتهم وهذه لا يهمنا أن تصور على الجدران ، إنما يهمنا تلك الأعضاء التي هي خارج الزمان والتي لا تموت ، وفي نفس الوقت لا يمكن تصويرها لأنها معاني، إنها تتبع ولا تصور ، وما للأنبياء يكون للأولياء ، ومن ثم فإن ذلك الولي الذي هو ولي الدولتين (دولة الظاهر ودولة الباطن) ، وإمام القبلتين (قبلة الكعبة ووجه الله) ، إن مثل هذا الولي الذي اقتبس أسرار الأنبياء وتمثل بهم لا تلزمه خطوات الولاية التي تلزم الناس العاديين فلا خلوة ولا أربعينية تلزمه (عن الخلوة والأربعينية انظر الكتاب الثالث ١٦١٦) بالنسبة لهؤلاء البشر الذين نجو من حلقات الضياء والظلام في الليل والنهار ووضعوا أقدامهم في نور الأبدية، لا حاجة هناك إلى خلوة ، إنه كامن في قرص الشمس (في منبع النور ومصدره) . و ما أشبه هذا القول بقول سعدى :

يتلأأ كأنه النهار المضي

إن الليل بالنسبة لأولياء الله

بل يهبها الله الوهاب

وهذه العادة ليست بقوة الساعد

(انقروى ٧١٣/٥)

وقد مر في الكتاب الرابع قصة أبي عبد الله المغربي الذي لم ير ظلمة الليل طيلة ستين عاما (انظر الأبيات ٥٩٨ - ٦٠٦ من الكتاب الرابع) . لم تعد هناك خشية ولا مرض وبحرانه (الروحي) انتهى تماما . لم يعد بين الشك وبين اليقين، لقد تبدل كفرهم إلى إيمان كامل ، لا شيء لديهم إلا الألف المجردة (الاستقامة المجردة بلا إضافة نقطة أو غيرها وبلا انحناء) ،

خرج عن أوصافه ودخل في أوصاف الحق فذاب فيها ، صار عاريا من كسوة الطبع أي من أدران المادة وإضافات الجسد ، وأصبحت روحه عارية محتاجة إلى ذلك الحبيب الذي يطيل العمر ، فألبسه الله تعالى زداء القدس والملكوت من أوصافه جل شأنه ، فسماه به من حضيض الوجود إلى قمته ، هذا هو الأمير الحقيقي ، وليس الأمير إياه المعربد من أجل الخمر والذي لن يعود إليه مولانا أبدا .

(٣٦١٦ - ٣٦٢٥) : وهكذا صفا هذا الولي وهذا الأمير الحقيقي على البشر من كدره ، وعندما يصفو الماء يسمو عن وعائه ويبقى الكدر في قاع الوعاء ، إن هذه التراب الثقيل يعطل الروح عن سيرها ، وهو رفيق سوء يقعد رفيقه عن السمو والعلو ، لكن تلك الروح كانت قوية وقاومت هذا الطين وسمت عليه وتخلصت منه ، لقد كانت قبلته عندما سمعت أمره تعالى ﴿ قلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو ﴾ ولم تكن هي وحدها التي تعاني هذا العقاب وهذا الهبوط وهذا الذل ، كان هاروت أيضا كذلك بالرغم من أنه كان من ملائكة السماء ، كان يظن هو وماروت أنهما لن يذنبا وأنهما معصومان من الذنوب فلما هبطا إلى أرض الذنوب ، ارتكبا من الذنوب ما لا يرتكبه الإنسان العادي في عمر طويل ، لقد ابتعدا عن مصدر النور ، فتسرب منهما النور (انظر الكتاب الثالث ، ٧٩٦ وما بعده ، و ٢٦٧٤ من الكتاب الرابع و ٣٠٠٣ من الكتاب السادس ، والكتاب الأول ٣٣٣٤-٣٣٦٤ و ٣٤٢٩-٣٤٣٠ والكتاب الثاني : ٢٤٧٥-٢٤٧٨) مثل تلك السلة التي رأت نفسها وهي مغموسة في ماء البحر مليئة بالماء ، فانفصلت عن البحر فأصبحت خالية تماما ، لم تكن تعرف أن الماء من البحر وليس منها ، ولما احترق كبدها من الفراق اشفق عليها بحر الرحمة واستدعاها إليه ، هذه الرحمة الجياشة من لدن الخالق الرحيم الرحمن لا علة لها ، وقد لا تسبقها طاعة ، إنه العطاء الإلهي الذي لا يريد سببا .

(٣٦٢٥ - ٣٦٣٤) : فاجعل الله هدفك وحوم حول بحر الرحمة وحول أولئك الذين يعيشون بالقرب منه من الأولياء وكمل الرجال ، مهما رأيتهم صفر الوجوه فديدن من ينتظر لقاء الله أن يكون أصفر الوجه وهذا اللون هو اللون الجدير بهم ، فإن حمرة الوجه دليل على أن صاحبه لا ينتظر شيئا ولا يشق إلى شيء ، إن الطمع في لقاء الله طموح لا حد له ، إنه يجعل الإنسان نحila أصفر الوجه ذليلا وإن كان صحيح الجسد فإن جالينوس نفسه يتحير من صفرة وجهه هذا لقد طمعت في أنواره ، والرسول ﷺ قال : {من طمع ذل نفسه} لكن العشق

يسمو بالإنسان ومن ثم ينبغي أن يكون الحديث النبوى {طوبى لمن نلت نفسه} (انظر ٣٧٩٦ الكتاب الثالث) والنور بلا ظل هو النور الحقيقى فكن طالباً له ، ولا تطلب النور ذا الظل الذى يشبه النور الداخلى من فتحات غربال والمعنى الموجود فى البيت ٣٧٣٣ ورد فى الكتاب الأول (البيت ١٣٦) والمقصود أن الحديث المباشر أفضل فى هذا المجال حتى يدرك كل إنسان أن المائدة الإلهية من المعارف والمعانى إنما تمت (للصائمين) عن موائد الدنيا المبتعدين عنها ، أما المدعون (الذباب) فسواء لديهم الألفاظ والمعانى التى تحتوى عليها هذه الألفاظ .

(٣٦٣٥ - ٣٦٤٦) : عودة إلى الخيط الجامع يبين أجزاء هذا الكتاب أى قصة إياز فلا يكاد السلطان يطلب من إياز أن يفسر له سر غرامه بالسترة الجلدية والحذاء الريفى حتى يترك مولانا القصة وينصرف إلى موضوع آخر وكأنه أحس أن القارئ (أو السامع) لم يعد جاهلاً بالسر ، لكن السؤال هنا يحمل صيغة الجواب وكأن السلطان يقول : إننى أعرف سر تعلقك هذا ، لكنك لابد سوف تقدم لنا تفسيراً (جديداً) لهذا المجال القديم ، فالأحوال متشابهة ومتكررة ، لكن العارف يقدم لها تفسيراً جديداً ، ويحس من جرائها بشعور جديد ، لأنها لابد وأنها نابغة من منبع جديد هو عين أسرار عالم الغيب ، دعك من عالم الحواس الخمسة والجهات الستة ، وإن كنت أعلم أن هذه الأحوال الباطنة لا تتأتى فى بيان ، بل لابد أن تبنى بأمثلة من هذا العالم الظاهر ، إن لطف الحبيب يجعل حتى تلك المرارة التى نحس بها من الفشل أذ من السكر ، ولو أن ذرة واحدة من هذا السكر الذى وهبه اللطف الإلهى تنزل فى هذه الدنيا لحولت كل مراراتها إلى شهد ، وتيار اللطف الإلهى سار فى الكون ، وليس مجرد حالة واحدة ، بل آلاف الأحوال ، تأتى من الغيب ثم تعود ، والماء الذى يجرى فى جدول ليس فيه سدود ليس ماءً واحداً فكل العالم فى لبس من خلق جديد ﴿ أفعيننا بالخلق الأول بل هم فى لبس من خلق جديد ﴾ (ق ١٥) ، عالم سرور العارف ليس ماءً راكداً بل ماء متجدد ، كل يوم سرور جديد ، وكل يوم فكرة جديدة تحل بالقلب كالضيف ثم تمضى (الفكرة موجودة فى الكتاب الثالث بالنسبة لجذرى القبض والبسط فى القلب انظر الأبيات ٣٦٠-٣٦٣) وهكذا فإن قلبك هذا كأنه منزل إبراهيم عليه السلام (القلب أيضاً هو كعبة الجسد) ، تنزل عليه الضيوف فلا بد إذن أن تكون كإبراهيم عليه السلام مكرماً للضيوف ماداً موائدك لهم ، وإياك أن تضيق بفكرة نزلت على قلبك بل أكرمها لأنها لن تلبث أن تعود إلى العدم (أى عالم الغيب) فهذا العالم أى عالم العدم هو أصل الوجود .

(٣٦٤٧) : القصة التي تبدأ بهذا البيت لم يجد لها أى من مفسرى المثنوى مصدراً قبل مولانا جلال الدين ولعله ألبس أفكاره بعض الشخصيات فالمرأة هي النفس والرجل هو العقل الطالب للكمال أو القلب الباحث عن الله والضيف هو الواردات الغيبية التي ينبغي بفرح المضيف لها لا أن يبدى ضيقه .

(٣٦٦٦ - ٣٦٧٠) : إن الضيف أو الوارد الغيبي ، أو كما يتضح فيما بعد الرجل الذي كان ولياً من أولياء الخضر عليه السلام ، (الأولياء المسافرون الجوابون في البلاد دوماً) يدعو على نفسه التي سمحت له بالاستراحة من السفر وأخرت العودة إلى أصله ومنبعه ، فهذه الاستراحة قاطعة للطريق ، لقد كان وجه الرجل كالشمعة نورانياً ، وكانت الصحراء تمتلئ من نوره (انظر حكاية أبى عبد الله المغربي في الكتاب الرابع وشرح الأبيات ٣٥٩٩ - ٣٦١٥ من الكتاب الذي بين أيدينا وحكاية الدفوقى من الكتاب الثالث) ، لقد كانت الفكرة التي وقرت من قبل الرجل المضيف أن الضيف كان ولياً كبيراً وأنه كان سيمنحهما الحياة الخالدة (الفناء في الله) .

(٣٦٧٦ - ٣٦٩٥) : يعود مولانا جلال الدين إلى الحديث عن ضيوف "الفكر" والمقصود الواردات القلبية والأحوال التي تترى على الإنسان والتشبيهات والتغيرات هنا تذكر بالأبيات ١٣١٤-١٣٢٥ ، وغالباً ينظر مولانا إلى الإنسان على أنه "مجرد فكر" وما بقى عظام وعروق :

يا أخى إنك لست سوى فكر
وما بقى منك هو مجرد عظام وعروق .
فإن كان فكرك ورداً فأنت بستان ورد
وإن كان فكرك شوكة فأنت وقود لموقد الحى

(الكتاب الثانى البيتان ٢٧٨-٢٧٩)

وفى الأبيات التالية يتحدث مولانا عن القبض والبسط (الحزن والسرور) أو الأفكار التي تسبب الحزن والأفكار التي تسبب السرور وفى كتاب سابق شبهها مولانا بالكسب الذى يعقبه الإنفاق أو الدخل الذى يعقبه الإنفاق وسكر السرور الذى هو ثمرة بستان الحزن والبسط الذى هو سعة وإنفاق والقبض الذى منه يكون الدخل (انظر الكتاب الثالث الأبيات ٣٧٣٣-٣٧٦٩ وشروحها) كما وردت فكرة عبوس السحاب والبرق وفضل ذلك على البستان فى الأبيات المذكورة من

الكتاب الثالث وانظر إلى مولانا يتبع تيار الأفكار عند المرء وكيف تتراوح هذه الأفكار بين الحزن والسرور لكن لله تعالى لطفاً مخفياً في ثياب القهر وقهراً مخفياً في ثياب اللطف ويتحد القهر واللطف في التأثير (انظر الأبيات ٥٤٥-٥٤٨ من الكتاب الرابع والكتاب الخامس ١٥٠٧ و ١٥١٠) المهم أن تكون متيقناً من هذا صبوراً على البلاء متقبلاً لكل ما يأمر به الله تعالى ، فرحاً بقهره انتظاراً لما يعقبه من لطف ، إن هذا الفكر سوف يعود إلى الله تعالى فيخبره عن سلوكك معه ، عن أسلوب تعاملك مع هذا الضيف النازل بك ، وادع الله إن حل بك البلاء واعتبر بأيوب عليه السلام ، لقد حل به البلاء لسبع سنوات فلم يعبس في وجهه هذا البلاء ولذا قال الله تعالى عنه ﴿ إنا وجدناه صابراً نعم العبد إنه أواب ﴾ (ص/ ٤٤) وكان جزاؤه المغتسل البارد والشراب وأهله ومثلهم معهم ، رب أعذني من شرها وأنلني من برها ، وإن حل بك اللطف فقل ﴿ رب اوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدي وأن أعمل صالحاً ترضاه وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين ﴾ (النمل ١٩) .

(٣٦٩٦ - ٣٧٠٧) : هذه الفكرة العابسة الحزينة على مثال السحاب الممطر منه يكون للأرض البوار الحياة ، وكم خلق الحزن والحرمان من أعمال عظيمة في حين يكون من الترفه والفرح المستمر موت القلب وموت الروح بل ترهل الجسد ، فلا تعبس في وجه الفكرة العابسة ، ابتسم في وجهها ، فاعل فيها جوهرأ مهدي إليك وأنت لا تدري ، حتى وإن لم تستفد ، فمتى كانت الفائدة هي الهدف ، إنك بهذا الرضا تزيد عاداتك الطيبة عادة جديدة ، قد تنفعك هذه العادة فيما بعد وقد تقضى بها حاجاتك ، وفكر إن الفكرة التي تمنعك من السرور هي بأمر الله تعالى وحكمته ، فانظر فيها إلى حكمة الله من جميع جوانبها ، ولا تنتظر إليها هوناً إن كنت حقاً من رجال الطريق وفتى من فتياه ، فاعل فيها حسن طالعك وإقبالك وعطاء الحق لك ، ربما كانت هي الأصل في انطلاقك ووصولك إلى ما تطمح إليه، في حين أنه من الممكن أن تعتبرها أنت فرعاً من الفروع ورد عليك وصار عقبة في طريقك ، فإن اعتبرتها فرعاً ، ظللت في انتظار أصلها ، والانتظار مر يا بني ، ومن الانتظار يعانق الموت ليل نهار ، فعانق هذه الفكرة ، بدلاً من معاناة الانتظار فالانتظار أشد من الموت الأحمر (انظر ٢١٣٤ من الكتاب الذي بين أيدينا) .

(٣٧٠٨ - ٣٧١٥) : عودة إلى قصة إياز وكان آخر ذكرها في البيت ٣٦٣٧ . والحديث من السلطان عن رجولة إياز تلك الرجولة التي يثبتها عند موقفين عند الغضب وعند الشهوة (انظر

الكتاب الذى بين أيدينا الأبيات ٢٨٩٢ وما بعده وشروحها) فهذه هى الرجولة الحقيقية ومتى كانت الرجولة بالذكر ، إذا كان الأمر هكذا ، فالحمار أكثر رجولة من الرجال ، وإذا كنت تريد وصف الرجال فارجع إلى القرآن الكريم وأقرأ فى سورة التوبة ﴿ فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين ﴾ (آية ١٠٨) وأقرأ فى سورة النور ﴿ رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله ﴾ (آية ٣٧) وأقرأ فى سورة الأحزاب ﴿ من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه ﴾ (آية ٢٣) ، لكن الأجساد الضخمة موجودة فى سوق القصابين ومن جعل همه بطنه وما يملأ به هذا البطن فليس عقلاً ، بل هو أقل من الذيل وأقل من الإلية .

(٣٧١٦) : الحكاية التى تبدأ بهذا البيت لم يجد مفسروا المثنوى أثراً لها قبل مولانا ، ويبدو أنها من الفكاهات الشعبية التى تتناقلها الألسنة لكن الحكاية هنا تبدو فى غير موضعها، فأمر الرجل لابنته أن تسيطر على نفسها وهى فى قمة شهوتها أمر مثير للسخرية ، لأن هذا الأمر لا يتأتى من الرجال المسلمين على شهوتهم فكيف يتأتى من امرأة؟ ولا يزال كثرة القصص ذات الإطار الجنسى (ولا أقول المدلول الجنسى فلم يقدم مولانا حكاية واحدة ذات مدلول جنسى) فى هذا الجزء يثير التساؤل ، هل كان مولانا قد ضاق من الأمثلة التراثية فى أن تفعل فعلها ، فنزل إلى مستوى أقل المريرين لكى يضمن لأفكاره أن تصل؟ الله أعلم .

(٣٧٣٧) : طبقاً لقاعدة التداعى يقدم مولانا مثلاً آخر لذلك الذى يبدو "رجلاً" بل و "صوفياً" لكن نفسه مسلطة عليه فهو يذهب إلى ميدان القتال ، لكنه ليس رجل قتال ، إنه "صوفى" من إياهم من أولئك الصوفية المدعين الذين يظنون التصوف اكلاً وصوفاً ولواطاً ، ويتحدث عن انخداع العوام بأمثال أولئك الصوفية المزيفين فيتوهم أنه شيخ وأنه مرشد وأنه قطب ، ويصدق هذا الوهم مثل المعلم إياه الذى أوقع صبيان المكتب فى روعه أنه مريض (انظر الحكاية بالتفصيل فى الكتاب الثالث ابتداءً من البيت ١٥٢٣) ، لقد ظن أنه من عظماء المجاهدين فى الجهاد الأكبر (جهاد النفس) فمن ثم ماذا يبدو الجهاد الأصغر (الغزو) إلى جواره جولات جهاده الصوفى؟ لقد عارك الصوفى فى غير معترك ، وهجم على صورة الأسد الذى توهمه (على طواحين الهواء) ، فقالت له التجربة ، تعال ، والامتحان والتجربة فى طريق كل مدع تنتظره لتفصح ادعاءه (انظر عن الامتحان ٧٤٠-٧٤٧ من الكتاب الثالث وشروحها) .

(٣٧٤٤) : الحكاية من هذا البيت غير مقنعة ، وفيها بعض "تساهلات" مولانا، وهى على كل

حال قليلة فى المثنوى. فمتى كان الأسرى يقتلون فى الإسلام؟ ومتى كان قتل الأسرى يعتبر غزواً؟ كان المقصود فضح الصوفى المدعى للشجاعة ، لكن ليس على حساب قيم الإسلام فى الجهاد .

(٣٧٥٦ - ٣٧٥٨) : ما أشبهك وأنت مستكين لهذه النفس الأسيرة بهذا الصوفى الذى لم يستطع أن يقتل أسيره بل وانتصر عليه واعتلاه ذلك الأسير المغلول ، وإذا كنت هكذا أمام امتحان النفس وهو امتحان يسير بالنسبة لما سوف تصادفه من امتحانات فى حياتك فماذا أنت صانع فيها؟ .

(٣٧٨٠) : يقول استعلامى (٣٨٩/٥) أن المقصود بالحكاية هنا هو العياضى لا العياضى ، وهو فى معظم نسخ المثنوى العياضى بالياء وقال ولى محمد أكبر آبادى فى شرحه أنه أبو بكر محمد بن أحمد العياضى من فقهاء سمرقند لكنه العياضى دون تشديد الياء ووزن الشعر يستدعى تشديدها (الشارح : ليست مشكلة فالشاعر الفارسى يتصرف فى التشديد عند الوزن) ، ويضيف استعلامى : إنه من الصعب تحديد من هو المقصود ، والعياضى الوحيد المذكور قبل مولانا موجود فى الباب الثانى من كتاب أسرار التوحيد باسم أبى الفتوح العياضى كشاهد لإحدى كرامات أبى سعيد دون أن يقول لنا من هو أبو الفتوح هذا ، ويواصل استعلامى إنه قرأ ما يشبه هذه الرواية فى تذكرة الأولياء عن الشيخ أحمد بن خضروية (البلخى) من أنه ظل فترة يضيق على "نفسه" التى بين جنبيه وذات يوم كان جماعة ذاهبين إلى الغزو ، وألحت على النفس أن اذهب معهم كنت أعلم أن النفس لا تهدى إلى طريق الحق وأن فى إلحاحها هذا مكرأ ، فكبحت جماعها وضيق عليها الخناق فاعترفت فى النهاية قائلة كنت أريد أن تقتل وتغترب بشهرة الشهادة وبأنك صرت محبوباً للخلق ، وأنجو أنا أيضاً من هذا التعب وهذه الرياضة "الصوفية" لكنه ما لم يذكره استعلامى ، وما لم يذكره فروزانفر وتجاهله تماماً أن الأبيات الأولى تذكر بقوله خالد بن الوليد رضى الله عنه الشهيرة "لقد شهدت ألف غزوة أو زهاءها فما بقى فى جسدى ضربة سيف أو طعنة رمح ، وهكذا أموت على فراشي كما يموت العير فلا نامت أعين الجبناء " ، هذا التجاهل شبيه بتجاهل الشراح الفرس لرواية عمر بن الخطاب وسارية رضى الله عنهما الواردة فى الكتاب الثالث (انظر مناقشات الرواية تعليقات الأبيات : ٥٠٨-٥١٦ من الترجمة العربية للكتاب الثالث) ومن الممكن بل المرجح أن اسم العياضى من لدن مولانا أو اسم للصوفى لم يعرف بعد ، وأن مولانا وفق بين ما ورد عن

خالد رضى الله عنه حين موته وبين الرواية المروية عند أحمد بن خضروية فى تذكرة الأولياء ونسج منها حكاية .

(٣٧٩٧ - ٣٧٩٨) : من هنا إضافة من مولانا والمضمون هنا قريب من الحديث النبوى {إنكم تموتون كما تعيشون وتحشرون كما تموتون} .

(٣٨٠٣) : إشارة إلى ما سوف يرد فى حكاية تالية من حكايات الكتاب الخامس (انظر البيت ٣٩٥٠ من الكتاب الذى بين أيدينا) .

(٣٨٠٥ - ٣٨١٤) : يقارن مولانا بين اثنين من الصوفية : ذلك الصوفى المزيف الذى مر ذكره ، والذى استطاع الأسير المغلول أن ينتصر عليه لأنه كان قد خرج إلى الحرب رياءً وسمعة وليس عنده من فنون القتال النذر اليسير ، وهذا الصادق الذى خاض الحروب والمعارك لكنه لم يسمح "للنفس" أن تقوده مرة إلى الحرب رياءً وسمعة وفضل الجهاد الأكبر داخل الخلوة ، وكثير من هم الذين لا يخوضون جهاداً أصغر مدعين أنهم يخوضون الجهاد الأكبر متناسين أن بداية الجهاد الأكبر تستلزم عودة من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأصغر فى البداية ويدق مولانا على قيمة الصدق ، إن الله تعالى خلق هؤلاء الصوفية المزيفين لى يكونوا دلالة على وجود الصوفية الصادقين ، إنهم أشبه بعصى السحرة لا تلبث عصا موسى أن تظهر فتلقفهم جميعاً ، أين هؤلاء الصوفية من هذا الصوفى يقول شارحو المثنوى أنه العياضى لكن مولانا يقول آخر ويذكر أنه جرح فى الحرب فربط جرحه وقاتل حتى استشهد ومن الواضح أنه ليس العياضى المذكور فى الحكاية .

(٣٨١٥) : إن الأمر يحتاج منك إلى استمرارية ، لا تغفل عن هذه النفس الأمانة لحظة واحدة بل داوم على إذلالها ومخالفتها ، وأشد ما تحرص عليه هذه النفس هو المال فقاوم رغبتها هذه بإنفاقه حتى ولو لم تجد وجهاً للإنفاق إلا أن تلقّيه فى اليوم "!!؟" والمصدر هنا ما ورد فى كشف المحجوب "الترجمة العربية ص ٢٧٢ لكاتب هذه السطور وآخرين" يروى أن الشبلى رمى أربعة آلاف دينار فى نهر دجلة، فلما سئل ماذا يصنع قال الحجارة أولى بالماء فسئل لماذا لا تعطى الفقراء ؟ فقال : سبحان الله ماذا أقول إذا سألتنى : لماذا رفعت الحجاب عن قلبى ووضعته فى قلوب إخوانى المسلمين كما ذكر ابن الجوزى فى تلبيس إبليس ص ٣٥٧ حمل أبو الحسن النورى ثلاثمائة دينار ثمن عقار بيع له وجلس على قنطرة وجعل يرى واحداً واحداً منها إلى الماء ويقول جتنى تريد أن تخدعنى منك بمثل هذا .

(٣٨٢١ - ٣٨٢٥) : عودة إلى حكاية الصوفي المقاتل الكرار غير الفرار : لقد انكسر رمحه عشرين مرة وجرح مرة ثانية ثم سقط ليكون مع المتقين في مقعد الصدق ، ﴿ إن المتقين في جنات ونهر في مقعد صدق عند مليك مقتدر ﴾ (القمر ٥٤-٥٥) ، إنه لا صدق دون بذل للروح فاقراً ﴿ من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلاً ﴾ (الأحزاب ٢٣) .

(٣٨٢٦ - ٣٨٣٥) : إياك أن تسمى هذا موتاً ، إنه موت الصورة لكنه ليس موت الروح (انظر الكتاب الثالث الأبيات ٣٥٣٧ - ٣٥٤٧ وشروحها) ويضيف مولانا إن الشهادة ليست بالجسد ، فالجسد مجرد مطية ، فانظر من يركبه ، لترى ماذا قدمت إلى الله سبحانه وتعالى هل قدمت له نفساً لم تجد مركبها فاتجهت إلى العالم الآخر ، إذن خسرت الدنيا والآخرة ، وما أشد سذاجتك ، فليس كل قتيل شهيداً ، فالكفار أيضاً يقتلون ، وإلا صار كل قتيل في مقام أبي سعيد (فسره مولوى بأنه أبو السعادة) ٥٥٢/٥ وهكذا فسره الأنقروى ٨٠٢/٥ وقال استعلامي أن المقصود هو أبو سعيد بن أبي الخير الصوفي والشاعر الفارسي في القرن الخامس وأبو سعيد بن أبي الخير لم يمت شهيداً . أليس من المحتمل أن يكون اسم الصوفي المذكور في الحكاية السابقة هو أبا سعيد ؟ إن الشهيد الحقيقي هو من قتل هذه النفس ونجا منها قبل أن يقتل البدن ، يصبح جسده سيفاً في يده وليس سيفاً مسلطاً عليه بشهواته ، لقد تبدل الرجل لم يعد هو هو عندما كانت نفسه بين جنبيه مسلطة عليه لكن السيف بقي وبقي في يد الحق ، ومثل هذا الرجل لا يهتم بالألم ولا يأبه به لا مثل أولئك الرجال "الجوف" الفارغين كأنهم الغبار .

(٣٨٣٦) : في سياق الحديث عن رجال الحق يقدم مولانا هذه الحكاية التي وردت قبله في أكثر من مصدر ورواية صاحبه المستطرف هي أقرب الروايات إلى جزئيات الحكاية عند مولانا جلال الدين (استعلامي ٣٩١/٥) وأبطال الحكاية سواء في رواية المستطرف أو في رواية نشوار المحاضرة لم يكونوا من الملوك فلا ذكر لملك الموصل أو خليفة مصر وربما حول مولانا الأبطال إلى ملوك لكي ينقد ملوك عصره وأمرائه . والحديث هنا عن الشهوة ونحن أمام رجلين كلاهما خضع لشهوته ، وإن كان أحدهما قد انصرف عنها في نهاية الحكاية ، وفي الحكاية قدر لا بأس به من المواقف الجنسية وقد تناولنا دلالتها فيما سبق (انظر على سبيل المثال لا الحصر تعليقات البيت ١٣٣٣ من الكتاب الذي بين أيدينا) لكن الجديد هنا أن مولانا يجعل الشهوة سبباً لاندلاع الحروب ، ولم لا وكثير من الحروب قديماً وحديثاً ربما

كان السبب فى إذكاء أوارها شهوة امرأة لرجل أو رجل لامرأة ، والعصور القديمة حافلة بما يضيق المجال عن حصره ، والذي يثير السخرية هنا أن القائد مسلم والبلد التى هاجمها مسلمة والخليفة الذى انفذه وطلب منه أن يستخدم كل قوته فى سبيل الظفر بالمحظية الجميلة مسلم والضحايا مسلمون وعلى كل حال لم يكن هذا من المستبعد فى عصر مولانا حيث كانت الدولة الإسلامية تعاني من التفكك، فمن شرقها احتل المغول جزءاً كبيراً منها، والأناضول نفسها قسمت إلى عدة إمارات كانت الحرب تدور بينها لأتفه الأسباب بالرغم من أن كل أمرائها ينتسبون إلى البيت السلجوقي .

(٣٨٥٨ - ٣٨٦٤) : يترك مولانا القصة ليتحدث عن العشق الذى هو سر الكون وسر الخليفة وهو كالبحر والأفلاك والسموات من فوق مجرد زبد ، وما دوران الأفلاك وتجدد الكون إلا بالعشق ومن نزوع كل أجزائه بعضه إلى بعض، وبدون هذا يتجمد الكون كله (انظر ٤٤٠٥ - ٤٤٢٤ وشروحها) وما تحول الجمار إلى نبات والنبات إلى حيوان والحيوان إلى إنسان إلا بسر العشق (انظر الكتاب الثالث الأبيات ٣٩٠٣-٣٩٠٩ والكتاب الرابع الأبيات ٣٦٣٧ - ٣٦٤٣ وشروحها) ومتى كانت الروح تتمحى فداءً لعودتها إلى تلك النفخة الإلهية التى هى أساسها والتى هى تجذب أرواح الواصلين إلى الحق (انظر ٢٨٩٠ من الكتاب الذى بين أيدينا) إن هذا العشق هو السبب فى التسامى والعلو ، فكل جزء نزاع إلى الكمال وإلى العلو، وبتسبيح الله سبحانه وتعالى يتطهر الجسد من علائق هذه الدنيا حتى تستطيع الروح أن تطير إلى الأعلى (انظر الأبيات ٤٣٩٥-٤٤٢٣ من الكتاب الثالث والأبيات ٢٠١١-٢٠١٤ من الكتاب الذى بين أيدينا) .

(٣٨٦٥ - ٣٨٧٩) : الكلام عن الشهوة التى تخدع الإنسان حتى فى النوم "السراب"، والحديث قد يكون عن البطل الذى اصطحب الجارية أو عن أى إنسان يظن نفسه قوياً وهو يبدو مسلوب الحيلة مفتضحاً أمام الشهوة (انظر الكتاب الثالث الأبيات ١٦٩٥-١٧٠٠ وشروحها) إنه بطل فى الحروب لكنه أمام شهوة جسده مكتوف اليدين لا يستطيع أن يتقدم خطوة إلى الأمام أو خطوة إلى الخلف، وكأنه ممن تنطبق عليهم الآية الكريمة ﴿ وجعلنا من بين أيديهم سداً ومن خلفهم سداً فأغشيناهم فهم لا يبصرون ﴾ (يس ٩) لقد استطاع ثعلب (فى الأصل أرنب) أن يلقى بأسد فى البئر (انظر الكتاب الأول من البيت ٩٠٤) فكيف لم يستطع مقاومة شهوته ولم يثته الخوف من الخليفة عن فعلته؟ وكيف تأتمن رجلاً يخلو بامرأة اللهم إلا إذا كان

هذا الرجل معصوماً كيوسف عليه السلام محفوظاً برعاية الله معتصماً بمعرفته ، فاستطاع أن يقاوم هذه الشهوة وهو غلام يراهق البلوغ .

(٣٨٩٦ - ٣٩٠٦) : إن الاتصال ليس مجرد اتصال جسدي إن الأرواح أيضاً ذات نصيب منه، وهو ليس مجرد لقاء وقتي ينتهي بانتهائه، لكن انظر إلى نتائجه ومن لقاء الأرواح أيضاً تتولد روح ثالثة واتصال الأرواح تستطيع أن تنتظر إليه بعين الباطن ، ثم إنه أى تلك التى تتولد عن اقتران الأرواح تظهر صورها فى الغيب ، ومن ثم فما لم تظهر لك تلك الصور عياناً لا تكن سعيداً هكذا من كل قرين، بل أجل سعادتك هذه إلى ذلك الموت الذى تنتظر فيه إلى هذه النتائج، وحتى تعلم أن إلحاق الذريات الوارد فى الآية الكريمة ﴿ والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بإيمان ألحقنا بهم ذريتهم ﴾ (الطور ٢١) مبدأ صادق ، إن هذه الأعمال التى تقوم بها فى الدنيا ذات صور وأثار تنطق بقيمة هذه الأعمال (انظر لتفصيل هذه الفكرة الأبيات ٣٤٦٠-٣٤٨٥ من الكتاب الثالث وشروحها) هذه النتائج تنتظر كإنها ربات الحجال والصور المقصورات فى الخيام تتاديك يا غافلاً تعال، فمن سبقوك إلى عالم الغيب فى انتظارك، فما تلكؤك هنا؟ هيا أسرع وفى البيت ٣٩٠٦ عودة إلى ذلك البطل الذى خان الأمانة من جراء الشهوة .

(٣٩١٠ - ٣٩٢٤) : يترك مولانا سياق القصة ويتحدث عن الخبر وعن العيان ، ومتى كان الخبر كالعيان ؟ إن الوصف مجرد تصوير من أجل أن تتخيل عين الوعى الشئ الموصوف ، ومتى كان من وظائف الأذن أن تشاهد الصورة ، وفى البيتين التاليين ترجمة رواية حدثت بين الإمام على والإمام الحسن رضى الله عنهما (مأخذ ١٩٢-١٩٣) ، قال الأصمعى : سأل على بن أبى طالب الحسن ابنه رضوان الله عليهم كم بين الإيمان واليقين؟ قال أربعة أصابع. قال وكيف ذلك؟ قال الإيمان كل ما سمعته أذنك وصدقه قلبك، واليقين ما رآته عينك فأيقنه قلبك وليس بين العين والأذنين إلا أربعة أصابع (العقد الفريد ص ٢٧٦ ، ج٤) لكن الأذن تنفع فى بعض الأحيان ، وهى التى تثير الخيال وإذا كان الخفاش قد احتجب عن الشمس ، فإن خيالاً من الشمس وتصوراً لها هو الذى يخيفه منها ويسوقه نحو الظلام ، فى حين أن خيالاً أمام من يدرك قيمة هذا الخيال قد يدفعه وقد يسوقه إلى الحقيقة. وكيف تقلل من قيمة الخيال ، وكل تصرفاتك قائمة على هذا الخيال؟ وهناك فرق كبير بين الخيال والحقيقة ، ولا يستطيع أى إنسان مقيم على الخيال أن يدرك حقائق من هم أمثال موسى حتى

ولو استطاعوا أن يتخيلوه، فليس كل شيء يمكن أن يتخيل، هذا أمر بالذوق وبالتجربة. فهل هناك شجاعة قبل ممارسة الحرب بالفعل ؟ (لا شجاعة يا فتى قبل الحروب انظر ٤٠٠٧ من الكتاب الثالث) إن المخنث يقيم الحروب كلها في خياله وهو من خياله هذا يهجم على صور البطل رستم المرسومة في الحمام ، ويظن أن هذا قتال، ويتوهم أن هذا انتصار، وهذا الخيال الحاصل عن السمع سرعان ما تفضحه الرؤية والواقع ، وماذا يكون المخنث آنذاك يصبح كأنه المرأة العجوز في عجزها ولا يستطيع أن يفعل شيئاً .

(٣٩٢٥ - ٣٩٣٤) : لقد تحدث مولانا في الأبيات السابقة عن الإدراك عن طريق السمع والرؤية الباطنية أو بعبارة أخرى الإدراك النقلي والإدراك العيني والإدراك العقلي، ويعبر مولانا عن النقل بالعلم التقليدي أو علم أهل الحس، والإدراك العقلي والباطني أو العلم الحقيقي هو علم أهل القول (استعلامي ٣٩٤/٥-٣٩٥) وهذا الادراك النقلي والعيني يمكن أن يصل إلى مرحلة الإدراك الباطني بشرط عناية الحق سبحانه وتعالى وإرشاد الشيخ وجهد السالك ومن هنا يقول مولانا: اسع لكي تصل من مرحلة الباطل (العلم النقلي) إلى مرحلة الحق وعندما تصل إلى مرحلة الحق تستطيع حتى الآن إدراك هذا الحق فلا تسمع سوى هذا الحق ، وتصبح لهذه الآن قيمة فما تسمعه يكون كأنه المشاهدة ليس هذا فحسب بل يتحول الجسد كله إلى عين تشاهد (تتحول كل شعرة في أجساد العارفين إلى عين) ، إن هذا الإدراك يحول الصدر كله إلى مرآة ينعكس فيها هذا الجمال الالهي، جاهد إذن ليكون خيال (الحقيقة) زائداً فهو الدليل لهذا الباحث عن الحقيقة الى الحقيقة والمجاز هو قنطرة الحقيقة، فيها أيها الملك يا ملك الدنيا تحامق مع هذه الجارية والمحظية والزوجة لألف زوج- بتعبير حافظ - فترة من الوقت هذه هي؟؟ وكل إنسان أخذها فترة من الوقت ، ويا من أنت في دنيا كحلم النائم ، اعتبرها حلماً ، وتعامل معها كحلم ، إن المأمّن هنا في البحث عن رضا الله سبحانه وتعالى ، فاتخذة مأمناً ، قبل أن يأخذ جلال الموت بحلقك .

(٣٩٣٥ - ٣٩٤٦) : منكر البعث في البيت ٣٩٣٥ هو نفس المناق في البيت السابق إنه لا يعرف سوى ما يراه بعينه ولا يعترف إلا به، فقل له ما أشبهك بطفل يقول أنا لم أر العقل فهل يعني هذا أن يتخلى العاقل عن عقله؟ وإذا جاء أحد العقلاء وأنكر العشق على أساس أنه لم ير هذا العشق الذي يتحدثون عنه هل معنى ذلك أن يختفى هذا العشق عن الوجود لأن إنساناً لم يذقه لم يعترف به؟ أنظر إلى الفرق بين نظرة إخوة يوسف إليه ونظرة

يعقوب (انظر الأبيات ٣٣٠١-٣٣٠٣ من الكتاب الذى بين أيدينا) وموسى عليه السلام لم يكن يعرف أن عصاه (وهى فى يده) سوف تتقلب إلى حية ، وهناك فرق أيها السيد بين هذه العين التى تنظر بها وعين الغيب ، فعين الغيب هى التى رأت العصا حية ولم يرها صاحب العصا مع أنه نبي، كما أنه لم ير اليد البيضاء ، وهى يده وفى جيبه، كان الله تعالى فحسب هو الذى يعلم ، وأنت على كل حال مقيم على ما أنت عليه، لأنك محروم ترى كل ما أحدثك عنه خيالا ووهما وكل همك مصروف على شهوة البطن وشهوة الفرج ، ولا أملك إلا أن أقول لك ﴿لكم دينكم ولى دين﴾ (الكافرون ٦) فلا فائدة من الحديث إليك ، ولا فائدة من عرض الإيمان على من شاخ على الكفر :

والشيخ لا يترك ما به حتى يوارى فى ثرى رسمه
(٣٩٥٧ - ٣٩٥٨) : البيتان ناظران هنا إلى الآية الكريمة ﴿وإن من شيء إلا عندنا خزائنه وما ننزله إلا بقدر معلوم﴾ (الحجر ٢١).

(٣٩٦١ - ٣٩٦٩) : يتحدث الخليفة الى المحظية وكأنه سلطان من سلاطين الطريق ، ويتحدث عن النور الذى فى قلبه ويهديه إلى الحقيقة ، والقمر المخفى بالغمام ، والمصباح الذى يكون تحت الطست هو قلب العارف عندما تشغله أمور الدنيا ، وكأن السلطان هنا يدعى أنه من العارفين وعباد الله المؤمنين الذين وهبوا "الفراسة" وإجلاء القلوب ، وينظر بنور الله وإن كانت الدنيا تشغله بين الحين والآخر ، ووضع المصاحف على بعضها عادة إيرانية قديمة ، والمصاحف السبعة تعبر عن القراءات السبعة (مولوى ٥/٥٧٠) .

(٣٩٧٤ - ٣٩٨٤) : يترك مولانا سياق الحكاية وينصرف إلى بيان فكرة تحدث عنها قبل ذلك بالتفصيل فى الكتاب الثالث الأبيات ٣٤٤٥ - ٣٤٨٥ (وشروحها) إن كل شيء تظنه مخفياً سوف يظهر لك عياناً يوم الحشر ، إنك إن زرعت بذور السوء هنا فلا تظن أنك سوف تجنى خيراً فى الحشر، وما أشبه هذا الحشر بالربيع الذى يظهر ما دفن تحت الأرض فى فصل الشتاء، وتبدى لك الأرض أسرارها، وتأتيك بالأنباء عما تخفيه فى باطنها ، وما أشبهك بشارب للخمر فى ليل هذه الدنيا وظلمتها، فإن أسفرت القيامة عن صباحها أخبرك الخمار عن تلك الخمر التى شربتها، فالخمر هى البذرة المخفية، والخمار هو برعمها الذى ظهر على وجه الأرض ، وبالرغم من أن البرعمة لا تشبه البذرة فإنها نتیجتها، ومهما لم يتشابه الهولوى والأثر فهذا نتیجة ذاك وذاك هو السبب فى هذا .

(٣٩٨٥ - ٣٩٩٩) : وانظر إلى كل الأشياء فمتى شابهت أسبابها ، هل تشبه النطفة الطعام ، وهل يشبه الجنى النار ، وهل يشبه السحاب البخار؟ وهل يشبه عيسى جبريل ؟ وهل يشبه الإنسان التراب ؟ وهل يشبه اللص المشنقة؟ وهل تشبه الجنة الطاعة ؟ ، فاعلم أن أى ألم حاق بك أنه هو نتيجة زلة، حتى وإن لم يشبه هذه الزلة التى ارتكبتها والشهوة التى قادتك إلى هذه الزلة (من الممكن أن يكون الحديث هنا من خليفة مصر إلى نفسه) وإن شعرت بالحزن فاستغفر ، فإن لكل حزن ذنباً ، حتى وإن لم تكن تعرف هذا الذنب أسجد لله الحكم العدل الذى لا يصيب إنساناً بألم أو حزن أو غم دون ذنب جناه ، والله سبحانه وتعالى سوف يستر عليك ويغفر لك ، بدلاً من أن تتغلب غصة الأحزان وهى مختفية فى القلب إلى فضيحة "وينقلب قبض القلب إلى قبض العسس" (انظر لتفصيلات فى هذا المعنى الكتاب الثالث الأبيات ٣٤٨ - ٣٦١ وشروحها) .

فى العنوان السابق على البيت رقم ٤٠٠٠ ﴿من عمل صالحاً فلنفسه ومن أساء فعليها﴾ (الجاثية ١٥) و ﴿إن ربك لبالمرصاد﴾ (الفجر ١٤) .

(٤٠٠٣) : إن من يعتدى على الأعراض يدعو الناس للاعتداء على عرضه فكأنه قواد لأصله ﴿من زنا زنى به ولو بحيطان داره﴾ (جامع ١٧١/٢) .

(٤٠١٣) : ﴿عسى ربكم أن يرحمكم وإن عدتم عدنا﴾ (الاسراء ٨) .

(٤٠١٥) : ﴿قالا ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين﴾ (الأعراف ٢٣) .

(٤٠٣٠) : فى العنوان السابق على البيت : ﴿نحن قسمنا بينهم معيشتهم فى الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضاً سخرياً ورحمة ربك خير مما يجمعون﴾ (الزخرف ٣٢) والبيتان المذكوران فى العنوان : ذكر مولوى (٥٧٧/٥) وأنقروى (٨٣٩/٥) (واستعلامى ٣٩٨/٥) أنهما لنظامى ولم يحددوا فى أى منظوماته والأرجح أن البيت من مخزن الأسرار كما ذكر جعفرى (٥٨٤/١٢) أما البيت التالى فقد ذكر المولوى والآنقروى أنه لسنائى الغزنوى من منظومته "اسرار نامه" وليس لسنائى الغزنوى منظومة بهذا الاسم وقال استعلامى أنه لم يستطع التوصل إلى قائله والبيت من حديقة الحقيقة وهو رقم ١٠٥١٨ (أنظر الترجمة العربية) .

(٤٠٣٥) : { حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات } حديث نبوى (انظر الابيات ٤٢٣-٤٤٥ من الكتاب الذى بين أيدينا وشروحها) .

(٤٠٣٦ - ٤٠٣٩) : يعود مولانا إلى إياز وحكايته : فالسلطان يخاطب إياز على أنه مثال من أمثلة الرجولة الحقة لأنه يتغلب على نفسه التى بين جنبيه، إنه ناجح موفق فى كل امتحان يمتحنه السلطان فيه ، ويمهد مولانا الحديث عن الحكاية التالية :

(٤٠٤٠) : الحكاية التى تبدأ بهذا البيت وردت قبل المثنوى فى مصيبت نامه للعطار وفى مقالات شمس تبريز والاحتمال الأكبر أن يكون مولانا جلال الدين قد نقلها من مقالات شمس تبريز (استعلامى ٣٩٨/٥) وللب الحكاية أن أمر السلطان أئمن من الجوهرة مهما كانت قيمتها .

(٤٠٥٦) : حملهم من الطريق إلى البئر أى ضللهم ولم يخبرهم عن هدفه الحقيقى .
(٤٠٥٩) : العنوان السابق على البيت (عن التقليد والتحقيق انظر الكتاب الذى بين أيدينا الأبيات ٢٤٤٦-٢٤٥٤ وشروحها وعن الامتحان انظر الكتاب الثالث الأبيات ٧٤٣-٧٤٦ وشروحها) .

(٤٠٦٣) : إشارة إلى ما ورد فى سورة يوسف ﴿ فلما ذهبوا به وأجمعوا أن يجعلوه فى غيابات الحب وأوحينا إليه لتتبئنه بأمرهم هذا وهم لا يشعرون ﴾ (آية ١٥) وانظر الكتاب الثالث ٢٣٤٠-٢٣٤٤ وشروحها) والفتح والظفر هنا كناية عن العناية الالهية .

(٤٠٧٠ - ٤٠٧٥) : الزاهد هو الذى يعبد خوفاً من النار أو طمعاً فى الجنة والعارف هو الفارغ من الخوف والرجاء والعابد عشقاً ، إنه يعلم من البداية أن روح الانسان فى الأزل كانت متصلة بالحق وأنها تعود فى النهاية إلى الحق ، إن الله سبحانه وتعالى قد خلصه من كل ادعاءاته، ومحا الخوف عنه فأصبح كله رجاء فى وصال الحق .

(٤٠٨٢ - ٤٠٨٧) : الجوهرة هنا هى مغريات الدنيا، وأمر الملك هو كناية عن العلاقة بين العبد وربّه والحجر الملون كناية عن الوثن والصنم وكناية عن الجوهرة التى حطمها إياز ، وكناية أيضاً عن كل ما يقف بين العبد وربّه ، وممارسة الملك التعلق بسواه من أجل خداع الألوان ، تلك الزخارف التى تصرف العبد عن التفكير فى خالقها ، وما هى إلا جرار تحتوى على قليل من ماء البحر أو ماء الجدول ، فكل جميل فى هذا العالم إنما يملك فتات الجمال والذى يشغله عن معدن الجمال وجوهره ، وقاطعو الطريق فى الدين كناية عن أولئك الذين

يقعدون للسالكين كل مرصد ويصرفونهم عن الطريق القويم من المشايخ المزيفين المزورين ، وهؤلاء ديدنهم الرسوم والألوان والروائح ، وهم كالنساء (الفكرة من سنائي انظر ص ٤٥١ من الديوان).

(٤٠٩٤ - ٤١٠٦) : قد يكون مولانا يصور مناجاة من العبد أمام الله فمن يكون السلطان محمود الغزنوى لى يتوارى السخاء كله أمام سخائه وتصغر الأحلام أمام حلمه ؟ وتكون الطيور المباركة التى إن أظلت أحداً كما تقول الأساطير جعلته ملكاً تأخذ بركتها منه ، وأى غفران يكون للملك وأى عفو يكون له بحيث تتجراً الثعالب على الأسود ، وعندما يتحدث مولانا عن الغفلة التى تنتج من الرعية من كثرة حلم الملك لا يمكن أن يكون المقصود هو الملك أو السلطان محمود ، بل لابد وأن يكون المقصود أنه لولا عفو الله لما تجرأ العبد على ارتكاب ذنب واحد وهذه الغفلة إنما تكون نتيجة عن الوقاحة ، فالعين الرمضاء هى التى لا تشعر بالهيبة ومن ثم لا تقوم بالتعظيم ، فكيف يشعر صاحب العين الرمضاء بالهيبة وهو لا يبصر شيئاً ، ثم يأتى التعظيم فيحرق هذه الغفلة ويحرق هذه الوقاحة ، والخائف لا ينام ، فهل رأيت نائماً أثناء غارة أو أثناء معركة ، وهكذا ، فإن من يحس بتعظيم الله تعالى ، تتطلق الغفلة وتتطلق الوقاحة خارج قلبه فينطلق مخاطباً ﴿ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا﴾ (البقرة ٢٨٦) .

(٤١٠٧ - ٤١١١) : ومن هنا يحتسب النسيان كذنب على شكل ما ، فالنسيان لا بد وأن يكون لسبب من الأسباب ، وأهم سبب من هذه الأسباب هو التهاون فى تعظيم ذات الله ، وقد يقول قائل : إن النسيان أمر يطرأ على الإنسان دون رغبة منه ، لكن النسيان مع ذلك قد يكون اختياراً ، فليس للسكير أن يحتج بالنسيان لأنه بسكره قد جلب هذا النسيان إلى نفسه .

(٤١١٣ - ٤١١٤) : وفرق بين سكر وسكر ، بين سكر بالخمير الأرضية تجلبه لنفسك ويكون وبالاً عليك ويحاسبك عليه ربك ، وبين سكر بالخمير الإلهية وبجمال الإله يعذك فيه الإله "ساقى الروح" ويحفظ عليك فيه عهدك ، بل إنه يعتذر عنك ، ويساعدك ، ويغفر لك زلة السكر فزلة العاشق الثمل بالخمير الإلهية أفضل من طاعة غيره (انظر الكتاب الأول البيت ١٥٨٩ وانظر الكتاب الثالث عن سكر هاروت وماروت بخرم القرب الإلهي) وكم من أمور تبدر من العارف الثمل بالخمير الإلهية ينكرها عليه أهل الظاهر ومن لم يتذوقوا قطرة واحدة من هذه الخمر .

(٤١١٥ - ٤١١٧٩ : لا يزال إياز "العبد السالك والولى الكامل" يخاطب السلطان "أو السلطان الأزلى الأبدى" فيحدثه عن عفوه الذى تعد أنواع العطف الموجودة فى كل العالم ذرة واحدة منه } أن الله سبحانه وتعالى خلق الرحمة يوم خلقها مائة رحمة فأمسك عنده تسعاً وتسعين وأرسل فى خلقه كلهم رحمة واحدة فلو يعلم الكافر بكل الذى عند الله من الرحمة لم ييأس من الجنة، ولو يعلم المؤمن بالذى عند الله من العذاب لم يأمن من النار} البخارى ومسلم عن أبى هريرة ، وفى حديث آخر {إن الله تعالى خلق يوم خلق السماوات والأرض مائة رحمة كل رحمة طباق ما بين السماوات والأرض، فجعل منها فى الأرض رحمة فيها تعطف الوالدة على ولدها والوحش والطير بعضها على بعض وأخر تسعاً وتسعين فإذا كان يوم القيامة أكملها بهذه الرحمة} أحمد فى مسنده (للحديثين الجامع الصغير ٧٠/١) فهل يمكن أن يقاس عفو الناس بعفوه أو رحمتهم برحمته ، اتقوا أيها الناس القيام بهذه المقارنة الظالمة .

(٤١١٨ - ٤١٢٤) : الحديث أيضاً موجه فى الظاهر إلى السلطان محمود لكن أى فراق عن أمثال السلطان محمود يسبب هذا الهلع وهذا الوجد عند مولانا؟ إن أمثال هذه التعبيرات عن الفراق لا توحى إلا بأن الفراق المقصود هنا هو الفراق عن نبع الحياة ومصدر العشق (انظر عن الفراق الكتاب الثالث الأبيات ٤٠٥-٤١١ وشروحها والأبيات ٣٦٩٠-٣٦٩٨ وشروحها) إنه وجهك الجميل يا الله ثواب أعمالنا فأى تحمل لفراقه ، إن نظرة منك حتى على الكافر تجعله يتحمل سقر وعذابها ، إن هذه النظرة هى الدية لأرواح كل من ضحوا بأرواحهم فى سبيل الله وفى دعاء لعلى عليه السلام "فلئن صيرتني فى العقوبات مع أعدائك وجمعت بينى وبين أهل بلائك ، وفرقت بينى وبين أحبائك وأوليائك ، فهبنى سيدى ومولاى صبرت على عذابك فكيف أصبر على فراقك" (عن سبزوارى ١ ٤٠١) .

(٤١٢٥ - ٤١٣٤) : الإشارة هنا إلى ما ورد فى الآية الكريمة ﴿قال آمنتم له قبل أن آذن لكن أنه لكبيركم الذى علمكم السحر فلسوف تعلمون ، لأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف ولأصلبنكم أجمعين ، قالوا لا ضير إنا إلى ربنا لمنقلبون﴾ (الشعراء ٤٩-٥٠) وانظر أيضاً الكتاب الثالث الأبيات ١٢٤٦-١٢٥١ حيث وقفت رواية مولانا عند هذا الجزء الذى يبدأ فى آخر الكتاب الذى بين أيدينا إن ما يعتبره فرعون قتلاً وموتاً يعتبره السحرة الذين آمنوا حياة أبدية خالدة ، ومن هنا قالوا لا ضير (انظر عن الموت كبداية لحياة أفضل الكتاب الثالث ٣٥٢٩-٣٥٣٦ وشروحها) ، فهيا اقترب يا فرعون حتى تسمع الألحان الألهية تقول ﴿يا ليت

قومي يعلمون بما غفر لي ربي وجعلني من المكرمين ﴿يس ٢٦-٢٧﴾ ، إن ما يعتبره فرعون فناءً هو في الحقيقة بقاء وما يعتبره حرماناً هو غنى فأى نيل وأى مصر ، إن النيل إلى جوار بحر المعرفة الإلهية مجرد جدول ، وهو إلى جوار عالم الروح الرحب المتسع لا يساوى شيئاً ، وأى فخر لفرعون بالنيل وبمصر ، وما النيل وما مصر ليقول ﴿أليس لي ملك مصر وهذه الأنهار تجري من تحتي﴾ (الزخرف ٥١) وفي عالم الروح آلاف الأمصار والأقطار ؟! كيف تقول يا فرعون "أنا ربكم الأعلى" وتهلع من عبد من عبيدك كل هذا الهلع ؟ (انظر الكتاب الذي بين أيدينا الأبيات ٢٤٤٢-٢٤٤٥ وشروحها) .

(٤١٣٥ - ٤١٤٢) : عندما ادعى فرعون الألوهية وقال أنا ربكم الأعلى أثبت أنه لا يعرف ربه ولا يعرف نفسه أيضاً ، وعندما اعتبر أن قتل السحرة هو إفناء لأنبيائهم كان واهماً ، فإنهم أدركوا بأنبيائهم وهم يدركون الآن أن تلك "الأنا" التي تخصهم قد نجت من أنيتها وإحساسها بذاتها وشهواتها وهمومها ، إن ذات فرعون كانت شؤماً عليه هو نفسه ، لكنها كانت سعداً واقبالاً على هؤلاء السحرة الذين آمنوا برب موسى ، وما هذه الجذوع التي يصلبهم عليها فرعون إلا المركب الذي به ينطلقون إلى ما لا يستطيع وهم أى فرعون أن يصل إليه ، إلى الملك الحقيقي ، وإلى دار الملك الحقيقي ، لا ملك الغفلة التي يظنه فرعون اللعين ملكاً ، وما هو إلا دار الغرور (انظر الكتاب الرابع ٣٠٨٣) وهكذا فإن فرعون يظنه عدماً وهو وجود وحياة ويظنه فناء وهو بقاء سرمدي (انظر عن البقاء والفناء مقدمة الترجمة العربية للكتاب الثالث) .

(٤١٤٣ - ٤١٤٨) : هناك نوعان من "الأنا" أنت حائر بينهما هذه الأنا الموجودة وجوداً جسدياً ، ثم وجودك الأزلي الأبدى أو ما يعبر عن مولانا بأنية الأزل التي يحار القلب في عوالمها وفي قدراتها وفي عظمتها ، والتي تعد "أنا" الجسد عاراً عليها ، والأنا التي بلا أنا هي تلك الذات التي تخلصت من أنيتها واتصلت بالبقاء سرمدي ، هي تلك الأنا التي بها تسعد الروح ، إنها حين تخلصت من أنية الجسد صارت جدرة بأن تطلق على نفسها لفظ "أنا" ولن تستطيع أن تحس بهذه الأنا إلا إذا توصلت إلى فناء تلك الأنية الجسدية ، حينئذ تكون حياة سرمدية ، تطلبك هذه الأنا ولا تطلبها أنت .

(٤١٤٩ - ٤١٥٢) : تراك تظن أن فهم هذه الأمور يتأتى بالعقل ، إذن لكان فخر الدين الرازي عالماً (المفكر في القرن السابع وخمسمائة) ولد والد جلال الدين والذي يقال إن

دساتسه لدى خوارزم شاه كانت السبب فى غضب خوارزم شاه عليه ومن ثم هجرته مع أسرته من موطنه وقد ناقش عبد الحسين زرین كوب هذه القضية وجزم بعدم صحتها - انظر سرنى ٧٤/١-٧٧) والعقل هنا هو عقل الفقه وعقل المدرسة وعقل الجمع والعقل الدنيوى ، والأمور كلها بالذوق "ومن ذاق عرف ومن حرم اختلف" ومن ثم فإن هذه الأنا الجسدية لا تدرى من أمور الكشف شيئاً ، ولأن الأمور بالذوق فإن العقول الجزئية تتشدد بالحلول (أى حلول الله جل شأنه فى جسد العين) وبالاتحاد والأمور كلها روحية ولا علاقة لها بالأجساد ، ولا علاقة لها بهذه الأنا إنه اتحاد النور (انظر ٢٠٣٨ من الكتاب الذى بين أيدينا) .

(٤١٣٥ - ٤١٥٧) : إن هذا العبد "اياز" الفانى فى الله من قربه منه ، المستمد منه النور لفرط عشقه كالنواكب المقتربه من الشمس تستمد منها نورها ، وهكذا فناء العبد فى النور إنه مثل تخلق النطفة وتحولها إلى جسد ، لقد صارت هذه النطفة جسداً كامل الخلقة فكيف تتكرر تحول الجسد إلى نور ، وأى سقوط لك إذن فى الاتحاد والحلول ، أى عفو يطلب من العبد ، إنك أنت يا الله خزانة العفو ، والعفو موجود فى سابق لطفك ، والعفو للسلطين ، فأى عفو يرجى من العبيد وأية جرأة لهذه "الأنا" حتى تتشبث برداء "الأنا" المطلقة .

(٤١٥٨ - ٤١٦٩) : لا يزال مولانا يتابع قصة اياز ومحمود "العبد الصالح والإله الخالق" وها هو اياز يعتذر عن أنه تشفع من أجل العفو عن الأمراء المجرمين والحديث الوارد فى العنوان "أنا أعلمكم بالله وأخشاكم لله" لم أجد له أصلاً وأقرب ما توصلت إليه منه {إنى لا أرجو أن أكون أخشاكم لله وأعلمكم بما يتقى} (شرح التعرف ٧٦/٢) . والآية الكريمة فاطر ٢٨. ويعتذر اياز هنا عن التشفع بأنه أنا كان يفتح طريقاً من أجل معاينة حلم السلطان والرواية هنا اعتذار من الشفييع وفى الكتاب الرابع غضب من المشفوع فى حقه (انظر الأبيات ٢٩٧٥-٢٩٨٤ وشروحها) ، ما هذا التبحر ، وما هذه الجرأة بحيث يقوم "عبد" بإخبار "السلطان" عن شروط الكرم ، وكل ما أنا إنما يكون من نورك يا مالك الملك ، وما جرأتى هكذا إلا لإكرامك لى وتفضيلك إياى ، لا بل أنت الذى أوحيت لى بهذا الدعاء وهذه الشفاعة (انظر دعاء الدقوى وشفاعته فى الكتاب الثالث البيت ٢٢٨٣) وعن أن الدعاء والاستجابة له (انظر الكتاب الثالث الأبيات ١٨٩-١٩٩ وشروحها) إن هذا الدعاء وهذه الشفاعة إكرام من الحق لبعض عبده لى يكون فخرهم حتى يصبح هذا الذى كان ألماً بأجمعه بلسماً للخلق وطيباً لهم وشافياً لآلامهم (انظر الكتاب الثالث ٢٧٠) .

(٤١٧١ - ٤١٧٩) : لقد جعلت أنت يا الله من هذا المخلوق الشهوانى الجدير بجهنم كأنه ماء الكوثر يطفىء نيران الجحيم ، بل يعيد من احترقت جلودهم فى نار جهنم الدنيا وشهواتها ويجعلهم لاتقين بالجنة مستعدين لها ، هؤلاء البشر هم ربيع هذا العالم يأخذون بأيدي من جردتهم رياح الخريف من الأوراق والثمار وييثون فيهم الحياة ، كل منهم كأنه إسرافيل ينفخ فى صور المعنى فيحيا موتى الروح وكونك يا إلهى قد اصطفيت من عبادك من خصصتهم بهذا الكرم هو مصداق لحديثك { خلقت الخلق ليربحوا على ولم أخلقهم لأربح عليهم } (وردت أيضاً للإمام على رضى الله عنه : يقول الله تعالى يا ابن آدم لم أخلقك لكى أربح عليك إنما خلقتك لتربح على فاتخذنى بدلاً من كـل شئ" (فروزانفر احاديث مثوى ، ص ٥٨) .

(٤١٨٢ - ٤١٨٦) : إن عالم الغيب هو مصدر كل أحاسيسنا وعواطفنا وهو أيضاً مورده ، إن عفو الخلق مجرد صدى من عفوك أنت ، كلها سيول وجداول تفيض من بحرك وتعود إليك إنها كل صباح تطير صوبنا كأنها طيور وفى المساء تكون رجعتها إليك أنت ، إنها الأرواح ، تجعلها محبوسة فى الأبدان طيلة النهار فإن جن عليها الليل تحلق إليك بأجنحتها عاشقة لهذا الأيوان صائحة ﴿إنا إليه راجعون﴾ (البقرة ١٥٦) .

(٤١٨٧ - ٤١٩٩) : الحديث عن الرجعة الأخيرة ، لا رجعة طيور الأرواح عند نوم الأجساد (من هنا قيل النوم هو أخ الموت واليقظة هى الحشر الأصغر) وعندما يناديها الخالق : تعالوا وتكون الرجعة الأخيرة، فلا يبقى حرص ولا غم ولا يحزنهم الفزع الأكبر ، عندئذ تنتهى الغربية ، غربة الأرواح فى الدنيا ، وبعدها عن منبتها الذى لا تزال تحن إليه منذ أن اغتربت عنه ، عندئذ تسترخى بعد الكدح ، كدح الدنيا وعنائها ، ويزوجون بالهور العين اللاتى كن فى انتظار هؤلاء الصوفية السالكين يعودون من سفر الدنيا ، ومن رحلة الامتحان ، ومن مزبلة البشر ، ومن متربة الدنيا ، فلا أثر منها وقد صفاهم ربهم من الكدر ، لكن هناك قوما آخرين اتقنتهم الذنوب ، ورسبوا فى الامتحان ، لكنهم أيضاً أيها الإله طامعون فى عفوك ، راجون مغفرتك ، أملون فى لطفك ، فاغسلهم أيها الإله العظيم بالثلج والماء والبرد ، وصفهم فى عين المغتسل البارد (ص/٤٢) ، لكى يصطفوا فى صفوف الملائكة مصلين لك مسبحين بحمدك ، معترفين بفضلك ولطفك ، ترانى أستطيع أن أخط وصف هذه الحال فى بيان ، وهل يستطيع القلم أن يصف هذا الرضوان !!

(٢٤٠٠ - ٤٢٠٨) : لا يفتأ مولانا جلال الدين يتحدث عن البيان الذى لا يستطيع أن يستوعب المعانى الراقية السامية التى تدور فى ذهنه ، إن المعانى كالبحر والبيان كإناء فخار ، والمعانى كالأسد الهصور والبيان كالحمل الوديع ، ومن هو فى حجاب لا يستطيع أن يعبر عما هو وراء الحجاب ، فاخرج من احتجابك بالمادة حتى ترى عالم المعنى ، والسكارى بك أيها الاله يحطمون كؤوسهم دائما عند وجدهم ، وجد السكر لا يتم الا بعد أن يفيق الثمل ، وهؤلاء لا يفيقون أبدا ، فمن سكر بهواك لا يفيق .

(٤٢١١ - ٤٢١٦) : لا يزال فضلك يقول لهذا الثمل بك ، اذهب وامض ، استرح ، إنك قد سقطت فى المخيض ، إنك مخدوع (انظر ٢٧١٦ من الكتاب الثالث) ، إنك تظن نفسك ثملا ، لا ، إنك أنت الخمر نفسها ، فبك ثمل الناس ، إنك ضعيف لكن الأقوياء يثملون بك عندما تسوق مركبك نحو بحر معرفة الحق واللذائذ الروحانية ، إنك انت أيها الثمل بالعشق الإلهى برغم ضعفك محور الوجود وقطب المخلوقات (انظر ٢٣٣٩ من الكتاب الذى بين أيدينا) ، ومن خمر ك يا ثملا بالعشق الإلهى تصبح الجبال نفسها ثملة بالعشق (أيها العاشق ذاق الطور عشقا * رقص الجبل وموسى خر صعبا ، البيت ٢٦ من الكتاب الأول) ، وكل الجواهر إلى جوار مرتبة العاشق رخيصة الثمن لا تساوى شيئا ، وماذا أقول ؟! إن البيان قاصر عن وصف هذا الذى لا يوصف ، وأى فم يستطيع أن يتحدث وخمسائة فم عاجزة وقاصرة ولا تستطيع أن تصفه ، وكلما أردت أن أصف روح العالم ، العشق السارى فى الأكوان ، والعاشق أو الإنسان الكامل ، أصبت بالخجل !!

(٤٢١٧ - ٤٢١٩) : إننى أشعر أمامك بالانكسار يا ملك العالم ويا عالما بالسر لأن بيانى قاصر ولغتى عاجزة ، لكن هل أكون أكثر انكسارا من العدم الذى قد تخلق بالله عوالم تصل إلى الوجود عالما بعد عالم؟! بلطفك ومنك وكرمك تأتى بالموجودات كلها فى عالم العدم إلى عالم الوجود ، وغير هذه العوالم التى خلقت هناك آلاف العوالم التى تنتظر الخلق ، وهناك سير مستمر ، حركة مستمرة تحرك العدم إلى الوجود فى مراتب وأطوار ، فمن الموت فى عوالم الهوى يجذبه إلى عالم الجماد وبالموت فى عالم الجماد يجذبه إلى حيز النبات ثم إلى حيز الحيوان ثم يدخل فى أطوار الإنسانية ، تجدد مستمر بين الموت والحياة ، ثم مرة ثانية بمقتضى إنا إليه راجعون عودة إلى العالم الأسمى ، عالم العدم مصنع الإبداع ومنشئه ، وفى هذا التغير المستمر ، هناك ما لا يتغير ولا يتبدل ، وقدم الصانع وحادثة المصنوع هو الذى

يفصل كل مراتب الوجود عن اللاهوت ، ومرتبة يعبر عنها العرفاء بـ " هاهوت " ، فجوة لا يمكن عبورها تجعل العارف السالك واقفاً على نقص وجوده واحتياجه وفقره ، بحيث يئن دائماً وينوح من أجل أن يقوم بعبوره (سرنى ٥٥٧/١) (انظر أيضاً مثوى مولانا جلال الدين ٦٩٠/٢ و ٧٦٢ و ٣٩٠١/٣ - ٣٩٠٦ و ١٨٨٩/١) .

(٤٢٢٧ - ٤٢٢٠) : كل هذا يصيب رأسى بالدوار فى طلبك ، أحس بأن كل ذرة من الحياة مصدرها أنت ، وأنا مجرد ميت أمامك ، والرغبة نفسها ، تلك الرغبة فى أن تتكشف أمامى هذه الحجب ، أنت الذى خلقتها فى صورتها فى نفسى ، وأنت محركها ، وأنفاسك السارية فى هذه الألوان ، ونفختك الإلهية التى هي أصل الخلق هي التى تحرك عالم التراب ، فهل يتحرك تراب دون ريح ؟! وهل تسير سفينة دون ماء ، إن ماء الحياة الذى يهب الموتى الحياة الخالدة وينقذهم من الموت إلى جوار ما تمنحه أنت من كدر ، فإن الموت منك أيها الإله هو بمثابة ماء الحياة (انظر لماء الماء البيت ١٢٧٤ من الكتاب الثالث) .

(٤٢٣١ - ٤٢٢٨) : وما الموت وما الحياة ، إن فى كل لحظة موتاً ونشراً وحشراً (انظر سنائى الحديقة : الصوفية يقيمون فى كل لحظة عيدين) ، والعمر كالجدول يتجدد ماؤه أولاً بأول (انظر الكتاب الأول ١١٥٣ والكتاب الذى بين أيدينا ، الأبيات ٧٩٥ - ٧٩٨) وهذا من جذباتك ومن كرمك ، وليس للماء وجود بدونك فأنت ماء الماء أى أصل الوجود وروحه السارية فيه ، وكيف يمكن لإنسان أن يجرؤ على استقبال الموت دون أن يكون عاشقاً لك ، والا فإن الموت بمقياس العقل الدنيوى كريحه ، ولا يجعله حلواً إلا العشق .

(٤٢٤٣ - ٤٢٣٢) : ها أنا قد قدمت إليك الكتاب الخامس من المثوى المعنوى ، كوكبا درياً ينشر النور فى الأرواح ، وإنما يفهمه من هو أهله ، أما من ليس بأهل فإنه غافل عن طوابع السعد فيه واقتران هذه الطوابع ، إن هذا المثوى كالشهاب الثاقب ، محرق للشياطين التى تسترق السمع إليه ، كأنه الرامى بالنفط ، نفس هذه النجوم التى تقوم بدور العقارب التى تلدغ الشياطين ، أو ذلك الكتاب الذى يجد فيه شيطانى النفس مثل لدغ العقرب ، يكون ولياً باعثاً للسعادة كنجم المشتري لمن هم يعتقدون " فيه " ويستمر مولانا فيدق على النجوم والبروج فهو " قوس " ، بالنسبة للشيطان و " دلو " ، بالنسبة للولى عند الزرع والثمر ، وهو كالشمس يمزق العدو كما يمزقه الأسد ، لكنه يربى الياقوت فى منجمه ، وهكذا ، كل أثر فكرى ، إنه قد يكون سماً فى فم أحدهم ، لكنه يكون شهداً بالنسبة للآخر ، فإنك إن كنت حبيباً تتال منه

الشهد ، وإن كنت عدوا فليس لك منه إلا السم ، وألم يشرب الفاروق عمر رضي الله عنه ذلك السم الذي وجد في غنائم المدائن (والرواية أيضاً وردت عن خالد بن الوليد) (أو أرسل هدية من قيصر الروم) ، ولم يمت !! (لم يقترب منها أي مفسر إيراني !!!) وهكذا رجل الحق فإنه لا يصاب بأدنى ضرر حتى من أي شيء يكون ضرره محتوماً .

فهرس محتويات المجلد الخامس

تفسير ﴿ خذ أربعة من الطير فصرهن إليك ﴾

في سبب ورود هذا الحديث للمصطفى صلوات الله عليه وهو { الكافر يأكل في سبعة أمعاء ، والمؤمن يأكل في مــــعى واحد }

فتح المصطفى عليه السلام باب الحجرة للضيف ، واخفائه صلى الله عليه وسلم نفسه ، حتى لا يرى الضيف خيال من فتح الباب ، ولا يخجل ويخرج بـجـرأة

سبب رجوع ذلك الضيف إلى منزل المصطفى ﷺ في تلك اللحظة التي كان فيها المصطفى ﷺ يغسل فيها فراشه الملوث بيده ، وخجله ، وقيامه بتمزيق ثوبه ، ونواحه على نفسه ، وعلى أحواله

ملاطفة المصطفى ﷺ لذلك الأعرابي الضيف وتهدئته إياه من اضطرابه وبكاء ذلك الأعرابي ونواحه على نفسه خجلا وندما وبتأثير نار القنوط

بيان أن الصلاة والصوم وكل الأعمال الظاهرة شهود على النور الباطني

تطهير الماء لكل أنواع الدنس ، ثم تطهير الله سبحانه وتعالى للماء من القذر ،
فلا جرم أن الله سبحانه وتعالى هو القدوس

استعانة الماء بالحق جل جلاله بعد تكميله

دلالة الفعل والقول الخارجيين على الضمير والنور الداخلي

في بيان أن النور في حد ذاته مضيء من داخل المرء دون أن يفسره قول
أو فعل ويدل على نوره

عرض المصطفى عليه السلام الشهادة على ضيفه ذاك

بيان أن النور الذي هو غذاء الروح يصبح غذاءً لأجسام الأولياء ، حتى يصبح
قرينا للروح مصداقا لقول الرسول ﷺ : أسلم شيطاني على يدي

إنكار أهل الجسد لغذاء الروح وارتجافهم من أجل الغذاء الخسيس

مناجاة

تمثيل اللوح المحفوظ وإدراك كل إنسان من ذلك اللوح بالنسبة للأمر وقسمته
ومقدار رزقه ، بإدراك جبريل عليه السلام كل يوم من اللوح الأعظم

تمثيل الأساليب المختلفة والهمم المتباينة باختلاف تحرى المتحررين للقبلة في
الظلام ، وبحث الغواصين في قاع البحر

تفسير : يا حسرتا على العباد

سبب تسمية الفرجية بهذا الاسم من البداية

وصف الطاوس وطبعه وسبب قتل إبراهيم عليه السلام إياه
في بيان أن كل إنسان يعرف لطف الحق وكل إنسان يعرف قهر الحق ،
وكلهم متعلقون بلطف الحق هاربون من قهر الحق ، لكن الحق تعالى أخفى
أنواعا من القهر في لطفه وأنواعا من اللطف في قهره ، فهو قلب
للزهر ، ومكر من الله حتى يميز أهل التمييز الذين ينظرون بنور الله من
الناظرين إلى الحاضر والظاهر ، مصداقا لقوله تعالى : ﴿ ليبلوكم
أيكم أحسن عملا ﴾

تفاوت العقول من أصل الفطرة خلافا للمعتزلة الذين يقولون أن العقول
الجزئية في الأصل متساوية ، وأن هذه الزيادة والتفاوت من التعلم
والرياضة والتجربة

حكاية ذلك الأعرابي الذي كان كلبه يموت جوعا ، بينما خرج مليئ بالخبز ،
وأخذ ينوح على الكلب وينشد فيه الشعر ، ويبكي ويلطم رأسه ووجهه ، بينما
يخل عن إعطاء الكلب لقمة من الخرج

في بيان أنه لا توجد عين مؤذية للإنسان بقدر العين التي ينظر بها إلى نفسه
بعجب ، اللهم إلا إذا بدلت عينه بنور الحق مصداقا لـ : بي يسمع وبـي يبصر ،
وصارت نفسه

بلا نفس

تفسير ﴿وإن يكاد الذين كفروا ليزلقونك بأبصارهم﴾

قصة ذلك الحكيم الذي رأى طاووسا ينزع جناحه الجميل بمنقاره ، ويجعل جسده عاريا أقرع قبيحا ، فسأله متعجبا : ألن تتدم ؟ قال : لأندم ، لكن الروح عندي أعز
من الجناح ، وهو عدو لروحي

في بيان أن صفاء النفس المطمئنة وبساطتها تصبح مشوشة من الفكر ، كما أنك
إن كتبت شيئاً على وجه مرآة أو رسمت شيئاً عليه ، يبقى أثر عليها ونقصان،
مهما قمت بمحوه

في بيان قول الرسول ﷺ : لا رهبانية في الإسلام

في بيان أن ثواب عمل العاشق من الحق هو الحق نفسه

في تفسير قول الرسول ﷺ : ما مات من مات إلا وتمنى أن يموت قبل ما مات ،
إن كان برا ليكون إلى وصول البر أعجل ، وإن كان فاجرا ، ليقل
فجوره

في بيان أن العقل والروح محبوسان في الماء والطين مثل هاروت وماروت في
جب بابل

جواب الطاووس على ذلك السائل

بيان أن الفضائل والمواهب ومال الدنيا مثل ريش الطاووس أعداء للروح

في وصف أولئك الذين انسلخوا عن أنفسهم فأمنوا شر أنفسهم وفضل أنفسهم ،
فهم قانون في بقاء الحق ، كالنجوم التي تنفي في الشمس نهارا ، ولا يكون
عند الفاني خوف من الآفة والخطر

في بيان أن كل ما سوى الله آكل ومأكول ، مثل ذلك الطائر الذي كان
يمضي لصيد الجراد ، وكان مشغولا بصيد الجراد غافلا عن البازي الجائع الذي
يقصد صيده من خلف ظهره ، والآن أيها الإنسان الصياد الآكل ، لا تأمن عن
صيادك وأكلك ، وإن لم تكن تراه رأى العين ، فداوم النظر إليه بالدليل
والاعتبار ، إلى أن تفتح عين السر

سبب قتل الخليل عليه السلام للغراب وإشارته إلى قمع أية صفة من الصفات الذميمة
المهلكة في المريد

مناجاة

قال النبي ﷺ : إرحموا ثلاثا، عزيز قوم ذل ، وغنى قوم افتقر وعالما يلعب به
الجهال

قصة سقوط حشف غزال في حظيرة حمر ، وشتم تلك الحمر لذلك الغريب حينما
على سبيل الشجار وحينما على سبيل السخرية ، وابتلائه بالقش الجاف الذى ليس
طعامه ، وهذه صفة العبد

المخصوص من الله بين أهل الدنيا وأهل الهوى والشهوة مصداقا لقول
الرسول ﷺ: الإسلام بدأ غريبا وسيعود غريبا فتوبى للغرباء . صدق رسول الله

حكاية محمد خوارزمشاه الذى استولى بالحرب على مدينة سبزوار وكل أهلها
من الروافض ، فطلبوا الأمان لأرواحهم ، فقال : أعطيك الأمان ، إذا أحضرتكم
لي كهدية واحدا من أهل هذه المدينة يسمى أبو بكر

بقية قصة الغزال واصطبل الحمير

تفسير « إني أرى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف » كان الله تعالى قد
خلق تلك البقرات العجاف على صفة الأسود الجائعة ، حتى أنها كانت تأكل تلك

البقرات السبع السمان بشهية ، و بالرغم من خيالات صور البقر أبديت في
النوم تأمل أنت في المعنى

بيان أن قتل الخليل عليه السلام كان إشارة إلى قمع أية صفة من الصفات
المذمومات المهلكات في باطن المريـد

تفسير « لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم ، ثم رددناه أسفل سافلين »
وتفسير « ومن نعمه ننكسه في الخلق »

تفسير « أسفل سافلين ، إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم أجر غير
ممنون »

مثال لعالم الوجود الذى يبدو عدما ، وعالم العدم الذى يبدو وجودا

في تفسير قول المصطفى عليه السلام : لا بد من قرين يدفن معك وهو حي وتدفن معه
وأنت ميت ، إن كان كريما أكرمك ، وإن كان لئيما أسلمك ، وذلك القرين عمك ،
فاصلحه ما استطعت . صدق رسول الله

تفسير « وهو معكم »

في تفسير قول المصطفى ﷺ : من جعل الهموم هما واحدا ، كفاه الله سائر همومه ، ومن تفرقت به الهموم ، لا يبالي الله في أى واد أهلكه

في معنى هذا البيت :

إن مضيت في الطريق ، فإنهم يفتحون لك الطريق
وإن صرت عدما ، يتجهون بك إلى الوجهــود

قصة ذلك الشخص الذى كان يدعي النبوة ، فقالوا له : ماذا أكلت حتى صرت أحمق تهذى ؟ فقال : لو وجدت شيئا آكله ، لما تحولت إلى أحمق ، ولما هذيت ، فإن أى كلام طيب لو قيل لغير أهله يكون من قبيل الهذيان ، وإن كانوا مأمورين بقول هذا الهذيــان

سبب عداوة العوان لأولياء الله الذين يدعونهم إلى الحق وإلى ماء الحياة الأبدية .. وعيشهم غرباء عنهم

في بيان أن الرجل الطالح عندما يتمكن في الشر ، ويرى آثار إقبال الطيبين ، ينقلب إلى شيطان ، ويصبح مانعا للخير من الحسد مثل الشيطان الذى احترق بيدره ، يريد أن يكون جميع الخلق محترقي البيادر (رأيت الذى ينهى عبدا إذا صلى)

مناجاة

سؤال الملك مدعي النبوة هذا عن الرسول الصادق وماذا يكون معه يهبه لأتباعه وماذا يجدونه في حضرته وصحبته غير النصيحة التي يقولها بلسانه

قصة ذلك العاشق الذي أخذ يعدد لمعشوقه أنواع إخلاصه ووفائه والليالي الطويلة ليالي (تتجافى جنوبهم عن المضاجع) وقلعة الزاد و ظمأ الكبد في الأيام الطويلة . وأخذ يقول : لا أعرف وفاء إلا هذا ، فإن كانت هناك خدمة أخرى وطاعة أخرى أرشدني إليها فأنا مطيع لكل ما تأمر به سواء كان الدخول في النار كالخليل عليه السلام أو السقوط بين فكي الحوت كيونس عليه السلام أو العمى من البكاء كشعيب عليه السلام أو التعرض للقتل سبعين مرة مثل جرجيس عليه السلام ، ولاحد لوفاء الأنبياء وتضحياتهم ولا حصر ... وجواب المعشوق عليه

سأل أحدهم عالما عارفا: إن بكى أحدهم في الصلاة بصوت مسموع وتأوه وناح، فهل تبطل صلاته ؟ فأجاب : إن اسمه ماء العين وهو مرتبط بما رآه الباكي ، فإن كان قد رأى الشوق إلى الله سبحانه وتعالى ، أو بكى ندما على الذنب ، فإن صلاته لا تبطل بل تكتمل إذ لأصلاة إلا بحضور القلب ، وإن كان قد تذكر تعب البدن أو فراق الولد تبطل صلاته ، فأصل الصلاة ترك الجسد وترك الإبن مثل إبراهيم عليه السلام الذي كان يضحي بابنه من أجل تمام الصلاة وأودع جسده نار النمرود، وقد أمر المصطفى ﷺ بهذه الخصال في قول الله تعالى (فاتبع ملة إبراهيم) وقوله (كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم)

دخل مرید في خدمة شيخ، ولا أقصد بالشيخ كبير السن بل شيخ العقل والمعرفة، وإلا فإن عيسى عليه السلام كان شيخا في المهد ويحيى عليه السلام كان شيخا في مكتب الأطفال ،

ووجد المرید الشیخ باکیا ، فوافقہ وبکی ، وعندما انتهى وخرج ، خرج خلفه مرید آخر کان أكثر فهما لحال الشیخ مسرعا بسبب غیرته علی الشیخ، وقال له: یا أخي يجب أن أقول لك ، ناشدتک الله ألا تفکر وتقول : مادام الشیخ یبکی فأنا أيضا أبکی ، إذ تلزم ثلاثون سنة من الرياضة التي لا رياء فیها ، وینبغي عبور عقبات وبحار ملیئة بالتماسیح وجبال قاحلة ملیئة بالأسود والنمور ، حتی تصل أو لا تصل إلى ذلك البكاء للشیخ ، فإن وصلت فکمر شطر " زویت لی الأرض کثیرا "

قصة تلك الجارية التي كانت تقضي وطرها مع حمار سیدتها ، وكانت قد دربته کما یدرب الماعز والدب علی جماع الادمیین ، وكانت تضع قرعة فی عضو الحمار حتی لا یجاوز الحد ، وعلمت السیدة ذلك ، لكنها لم تر النقطة الدقیقة الكامنة فی القرعة.. فصرفت جاریتها بحجة مالی مکان بعید ، واجتمعت بالحمار بلا قرعة ، وهلکت مفتضحة . وعادت الجارية فجأة وناحت علیها قائلة : یا روحي ویا نور عینی : رأیت القضیب ولم ترى القرعة.. رأیت الذکر ولم ترى الآخر. کل ناقص ملعون وإن کان الناقصون فی عین الظاهر مرحومین ولیسوا ملعونین ، فاقراء (لیس علی الأعمی حرج) فهي قد نفت الحرج ونفت اللعنة ونفت الغضب

تمثیل تلقین الشیخ للمریدین والرسول للأمة التي لا طاقة لها لتلقین الحق ولا ألفة لها مع الحق بالبیغاء الذی لا ألفة له مع صورة الأدمی بحیث یلقن منه ، فالحق نتعالی یضع الشیخ کما توضع المرأة أمام البیغاء ویلقنه من خلف المرأة ، مصداقا لقوله تعالی (لا تحرك به لسانک) و (إن هو إلا وحي یوحى) وهنا

بداية مسألة لا نهاية لها ، بحيث أن تحريك البيغاء لمنقاره في المرأة والذي تسميه خياله هو بلا اختيار ولا تصرف منه فالصورة هي قراءة البيغاء من الخارج وهو المتعلم لا صورة ذلك المعلم ذلك المعلم الذي وراء المرأة ، فقراءة البيغاء الظاهرة تحت سيطرة ذلك المعلم .. ومن ثم فهذا مثال لا مثل

رأى أحد أصحاب القلوب كلبة حبلى ، وكانت الجراء تتبح في بطنها ، فتعجب وقال لنفسه : إن الحكمة من نباح الكلاب هي الحراسة ، والنباح في بطن الأم ليس من قبيل الحراسة ، كما أنه ليس طلبا للعون أو الرضاع أو ما إليها ولا شيء يوجد من هذه الفوائد قط . وعندم عاد إلى وعيه نادى حضرة الله « وما يعلم تأويله إلا الله » فكشف أن هذه حالة قوم لم يخرجوا من الحجاب ولم تفتح منهم أعين القلوب ، لكنهم يدعون البصيرة ، ويتحدثون بالمقالات ، فلا قوة ولا عون تصل إليهم ، ولا تصل إلى مستمعهم هداية ولا يصل إليهم
رشد

قصة أهل ضروان وحسدهم للفقراء قائلين : كان أبونا من طبيته يعطي أغلب دخل الحديقة للمساكين ، فعندما كان العنب ينضج كان يعطي عشره ، وعندما كان يتحول إلى زبيب ودبس كان يزكي بعشره ، وعندما كان يصنع منه حلوى وفالودج كان يعطي عشره ، وكان يعطي من القصيل " المحصول بالسنابل " العشر ، وعندما يجهز حبوبه في البيدر يزكي بعشرها ، وعندما كان يفصل القمح عن التبن ، كان يزكي بعشره ، وعندما كان يطحنه كان يعطي العشر ، وعندما كان يعجنه كان يعطي أيضا العشر ، وعندما كان يخبزه ، كان يعطي العشر أيضا . فلا جرم أن الحق تعالى كان قد وضع البركة في هذه المزرعة

والحديقة ، بحيث صار كل أصحاب الحدائق يحتاجون إليه سواءً في الثمر أو في المال ، ولم يكن هو محتاجا إلى أحد منهم ، وكان أبناؤه يرون إخراج هذا العشر المتكرر ، ولم يكونوا يرون تلك البركة .. مثل تلك المرأة الشقية التي كانت قد رأت ذكر الحمار ولم تكن قد رأت القرعة

بيان أن عطاء الحق والقدرة ليسا موقوفين على القابلية ، لأن العطاء قديم والقابلية حادثه ، والعطاء صفة الحق والقابلية صفة المخلوق ، ولا يكون القديم متوقفا على الحادث ، وإلا استحال الحدوث .

في ابتداء خلق جسد آدم ﷺ عندما أمر الحق سبحانه وتعالى جبريل بأن يمضي ويأخذ من هذه الأرض قبضة من التراب وفي رواية : من كل ناحية منها قبضة من التراب

إرسال ميكائيل لقبض حفنة من التراب من الأرض من أجل تصوير الجسد المبارك لأبي البشر خليفة الحق الذي سجدت له الملائكة الذين علمهم آدم عليه السلام

قصة قوم يونس عليه السلام بيان وبرهان على أن التضرع والنواح دافعان للبلاء السماوى ، والحق تعالى فاعل مختار ، ومن ثم يفيد التضرع والنواح لديه . ويقول الفلاسفة هو فاعل بطبع وعلة وليس مختارا ، ومن ثم فإن التضرع لا يغير الطبع

إرسال اسرافيل عليه السلام إلى الأرض قائلاً له : خذ حفنة من التراب من أجل
تركيب جسد آدم عليه السلام

إرسال عزرائيل ملك الحزم والعزم لحمل حفنة من التراب من أجل أن يسوى
منها سبحانه وتعالى جسم آدم عليه السلام على وجه السرعة

بيان أن المخلوق الذي يحيق بك ظلم منه هو في الحقيقة كالألة ، والعارف هو
الذي يرجع إلى الحق لا إلى الألة، وإذا رجع إلى الألة فذلك في الظاهر فحسب ،
ومن أجل مصلحة ، كما قال أبو اليزيد: لي سنوات لم أتحدث مع مخلوق ولم
أسمع كلمة واحدة من مخلوق ، لكن الخلق يحسبون أنني أتحدث معهم وأسمع
منهم ، لأنهم لا يرون المخاطب الأكبر ، فهم عند حالي بالنسبة له كالصدي ،
ولا يهتم المستمع العاقل بالصدي . كما يقول المثل المعروف قال الجدار للوتد لم
تشقني ، قال الوتد : أنظر إلى من يدقني

جواب الله على عزرائيل : إن من لاوجه نظره إلى الأسباب والأمراض
والطعن بالسيف فإنه لا يقع عليك أيضاً ، لأنك سبب مهما كنت أخفى من تلك
الأسباب ، وربما يكون خفياً على المريض لقوله تعالى : (وهو أقرب إليكم ولكن
لا تبصرون)

في بيان وخامة دسم الدنيا وحلوها ، ومنعه لطعام الله الوارد في [الجوع
طعام الله يحيي به أبدان الصديقين] أي أن في الجوع طعام الله ، وقوله عليه
السلام [أبيت عند ربي يطعمني ويسقيني] وقوله تعالى (يرزقون فرحين)

الجواب على ذلك المغفل الذى قال : ما أحلى هذه الدنيا لو لم يكن موت وما أحلى ملكها لو لم يكن إلى زوال . وعلى هذه الوتيرة من " الفشارات "

فيما يرجى من رحمة الله تعالى ، معطي النعم قبل استحقاقها (وهو الذى ينزل الغيث من بعد ما قنطوا) ورب بعد يورث قريبا ، ورب معصية ميمونة ورب سعادة تأتي من حيث يرجى النقم ، ليعلم أن الله يبدل سيئاتهم حسنات

قصة إياز وامتلاكه لحجرة ليحتفظ فيها بحذائه القديم وسترة الرعي الخاصة به ، وظن الحاشية أن له فيها كنزا مدفونا ، وذلك لإحكامه غلق الباب وتقل القفل

بيان أن ما نذكره هنا هو مجرد صورة القصة لكي تكون مناسبة لمن يأخذون بالصورة وجديرة بمرآة تصويرهم ، ومن القدسية التي هي حقيقة هذه القصة يخجل النطق من مجرد التفوه بها ، ومن الخجل يضل الرأس واللحية والقلم والعاقل تكفيه الإشارة

حكمة النظر في الحذاء القديم والسترة الجلدية مصداقا لقوله تعالى (فلينظر الإنسان مم خلق)

(خلق الجان من مارج من نار) وقوله تعالى في حق إبليس (إنه كان من الجن ففسق)

في معنى [أرنا الأشياء كما هي] ومعنى [لو كشف الغطاء ما ازدادت يقيننا] وقوله : في كل ما تنظر إليه بعين السوء إنما تنظر إليه من كوة وجودك و" الدرجة العوجاء تلقي ظلا أعوج"

بيان اتحاد العاشق والمعشوق على وجه الحقيقة بالرغم من أنهما متناقضان تناقض الاحتياج والاستغناء ، كالمرآة الخالية ولا صورة فيها ، وانعدام الصورة متناقض مع جودها ، لكن بينهما اتحادا في الحقيقة يطول شرحه

والعقل تكفيه الإشارة

سأل معشوق عاشقا : هل تحبني أكثر أو تحب نفسك ؟ قال : لقد مت عن نفسي وصرت حيا بك ، وفنيت عن ذاتي وصفاتي وصرت موجودا بك ، ونسيت علمي وصرت عالما بعلمك ، ونسيت قدرتي وصرت قادرا بقدرتك ، فإن أحببت نفسي فكأنني أحبك ، وإن أحببتك فكأنني أحب نفسي : كل من تكون له مرآة اليقين * يكون ناظرا إلى الله وإن كان ناظرا إلى نفسه ، أخرج من صفاتك إلي خلقي ، من رآك رآني ، ومن قصدك قصدني ، وعلى هذا المنوال

مجيء ذلك الأمير النمام مع القواد والعسكر في منتصف الليل لفتح حجرة إياز ورؤيتهم للرداء الجلدي والحذاء القديم معلقين ، وظنهم أن ذلك حيلة ومكر وتعمية ، وحفرهم لأرضية الحجرة في كل ركن يعن لهم ، وحفر الحفر ونقب الجدران ، وعدم عثورهم على شيء ، وخجلهم وشعورهم بالخيبة ، كمن ساء

ظنهم وتوهموا ما ليس بكائن عن الأنبياء والأولياء ، إذ كانوا يقولون أنهم
سحرة صنعوا أنفسهم ، وتصوروا عليهم ، وبعد البحث والتفحص يخلون
ويندمون ، حيث لا يجدى الخجل والندم

عودة النمامين من حجرة إياز إلى الملك وهم خلاة الوفاض خجلين مثل أولئك
الذين أساءوا الظن في حق الأنبياء عليهم السلام عند ظهور براءتهم وطهرهم ،
مصادقا لقوله تعالى (يوم تبيض وجوه وتسود وجوه) وقوله تعالى (وترى
الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة)

تحويل الملك إلى إياز مسألة قبول توبة النمامين ومقتضي الحجة أو عقابهم ،
بما يعني أن هذه الجناية قد حدثت في حق عرضـه

قول الملك لإياز : اختر بين العفو والعقاب ، فكل ما تفعله من عدل أو لطف
صواب هنا ، وفي كل منها مصالح ، ففي العدل أدرج آلاف من اللطف (ولكم
في القصاص حياة يا أولي الألباب) وإن من يستكره القصاص إنما يأخذ في
الحسبان حياة قاتل ، ولا ينظر في مائة ألف حياة سوف تعصم وتحقق في
حصن الخوف من العقاب

تعجيل الملك إيازاً قائلاً : إفصل سريعاً في الأمر ولا تتطـرر ، ولا تقل :
لتكن الأيام بيننا ، فالانتظار هو الموت الأحمر ، وجواب إياز على الملك

حكاية في بيان هذا الكلام : إنك قد جربت الكلام كثيرا فلتجرب الصبر والصمت
فترة

في بيان الإنسان الذى يقول كلاما لا يناسب حاله أو دعواه ، مثل الكفرة (ولئن
سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله) وسم يقدسون الأوثان ويضحون
من أجلها بالأرواح والأموال ، فأى تناسب بين هذا وبين الروح التي تعلم أن
خالق السموات والأرض إله سميع بصير حاضر مراقب مستول غيور
إلى آخره

حكاية في بيان التوبة النصوح التي تشبه اللبن الذى يخرج من الثدي وليعود
إليه ثانية .. فكل من تاب توبة نصوحا لا يذكر ذنبه أبدا فيميل إليه ، بل
يزداد كرها له كل لحظة ، وتلك الكراهية دليل على أنه قد وجد لذة القبول ،
وأن تلك الشهوة الأولى قد صارت بلا لذة ، وحلت هذه اللذة محل تلك اللذة
كما قيل :

لا يقضى على العشق إلا عشق آخر * فلما نزل لا تتخذ رفيقا أفضل
وذلك الذى يميل قلبه إلى ذلك الذنب مرة أخرى ، يكون دليلا على أنه لم يجد
القبول ، ولم تحل لذة القبول محل لذة الذنب ، ولم تكن من نصيبه (سنيصره
لليسرى) وبقيت عليه لذة (سنيصره للعسرى)

في بيان أن دعاء العارف الواصل ، وطلبه من الحق ، مثل طلب الحق من نفسه
مصادقا لـ [كنت له سمعا وبصيرا ولسانا ويدا] وقوله (وما رميت إذ
رميت ، ولكن الله رمى) والآيات والأخبار في هذا كثيرة ، وشرح تهئية

الحق للسبب ، حتى يأخذ بأذن المجرم جارا إياه إلى التوبة
النصوح .

وصول الدور في التفتيش إلى نصوح ، ونداء : لقد فتشنا الجميع ففتشوا نصوح
أيضا ، وفقدان نصوح الوعي خوفا ، وانفراج حاله بعد نهاية الشدة ،
مصادقا لقول النبي ﷺ إذا أصابه مرض أو هم : [إشتدى أزمة
تفرجني]

العثور على الجوهرة واعتذار صاحبات الأميرة وجواربها لنصوح

استدعاء الأميرة لنصوح لتدليكها بعد ثبات التوبة وقبولها " من الله " وتعلله
ورفضه

حكاية في بيان أن الذي يتوب ويندم ، ثم ينسى ندمه ، ويجرب المجرب يقع في
خسارة الأبد إذ لا يصل إلى توبته مدد من الثبات والقوة والحلاوة
والقبول ، تكون كشجرة بلا أصل تزداد اصفرارا وتيبسا والعياد بالله

تشبيه القطب العارف الواصل في اعطاء الخلق الرزق من قوت المغفرة
والرحمة على المراتب التي يلهمه الحق إياها وتمثيله بالأسد الذي تكون
الوحوش آكلة من قوته ومن بقاياها على مراتب قربهم من الأسد . ليس
القرب المكاني بل قرب الصفة ، وتفاصيل هذا كثيرة ، والله
الهادي

حكاية رؤية حمار الحطاب النعم التي فيها الخيول العربية الأصيلة في الإصطبل الخاص وتمنيه لذلك الإقبال ، وفي الموعظة أنه لا ينبغي التمني إلا في المغفرة والعناية ، فلو كنت في مائة شقاء وظفرت بلذة المغفرة تكون كلها حلوة ، أما فيما تبقى ، فكل حظ نتمناه بلا تجربة فهو قرين لشقاء لا تراه ، بحيث لا يظهر من كل فخ إلا الحب والفخ خفي وأنت في هذا الفخ تتمنى قائلاً : ليتني أمضي إلى هذا الحب ، ظاناً أنها حبوب بلا فخ

عدم قبول الثعلب قول الحمار " أنت راض بما قسم لي "

جواب الحمار على الثعلب

جواب الثعلب على الحمار

جواب الحمار على الثعلب

في تقرير معنى التوكل .. حكاية ذلك الزاهد الذي كان يمتحن التوكل فخرج من المدينة ومن بين الأسباب ، وابتعد عن أماكن تردد الناس وطرق مرورهم ، ووضع رأسه على حجر في سفح جبل مهجور مفقود وهو في غاية الجوع ، ونام قائلاً لنفسه : توكلت على خالقك للأسباب ورزقك وانقطعت عن الأسباب ، حتى أرى أن التوكل سبب

جواب الثعلب على الحمار وحثه إياه على الكسب

جواب الحمار على الثعلب أن التوكل هو أفضل الكسب فكل إنسان محتاج إلى التوكل ، حي يدعو : اللهم هيء لي هذا العمل ، والدعاء يتضمن التوكل والتوكل كسب لا يحتاج إلى كسب آخر قط إلى آخره

ضرب الجمل للمثل في بيان أن المخبر عن دولة ونضرة ونعيم لا ترى أثرها عليه يكون موضع إتهامه بأنه مقلد في الحديث عنها

الفرق بين دعوة الشيخ الكامل الواصل وبين كلام الناقصين الذين يدعون الفضل لتعلقهم بفضلات العلم التحصيلي

حكاية ذلك المخنث وسؤال اللوطي له أثناء اللوطة

غلبة حيلة الثعلب على استعصام الحمار ...

حكاية ذلك الشخص الذي من خوفه على نفسه ...

أخذ الثعلب الحمار إلى الأسد ، وهرب الحمار من الأسد ...

في بيان أن نقض العهد والتوبة يكون موجبا للبلاء ...

عودة الثعلب إلى الحمار الهارب ليعاود خداعه

جواب الحمار على الثعلب

جواب الثعلب على الحمار

حكاية الشيخ محمد سررزي الغزنوي

مجيء الشيخ بعد عدة سنوات من الخلاء إلى مدينة غزنة ، وطوافه بالزنبيل " متكديا" ...

في معنى [لولاك لما خلقت الأفلاك]

ذهاب ذلك الشيخ كل يوم أربع مرات إلى منزل أحد الأمراء ...

بكاء الأمير من نصيحة الشيخ ، وانعكاسا لصدقه ...

وصول الأمر إلى الشيخ من الغيب قائلا له : لقد أخذت طوال العامين الماضيين وأعطيت ، ومن الآن اعط ولا تأخذ ...

معرفة الشيخ ضمير السائل دون أن يتحدث ...

سبب معرفة ضمائر الخلق

غلبة مكر الثعلب على استعصام الحمار

في بيان فضيلة الحمية والجوع

مثـل

حكاية المريد الذي وقف الشيخ على حرصه وضميره ...

حكاية تلك البقرة التي كانت وحيدة في جزيرة كبيرة ...

صيد الأسد لذلك الحمار ، وظماً الأسد بعد افتراسه للحمه ...

حكاية ذلك الراهب الذي كان يطوف نهارا بمصباح وسط السوق ...

دعوة المسلم للمجوسي

مثل الشيطان على باب الرحمـن

جواب المؤمن السني على الكافر الجبري ...

في بيان أن الإدراك الوجداني كالاختيار ...

حكاية في إثبات الاختيار أيضا ...

حكاية جوابا على الجبري أيضا وصحة الأمر والنهي ...

معنى ماشاء الله كان ...

وأیضا [قد جف القلم] ...

حكاية ذلك الدرويش الذي رأى في هراة غلمان عميد خراسان المزدانين على
جياذ عربية وفي أقبية مطرزة بالذهب ...

جواب ذلك الكافر الجبري ثانية على ذلك السني ...

سؤال الملك إيازاً عامدا ...

قول أهل المجنون له : إن حسن ليلي محدود وليس فائقا وأجمل منها كثيرات ...

حكاية جحا الذي تتقب وجلس بين النساء أثناء الوعظ ...

أمر الملك لإياز مرة أخرى أن : اشرح سر الحذاء والسترة ...

حكاية الكافر الذي قيل له في زمن إبي يزيد : أدخل في الإسلام وجوابه

حكاية ذلك المؤذن قبيح الصوت الذي أذن في دار الكفر

حكاية تلك المرأة التي قالت لزوجها : إن القطة أكلت اللحم ...

حكاية ذلك الأمير الذي قال للغلام : أحضر خمرا ...

حكاية ضياء دلق الذي كان مفرطا في الطول وأخيه شيخ الإسلام تاج بلخ
الذي كان شديد القصر ...

ذهاب الأمير غاضبا لمعاقبة الزاهد

حكاية غلبة المهرج لسيد شاه ترمذ في الشطرنج

هم المصطفى ﷺ بإلقاء نفسه من جبل حراء خوفا من تأخر نزول جبريل عليه السلام ...

جواب الأمير على المتشفعين للزاهد وجيرانه ...

قيام المتشفعين للزاهد وجيرانه بتقبيل يد الأمير ...

جواب الأمير عليهم مرة ثانية

تفسير هذه الآية « وإن الدار الآخرة لهي الحيوان لو كانوا يعلمون » ...

استدعاء الملك لإياز مرة أخرى قائلا له : فسر لنا عملك ...

تمثيل جسد الإنسان بدار ضيافة وأفكاره المختلفة بمختلف الضيوف ...

حكاية ذلك الضيف الذي قالت عنه ربة الدار : لقد انهمر المطر وبقى الضيف
فى رقابنا

تمثيل الفكر التي تحل كل يوم بالقلب بالضيف الجديد....

إكرام السلطان لإياز

وصية أب لابنته قائلا : احتاطى لنفسك حتى لا تحملى من زوجك

وصف ضعف قلب صوفي منعم ووهنه ...

نصح المبارزين له قائلين : بهذا القلب وبهذه الجراءة بحيث يغمى عليك من تقليب
كافر لعينيه ...

حكاية العياضي رحمه الله ...

حكاية ذلك المجاهد الذي كان يلقي كل يوم بدرهم من كيسه في الخندق ...

عودة إلى حكاية ذلك المجاهد في القتال

وصف أحد الوشاة لجارية ...

ايثار صاحب الموصل الخليفة بتلك الجارية حتى لا يستحر القتل في المسلمين

ندم ذلك القائد على الخيانة التي ارتكبها ...

حجة منكرى الآخرة ، وبيان ضعف تلك الحجة ...

مقاربة الخليفة لتلك الحسناء من أجل الجماع

ضحك تلك الجارية من ضعف شهوة الخليفة

إفشاء تلك الجارية ذلك السر للخليفة خوفا من الضرب بالسيف ...

عزم الملك عندما عرف تلك الخيانة على أن يسترها ويعفو ...

في تفسير (نحن قسمنا) ...

اعطاء الملك وهو وسط الديوان والمحفل جوهرة لأحد الوزراء وسؤاله :....

وصول الجوهرة من يد إلى يد إلى إياز في نهاية الدور

تشنيع الأمراء على إياز " وسؤالهم " إياه عن سبب كسرها ، وجواب
إياز عليهم

هم الملك بقتل الأمراء وتشفع إياز أمام عرش السلطان قائلا : العفو
أولى

تفسير قول السحرة لفرعون عند توقيع العقاب عليهم « لا ضير ، إنا
إلى ربنا منقلبون »

اعتبار إياز نفسه مجرما في هذا التشفع ...

الجزء الخامس

طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

رقم الإيداع ٧٩١٨ / ١٩٩٧

الترقيم الدولي (6 - 847 - 235 - 977 - I. S. B. N.)

الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

٣٧١٩٤ - ١٩٩٧ - ٣٠١٦



مشغوف

مولانا جلال الدين الرومي

الحمد لله الذي
جعلنا من عباده
مخلصين